
الذخر والعدة
في
شرح البردة
تأليف
الإمام محمد علي بن محمد علان الصديقي المكي
٩٩٦-١٠٥٧ هجرية رحمه الله تعالى
دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور أحمد طوران آرسلان
قدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء
دار الكتب
دكان ١٣-١٤، صدف پلازا، محله جنگی، پشاور
رقم الجوال: 091-2569011

الذخر والعدة
في
شرح البردة

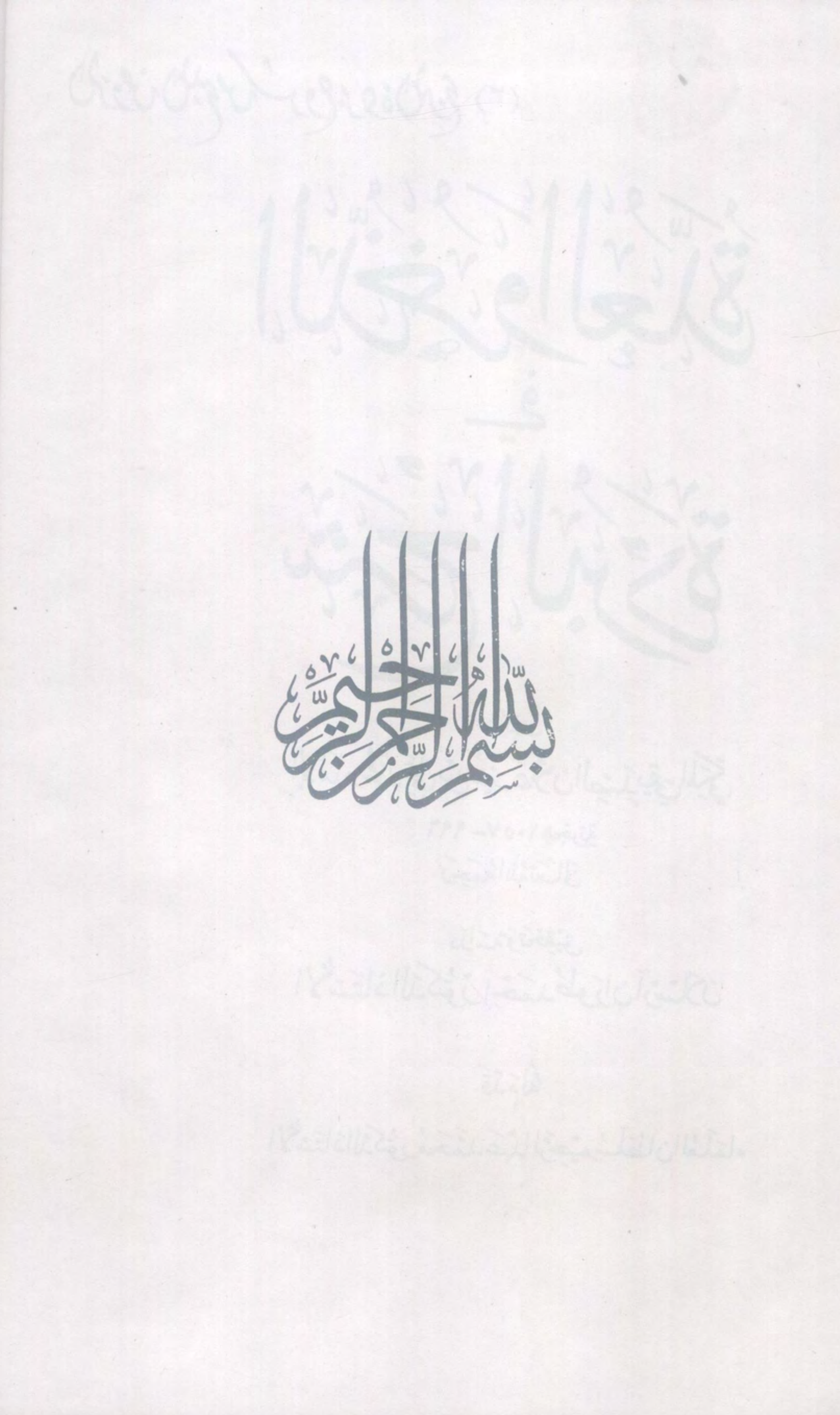
الروض المليح من شروح بردة المديح (٣)



تأليف
الإمام محمد علي بن محمد علان الصديقي المكي
٩٩٦-١٠٥٧ هجرية
رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور أحمد طوران آرسلان

قدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].




الإهداء

إلى اللَّذَيْنِ ضحَّيا بسعادتهما وفارَقا وطنَهُما حتَّى أنهلَ مِن مَعين المعرفة والعِلم...

أُمّي وأبي رحمهما الله أُهدي عملي هذا نوراً يسعى بين أيديهما وهما يرفلان في جنات النَّعيم... آمين.

سائلاً المولى عزَّ وجلَّ أن يتقبّلهما ويجعلهما مع الشُّهَداء والصّالحين وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً... آمين.






«إنِّي رأيْتُ أنَّهُ لا يَكْتُبُ أحَدٌ كِتاباً في يَوْمِهِ إلّا قال في غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هذا لَكانَ أحْسَنَ، ولَوْ زِيدَ هذا لَكانَ يُسْتَحْسَنُ، ولَو قُدِّم هذا لَكانَ أفضَلَ، ولَو تُرِكَ هذا لَكانَ أجْمَلَ، وهذا مِنْ أعْظَمِ العِبَرِ، وهُوَ دَلِيلٌ على استيلاءِ النَّقْصِ على جُمْلَةِ البَشَرِ».

العِمادُ الأصفهانيّ

* * *

إنْ تَجِدْ عَيْباً فسُدَّ الخَلَلا جَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فيهِ وعَلاَ





الاختصارات

C : المجلّد.

Turkye Diyanet Vakfi Islam Ansiklopedisi : DIA

Sy : العدد.

S : الصفحة.

ts : بدون تاريخ.

أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطوُّرها.

الأعلام: وهو لخير الدِّين الزِّركلي.

إلخ: إلى آخره.

ت: تُوفِّي.

دت: بدون تاريخ.

ص: الصفحة.

ق هـ: قبل الهجرة.

مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب.

معجم المؤلِّفين: وهو لعمر رضا كحالة.

م: ميلادية، للميلاد.

هـ: هجرية، للهجرة.

* * *

شرفُ الدين البوصيري

رافع لواء المديح النبوي في البردة الشريفة

تعريف ورد اعتراضات

تقديم بقلم العالم الجليل المفتي

الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء حفظه الله تعالى

عضو هيئة كبار العلماء بدبي

وأستاذ الفقه وأصوله بجامعة الإمارات العربية المتحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي جعلَ من الشِّعر حكمةً ومن البيانِ سِحرا، والصلاةُ والسّلامُ على رسولهِ الكريم سيِّدنا محمّدٍ ﷺ أفصحِ العالَمين في الدُّنيا وفي الأُخرى، وعلى آلِهِ وصحبهِ أئمةِ الهُدى مَنْ حُبُّهم مِنْ أوثق العُرَى.

أمّا بعد؛

فقد أحبَّ الصحابةُ رسولَ الله ﷺ حبًّا مَلَكَ عليهم مشاعرهم، حبًّا لم يُعرَفْ له مثيلٌ من قبلُ ولا من بعد، حتى قال عُروة بن مسعود الذي رأى بعض مظاهر هذا الحبِّ الصادق العظيم: «والله لقد وفدتُ على الملوك ووفدتُ على قيصرَ وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيتُ ملكًا قطُّ يعظّمه أصحابه ما يعظِّم أصحابُ

محمدٍ ﷺ محمدًا، والله إنْ تنخّم نخامةً إلا وقعت في كفّ رجلٍ منهم فدَلَكَ بها وجهَه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضَّأ كادوا يقتتلون على وَضُوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له»(١).

وقد رَوى عونُ بن أبي جُحَيفة، أن أباه «رأى رسول الله ﷺ في قبة حمراءَ من أدم، ورأيت بلالًا أخرج وَضوءًا، فرأيتُ الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسَّحَ به، ومَن لم يُصِبْ منه أخذَ من بَلَلِ يدِ صاحبه»(٢).

ولو استقصَينا مظاهرَ الحبِّ لدى الصحابة رضيَ الله عنهم ـ وهي من أروع مظاهر الحب ـ لتطلَّب ذلك منا كتابةَ مجلداتٍ من الكتب، وقصارى القول أنّ ذلك بلغ من الصحابة مبلغًا لم يبلغه حبٌّ آخر، كما تُلخِّصُه هذه الحادثة:

كان ثوبان رضيَ الله عنه مولى رسول الله ﷺ شديدَ الحبِّ لرسول الله ﷺ، قليلَ الصبر عنه، فأتاه ذاتَ يوم وقد تغيّر لونه، يُعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما غيَّر لونك؟»، فقال: يا رسولَ الله، ما بي مرضٌ ولا وَجَع، غيرَ أني إذا لم أرك استَوْحَشْتُ وحشةً شديدةً حتى ألقاك، ثم ذكرتُ الآخرةَ فأخاف أنْ لا أراك؛ لأنك تُرفَع مع النبيين، وإنّي إنْ دخلت الجنة كنتُ في منزلةٍ أدنى من منزلتك، وإنْ لم أدخل الجنةَ لا أراك أبدًا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩](٣)؛ تسكينًا لقلوب الصحابة وجبرًا لخواطرهم رضيَ الله عنهم.

وسَرَى هذ الحبُّ في الجيل التالي، فمَن بعدَهم، فنشأت أجيال لم يروا

---

(١) صحيح البخاري (٢: ٩٧٤).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في أبواب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الأحمر برقم ٣٦٩ (١: ١٤٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب سترة المصلي برقم ٥٠٣ (١: ٣٦٠).

(٣) تفسير البغوي (٢: ٢٤٧).

مَنْ رأى رسول الله ﷺ، فاشتاقوا لرؤية الحبيب المصطفى ﷺ، وأضناهم ذلك الحبّ، وطُلقت ألسنتهم وجاشت عواطفهم بالتعبير عن ذلك الحب في قوالب شعرية عُرفت بالمدائح النبوية، وبلغت في بُردة البوصيري ذروتها جمالًا وبلاغة، فصارت حديث الناس سفرًا وحضرًا، وحفظته أصناف من الناس عربًا وعجمًا.

والشِّعر قد وُلِدَ رديفًا للحياةِ العربيّة منذُ فجر التّاريخ، يسجل أيامها، ويخلّد مآثرها، ويذود عن حماها، يؤدّي دور وسائل الإعلام في عصرنا، بل كان أعمق أثرًا وأبلغ شأوًا. وقد عرف الإسلام للشعر مكانته؛ لذا استدعاه لينافح عن الإسلام وينصره، فقال ﷺ لشعرائه: «اهجوا قريشًا، فإنه أشدُّ عليها من رَشْقٍ بالنبل». ولما انبرى حسّان بن ثابت لقريش يهجوهم وينال منهم جزاءً لإيذائهم رسول الله ﷺ قال الرسول ﷺ لحسّان: «إنّ رُوحَ القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله»، وقال ﷺ: «هَجَاهم حسان فشفى واشتفى»[1].

وقصائدُ حسّان رضيَ الله عنه في مدح جناب المصطفى ﷺ معروفةٌ مشتهرة بلغت ذُرى المجد وعلياءَه. وما قصيدة كعب بن زهير رضيَ الله عنه في مدحه ﷺ إلا مثالٌ لهذا الحبّ الذي ملك قلوب الصحابة رضوان الله عليهم ومَن جاء بعدهم، وسيظل كذلك إلى أن يَرِثَ الله الأرضَ ومَن عليها.

وما منْ شكٍّ في أنّ شُعراء النبيِّ ﷺ كانُوا منارةً للشُّعراءِ من بعدهم، فساروا على خُطاهم، واقتدوا بهُداهم، ممّا أبرزَ لنا فنًّا أدبيًّا خالدًا هو المديح النّبوي، جسّدوا فيه أبرز شمائل النبيِّ ﷺ، وسيرتهُ العطرة، حتّى باتَ مصدرًا أصيلًا من مصادر السِّيرة النّبوية بخاصّة، والتاريخ العربي الإسلامي بعامّة، فضلًا عن الموروث اللغوي والبلاغي والأدبي الذي انطوى عليه، ممّا دفعَ العُلماء من شتّى

(١) صحيح مسلم، باب فضائل حسان بن ثابت، برقم (٢٤٩٠).

المذاهب والاتجاهات، شرقًا وغربًا، إلى هذا الفنّ، لإبراز دُرّه المكنون، وجوهره المصون، الذي لا يسعُ الأديبَ أو اللغويَّ أو المؤرِّخَ الجهلُ به.

وقد حَفِلَ أدبُنا العربيُّ على مرِّ العُصورِ بطائفةٍ من قصائد المديح النّبوي، عبّر فيها الشُّعراءُ عن حبِّهم لجنابِ المصطفى ﷺ، متقرِّبين بذلك إلى الله عزّ وجلّ، لكنْ لم تحظَ بالسّعادةِ قصيدةٌ مثلما حظيتْ قصيدةُ البُردة المسمّاة: «الكواكب الدُّرِّية في مدح خير البريّـة ﷺ»، لأبي عبد الله شَرَف الدّين محمّد بن سـعيد البُوصِيري (ت ٦٩٥هـ)، فتناولها الشُّعراءُ مِن بعدهِ بالمعارضةِ والتخميس والتّسبيع، ممّا جعلها سببًا في ولادة فنٍّ جديد، وهو فنُّ البديعيّات، الذي يتلخّص بتمثُّلِ البناء الفنّي لقصيدة البردة؛ الموضوع: وهو المديح النبوي، والوزن: وهو بحر البسيط، وحرف الرّوي: وهو الميم، إضافـةً إلى الطُّـول، إذ بلغتْ مئـةً وستّين بيتًا ـ على اختلاف الرّوايات ـ وأضاف أصحابُ البديعيّات شرطًا أساسيًّا فيها هو توظيف أنواع البديع كلّها في القصيدة، بحيث يشتمل كل بيتٍ على فنٍّ منها، كما هو الحال في بديعية الصفيِّ الحِلِّي، وبالغَ البعضُ فألزمَ نفسه ما لا يلزمها من التورية باسـم النوع البديعي في البيت، كما هو الحال في بديعية عِزّ الدِّين الموصلي، وبديعيّة ابن حجّة الحمَوي.

وقد أقبلَ عامّة النّاس على البُرْدة بالحفظِ والدِّراسة، فاشتُهِرتْ وذاعَ صِيتُها في الآفاق، ممّا دفعَ أكابـرَ العُلماءِ لشرحها بشروحٍ متعدِّدة الاتجاهات، لغويّة ونحويّـة وبلاغيّـة وأدبيّـة وتاريخيّـة وشرعيّـة، نذكرُ منهم تمثيلًا لا حصرًا، الإمام المقرئ النّحوي شمس الدِّين ابن الصّائغ (ت٧٧٦هـ)، والإمـام الفقيه المتفَنِّن بدر الدِّين الزّركشي (ت٧٩٤هـ)، والإمام العلامـة ابن حبيب الحلبي (ت٨٠٨هـ)، والإمام المفسِّر جلال الدِّين المحلِّي (ت٨٦٤هـ)، والإمام المُحدِّث شهاب الدِّين القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، شارح صحيح البُخاري، وشيخ الإسلام زكريّا الأنصاري

(ت٩٢٦هـ)، والإمام العلّامة ابن حَجَر الهيتَمي (ت٩٧٣هـ)، والعلّامة الملّا علي القاري (١٠١٤هـ)، والعلّامة المحقّق ابن علّان الصِّدِّيقي المكّي (ت١٠٥٧هـ)، وغيرهم من أجلّة العُلماء عبر العصور. هذا فضلًا عن العناية الأدبية الكبيرة التي حظيت بها البُردة، من معارضات وتشطير وتخميس ونحوها من فنون الشعر. وقد أحصى بعضُ الباحثين الموسوعيِّين عددَ ما كَتَبَتْهُ الأقلامُ على البُردةِ من الشروح والحواشي، والفنون الشعرية المختلفة؛ كالتخميس، والتسبيع، والتشطير، والتسميط، والتضمين، والمعارضة؛ فزاد ذلك على (٤٥٠) خمسين وأربع مئةِ مؤلَّفٍ وعملٍ أدبيّ![1].

وفي مقدِّمة تحقيق هذا الكتاب الذي نقدِّمُ الكلامَ بين يديه استيفاءٌ جميلٌ لما ألّفه العلماء في شرح البُردة الشريفة والكتابة عليها، فلا نطوِّلُ بذكر ذلك هنا.

ولم تأتِ هذه العِناية البالغة بقصيدةِ البُردة من فراغ، فقدْ وجدَ فيها العُلماءُ ما لم يجدوهُ في قصيدةٍ أخرى، من جمالٍ في الأسلوب، وفصاحةٍ في اللغة، وعُمقٍ في المعاني، فضلًا عمّا اشتملتْ عليه من فوائد سِيَرِيّة، ومواعظَ رقيقة، يجدرُ بشُداةِ العلمِ وأهل الدِّين الإلمامُ بها، ومداومة مذاكرتها واستحضارها.

ولم يسجِّل أهلُ العلم على قصيدة البُردة أيةَ مخالفاتٍ عَقَدية، ذلك أن الذين تناولوا البردة بالشرح والتحليل علماء ذوو قاماتٍ كبيرة في العلم والتقوى، كالمحدِّث القسطلّاني، والأصُولي الزركشي، والفقيه الهيتمي، وغيرهم ممن ذكرناهم آنفًا، وهم فوق ذلك جمعوا بين العلم الوفير بدلالات الألفاظ، وتحليل النصّ، وبين الحبِّ الصادق لصاحب الرسالة ﷺ، فرأوا أنّ القصيدةَ تجري على سَنَنِ الشرع، لا تحيدُ عنه قيد أنملة. غير أنّ بعضَ الدارسين المتأخّرين نظر إلى

---

(١) يُنظر: «جامع الشروح والحواشي» للسيّد عبد الله الحبشي (١: ٤٥٣-٤٩٢).

قصيدة البوصيري بمنظار آخر، أقل ما يُقال فيه إنه نابعٌ من سوء الظن بالمسلم، فرمى البُوصيريَّ بالضلال جهلًا، ونبز القصيدة بالانحراف ظُلمًا.

فمن ذلكَ اتّهامهم البوصيريَّ بالغلوّ في عدة أبيات من البُردة، وقد ردّ هذه الاتهاماتِ كثيرٌ من أهل العلم، وبيّنوا المعنى الصحيح الذي يقصده البوصيري رحمه الله تعالى، ومع ذلك فلا نُخلي هذه المقدمة من بيانٍ وجيزٍ لوجه الصوابِ في فهم تلك الأبيات، بما لا يَبقَى معه مجالٌ للنكير إن شاء الله تعالى:

١ ـ قول البُوصِيري رحمه الله تعالى:

يا أكْرَمَ الرُّسْلِ ما لي مَنْ أَلوذُ به ... سِواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمِمِ

وجه الاعتراض: أن هذا النداء من الاستغاثة المحرَّمة بغير الله تعالى، وأنّ اللواذَ لا يكون إلا به سبحانه.

الجواب عنه: أنّ كل مسلمٍ لا يلوذ ـ على الحقيقة ـ إلا بالله تعالى، ولا يعلّق قلبَه إلا به عزَّ وجلّ، وهذا مما ليس هو محلّ شكٍّ ولا خلاف، ومع هذا؛ فإن اللواذَ في الدنيا والآخرة بغيره ـ سبحانَه ـ من الخَلْق الذين جعلهم اللهُ تعالى مفاتيحَ للخير مغاليقَ للشرّ؛ أمرٌ جائزٌ شرعًا لا يُنكره عاقل، كيف لا وقد استعمل هذا اللفظَ (نلوذ) أفصحُ الصحابة، ومن أقدمهم إسلامًا، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «لقد رأيتنا يوم بدرٍ ونحن **نلوذ برسول الله** ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشدِّ النَّاس يومئذٍ بأسًا»[١].

ثم إنّ الناظم رحمه الله تعالى يتكلّم عن موقف الحشر الأكبر الذي تلوذ الخلائق فيه من شدّته بالأنبياء واحدًا تِلْوَ الآخر؛ لكي يشفعوا لهم عندَ الله تعالى، فيعتذرون جميعًا إلا نبيَّنا محمدًا ﷺ، حيث يأتونه فيقول: «انا لها»؛ كما في الحديث

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (برقم ٦٥٤).

المخرَّج في «الصحيحين»[(١)]، وفي لفظٍ له في «صحيح البخاري»: «إنّ الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العرقُ نصفَ الأذن، فبينا هم كذلك **استغاثوا** بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ»[(٢)]، وها هو نصّ الحديث، وقد ذكر المصطفى ﷺ لفظ الاستغاثة، ولو كانت الاستغاثةُ على إطلاقها غيرَ جائزةٍ لما عبّر عنها ﷺ بهذا اللفظ ولَبيّن أنّ الاستغاثةَ بغير الله محرّمة، إلا أن هناك بونًا شاسعًا بين الاستغاثة المشرُوعة والاستغاثة الشركيّة.

٢ـ قولُ البُوصِيري رحمه الله تعالى:

فإنّ مِنْ جُودِكَ الدُّنيا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

وجه الاعتراض: أنّ هذا من الغلوّ في النبي ﷺ بوصفه مالكًا للدنيا والآخرة يجود بهما، وأنه يعلَمُ الغيب، وهو مما استأثر الله بعلمه.

الجواب عنه: أنّ معنى كلامه: أنّ خيرَي الدنيا والآخرة ـ وهما هدايته ﷺ للناس في الدنيا، وشفاعته ﷺ فيهم في الآخرة ـ قد جادَ بهما الله تعالى على خليلِه محمد ﷺ، فنسبةُ «الجودِ» إليه ﷺ مجاز؛ كما يُقال: «مال الفقير» في المال الذي تَصدّقَ به عليه غنيٌّ، والمالكُ الحقيقي لكلٍّ من مال الغني ومال الفقير ـ على السواء ـ هو اللهُ تباركَ وتعالى؛ كما قال سبحانه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

وأما معنى عجز البيت فإنّه قد وردت رواياتٌ أنّ الله تعالى لم يقبض نبيّه ﷺ

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (٧٥١٠)، و«صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٩٣) (٣٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثُّرًا، (١٤٧٥) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

المخرَّج في «الصحيحين»[١]، وفي لفظٍ له في «صحيح البخاري»: «إنّ الشمس تدنو يوم القيامة، حتى يبلغ العرقُ نصفَ الأذن، فبينا هم كذلك **استغاثوا** بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ»[٢]، وها هو نصّ الحديث، وقد ذكر المصطفى ﷺ لفظ الاستغاثة، ولو كانت الاستغاثةُ على إطلاقها غيرَ جائزةٍ لما عبّر عنها ﷺ بهذا اللفظ ولَبيّن أنّ الاستغاثةَ بغير الله محرّمة، إلا أن هناك بونًا شاسعًا بين الاستغاثة المشرُوعة والاستغاثة الشركيّة.

٢ـ قولُ البُوصِيري رحمه الله تعالى:

فـإنّ مِـنْ جُـودِكَ الـدُّنيـا وضَـرَّتَـهـا ... وَمِـنْ عُلُومِـكَ عِلـمَ اللَّـوْحِ والقَلَـمِ

وجه الاعتراض: أنّ هذا من الغلوّ في النبي ﷺ بوصفه مالكًا للدنيا والآخرة يجود بهما، وأنه يعلَمُ الغيب، وهو مما استأثر الله بعلمه.

الجواب عنه: أنّ معنى كلامه: أنّ خيرَي الدنيا والآخرة ـ وهما هدايته ﷺ للناس في الدنيا، وشفاعته ﷺ فيهم في الآخرة ـ قد جادَ بهما الله تعالى على خليلِه محمد ﷺ، فنسبةُ «الجودِ» إليه ﷺ مجاز؛ كما يُقال: «مال الفقير» في المال الذي تَصدّقَ به عليه غنيٌّ، والمالكُ الحقيقي لكلٍّ من مال الغني ومال الفقير ـ على السواء ـ هو اللهُ تباركَ وتعالى؛ كما قال سبحانه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

وأما معنى عجز البيت فإنّه قد وردت رواياتٌ أنّ الله تعالى لم يقبض نبيّه ﷺ

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (٧٥١٠)، و«صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٩٣) (٣٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثُّرًا، (١٤٧٥) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

حتى أطلَعَهُ على ما جرى به القلمُ في اللوح المحفوظ، وعلى علوم الأوّلين والآخِرين؛ كما هو ثابتٌ في «الصحيحين»، في حديث المعراج من سماعه ﷺ صَريف الأقلام[١]، مع ما ورد من الروايات الكثيرة عن الغيوب العديدة من أمور الدنيا وشؤون الآخرة التي أخبر بها النبي ﷺ؛ مما لم يَعلَمْه ﷺ إلا بإعلام الله تعالى له، كما قال سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

وهذا كلُّه جزءٌ من الغيوب التي يعلَمُها اللهُ تبارك وتعالى، فعِلْمُ النبي ﷺ هو علمٌ ببعض الغيب، وعلمُه ﷺ هو بإعلام الله تعالى له، لا باستقلالٍ منه عليه الصلاة والسلام بهذا العلم وقدرةٍ ذاتيةٍ فيه عليه، وليس في هذا ما يُنكَر.

ويشهد لهذا المعنى أيضًا حديثُ عمرو بن أخطب، قال: «صلى بنا رسولُ الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلَمُنا أحفَظُنا»[٢].

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاةِ في الإسراء (٣٤٩) في حديث ابن شهاب عن ابن حزم أن ابن عباس، وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ... الحديثَ.

وأخرجه أيضًا الإمام مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، (١٦٣) (٢٦٣).

وصَريف الأقلام: تصويتها حال الكتابة. قال الخطّابي: هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره. يُنظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢: ٢٢١).

(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم ٢٨٩٢، (٤/ ٢٢١٧).

ولعلّ من أسباب هذا الاعتراض توهُّمُ أنّ اللوحَ المحفوظَ محيطٌ بعلمِ الله تعالى، وأنه يلزَمُ من القول باطّلاع النبيِّ ﷺ على ما في اللوح المحفوظ[1] أنْ يعلمَ جميعَ عِلمِ الله تعالى، وهذا باطلٌ لازمًا وملزومًا؛ لأنّ عِلمَ الله تعالى هو قبل خَلْقه للّوح المحفوظ، وقبل كتابة الأقلامِ المقاديرَ فيه، واللوحُ المحفوظُ مخلوقٌ محدودٌ، محدودٌ ما فيه، وعلمُ الله تعالى لا حدَّ له يَـحُدُّه، ولا عدَّ يعُدُّه.

٣ـ قوله رحمه الله تعالى:

أقسـمتُ بالقمـر المُنشَـقِّ إنّ لـهُ ... مِـن قلبـهِ نسـبةً مبـرورةَ القَسَـمِ

وجه الاعتراض: أنه لا يجوز الإقسام بغير الله تعالى؛ لما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن ذلك.

الجواب عنه: أنّ الإقسام بما أقسم به الله تعالى جائزٌ عند بعض أهل العلم الذين حملوا النهيَ عن الإقسـام بغير الله تعالى على ما فيه تعظيمٌ للمُقسَم به كتعظيم الله تعالى، واعتقاد الألوهيّة فيه كألوهيّته عزَّ وجلّ[2].

---

(١) أو غيرِ النبي ﷺ ممن يُلهمهم الله تعالى من عباده الصالحين ويكشف عن بصائرهم بما شاء سبحانه؛ كما روى ابن القيّم عن شيخه ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ أخبارًا من فراسته وإخباره بالمغيَّبات؛ منها: أنه أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمئة لما تحرّك التتارُ وقصدوا الشام: أن الدائرةَ والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينًا، فيُقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله؛ تحقيقًا لا تعليقًا! قال ابن القيّم: وسمعتُه يقول ذلك. قال: فلما أكثروا عليَّ قلتُ: لا تكثروا؛ كتب اللهُ تعالى في اللوح المحفوظ: أنهم مهزومون في هذه الكرَّة، وأن النصر لجيوش الإسلام. قال: وأطمعت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو. يُنظر: «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن القيم (٢: ٤٥٨).

(٢) قال الإمام موفَّق الدين ابن قدامة في «المغني» (٩: ٤٨٨): =

قال الطِّيبيّ: «وذلك لأنّ الحلفَ تعظيمٌ للمحلوف به، وحقيقة التعظيم مختصةٌ بالله تعالى»[1].

وقيل: يُحمَل هذا القسم على تقدير مضافٍ محذوف، أي: «أقسمت بربّ القمر المنشقّ».

ويمكن أنْ يكون حكايةً عن كلام الله تعالى، ولله أن يُقسمَ بما شاء من مخلوقاته تعظيمًا لبعض موجوداته، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ * وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٤][2].

٤ـ قوله رحمه الله تعالى:

وكيف تدعُو إلى الدنيا ضرورةُ مَنْ لولاهُ لم تُخرجِ الدنيا مِنَ العدَمِ

= فصلٌ: ولا يجوز الحلف بغير الله تعالى، وصفاته، نحو أن يحلف بأبيه، أو الكعبة، أو صحابي، أو إمام. قال الشافعي: أخشى أن يكون معصية. قال ابن عبد البر: وهذا أصلٌ مجمَعٌ عليه. وقيل: يجوز ذلك؛ لأن الله تعالى أقسم بمخلوقاته، فقال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]، ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١]، وقال النبي ﷺ للأعرابي السائل عن الصلاة: «أفلح ـ وأبيه ـ إن صدق»، وقال في حديث أبي العُشَراء: «وأبيك، لو طعنت في فخذها لأجزأك». انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١١: ٥٣١):

والخلاف موجودٌ عند الشافعية من أجل قول الشافعي: «أخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية»، فأشعر بالتردد، وجمهور أصحابه على أنه للتنزيه، وقال إمام الحرمين: المذهب القطع بالكراهة. وجزم غيره بالتفصيل، فإن اعتقد في المحلوف فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حرم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافرًا، وعليه يتنزل الحديث المذكور، وأما إذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم، فلا يكفر بذلك، ولا تنعقد يمينه. انتهى.

(١) «شرح المشكاة» للطيبي (٨: ٢٤٣٦).

(٢) ينظر: «الزبدة في شرح البردة» للملا علي القاري ص١٠٤.

وجه الاعتراض: أنّ هذا القول مناقضٌ لما أخبر الله تعالى به من أنه لم يخلق الجنّ والإنس إلا لعبادته سبحانه، وهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الجواب عنه: أنّ حِكَم أفعال الله تعالى تتعدّد، وليس في تعدُّدها تعارضٌ، وفي القرآن والسنة من ذلك كثيرٌ من الحِكَم التي وردت من خلق الكون، وإنزال الكتب، وإرسال الرسل، كإظهار الدين، ونصرة الحق، وإبطال الباطل، وتمييز الخبيث من الطيب، وغير ذلك.

ومعنى خلق الله تعالى الدنيا لأجل النبي ﷺ؛ أي: لإظهار جليل مرتبته، وعظيم منزلته، وهذا لا يتعارض مع مقصود العبادة المصرَّح به في آية الذاريات؛ ذلك أنّ وجود النبي ﷺ سببٌ لإظهار الشريعة المطهَّرة، فلولا وجوده لما ظهَرت الشريعة التي يُعبَدُ الله تعالى بها، مع ما ثبت له ﷺ من فضلٍ وعلوّ منزلة، وسيادةٍ على الكائنات.

وقد قرّرَ هذا المعنى الإمام تقيُّ الدين ابن تيميّةَ رحمه الله تعالى بقوله:

«ومحمدٌ سيدُ ولد آدم، وأفضلُ الخلق وأكرمُهم عليه، **ومن هنا قال من قال: إنّ الله خَلَق من أجله العالَم**، أو إنه لولا هو لما خلق عرشًا ولا كرسيًا، ولا سماءً ولا أرضًا، ولا شمسًا ولا قمرًا. لكنّ ليس هذا حديثًا عن النبي ﷺ، لا صحيحًا ولا ضعيفًا، ولم ينقله أحدٌ من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، بل ولا يُعرَف عن الصحابة، بل هو كلامٌ لا يُدرَى قائله[1]. ويمكن أن يفسَّر بوجهٍ صحيح كقوله:

---

(١) كلام الإمام ابن تيميّة صحيحٌ إن أراد النقل بهذا اللفظ، وإلا فقد أخرج الحاكم في «المستدرك على الصحيحين»، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ومن كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة، (٤٢٢٧) من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، =

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠]، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٤]، وأمثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم، ومعلوم أن لله فيها حِكَمًا عظيمة غير ذلك وأعظم من ذلك، ولكنْ يُبيّنُ لبني آدمَ ما فيها من المنفعة وما أسبَغ عليهم من النعمة.

فإذا قيل: «فُعِلَ كذا لكذا» لم يقتَضِ أن لا يكون فيه حكمةٌ أخرى! وكذلك قول القائل: «لولا كذا ما خُلق كذا» لا يقتضي أن لا يكون فيه حِكَمٌ أخرى عظيمة!

= قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمن بمحمد، وأْمُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، **فلولا محمد ما خلقتُ آدم، ولولا محمدٌ ما خلقتُ الجنة ولا النار**. ولقد خلقتُ العرش على الماء فاضطَرَب، فكتبتُ عليه: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، فسكن.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

وتعقبه الذهبي في «التلخيص» بقوله: أظنه موضوعًا على سعيد.

ثم روى (٤٢٢٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربِّ، أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟ قال: يا ربِّ، لأنك لما خلقتَني بيدِكَ ونفختَ فيَّ من روحكَ رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوبًا: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، فعلمتُ أنك لم تُضف إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك، فقال الله: صدقتَ يا آدم، إنه لأحبُّ الخلق إليَّ، ادعُني بحقّه، فقد غفرتُ لك، **ولولا محمد ما خلقتك**».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. وقال الذهبي: بل موضوع. انتهى.

والحديثان شديدا الضعف، لكنّ مجرَّد رواية الحاكم لهما، ورواية البيهقي للحديث الثاني في «دلائل النبوة» (٥: ٤٨٩) تَرِدُ على جزمِ نفيِ الإمام ابن تيمية بعدم رواية شيءٍ في معنى القول الذي صدّرَ كلامَه بذكره، والله تعالى أعلم.

بل يقتضي إذا كان أفضلَ صالحي بني آدم محمدٌ، وكانت خلقتُهُ غايةً مطلوبة وحكمة بالغة مقصودة أعظمَ من غيرِه؛ صار تمامُ الخلق ونهايةُ الكمال حصَل بمحمدٍ ﷺ.

والله خلق السماوات والأرض وما بينَهما في ستة أيام، وكان آخر الخلق يوم الجمعة، وفيه خُلق آدم، وهو آخر ما خُلق، خُلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة، وسيدُ ولد آدم هو محمد ﷺ؛ آدمُ فمن دونه تحت لوائه، قال ﷺ: «إني عندَ الله لمكتوبٌ خاتم النبيين وإنّ آدم لمنجدِلٌ في طينته»[١]، أي: كُتبت نبوتي وأُظهِرَت لما خُلق آدم قبلَ نفخ الروح فيه، كما يكتُبُ الله رزقَ العبد، وأجَلَه وعمله، وشقيٌّ أو سعيد؛ إذا خلق الجنين قبل نفخِ الروح فيه.

فإذا كان الإنسان هو خاتم المخلوقات وآخرَها، وهو الجامعُ لما فيها، وفاضلُه هو فاضلُ المخلوقات مطلقًا، ومحمدٌ إنسان هذا العين؛ وقطب هذه الرحى، وأقسام هذا الجمع؛ كان كأنها غايةُ الغايات في المخلوقات؛ فما يُنكَر أن يقال: إنه لأجلِهِ خُلقت جميعُها، وإنه لولاهُ لما خُلقت.

فإذا فُسِّر هذا الكلام ونحوُه بما يدلُّ عليه الكتاب والسنة قُبِلَ ذلك، وأما إذا حصَل في ذلك غلوٌّ من جنس غلوّ النصارى بإشراك بعضِ المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردودًا غير مقبول». انتهى[٢].

٥ـ قوله رحمه الله تعالى:

فــإنّ لــي ذمّــةً مـنــه بتَســمِيَتي * محمّـدًا، وهْـوَ أوفَـى الخَلْـقِ بالذِّمَـمِ**

وجه الاعتراض: أنه لا يوجد عهدٌ لأحد أن يدخل الجنة بمجرَّد أن يُسمَّى

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٧١٥٠) من حديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه.

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١: ٩٦- ٩٨).

باسم «محمد»، والناس جميعًا ترى أن كثيرًا من الفاسقين والشيوعيين من المسلمين اسمه محمد، فهل التسمية بهذا الاسم ضامنةٌ لهم دخولَهم الجنة؟

الجواب عنه: أن الناظم يتوسّل إلى الله تعالى وإلى النبيِّ ﷺ بمحبّته له ولاسمه الشريف ﷺ، وذلك باعتبارِ اعتزازِهِ بتسمِّيه هذا الاسم الجليل شاهدًا على صدق محبتـه لهذا النبي الكريم ﷺ، وعمَلًا بما وردَ من رواياتٍ في فضل التسمّي باسمِهِ ﷺ، على شدّة ضعفِ طُرُقها[1]، وفي هذا تفاؤلٌ منه لا تعويلٌ على مجرَّد التسمية، بل هو مقرونٌ بالإيمان والعمل الصالح والمتابعة للنبيّ ﷺ وسنّته الغرّاء.

وذكر جملةٌ من أهل العلم أن المراد بالذّمة هنا: وعدُ الشفاعة لمن آمن به، فكيف بمَن جمع مع الإيمان والعمل الصالح التسمّي باسمه؟ ومما ثبت أن للاسم تأثيرًا في المسمّى، والرجاءُ ببركةِ هذا الاسم بالإضافة إلى الإيمان والاتباع: أمرٌ محمود.

وقد درج الكبار من أهل العلم على الاهتمام والاعتناء بهذا الاسم المبارك وتقديمه على غيره، فهذا أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري يبدأ بتراجم (المحمدين) في كتابه «التاريخ الكبير»، وبه اقتدى الكثير من أهل العلم الذين ألّفوا في التراجم والرجال، وقد أورد القاضي عياض رحمه الله في كتابه «الشفا» خبرًا عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ألا لِيَقُمْ مَن اسمه محمد فليدخل الجنة، لكرامة اسمه عليه السلام»[2]، والخبر مُرسَلٌ،

(١) قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» (١: ٢٤٣ باب التسمية بمحمد ﷺ) بعد ذكره ثمانية أحاديث في ذلك وتعليلها: وقد رُوِيَ في هذا الباب أحاديثُ ليس فيها ما يصحّ.

(٢) «الشفا» للقاضي عياض، ص٢٢٥.

وليس المقصود منه أن كلّ من تسمّى باسم هذا النبي الكريم ﷺ صارت له ذمّة بهذه التسمية، لكنْ إذا جمع إلى التسميةِ الإيمانَ وحسنَ العمل فهو حريٌّ بالتكريم.

٦ ـ قوله رحمه الله تعالى:

لعلّ رحمةَ ربّي حينَ يَقسِمُها تأتي على حَسَبِ العصيانِ في القِسَمِ

وجه الاعتراض: أنها لو كانت الرحمة تأتي قسمتها على قدر المعاصي لكان على المسلم أن يزيد في المعاصي حتى يأخذ من الرحمة أكثر! وهذا لا يقوله مسلمٌ ولا عاقل.

الجواب عنه: أن مراد الشاعر: أنّ مَن رَحِمَهُ الله تعالى وغَفَرَ له مئةَ ذنبٍ موجبةٍ للعقاب ـ مثلًا ـ قد نال من الرحمة الخاصّة أكثرَ ممّن رحمه الله تعالى وغفر له عشرةَ ذنوب، فكأنّ الأولَ ينال قسمًا ومقدارًا أكبرَ من الرحمة، وهذا من ترجّي الناظم لرحمة الله واستعطافِه لمغفرة المولى تعالى؛ ولذلك عبّر بقوله:

لعلّ رحمةَ ربّي حينَ يَقسِمُها

أي أرجو بحسن ظنّي بربي أنّ رحمةَ ربي حين يقسمها ويُظهرها يوم القيامة على أرباب النفوس اللوّامة تأتي على مقدار عصيانهم لا حَسَبِ حرمانهم، فرحمته أوسع من ذنوبنا، وفضله أشمل من عيوبنا.

وليس المقصودُ أن الزيادةَ في العصيان أرجى لتطلُّبِ الرحمة! فكلام العقلاء يتنزّه عن هذا المعنى الظاهر بُطلانه.

* * *

وفي الخِتام، لم تزل قصيدة البُردة حتى يوم الناس هذا أبدَعَ وأشهَرَ قصيدةٍ في مدح سيدنا محمدٍ المصطفى ﷺ، ولا تزال الألسنة تلهج بإنشادها، والقلوب تزكو بمعانيها، ويلتهب بها شوق المحبّين إلى ذلك الجناب الكريم على صاحبه أتم الصلوات وأكمل التسليمات.

وقد وقفتُ على نسخ نفيسة من هذه القصيدة عليها سماعاتٌ لكبار أهل العلم، وروايتهم لها وإجازتهم لغيرهم بروايتها بسندهم المتصل إلى صاحب القصيدة، ولم يُؤْثَر عن واحدٍ منهم ـ على جلالة أقدارهم ـ أنهم طعنوا في القصيدة، أو أساؤوا الظن بصاحبها، مما يُطَمئِنُ القلبَ إلى أن سُوء الظن وتحميل القصيدة غير ما أراده صاحبها ومُنْشِئُها يرجع إلى سوء الفهم، والجديرُ بالمسلم أن يظن بالمسلمين خيرًا، ولا سيّما بالعلماء الأعلام الذين خَصُّوا هذه القصيدة بالشرح والتعليق والتخميس والتسبيع والتشطير وغيرها من وجوه العناية والاهتبال بها.

هذا وقد رغب صاحبُ الفضل والفضيلة، العالم المطّلع، الشيخ الدكتور نظام محمد صالح يعقوبي حفظه الله، صاحبُ السهم الوافر في خدمة العلم وأهلِه، في أن ينشر للناس سلسلةً من شروح البُردة، التي لم يسبقْ لها أنْ رأتِ النُّورَ من قبل، ويُبرزها للدارسين وطلبة العلم بتحقيق علميٍّ رصين، وبثوبٍ قشيبٍ جميل، لتأخذ مكانها الذي ينبغي لها في مكتبة السيرة النبوية المطهّرة، ولا سيّما أنّ تراثنا العربي الإسلامي زاخِرٌ بمثل هذه المؤلفات النفيسة التي تجدرُ العنايةُ بها، فنسألُ الله عزّ وجلَّ أنْ يثيبَ الشيخ الجليل نظامًا خيرَ الجزاء، كِفاءَ سعيه الجميل وغَيرته على تراثنا العربي الإسلامي، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

وهذا الشرح الذي نقدّم لـه اليوم دبّجَه العلّامة المحدِّث المفسِّر صاحب الفنون، الذي قيل فيه إنه «سيوطيُّ زمانه»، صاحب المنقبة الشهيرة بإقراء «صحيح

البخاري» في جوف الكعبة المشرَّفة، تلميذ الأكابر من أمثال ابن فهد والسيد عمر البصري وابن ظهيرة وغيرهم، الذي تصدّر للتدريس وله من العمر ثمانية عشر عامًا؛ إنه الإمام محمد علي بن محمد عَلّان الصِّدِّيقي المكّي، المولود سنةَ ٩٩٦ هجرية في بيت العلم والفضل والمجد، بمكة المكرمة، والمتوفَّى بها سنةَ ١٠٥٧ هجرية، دَفِينُ المَعْلاة بقرب مَرقَدِ شيخ الإسلام الشهاب ابن حجر الهيتمي إمام متأخِّري الشافعية لا منازع، رحمهما الله تعالى.

وقد اعتمد الإمامُ ابن عَلّان في شرحه هذا على شرح الشهاب القَسْطَلّاني ـ وهو أحد الشروح المحقَّقة في هذه السلسلة المباركة ـ و«زاد فيه كثيرًا من المزيد، وقرّب فيه المرام» كما صرَّح في مقدِّمته، وسمَّاه «الذخر والعُدّة في شرح البُرْدة»، جعله الله له عُدّة وفلاحًا يوم يقوم الناسُ لربِّ العالمين، ونفع به المسلمين.

وستتلو هذا الشرحَ شروحٌ أخرى، جعلها الله جميعًا في سبيل تعظيم قدر المصطفى ﷺ ونشر محبته في القلوب، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

دبي
في ٢٥ من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ
الموافق ٢٣ يناير (كانون الثاني) ٢٠١٧م

وكتبه
خادم العلم وأهله
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بين يدي هذه الطبعة

الحمدُ لله وكفى، وصلّى الله وسلّم على خير الوَرَى، سيّدنا ونبيّنا محمد، وعلى آله الطاهرين أهل الصفا، وصحابته الطيبين أهل الوفا، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد،

فلما قرّرنا أن نطبع الطبعة الأولى من هذا الكتاب لم يخطر ببالنا أنّها ستنفدُ في مدّة قصيرة؛ لأنها طُبعت ضمن منشورات وقف كليّة الإلهيّات في جامعة مرمرة بإستانبول، وأغلب الناس هنا يتحدّثون اللغة التركيّة. ومضت سنواتٌ طويلة، حتى زارني في إستانبول الأخ الكريم الدكتور إياد الغوج، فاقترح عليّ أن يُطبَع هذا الكتاب مجدّدًا في عَمّان المحميّة، فقبلتُ اقتراحه لكثرة الطلب عليه من قِبَل أهل العلم وسؤالهم عنه. ولم نكن ـ حينما طبعناه في سنة ١٩٩٩م ـ قد رأينا شرحًا مطبوعًا على قصيدة البردة، ولكن نحمد الله تعالى على ما شاهدناه بعد ذلك من ظهور شروحٍ متعدّدةٍ لهذه القصيدة المباركة.

ولم نُضِف إلى هذه الطبعة كثيرًا مما كنا نريده بسبب ضيق الوقت، سوى ما قام به الناشر الكريم من مزيد التصحيح والتدقيق، ولم نكن أشرنا في الطبعة السابقة إلى وجود نسخةٍ ثالثةٍ من الكتاب في مكتبة جامعة برينستون في أمريكا،

ثمّ اطلعنا عليها بعد الطبعة الأولى بفضل الصديق العزيز الشيخ حسين شكري حفظه الله، من المدينة المنورة، فوجدنا أنّها مستنسَخةٌ من نسخة جامعة إستانبول.

هذا جهد المقلّ، والله الموفق والمستعان.

منطقة فاتح ـ إستانبول
في ١٢ إبريل ٢٠١٧م
١٥ رجب ١٤٣٨هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة التحقيق

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان، وفضّله على سائر مخلوقاته بِنعم العقل والفؤاد واللّسان.

والصّلاة والسلام على رسوله محمّد الأمين، الّذي أُنزل على قلبه الذِّكرُ الحكيم بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، وعلى آله وصحبه ومَن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

وبعدُ؛

فإنَّ من نعم الله الجليلة أنْ مَنَّ علينا بِآثار سلفنا في شتّى العلوم والمعارف، ومكتباتنا تُعَدُّ خزائنَنا المعنويّـة الّتي نرتشـف منها تجارب علمائنا الّذين أفنَـوْا أعمارهم في سبيل إيصال ثمراتها إلى مَن يأتي بعدهم. وبِما أنَّ اللُّغة العربيّة رابطة مشتركةٌ تُوصِل بين جميع المسلمين، نجِد جُلَّ هذه الآثار كُتِبتْ واخْتُطَّتْ بها.

والناظر إلى العالم في يومنا هذا يرَى أنَّ الأمَم تتسابقُ لنشرِ تُراثها الثّقافيِّ، وإبرازه في صورة مبسَّطة ومزيَّنةٍ لأجيالها المستقبلة. فينبغي على المشتغلين باللُّغة العربية وآدابها السّعيُ الدَّؤُوب لإخراج دُرَرِ خزائن أجدادهم وتقديمها بصورة مُستحسنة ولُقمةٍ سائغة لأجيالهم القادمة.

ومِن منطلق مفهوم ذلكَ فقد أخذت على عاتقي أن أضع يديَّ على درّة من دُررِ أولئك الأجداد، فجاءت فِكرتي لتحقيق شرح قصِيدةٍ مُدِحَ بها أفصحُ مَن نطق

بلُغة الضّاد، تِلك القصيدة الّتي نالت شهرةً فاقت كلَّ ما مُدِحَ بِه خيرُ العباد، وهي المُسمّاة بـ«الكواكب الدُّرّية في مدح خير البريّة»، الّتي اشتهرت باسم «قصيدة البُردة» بين الأفراد. وناظم هذه القصيدة هو البُوصيري (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م) إمام مادحي الرَّسول ﷺ. والبُوصيريُّ بهذه البردة يُعدُّ الأستاذ الأعظم لِجماهير المسلمين في مدح أفضل العِباد. ولِقصيدته أثر عظيم في تعليمهم الأدب والأخلاق والتّاريخ؛ فعنها تلقَّى النّاسُ طائفةً من الألفاظ والتّعابير غنيتْ بها لُغة التّخاطُب، وعنها عرفُوا من السيرة النَّبوية، وعنها تَلقَّوْا أبلغَ عِبرةٍ في كرم الشَّمائل والخِلال. ومُنذُ ظهورها على الوجود إلى يومنا هذا نبَّهت دُرّة البوصيريِّ هذه قرائحَ مُحبِّي وعُشّاق الرَّسول المُجتبى، عليه أفضل التَّحايا، إلى أن ينتهجُوا نَهْجَها في مدحه ﷺ؛ لذا نجدُ أنَّ الساحة قد مُلئتْ بِمن قامَ بشرحها وتخميسها وتعشيرها وتشطيرها ومعارضتها. ومِن ثَمّة نجد مَن قام بترجمتها إلى اللُّغات الأخرى، معبِّرين بذلك عن حبِّهم وشوقهم للرسول الأكرم صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

وقد وجد عُلماء اللُّغة العربيّة وأدباؤها في هذه القصيدة مَنفذاً إلى ساحة ممتلئةٍ بالفقرات اللُّغويّة والأدبيّة والبلاغيّة، فقامُوا بشروح تُعدُّ مجموعاتٍ نفيسةً تذخر بذلك كلِّه.

ومِن هؤلاء الشُّرّاح كان المُصنِّفُ محمَّد علي بن محمَّد علّان الصِّدِّيقي المكِّيَ، الذي يُنسبُ نسلُه إلى مَن هو «ثاني اثنين» مع رسول الله ﷺ ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]، أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، فقد ألَّف شرحاً على هذه القصيدة وأسماهُ «الذُّخر والعُدّة في شَرْحِ البُردةِ». وبينما عُرِف ابن علّان بين العلماء بأنّه عالم حديث إذْ وضع أوّل شرح لِكتاب «رياض الصّالحين» للنّوَوي بتأليفه «دليل الفالحين لطرق رياض الصّالحين»، إلّا أنَّ له آثاراً لُغويّة وأدبيّة ذاتَ قيمة كبيرة، من بينها شرحه هذا الّذي بين أيدينا.

وفي الواقـع لـم نجد بين الآثار والبحـوث الّتي كُتبتْ حـول قصيدة البُردة وحتّى بين الكتب الّتي تَرْجَمَتْ لابن علّان نفسِه ما يُشير إلى كتابه «الذُّخر والعدّة في شـرح البُردة»، ولكن عند حصولنا على نسختين مخطُوطتين بيد المؤلّف من هذا الشَّرح، كما سيأتي تفصيل ذلك، تاقتْ نفسي إلى إخراجه إلى حيِّز الوجود، وإيجاد نسخة محقَّقةٍ من شروح قصيدة البُردة للبوصيريِّ، بالقيام بِهذه المُساهمة المتواضعة.

وقد جاءتْ دراستي في هذا الكتاب في قسمين:

قسمٌ تناولتُ فيه بعد المقدّمة المدائحَ النَّبويّة بصفة عامّة، وقصيدة البُوصيري «الكواكب الدرِّية في مدح خير البريّة» وأثرها في الأدب العربيّ بصفة خاصّة. ثمَّ دَلفْتُ إلى التَّعريف بالشّارح ابن علّان: حياته، ومؤلّفاته، ومكانته العلميّة، وأسلوبه في شرح البُردة. وأبنتُ فيه أيضاً المنهج الّذي سلكته في التَّحقيق.

وقسمٌ ثانٍ أوردتُ فيه النَّصَّ المحقَّق لكتاب «الذُّخر والعدّة في شرح البُردة»، مع القيام بما تتطلّبه خدمة النصّ من تخريج الآيات والأحاديث الشّريفة والأقوال المأثورة والأبيات الشّعريّة، وتراجم للأعلام والمصطلَحات الّتي وردتْ في النَّصّ مع ذكر المصادر والمراجع باللُّغة العربيّة وباللُّغات الأخرى. وختمتُ هذا القسم بفهارسَ، فهرستُ فيها أسماء الأعلام والكتب والأماكن.

فإنْ حازَ عملي هذا قبول أهل الغلمِ فذلك مِن فضل ربِّي، وإنْ كانت الأخرى فمعذرتي أنّني بذلتُ المُستطاع، ولم أترك جَهْداً كانَ مَن الممكن أنْ أبذله وبِحَسْبِ المَرْءِ مِن عمله أن تحسُنَ نيّته، وأنْ يَقومَ فيه بالأسباب الّتي تبلُغ القصد عادةً. وليس عليه أن يُدْرِكَ النُّجح أو تتمَّ له المطالب، فإنَّ «الطّاعة بقدر الطّاقة»، ولا يقوم بغيره قليل البِضاعة.

وفي ختام هذه المقدِّمة لا يسعني إلّا أن أشكرَ الأستاذ الفاضل الدكتور خُلوصي ياوُوز، والأخ العزيز زميلي الأستاذ المساعد الدكتور نُصر الدِّين بُول أللي، الذي تفضل بكتابة هذا الكتاب على الحاسب الآلي (الكومبيوتر)، وكما أشكر طلّابي وأصحابي في طريق العلم أحمد فضل الله أُحَيْمِر، ويِيلْماز أُوزْدَمير، وكَرِيم آجِيقْ، وتُونجايْ زُورْلِي، الّذِين لم يستثقلُوا طلب معاونتهم.

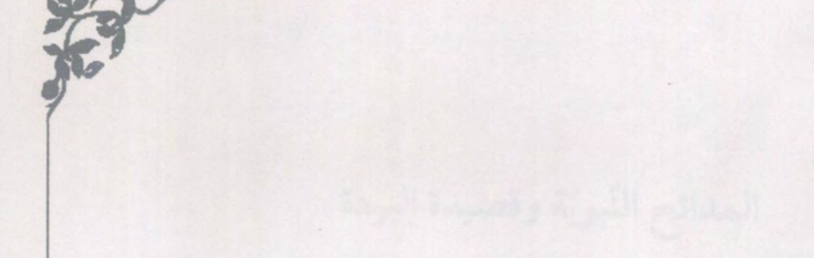
ومِن الله أستمدُّ التَّوفيقَ.

فاتح/ إستانبول

١٥ حزيران ١٩٩٩م/ ١ ربيع الأوّل ١٤٢٠هـ.

وكتبه

د. أحمد طوران آرْسْلان



القسم الأوّل

الدّراسة




المدائح النّبويّة وقصيدة البردة

أ. المدائح النّبويّة

منذ أن أشرقت الرِّسالة المحمَّدية باهرة الضَّوء، ساطعةَ النُّور لتغمر العالَم بإشراقها، وتنشر على الدُّنيا ظلالها، وتُخلِّص الإنسانية مِن رِبْقةِ الوَثَنِيّة، وظُلمات الجهلِ المُهينة للكرامة، بدأ الإنسان يتنفَّسُ عبر حياة جديدة تحتَ ظلال دُستورٍ جديد.

وكان مِن الطبيعيِّ أن يهبَّ الشُّعراء وهم وِجدان الأمة، للإشادة بهذا الواقع الجديد والتعبير عنه؛ ولهذا توالت المدائح النَّبوية تمجيداً للإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم، منذ فجر الإسلام حتَّى وقتنا الرّاهن. وإذا كانت المدائح التقليديّة تنتظر العطاء والرَّفد والخِلْعةَ والهِبةَ فإنَّ المدائح النَّبوية اختلفت عن هذا وتغايرت معه. فقد كانت مدائح خالصةً لا يدفعها الهوى؛ ولا تصدر عن طمعٍ؛ لأنّها كانت لِوجه الله خالصةً وبحبِّ الرَّسول ﷺ لاهجة، فالمدائح النَّبوية من فنون الشعر، ومن التعبير عن العَواطف الدِّينية، وباب من الأدب الرَّفيع؛ لأنها لا تصدر إلّا عن قلوبٍ مفعمة بالصِّدق والإخلاص[١].

فمنذ القرن الأوّل الهِجريّ، نرى شعراء نظموا قصائد يمدحون بها رسول الله ﷺ في عهده، ويُدافعون عنه وعن مشاعر الإسلام، مثل: عبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وحسّان بن ثابت، رضي الله عنهم. وتوارث المسلمون احترام هذه

---

(١) البوصيري ٩؛ المدائح النبوية ٩.

القصائد عبر العصُور لا سيّما قصيدة كعب بن زُهير، حُبًّا وإكراماً لممدوحها ﷺ، فمِنهم من شرحها، ومنهم من ترجمها إلى اللُّغات الأخرى، ومنهم من خمَّسها ومنهم من عارضها[1].

ثم جاء أبو عبد الله شرف الدِّين محمَّد بن سعيد البوصيري (ت٦٩٥هـ/١٢٩٦م) في القرن السابع الهجريِّ الموافق القرن الثالثَ عشرَ الميلاديَّ، ونظم قصائد كثيرةً في المدح النَّبويِّ منها قصيدته المسمّاة «الكواكب الدُّرِّية في مدح خير البريّة»، والمشهورة بين الناس بـ«قصيدة البردة»، وقد امتاز البوصيري في مدائحه النَّبوية بقوةِ الأسلوب، وحسن الصِّياغة، وجودة المعاني وجمال التشبيهات، وروعة الصُّور، وحسن اختياره الألفاظَ المناسبة للمقام.

ب. قصيدة البُردة

١. اسمُها:

هناكَ قصيدتان معروفَتان باسم «قصيدة البُردة»، أمّا الأولى فلِكعب بن زُهير، مطلعُها:

بانتْ سُعادُ فقَلْبِي اليَومَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وعُرِفتْ هذه القصيدة بهذا الاسم؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لَما جاء ناظمُها وأنشدها إيّاهُ ﷺ أعطاهُ بُردته إعجاباً بها (بالقصيدة)، وإكراماً لناظمها، فصارتِ القصيدةُ مشهورةً باسم «قصيدة البردة»[2].

وأمّا القصيدة الثانية المعروفة باسم «البُردة»، فهي القصيدة المُسماةُ «الكواكب

---

(١) المدائح النبوية ٢٦-٢٧.

(٢) قصيدة البردة لِكعب بن زهير شرح أبي البركات ٨٦-٩٠؛ Kaya, ismail, burde Kasidesi 7.

الدُّرِّيةُ في مدح خير البريّة»، للإمام البوصيريّ (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)، وهي القصيدة التي نحن بصدد دِراسة شرحها، وسبب تسمِيتها أنّه رأى في المنام أن النَّبيَّ ﷺ ألبسهُ بُردة، على رواية، وعلى رواية أخرى تسمَّى القصيدة «البُرْأة»؛ لأنَّ ناظمها بَرِئ مِن مرضِهِ بعد قراءته إيّاها[١].

٢. ناظمها البُوصيريّ:

هو محمَّد بن سعيد بن حمّاد بن محسن بن أبي سرور بن حبان بن عبد الله بن ملاك الصّنهاجي، أبو عبد الله شرف الدِّين المغربيّ الأصل. اختلفَ المترجمون له في بقيّة نسبه، فمنهم من ينقص ومنهم من يزيد، وعلى كلٍّ حال فقد أجمع المؤرِّخون على أنَّ اسمه محمَّدٌ واسم أبيه سعيد.

وُلِدَ بِبَهَبْشيمَ التابعة لِمدينة بَهْنَسا في صعيد مِصرَ في اليوم الأوّل من شوّال سنة (٦٠٨هـ/ ٢٢ مارس ١٢١٢م). قيل: إنّه بُوصيريٌّ من ناحية أبيه، ودِلاصيٌّ من ناحية أُمِّهِ. وليس لَدينا مِن أخبار البُوصيريِّ ما يكشفُ لنا كيفَ قضى طُفُولتهُ أو صِباهُ، غير أنّه يمكن القول أنّه بدأ حياته الدِّراسيّة كما كانَ يبدؤُها مُعاصرُوهُ، وذلك بِحفظ القرآن، ثمَ جاء إلى القاهرة والتحقَ بمسجد الشيخ عبد الظاهر، حيثُ درَسَ العلوم الدِّينية وشيئاً من علوم اللُّغة كالنَّحو والصَّرف والعروض، كما درس الأدب، وجانباً من التّاريخ الإسلامي، وبخاصّة السيرة النّبويّة. وقيل: إنّه لم يُصِبْ حظًّا كبيراً من الدِّراسة المنظَّمة بما أنّه لم تُسنَدْ إليه وظيفة التَّدريس في أيّة مدرسة مع كثرة المدارس في عهدِه، وقد فتحَ كُتّاباً لتَحْفيظِ القُرآنِ.

يبدُو أنَّ البُوصيريَّ نشأ في أُسرة فقيرةٍ؛ ولذلكَ اضطرَّ إلى السَّعيِ لِطلب الرِّزقِ منذ صغرهِ، فزاولَ كتابة الألواح الَتي توضعُ شواهد على القبور، ثمَّ أخذ

---

(١) ديوان البوصيري ١٩٠.

يتقرَّب من بعضِ الأمراء والوُزراء ويمدحهم بِشعرِهِ، فعُرِضَ عليه أن يكون محتسبَ القاهرةِ فاعتذر عن قبول هذه الوظيفة. ثمَّ إنّه اشتغل كاتباً في بلبيس، فلا بُدَّ أن يكونَ قد ألمَّ بالأعمال الحسابية الّتي ينبغي أن تتوافرَ فيمَن يعيَّن في مثل هذه الوظيفة.

توفِّيَ البوصيريُّ سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)، وقبره داخل المسجد المدعوّ باسمه في الإسكندرية. فالبوصيريُّ شاعرٌ مصريٌّ ظريفٌ من شعراء القرن السابع الهِجري، تجري في شعره النُّكت المستملَحة، وله في شكوى حالهِ والتذمُّر من الموظَّفين قصائد. وفي شعره وصفٌ للحالة الاجتماعيّة في عصرهِ، ولَما انتسبَ البوصيريُّ إلى الشيخ أبي الحسن الشاذليّ (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، أخذ يدافعُ عن الصُّوفية ضدَّ معارضيهم، وتأثَّر بالتصوُّف إلى حدٍّ كبير[١].

٣. أثرها في اللّغة العربيّة وأدبها:

يمكن إرجاع أثر قصيدة البُردة في اللُّغة العربية وأدبها إلى خمس نَواحٍ: أثرها في الجماهير الشعبيّة، وأثرها في الدَّرس، وأثرها في الشِّعر، وأثرها في البديعيات، وأثرها في التّأليف.

٣/ ١. أثرُها في الجماهير الشَّعبية: وهو واضح جداً، ونستطيع الجزم بأنَّ الجماهير في مختلف الأقطار الإسلاميّة لم تحفظ قصيدةً كما حفظت البُردة، فقد كانت ولا تَزال مِن الأوراد، تقرأ في الصبّاح وتقرأ في المساء وبِنغمات موسيقية خاصّة بها. ولعلَّ مِن أحسن شواهد أثرها في الشُّعوب الإسلاميّة، أنْ جعلَها بعض النّاس في أسفارهم الطويلة تيمُّناً وتبركاً، كما شاهدتُ أنا شخصياً رجلاً يحملُ

---

(١) راجع لحياة البوصيري وقصائده الأخرى: ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة ١٩٥٥؛ Kaya, Mahmut, Busiri, DIA, VI, 468-470.

قصيدة البردة بهذه النّية في سفري مِن تونس إلى القاهرة في سنة ١٩٨٣م.

٣/ ٢. أثرُها في الدَّرس: نرى أثرها في الدَّرس في عقـد العُلماء - لا سيّما الأزهريّين - دُرُوساً خاصّةً بالبُردة وشروحها، حتّى حواشيها في أيّام العُطلاتِ؛ لأنّ مثل هذه الدُّروس لم تكن مِن المُقرَّرات، فكانوا يتخَيّرون لها أوقات الفراغ، فكانت تتلقّاها جماهير من الطلّاب وعامّة النّاس، وكانت هذه الدُّروس تسدُّ الفراغ في سنواتٍ لم يكن يعرف فيها دروس التاريخ الإسلامي في المدارس.

٣/ ٣. أثرُها في الشِّعر: أما أثر البردة في الشعر فعظيمٌ جداً، فقد اشتغل بها كثير من الشعراء في الأقطار الإسلاميّة وشطّرُوها وخمّسوها وعشّروها وعارضُوها، وترجموها إلى ألسنة الشُّعوب الإسلاميّة الأخرى، ومِن أشهر الشُّعراء المتأثِّرين بها في عصرنا الحديث أحمد شـوقي (ت١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) في قصيدته «نهج البُردة»[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّه لم يوجدْ كتابٌ يتحدَّث عن جميع تلك الأعمال رغم الحاجة الماسّة إليه.

٣/ ٤. أثرُها في فـنّ «البديعيّات»: بعد مـوت البوصيريّ بسنتين، وُلد أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بـ«ابن جابر الأندلسي» (ت٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م) وكانَ ضريراً ولكن لم تمنعه تلك العاهة القاسية من الرّحلة إلى المشرق، فزار مصرَ والشام واستوطن حلب، ثمَّ رجع إلى الأندلس وقد افتُتِنَ بقصيدة البُردةِ، وشغل نفسه بمُعارضتها ولكن أيّ معارضة؛ لقد ابتكر فنًّا جديداً هو «البديعيّات». وذلك أن تكونَ القصيدة في مدح الرَّسول ﷺ، ولكنّ كلَّ بيت مِن أبياتها يُشير إلى فنٍّ من فنون البديع، وذلكَ مِن أثر البُردة في هذا النوع من مدح الرَّسول ﷺ. كما تأثر

---

(١) انظر: ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب أحمد محمد الحوفي ٢/ ٦١٧-٦٣٤.

بـ«بديعيّة» ابن جابر الأندلسي مُعاصروهُ والّذين جاؤوا من بعدهِ، فأنشؤوا بديعيّات كثيرة. والبعضُ منهم شرحوها واختصرُوا هذه الشُّروحَ. ومن أشهر هذه البديعيّات بديعيّة ابن حجّة الحمويّ (ت٨٣٧ هـ/ ١٤٢٩م)، وشرحُها الّذي سمّاهُ «خِزانة الأدب». ولتلك القصيدة ولذلك الشَّرح أهَميّةٌ عظيمةٌ، أمّا القصيدةُ فلِجودتها بين البديعيّات، وأمّا الشّرحُ فلجمعهِ طرائف كثيرةً من أدب القرن الثّامن[1].

٣/ ٥. **أثرها في التّأليف**: وأمّا أثرها في التّأليف فيظهر فيما وُضع لها من الشُّروح والحواشي. فلنذكر هُنا أشهر هذه الشُّروح؛ لأنَّ ذكرَ جميعِها يحتاجُ إلى كتاب خاصٍّ، منها:

شرحُ أبي عبد الله محمَّد بن عبد الرَّحمن بن الصّائغ الحنفي (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)[2]، وشرحُ علي بن محمّد القَلَصَادي ـ بِفَتَحاتٍ ـ (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)، وشرحُ شهاب الدِّين ابن العماد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، وشرحُ الشَّيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، وشرحُ محيي الدِّين محمَّد بن مصطفى المعروف بشيخ زاده[3] (ت٩٥١هـ/ ١٥٤٤م)، وشرحُ ملّا علي القاري[4] (ت١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، وشرحُ جلال الدِّين المحلِّي (ت٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م)، وشرحا محمَّد ابن أحمد بن مرزوق التِّلِمْساني (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م)، وشرحُ القسطلاني (ت٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، وشرح زكريّا الأنصاري (ت٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)، وشرح عُمر الخَربُوطي (ت١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م)[5].

---

(١) المدائح النبوية ٢٢٥-٢٢٨.

(٢) نسخة منه في مكتبة السليمانية قسم لا له لي رقم ١٧٩٩ (١ب ـ ٦٦أ).

(٣) عثمانلي مؤلفلري ١/ ٣٣٤.

(٤) الإمام علي القاري ١٤٥.

(٥) انظر لترجمة الخربوطي ولتحليل شرحه من ناحية علم الحديث واللغة والبلاغة: =

ونشير هُنا إلى أنَّ شرح ابن علّان الذي بين أيدينا هو مُلخَّصُ شرح القسطلاني الذي هو ملخَّص شرح التِّلِمساني المذكور أعلاهُ.

ويجدر بنا أن نذكر هَنا أنَّ «الكواكب الدرِّية في مدح خير البرية» لما انتشرت بين الناس لا سيّما في البيئات الصُّوفية، ظهر بعض النّاس فألَّـفُوا كتباً ضدَّها، حيث ادَّعوا أنَّ البُوصيريَّ غلا في بعض عباراتـه[1]، فقام بعض العُلماء يدافعونَ عن البُردةِ، فعلى سبيل المثالِ نجدُ العلّامة المحدِّث الشَّيخ عبد الله بن الصدِّيق الحَسَنِي قـد أبانَ رَداً ضافياً على مثل تلكَ الاعتراضاتِ في مقالته الّتي بعنوان «قصيدة البُردةِ»[2].

ويمكن القول بأنَّ الناس اهتمُّوا بقصيدة البُردةِ المسمّاةِ «الكواكب الدرِّية في مدح خير البريّة»، أكثر ممّا اهتمُّوا بقصيدة كعب بن زهير «بانت سُعادُ»، وذلكَ بتأليف شروح وتخميس وتعشير وتشطير، وترجموها إلى اللُّغات الأخرى[3]،

Sonmez, M. Ali "Harpoti nin Kaside- I Burde Serhinde Hadis" dunil ve Bugunuyle = Harput 1, 505-515, Ayyildiz, Erol, "Harputi nin Kaside- I Burde Serhinin Dilbilgisi ve Belagat Acisindan Incelenmesi", Dunu ve Bugunuyle Harput I, 515 - 523.

(١) الإمام البوصيري وبردة المديح المبارك للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الخامسة، العدد التاسع عشر، رجب ١٤١٨هـ/ نوفمبر = تشرين الثاني ١٩٩٧ م. ص٨٢-٨٤.

Abudurrahman b. Hasan (terceme: Harun Unal) Kaside -I burde'ye Reddiye, Tevhid Yayinlari, Istanbul 1996.

(٢) انظر: البوصيري ٦٩-٧٧.

(٣) انظر للمؤلفات المختلفة على قصيدتي «البردة»: معجم ما ألف عن الرسول ﷺ لصلاح الدين المنجد. بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م؛ وقصيدة «بانت سعاد» لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي للدكتور السيد إبراهيم محمد، بيروت ١٩٨٦م؛ وشكل القصيدة العربية =

وإضافةً إلى ذلك يجد الباحث في يومنا هذا كثيراً من المؤلَّفات حول قصيدة البُردةِ في مكتبات العالم، وذلك ممّا يدلُّ على أثرها في التأليف.

وفي نهاية دراستنا هذه، تجلّى لنا أهمية القيام بعمل يتناول كلَّ الأعمال التي أُلِّفت حَوْلَ بُرْدَتَي البُوصِيريّ وكعب بن زهير مِن شروح وتخميسات وتشطيرات ومعارضات وترجمات ودراساتٍ أخرى، بجميع لُغات العالم، العربية وغيرها

= في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري للدكتور جودت فخرالدين، بيروت ١٩٨٤؛ والبردة لشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري تحقيق وتعليق أحمد عبد التواب عوض، القاهرة ١٩٩٦:

Armutcuoglu, Ilhan, Kaside - I Burde Manzum Tercume, Konya 1983; Kaya, Mahumt, 'Kaside - I Burde' yi Turkce Soyleyis', Altinoluk Dergisi, sy 154, 158..., Aralik 1998' Serin, Rahmi, Kaside - I Burde Serhi Havas ve Esrart, Istanbul, Pamuk Yayinlari,ts. 'Sezer Ismail Haki, Busiri ve Burde'si, Selcuk Universitesi Sosyal Bilimler Enstitusu (Basilmamis Doktora Tezi), Konya 1985' Kaya, Ismail, Burde Kasidesi (Ka'b bin Zuheyr).

Madve Yayinlari, Istanbul 1985; Karakoc, Sezai, Islam' in Siir Anularindan, Istanbul 1985; Sener, H. Ibrahim, Kaside - I Burde, Kaside - I Bur' e ve Su Kasidesinin Mukayese ve Tahlilleri, (Basma Hazir), Izmir 1990; Sarac, M. A. Yekta, Seyhulislam Kemalpasazade Hayan Sahsiyeti Eserleri ve Bazi Siirleri, Istanbul, 1995. ; Gunaydin, Yusuf Turan, Ibn-I Kemal, Edebi Kisiligi ve Kaside I Burde Tercumesi (Tenkitli Metin), Ankara Universitesi Sosyal Bilimler Enstitusu, Islam Tarihi ve Sanatlari Anabilim Dali, (Basilmamis Yuksek Lisans Tezi), Ankara 1995 ; Qaseedat - ul - Burda of As - sheikh Muhammad al - Busiri, English Translation by Al- Qadi al - Alim Abdurrahim Muhammad Zerruque, Islamic Book Centre, Lahore3- and Lahore2 -; Busairi's Poem of The Mantle by A. R Anjum, Islamic Book Foundation, Lahore 1403 A. H./ 1983 A. D; Qasidahs In Honor of The Prophet by, Hj, Muhammad Bukhari Lubis, Penerbit Universiti Kebangsaan Malaysia, Bangi, Selangor 1983.

من اللُّغاتِ؛ وعندما كُنّا على وشَكِ الانتهاء من هذا العملِ إذ وقعت أيدينا على عملٍ جليل تحت عُنوان «البُرْدة والأعمال الّتي دارت حولها «فهرسة»»[١]، وهذا العمل رَغم أهَميّته وما بُذِلَ فيه، إلّا أنّه كما ذكر كاتبه، لا يفي بالغرض حَسبما ذكرناهُ أعلاهُ.

* * *

(١) البردة والأعمال التي دارت حولها «فهرسة»، لأسعد الطيّب، مجلة تراثنا، نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث، العدد الأول والثاني [٣٨ و٣٩]، السنة العاشرة محرم الحرام ـ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ قم ـ إيران، ص ١٦٢-٢٥٣.

نبذة عن عصر المؤلِّف

عاش مؤلِّفنا محمَّد علي بن محمَّد عَلّان الصِّدِّيقي في أواخر القرن العاشر الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي، إلى مُنتصف القرن الحادي عشر الهجري/ القرن السابع عشر الميلادي. وكانت هذه الفترة الزمنيّة كما هُو معلوم فترة كانت الدّولة العثمانيّة فيها تمدُّ أجنحتها على أقطار القارّات الثلاث: آسيا وأوروبا وأفريقيا من مركزها إستانبول عاصمة الخلافة الإسلاميّة آنذاك. وفي إطار حُدودها كان يعيشُ من النّاس أمم متعدّدة وأديان ومذاهب مختلفة. وذلك تحت راية الدِّين الإسلاميِّ الحنيف وتسامحه الّذي يعتبر النّاسَ في دائرة مسؤولية دولة الإسلام، فكان النَفوذ العثمانيُ يمتدُّ غَرْباً في قارّة أوروبا حتّى فِيَنّا وفي أفريقيا حتّى المغرِب العربي، وجَنوباً يمتدُّ في بلاد أفريقيا حتّى الحبشة، وفي آسيا حتّى اليَمَن فخليج عَدَن، أما في الشَّرق فكانت حُدود الدّولة العُثمانية تبلغ بِلاد فارس وشَمالاً حتَّى مناطق شَمال البحر الأسود (دولة القِرَم).

وعاش ابنُ علّان في ظلِّ الحكم العثماني هذا، وذلك في عهد السَّلاطين: مُراد الثالث (٩٨٣-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٥-١٥٩٥م) ومُحمَّد الثّالث (١٠٠٣-١٠١٢هـ/ ١٥٩٥-١٦٠٣م)، وأحمد الأوّل (١٠١٢-١٠٢٦هـ/ ١٦٠٣-١٦١٧م) ومصطفى الأوّل (١٠٢٦-١٠٢٧هـ/ ١٦١٧-١٦١٨م)+(١٠٣١-١٠٣١هـ/ ١٦٢٢-١٦٢٢م)، وعثمان الثاني المعروف بِكنْج عُثمان (١٠٢٧-١٠٣١هـ/ ١٦١٨-١٦٢٣م)، ومُراد الرابع (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠م)، وإبراهيم

(السُّلطان العثمانيّ) (١٠٤٩-١٠٥٨هـ/ ١٦٤٠-١٦٤٨م)[١].

ونودُّ الآن أن نلقيَ نظرةً سريعة على الأوضاع السّياسيّة والاجتماعية والعلميّة في منطقة الحِجاز التي عاش فيها ابنُ علّان لإلقاء مزيد من الضّوء على الموضوعات الّتي أشار إليها المؤلِّف في مصنَّفاته. وكان لوُجود مكّة المكرَّمة والمدينة المنوّرة تحت نفوذ الدَّولة الإسلاميّة الحاكمة أهمّيّة كبيرة لحوزها نفوذاً على العالم الإسلامي كلِّه، وأن تنال الاحترام منه، ولا سِيّما أنَّ سلاطِين الدّولة العثمانية كانوا يعتبرون أنفسهم خلفاء النبيِّ ﷺ وحُكّام المُسلمين السُّنِّيينَ في العالم أجمع[٢].

فالحِجازُ؛ أي: إمارة مكّة، كانت تابعةً لدولة المماليك بمصرَ بالولاء، إلى أن سقطت مصرُ في سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) تحت نُفوذ الدَّولة العثمانية على يد السُّلطان سليم الأوّل (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م)، فلم يرَ أمير مكّة آنذاك الشريف بركات بن محمد[٣] بُدّاً من انتداب ابنه أبي نُمَيّ الثّاني[٤] إلى السلطان سليم بمصر، ومعَه مفاتيح الحرمين الشَّريفين لِتبادل الثقة والولاء، ففرحَ بذلك السُّلطان وقابله بحفاوة وتكريم وأقرَّه هو ووالدَه على إمارة مكة المكرَّمة، ثم عاد أبو نُمَيّ إلى مكّة المكرّمة ومعه أحكام بكلٍّ ما طلبه[٥].

---

(١) Esseyyid Mustafa, Netayicu'l - vukaat, I - II, 113-247; Uzuncarsili, Ismaik Hakki, Osmanlt Tarithi III. Cilt, I. Kisim, 148-240.

(٢) Uzuncarsili, Ismail Hakki, Mekke - i Mukerreme Emirieri 72.

(٣) هو بركات بن محمد بن بركات ولي إمارة مكة المكرمة على فترتين: الأولى (٩٠٣-٩٠٧هـ/ ١٤٩٨-١٥٠١م)، والثانية (٩٠٨-٩٣١هـ/ ١٥٠٢-١٥٢٤م).

(٤) ولي إمارة مكة المكرمة للفترة (٩٣١-٩٩٢هـ/ ١٥٢٤-١٥٨٤م)، إلا أنه تنازل عن إمارته لكبر سنه لابنه الشريف حسن سنة (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م). وكتب بذلك إلى الخليفة في إستانبول فأقره، فكان قد امتد حكمه مِن خيبر إلى حلي في حدود نجد.

(٥) Uzuncarsili, Ismail Hakki, Mekke - I Mukerreme Emirieri, 722-73
الإمام علي القاري ١٨؛ إنباء المؤيّد ١١.

وبعدَ ذلك كان يتمُّ تنصيب أمير مكّة إما بعهدٍ من سلفه أو بمُساعدة أحد كبار المُوظّفين أو القادة العثمانِيّين، أو بالتغلُّب، وبعد استتباب الأمور يأتي في العادة مرسومٌ سلطانيٌّ بإقراره على ما في يده من السُّلطة، وما يُصاحب ذلك من خِلع وهدايا في هذه المناسَبة. ومع ذلك لا يُجعل أمير مكّة تابعاً مباشراً للسُّلطان، وإنما هو تابع من الناحية الإداريّة إلى والي مصرَ الّذي عادةً ما يكون برُتْبة «باشا»؛ ولذا فإنّ مُراسَلاته مع السُّلطان العثماني في إستانبول كانت تتمُّ عن طريق هذا الوالي، إلّا أنَّ شَـريف مكّة هو أعلى سـلطة فيها، ولا يتدخَّل العُثمانيون للحدّ مِنْ سـلطاته إلا إذا تَجاوزَ الحدُود المقررة لِسُلْطته، وكثُرت شَكاوى المُتظلّمين من سطوته، وغالباً ما يتمُّ هذا التَدخُّل مِن قِبَل أمراء الحجّ الموفدين مِن مصر والشّام، الّذين تصحبُهم في العادة قـوّة عسكريّة لحماية الحُجّاج من الأعراب.

ومنذ عهد السُّلطان العثماني سَليم الأوّل إلى وقت وفاة ابن علّان الصِّدّيقي، حكَمَ هؤلاء الأمراء الأشراف إمارة مكّة المكرّمة: الشَّريف بركات بن محمَّد ابن بركات (٩٠٣-٩٣١هـ/ ١٤٩٧-١٥٢٤م)، والشَّريف أبو نُمَيّ الثاني محمد ابن بركـات (٩٣١-٩٧٤هـ/ ١٥٢٤-١٥٦٦م) والشريف حسن بن أبي نُمَيّ (٩٧٤-١٠١٠هـ/ ١٥٦٦-١٦٠١م)، والشـريف أبو طالب بن حسن (١٠١٠-١٠١٢هـ/ ١٦٠١-١٦٠٣م)، والشَّريف إدريـس بن حسن (١٠١٢-١٠٢٤هـ/ ١٦٠٣-١٦٤٤م)، والشريف مُحسن بن حسين (١٠٢٤-١٠٣٨هـ/ ١٦٢٤-١٦٢٩م)، والشَّـريف أحمد بن عبـد المطلب (١٠٣٨-١٠٣٩هـ/ ١٦٢٨-١٦٢٩م)، والشريف مسعود بن إدريس (١٠٣٩-١٠٤٠هـ/ ١٦٢٩-١٦٣٠م)، والشَّـريف عبد الله بن حسن (١٠٤٠-١٠٤١هـ/ ١٦٣٠-١٦٣١م)، والشريف محمد بن عبد الله بالاشتراك مع الشريف زيد بن محسـن (١٠٤١-١٠٤٢هـ/

١٦٣١-١٦٣١م)، والشريف زيد بن محسن بمُفردِهِ (ذي الحجّة ١٠٤١هـ-محرّم ١٠٧٧هـ/ ١٦٣١-١٦٦٦م)[١].

واستمرَّت إمارة الأشراف في مكّة المُكرمة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م، وكانَ في مكة المكرّمة إلى جانب الشريف من ذوي السُّلطة أشخاص آخرون منهم:

١. شيخ الحرم: ويسمَّى أيضاً: «ناظرَ المسجد الحرام»، وله نائب ووكيل، وهو منصب إداري، ويشترط في شاغله أن يكون قد اشتغل في القضاء وأن يكون تركيًّا.

٢. قاضي الشَّرع: ويُسمَّى أيضاً: «أفندي الشَّرع» و«أفندي مكّة»، ويشترط أن يكون تركيًّا وعلى المذهب الحنفيّ، ويتمُّ تعيينهُ من طرف السُّلطان، ولهُ أربعة نوّاب من القُضاةِ على المذاهب الأربعة.

٣. وزير شريف مكّة: وكان يرأسُ جميع الكتّاب والعاملين في ديوان شريف مكّة ويقوم بتعيينه الشَّريف.

٤. المُفتون على المذاهب الأربعة: وكان من يتأهل للفتوى يُفتي بذاته، أما في عصر ابن علّان فأصبح المفتون موظَّفين رسميِّين يعيّنُون من جانب السّلطنة، ويتقاضون مرتَّبات مقابل الإفتاء، إلّا أنّه لا حرج على من تأهّل لهذه الخِدمة أن يقوم بها تطوُّعاً، وقد لاحَظْنا أنَّ المعارضة في بعض المسائل الفقهيّة ببناء الكعبة ظهرتْ من جانب بعض العلماء غير الملتزمين بوَظائف رسميّة مثل ابن علان[٢].

ففي عهد الشَّريف مسعود بن إدريس، حصل سقوطُ بناء الكعبة المشرّفة

---

(١) Uzuncarsili, Ismail Hakki, Mekke - I Mukerreme Emireleri 70 - 85.

(٢) انظر للتفصيل: إنباء المؤيد ١٥-١٩.

بسبب السَّيل الّذي ملأ المسجد الحرام ومات كثير من الناس، وذلك في شهر (ربيع الآخر سنة ١٠٤٠هـ/ نوفمبر ١٦٣٠م)، وحين بلغ هذا الخبر السُّلطانَ العثمانيَّ آنذاك السلطان مراد الرّابع، أوفد السيّد محمد بن محمود الأنقروي (ت١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م)[1] نائباً عنه في نظارة عمارة الكعبة المشرّفة، ومُتوليًا لقضاء المدينة المنوَّرة، أما والي مصر في تلك الفَترة فكان محمد باشا، الّذي أوفد مِن قِبله الأمير رضوان المِعْمار لِيُساعد السَّيد محمد الأنقروي في الإشراف على عمارة الكعبة المشرَّفة وإجراء بعض الإصلاحاتِ في المسجد الحرام والمرافق العامّة في مكّة المكرَّمة، والمشاعر المقدسة. وقد ألف محمَّد علي بن علّان الصِّدّيقي كتباً توصِل هذه الحادثةَ إلى ما بعدها مِن الأزمان بكلِّ دقائقها، كما ترك لنا كتاباً يُبيِّن استبعاد السُّلطان مراد الرّابع لمدينة بغداد مِن الفرس الصفويِّين سنة (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م).

أمّا الوضع الاجتماعيّ فيعتبر المجتمع المكّي خاصّةً والحجازيّ بصفة عامّة في تلك الفترة مجتمعاً عربياً تقليدياً يغلب عليه الولاء للقبيلة أو الأسرة، ونستطيعُ أن نميِّز في هذا المجتمع أربع فِئات كانت سائدةً في ذلك الوقت، وهي:

١ . الأشراف أو السّادة: وهم ينتسِبون إلى البيوت العَلويّة؛ أي: المنسوبة إلى علي بن أبي طالب كرمَ الله وجهه، وفيهم الإمارة.

٢ . العلماء والأعْيان وشُيوخُ القبائل وكبار الموظَّفين والتجار.

٣ . العامة وهم سائر النّاس.

٤ . الموالي مِن عبيد الأشراف وغيرهم.

وبحكم المركز الدينيّ لمكّة المكرّمة وجدت شريحة أخرى في المجتمع المكّي

---

(١) ذيل الشقائق النعمانية لشيخي ٣/ ١٣٥.

تمثل خليطاً مِن أهل مختلف أقطار العالم الإسلاميّ من طلبةِ العلم والمجاورين والصُّوفية، والمنقطعين بعدَ رحيل الحجاج. ويشكّل هؤلاء طبقة فقيرةً تعيشُ على الكفاف في الأربطة والخلوات والزَّوايا والمدارس المحيطة بالمسجد الحرام، الَتي أوقفها أصحابُها على هؤلاء.

ونجِدُ الأتراك والأعاجم الموسِرين من غير الموظَّفين الرسميِّين لم يكونوا يرغَبون في الإقامة بمكّة المكرّمة بعكس المدينة المنوّرة التي كانوا يُفضِّلون سكناها، حيثُ أنَّ أهلها أقرب إلى عادات التحضُّر وتقليد الأعاجم في حياتهم الاجتماعيّة، فضلاً عن عمق النفوذ العثمانيّ فيها؛ بسبب وجود حامية تركيّة مرابطة هناك.

وأمّا إذا نظرنا إلى الحياة الفكريّة والثقافيّة والعلميّة نظرة عامّة، رأينا أنَّ الحرمين الشّريفين مركزان مهمّان مِن أهمّ المراكز الفكريّة والثقافيّة في العالم الإسلاميّ، حيثُ يلتقي فيهما الوافدون والمقيمُون مِن العلماء وطلبة العلم، فيتلقّى الطلبةُ عن العلماء العلمَ والرِّواية، كما يتلقَّون الإجازات العلميّة منهم.

وكانت الحياة العلمية تتمثَّل في المسجد الحرام والمسجد النبويّ والمكتبات والمدارس، فكانت أروقة المسجد الحرام والمسجد النبويّ الشريف مقرًّا لحلقات الدَّرس في مختلف العلوم الّتي كان لكلِّ فنٍّ منها أماكن وأوقات محدَّدة.

أمّا المكتبات العامّة والخاصّة فمعروفة، منها: المكتبة الَّتي كانت في المسجد الحرام، وقد غرقت كُتبُها وحمَلها السَّيلُ الذي دخل المسجد الحرام عام (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م)، وهو السَّيل الّذي أدّى إلى سقُوط جُدران الكعبة المُشرَّفة، ومكتبة أخرى مماثلة لها كانت موجودة في المسجد النَّبوي تضمُّ عدداً كبيراً مِن الكتب التي تُعار لطلبة العلم بواسطة ناظر المكتبة، وهناك مكتبتان أنشأهما السُّلطان الأشرف قايِتْبايْ

(٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٦م) سنة (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)، إحداهما بمدرسته بمكّة المُكرّمة[1] والأخرى بالمدينة المنوّرة.

وكانت تُقام بمكّة سوقٌ لبيع الكُتب عند المسجد الحرام، تُجلَبُ إليها الكتبُ من داخل مكّة وخارجها في مواسم الحجِّ، حيثُ يتمُّ التبادل الثّقافيُّ بين أبناء العالم الإسلاميّ.

وكان في مكّة المكرَّمة خلالَ فترة حياة ابن علّان عددٌ من المدارس، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: المدارس السُّليمانية الأربع[2]، ....

(١) ولعلَّ هذه المدرسة والمكتبة المكان الذي ألف فيه مؤلفنا محمد علي بن علان الصِّدِّيقي بعض مؤلفاته وتحدث عنها. إذ يقول على سبيل المثال: «وكان تمام تسويدي بعد الظهر يوم الثلاثاء الحادي والعشرين مِن شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وألف، تجاه الكعبة الغراء في محلي من المدرسة الأشرفية عند باب السلام». انظر: المواهب الفتحية لابن علان، في مكتبة السليمانية، قسم السليمانية (رقم ٧١٣ الورقة ٢٥٢ ب)، ويقول: «... كان انتهاء تسويده ضحوة الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة (١٠٥١هـ) بالمجمع القايتْبائي». راجع: ضياء السبيل للمؤلِّف، مكتبة السليمانية قسم يازمه باغِشْلرْ برقم (١٨٧٥/ ١، الورقة ٤٠٨ ب).

(٢) تنسب هذه المدارس إلى السلطان سليمان بن سليم القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) الذي أمر بتأسيسها سنة (٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م)، فجاءت فكرة إنشاء أربع مدارس من قبل الأمير إبراهيم أمير إجراء عين عرفات، يدرِّس فيها علماء مكة المكرمة العلوم الشرعية على المذاهب الأربعة. فأجابه السلطان إلى ذلك وعين للإشراف على هذا المشروع الجليل الأمير قاسم أمير جدة يومئذٍ وأمره بالمبادرة إلى عمل ذلك في أحسن الأماكن اللّائقة لهذه المدارس، فتمَّ اختيار الجانب الجنوبيّ من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف إلى باب الزيارة. ولم تكمل المدارس الأربع إلا في عهد سليم الثاني بن سليمان القانوني. إنباء المؤيّد ٢٧؛ الإمام علي القاري ٤٠.

والمدرسة المرادية[1]، والمدرسة الباسطية[2].

وقد استمرَّتْ هذه المدارس حتَّى دخلتْ في توسعة المسجد الحرام في العهد السُّعوديّ.

وكانت تدرَّسُ فيها العلوم الشَّرعيّة والعربيّة وغيرها من العلوم مثل: الطب وعلم الهيئة، وقد أوقف عليها منشِئُها الأموال للإنفاق عليها مِن حصيلتها، وقد كان للمدرِّسين والطلبة والموظَّفين في المدارس الحكوميّة مثل: السليمانيّة والمراديّة مرتبات من الأوقاف السلطانيّة، أمّا المدرِّسون في المسجد الحرام والمدارس الخاصّة فلم يكن لهم دَخْلٌ ثابت. فمن مصادر دخلهم: صدقات الأوقاف المختلفة، ونسخ الكتب، وما يُهدى لهم من أولياء أمور الطلبة.

كان لهذه المدارس السُّليمانيّة وغيرها دَورٌ بارزٌ وأثرٌ ملحوظٌ في الحياة العلميّة والثَّقافيّة في ذاك العصر بمكّة المكرَّمة. فقد نشأ فيها عُلماء أجلّاء ومشايخ أفاضل قاموا بالتَّدريس والإفتاء وتربية الناس بالدَّعوة والإرشاد في الحرمين الشَّريفين وغيرهما من البلاد.

وينبغي هنا أن نشيرَ إلى أنَّ العلاقة والتبادُل الفكريَّ والثقافيَّ بين أبناء البلاد الإسلاميّة في تلك العُصور، كانَ أقوى مما عليه في زماننا هذا، ومّما يدلُّ على ذلك أنَّ تفسير أبي السعود أفندي المسمَّى بـ«إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم»، كان يدرَّسُ في المدارس السليمانيّة بمكّة المكرَّمة بعد الانتهاء من تأليفه

---

(١) سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها السلطان مراد خان الثالث (٩٨٢-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م)، إذِ اشترى بيتاً كبيراً كان في جهة «الصفا»، وحوّله إلى مدرسة لتدريس العلوم الشرعية سنة (١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢م). إنباء المؤيد ٢٧.

(٢) تنسب إلى عبد الباسط بن خليل، المتوفى سنة (٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) ناظر الجيش في دولة السلطان الأشرف برسباي (٧٦٦-٨٤١هـ/ ١٣٦٥-١٤٣٨م).

بِقليل، وأنَّ بعضَ عُلماء مكة والمدينة المنَورة ومصرَ كتبُوا بعضَ المدائح الشِّعريّة والنَّثرية على ظهر كتاب «الطريقة المحمَّدية والسيرة الأحمدية»، يمدحون الكتاب ومؤلِّفه الإمامَ محمدَ بن بير علي البِركوي (ت٩٨١هـ/ ١٥٧٣م)، رغم تأليفه إياهُ في مدينة صغيرة واقعة في غرب الأناضول.

وجديرٌ بالذكر أنَّ إحدى هذه المدائح كان للإمام علي القارّي (ت١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)، أحد علماء مكّة المكرَّمة المشهورين، ونشرت في زماننا[١]. وينبغي لنا أن نذكر هنا أنَّ مؤلِّفنا محمَّد علي بن محمَّد علّان الصِّدِّيقي، شرح كتابين للإمام البِرْكَوِي، وهما: «الطَّريقة المحمَّدية والسِّيرة الأحمدية»، في التصَوُّف والأخلاق، و«كفاية المبتدئ» في الصَّرف.

ومن العلماء والمشايخ البارزين في هذه الفترة الإمام علي القارّي المذكور أعلاهُ، والشَّيخ شهاب الدِّين أحمد بن علّان عمِّ مؤلِّفنا.

❋ ❋ ❋

(١) انظر لهذه المدائح: المواهب الفتحية شرح الطريقة المحمدية لابن علان، في مكتبة السليمانية، قسم السليمانية برقم (٧١٣ الورقة ٢٥٢ ب): بقسم قليج علي باشا برقم (٦٠٣ الورقة ٤٠٨ أ)؛ قصيدة القاري في مدح البِركوي، إعداد: د. عبد الله محمد الحجيلي، جريدة المدينة، ملحق التراث، يوم الخميس ١٩ ذي الحجة ١٤١٦هـ الموافق ١٦ مايو ١٩٩٦م العدد العاشر، جدة.

Elmali, Huseyin, (Misr, Mekke ve medine Alimlerinin Birgivi Hakkinda Yazdiklari Siirler), Imam Birgivi (Sempozyum Tebligleri). Turkiye Diyanet Vakfi Yayinlar, Ankara 1994, s. 83 - 101.

حياة محمّد علي بن محمد علّان الصِّدِّيقي

أ. حياته

١ . اسمه ونسبه:

اسمه «محمَّد علي»، ومع ذلك ذكرتْهُ بعضُ المصادر المُترجِمة له: «محمد ابن علي بن علّان»، بينَما هو سمَّى نفسه بـ«محمد علي»، وحينما رأينا اسمه مُختلفًا عمّا سمَّى به نفسه بالذّات، شككنا في الشَّكلِ الصَّحيح لاسمه(١). وعِنْدَما وجدنا عبارته أثناء شرحه بيتَ البُوصيري:

فـإنَّ لِـي ذِمَّــة منــهُ بِتَـسْـمِيَتِي محمَّداً وهْـوَ أوفى الخلـقِ بالذِّمم(٢)

قد سلَّطتِ الضَّوء على هذه المسألة وحلَّت المشكلة؛ إذ يقُولُ:

«... وفي كلامه ترغيب في التَّسمية باسمه ﷺ، وقد جاء في ذلك أحاديث أفردها الكلاباذي في جزء، وعزمتُ على تلخيصه وتذييله بِفوائد متعلِّقة به وباسم «أحمد». والله يمنُّ وأسأل الله تعالى كما منَّ عليَّ أيضاً بتسميتي بـ«محمد» أن يَنْظِمَنِي في سِلْكِ مُحبِّيه ووَرَثَتِهِ بِمنِّه وذوِي فضلِهِ ورحمته، ووصف «محمد» بـ«علي» في اسمي غير مُخرِجٍ لي عن التَّسمية باسمه الشريف»، ظهر لنا وعلمنا بذلكَ أنَّ اسمه الخاصّ «محمد علي» ومُركَّب من كلمتين.

---

(١) البوصيري: حياته وشعره لعبد الحليم القباني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
(٢) رقم البيت ١٤٦: انظر ص ٢٩٤ هنا.

ويذكر ابن علّان عن نسبه في كثير من مؤلّفاته بأنّه «البكريّ الصّدّيقي»[١]، ولَعلَّ أقوى دليل على سلسلة نسبه إفادة عمّه الشيخ شهاب الدِّين أحمد بن إبراهيم ابن محمَّد علّان (ت١٠٣٣هـ/ ١٦٤٣م) في أبيات له، وهي قوله:

أيا سائلي عن نسبتي كيف حالها ... جدودي إلى الصدِّيق عشرون فاعدُدِ
خليلٌ وعلّانٌ وعبدٌ مليكُهُمْ ... عليٌّ عليٌّ ذو النَّعيم المُؤبَّدِ
مباركشاهُ حاوي المجدِ بعدَهُ ... أبو بكرٍ المحمودُ نجلُ محمَّدِ
ووالدُهُ قد جاء يُكنَى باسمه ... فطاهِرٌ حَنُون الّذي هو مهتدي
وعلّانُ ثانٍ وهو حُسينُهُمْ ... عفيفٌ أتى فيهم ويونسُ ذو اليدِ
ويوسفُ إسحاقٌ وعمرانُ قد أتى ... وزيدٌ به كلُّ الخلائقِ تقتدي
ومِنْ بعدِهِ حاوي الفخارِ محمَّدٌ ... ووالدُهُ الصدِّيقُ ذُخْري ومُنْجدي[٢]

فعلى مدلولِ هذه الأبيات يستبين نسبه كما يلي:

محمَّد عَلِي بن محمد[٣] علّان بن إبراهيم بن محمد علّان بن عبد الملك بن علي علي بن مُباركشاه بن أبي بكر بن محمَّد بن أبي محمد بن طاهر بن حنون[٤] ابن علّان بن حسن بن عفيف بن يونس بن يوسف بن إسحاق بن عِمران بن زيد ابن محمَّد بن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، سبط آل الحسن.

---

(١) دليل الفالحين لابن علان ٤/ ١١٩.
(٢) خلاصة الأثر للمحبي ١/ ١٥٧؛ إنباء المؤيد ٣١.
(٣) وجدنا اسمه مكتوباً على شكل «محمد علي بن علّان» في كثير من المراجع، إلا أننا رأينا في صورة مخطوط له مكتوبٍ بخطِّ يده: «فقير رحمة ربه محمد علي بن محمد علان البكري الصِّدِّيقي...». انظر: التاريخ والمؤرخون بمكة ٣١٨؛ إنباء المؤيد ٣١.
(٤) في بعض المراجع «قنشويه» ولعل الصحيح ما كتبناه. انظر: المختصر من كتاب نشر النور والزهر ٤٦٤.

هو مِن أسرةٍ مكّية، ينتسبُ إلى أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه، مِن جهة الأب، وينتمي إلى السادة الأشراف من آل الحسن رضي الله عنه، سبط النَّبيّ ﷺ مِن جهة الأمّ.

وعلى وجود بعض الأسماء الأعجميّة في سلسلة النسب مثل «مباركشاه»[١] يبدو أنَّ أسرة ابن علّان قد هاجرت خارج الجزيرة العربيّة ثمَّ رجعت إلى مكّة المكرّمة. ويُؤيّد ذلك نسبة أحد أجداده أبي الوقت عبد الملك بن علي إلى مدن تبريز وقزوين وشيراز[٢].

وقد نبغ من هذه الأسرة عددٌ مِن العُلماء والأفاضل قبل المؤلّف وبعده. منهم: عبد الملك بن علي بن علي بن مباركشاه (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩١م)[٣]، والشيخ شهاب الدِّين أحمد بن إبراهيم بن محمد علّان بن عبد الملك (ت١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)[٤] عمّ مؤلّفنا، والشيخ غياث الدِّين بن محمَّد علي أحد أبناء المؤلّف[٥]، وكان غياث الدِّين هذا مِن أهل العلم والفضل في القرن الحادي عشر الهجري، وله كتاب «ذيل روضة الصَّفا في آداب زيارة المصطَفى»، وأصل الكتاب لوالده.

٢. مولده ونشأته:

وُلدَ محمَّد علي بن محمد علّان الصِّدِّيقي بِمكّة المُكرمة في (٢٠ صفر سنة

(١) إنباء المؤيد ٣١.

(٢) معجم المؤلفين ٦/ ١٨٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) خلاصة الأثر ١/ ١٥٧.

(٥) إنباء المؤيد ٣١.

٩٩٦هـ)/ الموافق لـ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٥٨٨م يوم الجمعة[1]. وفي رواية أخرى سنة (٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م)[٢].

ونشأ ابن علّان الصِّدِّيقي بجوار الكعبة المشرَّفة، وكان بيته مُلاصقاً لمكتب الشيخ الفقيه شمس الدِّين القرافي رحمه الله[٣]. وقد شُغِفَ بالعلم منذُ صِغرِه؛ لأنه وُلد في أسرة عريقة لها اهتمام بالعلوم الإسلاميّة المختلفة، ولها مكانة علميّة مشهورة بِمكّة المكرَّمة. وقد نوَّه العُلماءُ بهذه المكانة العلميّة حيث يقول محمد علي الطَّبري عنها: «وبيت علّان بِمكّة بيت فضلٍ ومجد»[٤]. كما يقول عبد الله مرداد (ت١٣٤٣هـ/ ١٩٢١م): «وبيت علّان كانوا بمَكة بيت علم وفضل»[٥].

وكان في بداية عُمره فقيراً، رأى يوماً «شرح الآجرومية»، يُباعُ ولَيس عندهُ ما يشتريه به إلا رِداءهُ، فاشتراهُ به. ثمَّ رجعَ إلى والده فخاصمهُ. واستمرَّ ينسخُ ويكتسبُ بالكتابة حتّى كثرتْ كتبهُ، ويُقال: بأنه أصبح مِن أثرياء مكّة المكرّمة في أواخر عمره؛ لِكثرة ما يُهدَى إليه مِن أهل جاوة[٦]، مع مضاربته في بعض ماله في أسواق مكّة المشرّفة[٧].

ونشأ ابن علّان نشأة صوفيّة، حيث تَتَلْمَذَ على يدي عمّه أحمد بن إبراهيم

---

(١) خلاصة الأثر للمحبي ٤/ ١٨٩؛ إنباء المؤيد ٣٣؛ المنهج التاريخي ١/ ١١٢.

(٢) المختصر لعبد الله مرداد ٤٦٤.

(٣) المختصر ٤٦٦، ووجدنا إشارة أخرى في هذا الموضوع مِن قِبل المؤلف نفسه إلى أن بيته في جبل أبي قبيس. انظر: كتابنا هذا الصفحة الأخيرة.

(٤) المنهج التاريخي ١/ ١١٢.

(٥) المختصر ٣٦٧.

(٦) جاوا (java) جزيرة في أرخبيل السند للجمهورية الأندونيسية.

(٧) إنباء المؤيد ٣٣؛ المنهج التاريخي ١١٦.

ابن علّان، الذي كان مِن أئمّة التصوُّف في عصرِهِ، وشيخ الطَّريقة النقشبنديّة[١] في مكّة المكَرمة، وتأثره بالتصوُّف واضحٌ في أعماله إذْ ترك أكثر من عشرة مُؤلّفات في التصوُّف[٢].

٣. دِراسته وشيوخه:

في هذه البيئة العلميّة نشأ محمّد علي بن محمد علّان الصِّدِّيقي، ورغب في العلم والتحصيل مُنذ الصِّغر، ولازم عمَّه شهاب الدِّين أحمد بن إبراهيم المكّي النَّقشبندي، فحفظَ القرآن الكريم كاملاً بقراءاته، وأخذ عنه الحديث والفقه والتصوُّف.

وحفظ عدّة متون في كثير من الفُنون، ولم تمنعهُ ظروفه القاسية المتمثِّلة في شدّة عوزه وفقره من الاشتغال بالعلم، فلازم عُلماء مكّة ملازمة تامّةً، وأدركَ نحو خمسين شيخاً كالقاضي علي بن جار الله بن ظهيرة (ت١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) وطبقته، فأخذ النَّحو عن الشيخ عبد الرَّحيم بن أبي بكر بن حسان الحنفي (ت١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م)، وقرأ عليه «شرح الآجروميّة» للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، و«شرح القواعد» له، و«شرح ألفيّة ابن مالك» للسيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، كما أخذه عن الشيخ عبد الملك العصامي الأسفراييني (ت١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م)، إذ قرأ عليه «شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى» لابن هشـام، و«شرح شذور الذهب» لهُ أيضاً، وأخذ عنه علم العروض والمعاني والبيان.

وأخذ الحديث عن المحدِّث الكبير محمَّد بن محمَّد بن جار الله بن فهد

---

(١) تنسب هذه الطريقة إلى مؤسّسها بهاء الدين محمد بن أحمد (٧١٧-٧٩١هـ/ ١٣١٧-١٣٨٨م)، وهي طريقة تركستانية ولها فروع في مختلف البلاد الإسلامية. راجع: الطريقة النقشبندية وأعلامها للدكتور محمد أحمد درنيقة، طرابلس، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) إنباء المؤيد ٥١.

الهاشمي، والسيِّد عمر بن عبد الرَّحيم البصري، والصَّدر السعيد كمال الإسلام عبيد الله الخُجَنْدي، كما سمِع من الشَّيخ خالد بن أحمد المالكي مفتي المالكيّة (ت١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م)، والشيخ محمد بن عبد الله الطبري (ت١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م).

وحضرَ دروس العُلماء الواردين مِن مُختلف الأقطار الإسلاميّة إلى مكّة المكرّمة، وأخذ عن خلقٍ كثيرٍ منهم سَماعاً وإجازةً في رواية «صحيح البخاري» وغيره من كتب السُّنن، كالشيخ العارف بالله تعالى الولي جلال الدِّين عبد الرَّحمن ابن محمد الشِّربيني العُثماني الشّافعيّ (ت١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م)، والعلّامة الحسن ابن محمد البوريني الدِّمشقي (ت١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م)، ومفتي الحنفيّة بمصر الشَّيخ عبد الله النَّحراوي (ت١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م)، ومحدِّث مصر الشَّيخ محمد حجازي الواعظ (ت١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م) الذي حصل منه على إجازة في سنة (١٠٢٠هـ/ ١٦١١م)، والشيخ أحمد المقرئ (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، وغيرهم.

٤. مكانته العلمية:

لم يزل محمَّد علي بن محمَّد علّان الصِّدِّيقي الشّافعيّ الأشعري[1] يشتغلُ بالعلم حتّى تصدّر للتدريس، وله من السنّ ثمانيةَ عشرَ عاماً، وباشر الإفتاءَ وله من السنّ أربع وعشرون سنةً، وذاع صيتُهُ بين كثير من النّاس وطلّاب العلم الذين أقبلوا عليه لِينهلوا من علمه[2].

قال السيِّد المُحبِّي (١٠٦١-١١١١هـ/ ١٦٥١-١٦٩٩م) صاحب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» يذكر مزايا ابن علّان: «وصاحب التَّرجمة هو

(١) ونستدل بعبارة ابن علان في الذخر والعدة على أنه أشعري المذهب في الاعتقاد. انظر: الذخر والعدة شرح البيتين ١٥٣/ ١٥٤؛ إنباء المؤيد ٥٣.

(٢) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٥؛ المنهج التاريخي ١١٥.

واحد الدَّهر في الفضائل، مفسِّر كتاب الله تعالى، ومُحيي السنّة بالدِّيار الحجازيّة[١]، ومُقرئ كتاب «صحيح البخاري» مِن أوله إلى آخره في جوف كعبة الله[٢]، أحد العلماء المفسِّرين والأئمّة المحدِّثين، عالم الرّبع المعمور، صاحب التصانيف المشهورة، كانَ مرجعاً لأهل عصره في المسائل المشكلة في جميع الفنون، وكان إذا سُئِلَ عن مسألة ألَّف بسرعة رسالةً في الجواب عنها، وجمع بين الرواية والدِّراية والعلم والعمل. وكان إماماً ثِقةً من أفراد أهل زمانه معرفةً وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وعِلماً بِعِلَلِهِ وصحيحه وأسانيده، كان قويَّ الاستحضار، وكان يُوردُ كلام الشُّراح حفظًا بما يبهرُ عقول السّامعين، وكانَ شبيهاً بالجلال السُّيوطي في معرفة الحديث وضبطه وكثرة مؤلَّفاته ورسائله.

قال الشيخ عبد الرَّحمن الخياري: «إنّه سُيُوطيُّ زمانه». وحكى تلميذه الفاضل محمد النّبلاوي الدِّمياطي نقلاً عنه أنّه قال: رُئي النَّبيُّ ﷺ في المنام وهو يُعطي النّاسَ عطايا. فقيل لهُ: «يا رسول الله، وابن علّان؟» فأخذ يحثو له بِيده الشَّريفة حثياتٍ. وقال المترجِمُ أيضاً: أخبرني بعض الصّالحين عن بعضهم في عام سبع وثلاثين وألف أنّه رأى النبيَّ ﷺ في المنام ليلة السادس والعشرين مِن رَجَب على ناقته عندَ الحَجُون سائراً إلى مكّة، فقَبَّل يدهُ الشَّريفة وقال: «يا رسول الله، النّاس قصدُوا حضرتك الشّريفة للزيارة، فلماذا وصَلْتَ؟». قال: «لِختم صحيح البخاري» أو «لختم ابن علّان»، شكّ الرّائي.

ثمَ يوم الختم الثامن والعشرين من رجب ذلك العام، حضر بعضُ الصّالحين

---

(١) لعل ابن علان سجل مزاياه هذه تحديثاً للنعمة، فمثلًا يقول عن نفسه: «الذخر والعدة في شرح البردة، تأليف كاتبه مفسر كتاب الله خادم حديث رسول الله ﷺ محمد علي بن علان الصِّدّيقي، لطف به مولاه. (راجع: الصفحة ٨٨).

(٢) وقد ذكر ابن علان نفسه هذه النعمة عليه أيضاً في مقدمات بعض مصنفاته.

فحصلتْ له واقعةٌ: رأى خيمةً خضراء بأعلى ما بين السّماء والأرض. فسأل فقيل: هذا النَّبيُّ ﷺ حضر لِختم البُخاري.

وكان حَسَنَ الخَطِّ، كَثيرَ الضَّبطِ، وانتصب للتَّدريس ونفع النّاس، فأخذ عنه جماعة كثيرون يطول شرحهم.

وقرأ صحيح البخاري في جوف الكعبة أيّام بنائها لما انهدمت في سنة تسع وثلاثين[1] مِن جهة «الحطيم»[2]، وكان سبب هدمها مجيء السَّيل الآتي بيانه في هذه الترجمة، وكان قد اتّفق له أنّه قارب ختم الصحيح، وكانَ البنّاؤونَ قد جعلُوا لهم ستراً حال التّعمير، فخطر له أن يدخله ويختم فيه ويشرب فيه القهوة، ففعل، فوشى بعض أعدائه إلى الشريف[3]، وقالوا: «إنّه قد جعل بيت الله خانة للقهوة»، فأغضبُوا الشَّريف عليه، فأرسل في الحال، وأحضرهُ وحَبَسهُ وأرادَ أن يُوقع به أمراً، فأخذ يتلُو القرآن ويتوسّلُ إلى الله تعالى بنبيِّه أن يكشف هذا الكرب، فاتفق أنّ الشريف قام إلى صلاة المغرب وهو بقصره، فاهتزّتْ أركان القصر، وظنَّ السّامعون أنّها زلزلة وقعت، فنادى الشَّريفُ وزيرهُ، وسأله عن الأمر. فأجابهُ أنّها كرامة للشيخ ابن علّان. فلما سمع مقالته قال له: كيف يكون حالنا معهُ، وقد فعلنا به هذه الفعلة؟ فقال: السبيل إلى أخذ خاطرِه إطلاقه الساعةَ، فناداهُ إليه واستعفى مما فعله به، وأنعم عليه فاعتذر ابن علّان أن ما وقع منه كان هفوةً، فلما كان عند

---

(١) يعني (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م).

(٢) وهو القسم الخارج عن جِدار الكعبةِ، وهو محوط مدوّرعلى صورة نصف دائرة، ويسمى «حِجْر إسماعيل». انظر: الموسوعة الفقهية ١٧/ ١٠٢.

(٣) يعني أمير مكة الشريف مسعود بن إدريس الحسيني المتوفى سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م). راجع:

Uzuncarsili, Ismail Hakki, Mekke - I Mukerreme Emirleri 81.

الصَّباح وجَدهُ أعداؤُهُ طائفاً بالبيت، وكانوا يظنُّون غير ذلكَ. وصنَّف في جواز التدريس داخل البيت مصنَّفاً حافلاً أطنب فيه المقالِ في هذا المقام، وجمع فيه الأقوال في هذا المرام، وسمّاهُ: «القول الحقّ والنقل الصَّريح بِجواز أن يدرَّس بِجوف الكعبة الحديث الصَّحيح»، وسارت بتآليفه الركبان واشتهرت بالآفاق»[1].

ولابن علّان أشعار كثيرة جُلُّها في المدائح النَّبوية والزهد والتصوُّف، كما أنَّ له أشعاراً في المناسبات كوضع الحجر الأسود في مكانه بعد تعمير الكعبة المُشرَّفة وختم صَحيح البُخاري في جوف الكعبة، وسجَّل ابن علّان مثل هذه المناسبات في مقطوعة شعريّة تنتهي بِجملة فيها تاريخ تلك المناسبات في حساب الجُمَل[2] على عادة عصره[3].

وقد تعدَّدت اختصاصاتُه العلمية، فألّفَ في علوم كثيرة، منها: التفسير والعقيدة والحديث والفقه، والنَّحو والصَّرف والمنطق والتصوّف، وكتب الشعر ونظَم الكتب العلمية شعراً، ودرَّسَ كثيراً بالحرم الشَّريف.

«كان محمَّد علي بن محمد علّان مِن أهمِّ مؤرِّخي عصره في مكّة، وأغلب عنايته متجهة إلى الحَرَمِ المَكّيِّ وخاصّةً عندما داهَمهُ السَّيل في شهر شعبان سنة (١٠٣٩هـ)، فتتَبَّعَ حوادث مكّة وأبدى اهتماماً كبيراً بكلِّ ما حدثَ في المسجد الحرام والكعبة وزمزم وغيرها من المشاعر، فسجَّلَ التغييرات التي حدثَتْ، ووصَفَ وصفاً دقِيقًا كلَّ عمارة وقعَتْ في عصره، ولازم حضُورَ المسجد الحرام وتسجيل ما يقع فيه من أعمال البناء والتَّعمير، فكانَ المرجعَ في ذلكَ خاصّةً،

---

(١) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٥-١٨٩.

(٢) وهو حساب الأحرف الهِجائية المجموعة في «أبجد» ويقال له أيضاً: حساب الأبجدية، وعليه تبنى التواريخ الشعريّة. انظر: المنجد في اللغة والأدب والعلوم ١٠٢.

(٣) إنباء المؤيد ٥٠.

وقد كان يشاركُ في إنجاز العمارة بالرّأي والمشورة والتّأليف والمُعارضةِ لِكلٍّ ما يراهُ مُغيَّراً أو غير مناسب، وكانَ أحياناً يشاركُ بالعمل الجسميِّ فيحملُ الحجارةَ والنّورة على ظهره إعانة للصُّنّاع، فجاءَت كتُبُهُ أدقَّ النُّصوصِ وأكملَها في وصفِ عمارة المسجد الحرام»[١].

ويذكر أنّه إليه انتهى فنُّ التَّحديث في قُطْرِ الحجاز فهو سباق غايته، وحامل رايته، وحافظه الّذي جلّ روايته ودرايته[٢].

كان يقرأ ما بين المغرب والعشاء صحيح البخاري، ويُنشِئ في كلّ ليلة خطبة مناسبة لمعنى الحديث الذي يقرأهُ[٣].

ووجدنا ابن علّان يتصدَّى أحياناً إلى نقد النُّصوص الّتي يشرحها، فعلى سبيل المثال نذكرُ قولهُ: «وبالجملة فلو أبدل هذه الألفاظ بغيرها لكانَ أولى، فإنّ المقامَ ضيِّق»[٤].

٥. وفاتُهُ:

تُوفِّي الشيخ محمد علي بن محمد علّان الصّدِّيقي عن اثنين وستين عاماً، وذلكَ في (يوم الثلاثاء ٢١ ذي الحجة سنة ١٠٥٧هـ/ الموافق ١٧/ ١/ ١٦٤٧م)، بمكّة المكرَّمة، وهناكَ بعض المترجمين له يذكرون تاريخاً لوفاته سنة (١٠٥٨هـ).

ودُفن ابن علّان الصّدِّيقي بمقبرة آبائه؛ أي: بمقبرة «المَعْلاةِ»[٥] بالقرب من

---

(١) التاريخ والمؤرخون بمكة ٣١٥.

(٢) المختصر ٤٦٤؛ المنهج التاريخي ١١٥.

(٣) المنهج التاريخي ١١٦.

(٤) الذخر والعدة لابن علان، ص ٣٠٣، شرح البيت ١٥٣.

(٥) بفتح الميم وسكون العين المهملة، مقبرةٌ مشهورةٌ عند الحجونِ بِمكة المكرمة بها قبر =

قبر شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي[١] المكّيِّ رحمهما الله تعالى[٢].

وقد قال ابن علّان في بيت له:

فاجعـل مكّـة مقـرِّي حياتـي ومماتـي في طيب هـذا الصَّعيدِ

وبعد ذكر هذا البيت وجدتُ العبارةَ التالية على هامش آخر ورقة مِن أحدِ مُؤلفاته:

«... وقد استجاب الله تعالى دعاءهُ «...» وقبره بها مشهور يُزارُ ويُتَبَرّك به، نسأل الله تعالى من فضله كما منَّ عليه بهذه المنّة زيارتَه عاجلاً بمنّه وكرمه كاتبه...»[٣].

= أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها. كنت أسمع هذه الكلمة تلفظ على شكل «المعلّا» وكنت أتحير في بنائها مِن جهة علم الصرف. فلما تلفظتها عند الشيخ عيد معيض الموظف في إدارة التشغيل في الحرم المكي الشريف في يوم (٢٥/ ١/ ١٩٩٩م)، صوّبني الشيخ قائلاً: «صحيحها (المعْلاة) مقابلها (المسْفلة)». فتذكرت ما نسميه في اللغة التركية في مثل هذه الأماكن: «يوقاري محلة» بمعنى المعلاة و«أشاغي محله» بمعنى المسفلة، فوددت إيراد هذه الخاطرة.

(١) هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، السعدي الأنصاري الشافعي (شهاب الدين، أبو العباس) (٩٠٩-٩٧٣هـ/ ١٥٠٣-١٥٦٦م) فقيه مشارك في أنواع العلوم. ولد في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر في رجب، وتوفي بمكة. من مؤلفاته الكثيرة: تحفة المحتاج لشرح المنهاج للنووي في فروع الفقه الشافعي بمجلّدين، مبلغ الأرب في فضل العرب، الصواعق المحرقة لإخوان الابتداع والضلال والزندقة، معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة، وتحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدّبو الأطفال. انظر: معجم المؤلفين ٢/ ١٥٢.

(٢) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٩؛ المختصر ٤٧١؛ إنباء المؤيّد ٥٦: التاريخ والمؤرخون ٣١٥.

(٣) الطالع السعيد في فضائل العيد، لمحمد علي بن محمد علان الصّدّيقي، مكتبة الحرم =

٦. أولاده وأحفادهُ:

نجدُ أحد أبناء المؤلِّف مِنَ المشتغلين بالعلم، وهو الشيخ غياث الدِّين بن محمَّد علي، له كتاب «ذيل روضة الصَّفا في آداب زيارة المصطفى»، وأصل الكتاب لوالده.

وقال أبو الخير عبد الله مرداد (ت١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)[١] **في بقيـة أحفاد مؤلّفنا: «... ولم يوجد الآن منهم من أولاد الظُّهور إلّا أنثى واحدة، فقيرة الحال جدّاً، ويوجد من أولاد البطون منهم ذكر واحد زمزمي»[٢]، بينما قال عبد الله غازي (ت١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) عن هذه الأسرة: «و نسلُهم باقٍ إلى زماننا، بقي رجلٌ منهم اسمُه أحمد بن علّان»[٣].**

٧. تلاميذه:

انتصب ابن علّان رحمه الله للتَّدريس في أروقة المسجد الحرام، وتصدَّر للإقراء وله من السنِّ ثمانية عشر عاماً، ومنذ أن بدأ التَّدريس قد انتفع به النّاس، فأخذ عنه جماعةٌ كثيرون يطول ذكرهم، ومع ذلك فلم يكن لأهل مكّة عناية بالقراءة عليه، أو قلَّما يحضرهُ منهم واحدٌ أو اثنان، وكما قالت العرب في أمثالها: «العالم كالكعبة، يأتيها البُعداءُ، ويزهد فيها القُرباء»[٤].

= المكي الشريف، قسم المخطوطات رقم ١٣٥٤ (٨٥-٩٥). وكتِبت النسخة في سابع عشر من شوال سنة (١٢٠٤هـ/ الموافق سنة ١٧٨٩م).

(١) معجم المؤلفين ٦/ ٢٧.

(٢) المختصر ٤٦٧.

(٣) إنباء المؤيّد ٣٣.

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي ٨٠.

وأكثر طلّابه كانوا مِن الجاوِيِّينَ[(١)] وأهل اليمن ومن البلاد الأخرى.

وسنذكر هنا تلاميذه الذين وجدنا أسماءهم: كان مِن جملة المُلازمين للقراءة عليه: المؤرِّخ المكيّ أحمد بن محمَّد النخلي، وفضل بن عبد الله الطبري المكّي، وأحمد الأسدي المكّيّ، والشَّيخ محمد النَّبلاوي الدِّمياطي، والشيخ إبراهيم بن حسين بيري، والشيخ مُهنّا بن عَوَض بامزروع.

وفضلاً عن ذلك فقد منح ابن علّان الإجازة العامّة لِعدد من الدّارسين عليه، منهم: الشيخ عبد الرَّحمن الخياري[(٢)]، والشَّيخ حسن بن علي بن محمَّد بن عمر العُجَيْمي، والشيخ عبد الباقي بن عبد الباقي بن إبراهيم الحنبلي البعلي الشَّهير بابن فقيه فِصة ـ بفاء مكسورة وصاد مهملة ـ، وأحمد بن عبد الواحد المحيرسي.

ب. مؤلّفاته

وقد ألّف الشيخ محمد علي الصِّدّيقي كُتباً ورسائل كثيرةً في فنون عديدةٍ، إلّا أنَّ المصادر تختلف في عددها؛ فلذا لا نذكرُ لها عدداً معيَّناً، ونكتب أسماء مؤلّفاته التي وصلتْ إليها معرفتُنا:

أوّلاً. في التفسير:

١. رفع الالتباس ببيان اشتراك معاني الفاتحة وسورة الناس[(٣)].

٢. ضياء السَّبيل إلى معالم التَّنزيل: وجدنا نسخة منه في مكتبة السليمانية، قسم

---

(١) ولعلنا لهذا نجد نسخ بعض مؤلفات ابن علان في مكتبات أندونيسيا في يومنا هذا.

(٢) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٥-١٨٩؛ المختصر ١٦٦؛ فهرس الفهارس ١/ ٤١٥، ٢/ ٨١١؛ إنباء المؤيد ٣٧؛ المنهج التاريخي ١١٥؛ التاريخ والمؤرخون بمكة ٣١٥.

(٣) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٦؛ إنباء المؤيد ٣٧.

«يازْمَه باغيشلر» مجلّدين: المجلَّد الأوّل تحت رقم (١-١٨٧٥)، والمجلّد الثاني تحت رقم (٢-١٨٧٥). ونقتبس بعض العبارات التي تدلُّ على تَعريف الكتاب:

في المجلَّد الأوّل (الورقة ١ أ): «الجزء الأوّل من تفسير سيدنا «...» محمد ابن علّان «...» لطف الله تعالى به «...» وذلك من أوّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف.

وطالع المؤلِّف هذا الجزء من أوّله إلى آخره، وكتب عليه في بعض المواضع.

وكُتِبَ من نسخة المؤلف بمكة المشرفة شرفَها الله تعالى، وذلك في سنة ١٠٥٧».

(الورقة ٤٠٨ ب): «كان انتهاء تسويده ضحوة الجمعة ثامن عشر ذي القعدة سنة (١٠٥١) بالمجمع القايتبائي».

وفي المجلَّد الثاني (الورقة ١ أ): «الجزء الثاني من تفسير سيِّدنا «...» الشيخ محمد علي بن علّان، وهو التَّفسير المسمّى بـ«ضياء السَّبيل إلى معاني التنزيل»، وكُتِبَ بمكّة المُشرَّفة من خطِّ مؤلِّفه في سنة ١٠٥٧».

(الورقة ٣٢٩ ب): «قال مؤلِّفه: كان انتهاء تسويده وقت الإشراق من يوم الأربعاء ثاني عشر محرَّم سنة «...»[١] بالمجمع القايتبائي مشاهد بيت الله الحرام. زيد في الاحترام. والحمد لله. بلغ مقابلة على حسب ما يسَّره الله تعالى على نسخة مؤلِّفه لطف الله به، آمين».

ثانياً. في العقائد:

٣. بديع المعاني في شرح عقيدة الشَّيْباني[٢].

---

(١) أرقام السنة غير موجودة في النسخة.

(٢) وهو شرح للقصيدة الألفية لمحمد بن الحسن بن واقد الشيْباني صاحب أبي حنيفة =

٤. نظم أمّ البراهين المسمَّى بـ«العِقد الثمين».

٥. شرح أمّ البراهين[1].

٦. شرح قلادة العقيان بِشُعَب الإيمان[2].

٧. العِقد الفريد في تحقيق التوحيد[3].

٨. العقد الوفي في نظم عقيدة النَّسَفي[4].

= (ت١٨٩هـ/ ٨٠٤م). راجع: هدية العارفين للبغدادي ٢/ ٤١٤؛ إنباء المؤيد ٣٧.
وقد قدم المؤلف كتابه هذا بهذه العبارة: «... فإن أعظم العلوم وأعلاها وأقومها حجة وأجلاها علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام... وإن مما ألف فيه القصيدة الفائقة المباني المعروفة بـ«عقيدة الشّيْباني»... وقد اعتنى بحفظها جمعٌ مِن أولي الهمم واشتهرت فيما بينهم واحتاجوا إلى تأليف شرح يفصل مجملها... وحين كان هذا الشرح فيما ظهر لنا أول شرح ألف عليها... ناسب أن يسمى «بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني». ونسخته موجودة في المكتبة المركزية بجامعة إستانبول تحت رقم: AY ٢٦١٩ (١ ب ـ ٤٩ أ). والعبارة مقتبسة من الورقة ١ ب، من أوراق النسخة. ونُسِبتْ إلى علان نسخة أخرى في بطاقات المكتبة ولكن ظهر لي أن الشرح قد ألفه الحاج عبد الله ابن الحاج محمد القاضي بالقدس الشريف والمتوفى سنة (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م)، لا لِمحمد علي بن محمد علان الصِّدِّيقي. راجع: المكتبة المركزية بجامعة إستانبول رقم: (AY ٨١٥).

(١) نظم ابن علان «أم البراهين» أولًا ثم شرحه. وأم البراهين للإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م). راجع: المختصر ٤٦٧؛ خلاصة الأثر ٤/ ١٨٦؛ كشف ٢/ ١١٤٢، ١١٥٧؛ إنباء المؤيد ٣٧.

(٢) صاحب قلادة العقيان هو مفتي ديار الشرق الشيخ إبراهيم بن الحسن الإحسائي (ت١٠٤٨هـ/ ١٦٣٩م). انظر: خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ هدية العارفين ١/ ٣١؛ إنباء المؤيد ٣٨.

(٣) نسخة منه ضمن مجموعة تحت رقم (DCLI). في مكتبة المتحف الوطني بجاكرتا ـ أندونيسيا. راجع: إنباء المؤيد ٣٨.

(٤) النسفي هو الشيخ عمر بن محمد (ت٥٣٧هـ/ ١٠٦٨م). راجع خلاصة الأثر ٤/ ١٨٦؛ إنباء المؤيد ٣٨.

٩. فتح الواحد وحده، في حكم القائل للوجود بالوحدة(١).

ثالثاً. في الحديث:

١٠. الابتهاج في ختم المنهاج(٢).

١١. دليل الفالحين لطرق رياض الصّالحين، فرغ المؤلّف من تسويده في ١٥، شوال، سنة ١٠٣٨هـ(٣).

١٢. غَوْص البِحار الزاخرة للدُّرّة الفاخرة(٤).

١٣. النّهج الأكمل في حديث ماء زمزم(٥).

١٤. الفتوحات الربّانية على الأذكار النوويّة(٦).

١٥. قرّة العين من معنى حديث: «استمتعوا من هذا البيت فقد هُدِمَ مرّتين(٧)».

---

(١) نسخة منه ضمن مجموعة تحت رقم (CXIC) في مكتبة المتحف الوطني بجاكرتا ـ أندونيسيا.

(٢) وهو تعليق على كتاب «المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج» للإمام محيي الدين النووي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م). انظر: هدية العارفين ٢/ ٥٢٥؛ إنباء المؤيد ٣٨.

(٣) دليل الفالحين ٨/ ٤٠٠. وهذا الكتاب شرح رياض الصالحين للإمام النووي المذكور أعلاه، وله طبعاتٌ أولاها في القاهرة سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.

(٤) وهو شرح «الدرة الفاخرة في علوم الآخرة»، للإمام أبي حامد محمد الغزالي (٥٠٥هـ/ ١١١١م)، ومنه نسخة في مكتبة المتحف الوطني بجاكرتا تحت رقم: (٣٢A).

(٥) التاريخ والمؤرخون ٣٢٨.

(٦) هو شرح لكتاب «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار» للنووي في الحديث. وهذا الشرح مطبوع في سبعة مجلدات بالقاهرة سنة (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م). إنباء المؤيد ٣٩.

(٧) رسالة ذكرها المؤلف في إنباء المؤيّد الجليل مراد ببناء بيت الوهاب الجواد. ذكر هذا =

١٦. النبأ العظيم في أخلاق النَّبيّ الكريم[١].

١٧. الوجه الصَّبيح في ختم الصَّحيح[٢].

١٨. وَضع الكُرْسيّ للحديث القدسيّ: ذكرهُ المؤلِّف نفسه قائلاً: «... وقد جمعتُ من الحديث القدسيّ فوق ألفين «...» وأخرجتُ لذلك مؤلّفاً، يعين الله على إتمامه، سمَّيته «وضع الكرسي للحديث القدسيّ...»»[٣].

رابعاً. في الفقه:

١٩. إعلام الإخوان بأحكام الخِصْيان[٤].

٢٠. إعلام الإخوان بتحريم الدُّخان[٥].

٢١. إيضاح تلخيص بديع المعاني في بيان منع هدم جدار الكعبة اليَماني[٦].

= الحديث علي بن أبي بكر في «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان» ص ٢٤١، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، دون تاريخ، ولفظه: «استمتعوا من هذا البيت، فإنه هدم مرتين، ويرفع في الثالثة». راجع: إنباء المؤيّد ٣٩.

(١) رأيت نسخة منه في (٢٦/ ١/ ١٩٩٩م) بمكتبة الحرم المكي الشريف، قسم المخطوطات المصورة، رقم الفلم ٣٥٦٥، عدد أوراقها ٢٤٤ ورقة. ويبدو أن النسخة ناقصة. ويوجد منه صورة على فلم مصغر بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم (ف ١٩٨/ ١ حرم). انظر: إنباء المؤيّد ٣٩.

(٢) رسالة في ختم صحيح البخاري. راجع: هدية العارفين ٢/ ٥٢٥؛ إنباء المؤيّد ٣٩.

(٣) المختصر المرقوم لمحمد علي بن علان، مكتبة الحرم المكي الشريف، (عام ٢٣٥٢)، الورقة ٣٤ ب.

(٤) ذكره المؤلف في كتابه «المواهب الفتحية على الطريقة المحمَّدية» مكتبة السليمانية قسم أسعد أفندي تحت رقم (١٥٣٠)، الورقة ٢٧٢ أ.

(٥) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٦-١٨٨؛ هدية العارفين ٢/ ٢٨٣؛ إنباء المؤيّد ٣٩.

(٦) إنباء المؤيّد ٣٩.

٢٢. البيان في توجيه فرضية عمارة الساقط من البيت لسلطان الإسلام والإيمان[١].

٢٣. تحفة ذوي الإدراك في المنع من التُّنْباك[٢].

٢٤. شرح الزبد[٣].

٢٥. فتح القدير في الأعمال التي يحتاج إليها مَن جعل لهُ الملك على البيت، ولاية التعمير[٤].

٢٦. فتح الكريم الفتّاح في حكم ما سُدّ به البيت من حصر وأعواد وألواح[٥].

٢٧. إيقاد المصابيح لمشروعية اتخاذ المسابيح[٦].

٢٨. القول الحقّ والنقل الصريح بجواز أن يقرأ بجوف الكعبة الحديث الصّحيح[٧].

٢٩. مؤلَّف في منع وضع الساتر لوجه الكعبة كلِّها بقدر سمكها[٨].

٣٠. نظم مختصر المنار وشرحه[٩].

---

(١) إنباء المؤيّد ٣٩.
(٢) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ هدية العارفين ٢/ ٢٨٣؛ إنباء المؤيّد ٤٠.
(٣) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ المختصر ٤٦٧؛ إنباء المؤيّد ٤٠.
(٤) إنباء المؤيّد ٤٠.
(٥) المصدر السابق.
(٦) التاريخ والمؤرخون بمكة ٣٣.
(٧) إنباء المؤيّد ٤٠.
(٨) المصدر السابق.
(٩) ذكره عبد الله مرداد في مختصر نشر النور والزهر ٤٦٧، وهو منظومة مع شرحها لأحد =

٣١. الأقوال المُعرَّفة بفضائل أعمال عَرَفة[١].

٣٢. روضة الصَّفا في آداب زيارة المصطفى[٢].

٣٣. فتح الفتّاح في شرح الإيضاح[٣].

٣٤. الطالع السعيد في فضائل العيد[٤].

٣٥. المنّة في بيان بعض موافقات الكتاب والسنّة[٥].

= المختصرات الكثيرة لكتاب «منار الأنوار» في أصول الفقه الحنفي للشيخ عبد الله ابن أحمد النسفي الحنفي (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠م). راجع: كشف ٢/ ١٨٢٣؛ إنباء المؤيّد ٤٠.

(١) إنباء المؤيّد ٤٠.

(٢) هدية العارفين ٢/ ٢٨٣؛ إنباء المؤيّد ٤١؛ وعليه ذيل قام به ابن المؤلف غياث الدين.

(٣) أي الإيضاح في مناسك الحج، للإمام النووي. ونسخة مِن فتح الفتاح في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم الفلم ٨٩٤. ونسخها عمر بن طه البار في سنة (١١٨٨هـ) في ٥٨٥ صفحة. ونسخة منه في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم (١٣٠٢) في جزأين ٢٣٥ + ٢٧٩ ورقة. انظر: إنباء المؤيّد ٤١.

(٤) فرغ من تأليفه يوم الثلاثاء الخامس عشر من رمضان المعظم أحد شهور سنة خمس وأربعين وألف. وتوجد نسخة منه مكتوبة في سنة (١٢٠٤هـ) في مكتبة الحرم المكي الشريف، قسم المخطوطات تحت رقم (١٣٥٤).

(٥) ونسب صاحب مختصر نشر النور أصل هذا الكتاب إلى السيوطي (ص ٤٦٧) ولكن المؤلف يعرف كتابه بقوله: «... أردت أن أصنع فيها شرحاً لمنظومتي التي نظمت فيها موافقة جمع مِن أصحابه لآيات قرآنية وآثار نبوية... (٢ أ) وكان جمعه في أربعة أيام آخرها رابع شهر شوال في سنة أربع وثلاثين وألف...». وتوجد نسخة في مكتبة السليمانية، قسم حالتْ أفندي تحت رقم ٨٦ (١ ب ـ ٣٨ ب)، ولعل عده بين كتب التصوف ذهول. راجع: إنباء المؤيّد ٤٧.

خامساً. في التاريخ:

٣٦. أسنى المواهب والفُتوح بعمارة المقام الإبراهيمي وباب الكَعبة وسقفها والسُّطوح[١].

٣٧. إعلام سائر الأنام بقصّة السيل الّذي سقط منه بيت الله الحَرام[٢]: **ألَّف ابن علّان كتابه هذا وذكره في مقدِّمة كتابه «إنباء المؤيد الجليل مراد»، وسمّاه باسم التاريخ الكبير، وقال: إنه استوفى فيه جميع عِمارات الكعبة الإحدى عشرَ ثُمَّ لخص منه مجرّد ما وقع في عمارة البيت، وأعرض عمّا في أصله مما زاد عن بيان أعمال تلك الكَرة مِن أحوال عمارته العشرة، وما يتعلّقُ بها مِن الأحكام، وجعل هذا المختصر باسم الكتاب التالي: خزانة السُّلطان مُراد**[٣].

٣٨. نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له وِلاية عمارة ما سقط من البيت الشَّريف، وسبب تأليفه أنَّ البيت لما سقط سأل الشريف مسعود شريف مكّة آنذاك، العلماءَ عن حكم عمارته. فأجابوا بأنه فرض كفاية على سائر المسلمين، ووافقهم ابن علّان أولاً ثم ظهر له أنَّ هذا العمل لا يتوجَّه إلّا إلى السُّلطان الأعظم. وتوقَّف معظم العُلماء عن موافقته، فألف الكتاب المذكور. ثم بَلَغَه توقُّفهم عن دليله في ذلك فألف مؤلَّفاً آخر سماه: البيان والإعلام في توجيه فرضية عمارة السّاقط من البيت لسلطان الإسلام[٤].

٣٩. رسالة فيما ينبغي العمل به عند استلام الحجر الأسود وما ورد في فضله[٥].

---

(١) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٨؛ إنباء المؤيّد ٤١.

(٢) المصدر السابق؛ التاريخ والمؤرخون بمكة ٣٢١.

(٣) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٨.

(٤) المصدر السابق؛ التاريخ والمؤرخون بمكة ٣٢٤.

(٥) وجدنا نسخة منها في (٢٥/ ١/ ١٩٩٩م) بِمكتبة مكة المكرمة. الموجودة في مولد =

٤٠. إنباء المؤيّد الجليل مراد بِبناء بيت الوهّاب الجَواد[١].

٤١. البيان ونهاية التبيان في تاريخ آل عُثمان[٢].

٤٢. تنبيه ذَوي النُّهى والحجر على فضائل وأعمال الحجر[٣].

٤٣. زَهر الرُّبا في فضل مسجد قُبا[٤].

٤٤. حُسن النبا في فضل مسجد قُبا[٥].

٤٥. دُرر القلائد فيما يتعَلَّق بزمزم وسقاية العباس من الفوائد[٦].

= النبي ﷺ. بدلالة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، جزاه الله عن أهل العلم خير الجزاء، والنسخة مطبوعة بِمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة المشرفة المحميّة، سنة (١٣٣١هـ).

(١) توجد نسخةٌ في مكتبة السليمانية بقسم رئيس الكتاب برقم (٦٤٦). أنهى المؤلف تأليفه هذا يوم (٢٧ ذي القعدة سنة ١٠٤٠هـ) وقد حقَّقه خالد عزام الخالدي ليكون موضوع رسالته للماجستير سنة (١٤٠٦هـ/ ١٤٠٧هـ) في جامعة الملك سعود بالرياض (كلية الآداب، قسم التاريخ).

(٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/ ٢٠٨؛ إنباء المؤيّد ٤١. قال محمد الحبيب الهيلة: «ولعله كتاب منهل الظمآن لأخبار دولة آل عثمان الذي نسبه إليه ونقل منه العصامي في سمط النجوم العوالي ٤: ١٠٤». راجع: التاريخ والمؤرخون بمكة ٣٢٩.

(٣) ذكره المؤلف في إنباء المؤيّد ٤١.

(٤) ذكره المؤلف في كتابه «حسن النبأ» وفي كتابه «طيف الطائف». راجع التاريخ والمؤرخون بمكة ٣٢٦.

(٥) وقد نشر هذا الكتاب بتحقيق: مرزوق علي إبراهيم في الرياض سنة (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م). وهو ملخص لكتاب «جواهر الأنباء في فضل مسجد قباء»، للشَّيخ إبراهيم بن عبد الله الوصابي اليمني. راجع: إنباء المؤيّد ٤٢؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٤.

(٦) ذكره المؤلف في بعض كتبه إنباء المؤيّد ٤٢؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٦.

٤٦. الطيْف الطائف بتاريخ وج والطائف[١].

٤٧. العَلمُ المفرد في فضل الحجر الأسود[٢].

٤٨. الفتح المُسْتجاد لِبغداد[٣].

٤٩. المنهل العَذبُ المفرد في الفتح العثماني لمصر ومَن ولِيَ نيابة ذلك البلد[٤].

٥٠. مؤلَّف في باب الكعبة[٥].

---

(١) وأنهى الشيخ محمد علي الصّدّيقي كتابه هذا يوم الأربعاء الحادي عشر من صفر سنة (١٠٤٨هـ.) مكتبة الحرم المكي الشريف قسم المخطوطات برقم ١٢٠ وبرقم الفلم (٢٤١٦)، الورقة ٤٩ أ، ناسخها عبد الستار الدهلوي الصّدّيقي سنة (١٣٣١هـ). وهو من الكتب المهمة التي ألفت في فضائل الطائف ووصف معالمها وذكر مناقب ابن عباس ومحمد ابن الحنفية رضي الله عنهما، والحديث عن وادي وج وبقية قرى الطائف. راجع: إنباء المؤيّد ٤٢؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٦. وعلمنا أن الأستاذين أبا عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ويحيى محمود ساعتي يقومان بتحقيق هذا الكتاب. انظر: المخطوطات لصالح ابن سليمان الحجي ص ٥٥١.

(٢) وتوجد منه نسخة في مكتبة رشيد أفندي بقيصري برقم (٣٢٤) وفي مكتبة عاطف أفندي بإستانبول برقم (٦٣٩) (٨٣ ب - ١٠٤ أ) ورقم (٢٨١٣) (١٢ أ - ٤٦ ب) ويحتمل أن تكون النسخة الأخيرة بخط المؤلف.

(٣) أرخ فيه ابن علان استعادة السلطان مراد الرابع لمدينة بغداد من الفرس الصفويين سنة (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م). راجع: خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ كشف ١٢٣٥؛ إنباء المؤيّد ٤٢؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٩.

(٤) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧: إنباء المؤيّد ٤٢؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٩.

(٥) يتحدث فيه عن عمارة باب الكعبة وبيان تغييراته. إنباء المؤيّد ٤٢؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٩.

٥١. النَّفحات الأريجة في متعلَّقات بيتِ أمِّ المؤمنين خديجة[١].

سادساً. في التَّراجِم والسير:

٥٢. ترجمة البخاري[٢].

٥٣. رجال الأربعين النوويّة[٣].

٥٤. بغية الظُّرفاء في معرفة الرُّدَفاء[٤].

٥٥. مؤلَّف في أجداده إلى الصديق[٥].

٥٦. مؤلَّف فيمَن اسمه «زَيْد»[٦].

٥٧. شمس الآفاق فيما للمصطفى ﷺ من كَرم الأخلاق[٧].

٥٨. أخلاقُ البخاري[٨].

٥٩. إتحاف الشُرَفا بمعرفة مَن حاز بشْبِه المصطفى ﷺ شَرَفاً[٩].

---

(١) ذكر فيه عمارة بيت أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها. خلاصة الأثر ٤/ ١٨٨؛ إنباء المؤيّد ٤٢؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٨.

(٢) رسالة ترجم فيها للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) صاحب الجامع الصحيح في الحديث. إنباء المؤيّد ٤٣؛ التاريخ والمؤرخون بمكة ٣٢٩.

(٣) إنباء المؤيّد ٤٣؛ التاريخ والمؤرخون بمكة ٣٢٩.

(٤) وهو فيمن أردفهم النبي ﷺ معه على مركوبه، وبلغوا فوق الأربعين. انظر: إنباء المؤيّد ٤٣.

(٥) إنباء المؤيّد ٤٣؛ التاريخ والمؤرخون ٣٢٩.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

(٩) ذكره المؤلف في كتابه الفتوحات الربانية على الأذكار النوويّة ١/ ٢٤.

٦٠. ترجمة أبي بكر الصدِّيق[١].

٦١. رِجال الشَّمائل[٢].

سابعاً. في النحو والصرف:

٦٢. رفع الاشتباه في إعراب قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥][٣].

٦٣. إتحاف الفاضل بالفِعل المَبْنِي لِغَيْرِ الفاعِل[٤].

٦٤. حاشية على شرح الأزهري على «الآجرومية»[٥].

٦٥. حسن العناية بـ«الكفاية»[٦].

٦٦. حدائق الألباب مِن منح الوهّاب نظم «قواعد الإعراب» لابن هشام[٧].

---

(١) ذكره المؤلف في المصدر نفسه ٣/ ١٣.

(٢) ذكره ابن علان في دليل الفالحين ٥/ ١٠٩.

(٣) المنهج التاريخي ١٢١؛ إنباء المؤيّد ٤٤؛ التاريخ والمؤرخون ٣١٧.

(٤) طبع أولًا بدمشق سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) ثم نشِر في بيروت بين منشورات دار الكتب العلمية بتحقيق: يسري عبد الغني عبد الله باسم: معجم الأفعال المبنية للمجهول المعروف بإتحاف الفاضل بالفعل المبْنِي لغير الفاعل.

(٥) الآجرومية خلاصة في النحو، درِّست في مدارس البلْدان الإسلامية شرقها وغربها وهي لابن آجرّوم محمد بن محمد الصنهاجي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م). وشرح الأزهري مطبوع. انظر: لحياة ومؤلفات خالد بن عبد الله الأزهري:

Ahmet Turan Arslan, DIA, XII, 65.

(٦) وهو شرح لكتاب الإمام البِركويّ محمد بن بير علي (ت٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) المسمّى بـ«كفاية المبتدي». انظر لحياة الإمام البركوِي ولشروح كِفاية المبتدي الأخرى:

Ahmet Turan Arslan, 'Imam Brigivi, Hayati Eserleri ve Arapça Tedrisatundaki Yeri', Istanbul 1992.

(٧) أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد ربي الله رافِع الورى ... وخافِض الجهّال في كل القرى» =

٦٧. فتح الكريم الوهّاب في شرح نظم «قواعد الإعراب»[١].

٦٨. الجنى الداني بشرح الزنجاني في التصريف[٢].

٦٩. قلائد الجُمان في نظم «عوامل» عالِم جُرْجان.

٧٠. شرح قلائد الجُمان في نظم «عوامل» عالِم جُرْجان[٣].

٧١. داعي الفلاح في شرح «الاقتراح»[٤].

= وآخره:

«والحمد لله المعين من طلب يسّر التوفيق للذي أحب»

نقلنا هذه الأبيات يوم الثلاثاء ٩ شوال سنة (١٤١٩هـ/ الموافق ٢٦/ ١/ ١٩٩٩م) من النسخة الموجودة في مكتبة الحرم المكي الشريف، قسم المخطوطات المصورة برقم الفِلم ١١٦١. والكتاب بين ص ١٥٨ وبين ص ١٨٣ من المجلد. ونسخه محمد الحفظي سنة (١٢٥٦هـ). ولعل المذكور في بعض المراجع مثلاً: إنباء المؤيّد ٤٥، باسم «فتح الوهاب بنظم قواعد الإعراب»، وباسم «حدائق الألباب في علم قواعد الإعراب»، كِليْهما نفس الكتاب الذي أخذنا الأبيات منه.

(١) يبدو أنّ ابن علان نظم أولًا كتاب «الإعراب عن قواعد الإعراب» لعبد الله بن يوسف النحوي المصري (٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) ثم شرحه كعادته في بعض الكتب الأخرى.

(٢) ذكره المؤلف في كتابه «مختصر المرقوم». (مكتبة الحرم المكي الشريف، عام، ٢٣٥٢ (٢٦ ب). والزنجاني هو إبراهيم بن عبد الوهاب النحوي (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، له: «العزي في التصريف».

(٣) نظم ابن علان «العوامل المئة في النحو»، للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، ثمَّ شرح المنظومة. راجع لمحتوى كتاب العوامل المئة للجرجاني والعوامل للإمام البركوي وللمقارنة بينهما:

Ahmet Turan Arslan, "Arap Dilinde Iki" Avamil "ve Bunlarin Mukayesesi", ILAM Arastirma Dergisi, c. 1, sy 2 (Temmuz - Aralik 1996). 161 167 -.

(٤) توجد منه نسخة في مكتبة السليمانية قسم أسعد أفندي برقم (٣٠٦٤)، ونسخة في قسم =

٧٢. عيون الإفادة في أحرف الزيادة[١].

٧٣. فتح المالك في تجويز طريق ابن مالك[٢].

٧٤. منهج مَنْ ألّف فيما يرسم بالياء ويرسم بالألف[٣].

٧٥. المقرَّب في معرفة ما في القرآن من المُعرَّب[٤].

ثامناً. في البلاغة والبيان:

٧٦. حُسن العبارة في نظم الاستعارة[٥].

٧٧. لطيف الرمز والإشارة إلى خبايا زوايا حسن العبارة[٦].

= لا له لي برقم (٣٢٦٤)، ونسخة في مكتبة راغب باشا في إستانبول تحت رقم (١٣٢١). وفي آخر نسخة أسعد أفندي: «... قال مؤلفه: وكان انتهاء تسويده بعد ظهر يوم الأحد سابع عشر رمضان سنة ١٠٥ (؟!) بالمجمع القايتبائي تقبل الله بفضله، آمين. والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. تمت». حينما وجدنا تاريخ التأليف فيه مشكوكاً رأيت في نسخة لا له لي (١ أ) هذا القيد: «استملكه العبد... محمد صالح في سنة ١٠٤٩». وهذا يعيننا في تصحيح تاريخ تأليفه. والاقتراح في علم أصول النَّحو لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ونشِر كتاب الاقتراح بتحقيق: أحمد صبحي فرات في إستانبول سنة (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

(١) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ إنباء المؤيّد ٤٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) توجد منه نسخة في قسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياضِ، رقم (١٢٩٦ بلاغة) الورقات: ٥٤-٥٧. وقد نظمها المؤلف في إجازة تلميذه أحمد بن عبد الواحد المحيرسي في (٢٥/ ٣/ ١٠٤٦هـ). إنباء المؤيّد ٤٦.

(٦) ذكره المؤلف بهذا الاسم، وألفه سنة (١٠٤٤هـ). راجع: مكتبة السليمانية، قسم لا له لِي =

٧٨. وفُور الفضل والمِنّةِ بشرح منظومة ابن الشّحْنةِ[١].

٧٩. نظم المدخل في علم البلاغة[٢].

تاسعاً. في المنطق وآداب المناظرة:

٨٠. نظم إيساغوجي وشرحه[٣].

٨١. فتح الوهّاب بنظم رسالة الآداب للعَضُدِ[٤].

عاشراً. في المدائح النبوية:

٨٢. تخميس قصيدة الشيخ أبي مَدْيَن وذيلها قصيدة ابن الميلق[٥].

٨٣. فتح ربّ البريّة بتخميس قصيدة الهَمْزية[٦].

= رقم: (٢٩٩٨، ١ ب ـ ٢٩ ب). والنسخة مكتوبة بيد إبراهيم بن محمد الصَّعدي سنة (١٠٤٦هـ).

(١) نسخة منه في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٣٤٠٨ عام). ويحتمل أن تكون النسخة بخط المؤلف على غالب الظنّ، وابن الشحْنة هو محمد بن محمد الحلبي الحنفي (ت٨١٥هـ/ ١٤١٢م).

(٢) نظم فيه المؤلف كتاب «المدخل في علم المعاني والبيان والبديع» لِعضد الدين عبد الرحمن ابن أحمد الإيجي (ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م). إنباء المؤيّد ٤٦.

(٣) إيساغوجي هوالمختصر المنسوب إلى مفضل بن عمر الأبهري المتوفى في حدود سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق. المنجد، قسم الأعلام ١٠١.

(٤) وأصل الكتاب نظم لرسالة الآداب لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي المذكور آنفاً. خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧.

(٥) مطبوع ذكره الزركلي في الأعلام ٦/ ٢٩٣.

(٦) منه نسخة في المكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز بِجدة تحت رقم (٢٣٩/ ٨)، =

٨٤. المنح الأحديّة بتقريب معاني الهمزيّة[١].

٨٥. النَّفحات الأحديّة تصدير وتعجيز الكواكب الدرِّية[٢].

٨٦. النَّفحات العَنبريّة في مدح خير البريّة[٣].

٨٧. فتح القريب المُجيب: نظم «أنموذج اللَّبيب في خصائص الحبيب» للسيوطي.

٨٨. رفع الخصائص عن طلّاب الخصائص[٤].

٨٩. مورد الصّفا في مولد المصطفى[٥].

= والهمزية هي المسماة «أم القرى» للشيخ عبد الله البوصيري (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م). المؤيّد ٤٧.

(١) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧.

(٢) وهو تخميس قصيدة البردة. خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ كشف ٢/ ١٣٣١؛ إنباء المؤيّد ٤٧.

(٣) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ إنباء المؤيّد ٤٧.

(٤) يعرفه ابن علان والكتاب الذي قبله قائلًا: «هذا شرح لمنظومتي المسماة بـ«فتح المجيب» في نظم خصائص الحبيب ﷺ التي ضمنتها «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» للحافظ الحجة مجدد القرن التاسع ومجتهده الإمام الفريد... زيادة إيضاحها... وسميته «رفع الخصائص عن طلاب الخصائص»». انظر: في مكتبة السليمانية قسم لا له لي برقم (١٥٨٣)، ونسخة في مكتبة السليمانية: قسم الكتاب برقم (٢٠٩)، والناسخ أحمد بن عبد المنعم القاضي سنة (١٠٥١هـ). وهذه النسخة مكتوبة في حياة المؤلف، ونسخة في المكتبة المركزية بجامعة إستانبول تحت رقم AY (ا ب ـ ١٠٨ أ) والناسخ مصطفى سنة (١١٣١هـ). ونسخة في مكتبة السليمانية بغدادلي وهبي، برقم (١٢٤٥، ٨ ب ـ ١٦٨ ب)، تاريخ استنساخها سنة (١١٢٦هـ).

(٥) سماه المؤلف نفسه بهذا الاسم وقال: «... لخصته من مؤلفات القوم فجمعت في مولده أحسن مجموع فجاء جمعاً صحيحاً سالماً». وأتم تأليفه في (٢١ ربيع الأول سنة =

٩٠. حاتم الفُتُوّة في خاتم النبوّة[١].

٩١. الذُّخر والعدة في شرح البردة[٢].

حادي عشر. في التصوُّف:

٩٢. إتحاف أهل الإسلام والإيمان بِبيان أنَّ المصطفى لا يخلو عنه زمانٌ ولا مكان[٣].

٩٣. إتحاف الثِّقات في الموافقات[٤].

٩٤. التلطُّف في الوصول إلى التعرُّف[٥].

٩٥. رسالة في سكرات الموت[٦].

= ١٠٣٩هـ). وكتبت النسخة هذه سنة (١٠٤٣هـ) بمكة بمنازل بني مخزوم قيقعان بالقرب من منزل عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما، مِن قبل عبد القادر بن البدر الرفاعي. مكتبة السليمانية قسم بغدادلي وهبي رقم (١١٤٣، ٤٦ ب ـ ٧٣ ب).

(١) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ إنباء المؤيّد ٤٧.

(٢) وهو الكتاب الذي بين يدي القارئ.

(٣) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ إنباء المؤيّد ٤٧.

(٤) إنباء المؤيّد ٤٧.

(٥) طبع هذا الكتاب بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة (١٣٣٠هـ)، ١٤٤ صفحة. وقال المؤلف رحمه الله: «وكان انتهاء تسويده بعد ظهر يوم الاثنين سبعة عشر من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين بعد الألف بالمختفى القيقباني تجاه بيت الله الحرام». وتوجد منه نسخة في مكتبة مكة المكرمة قسم التوحيد رقم (١١٧). والتلطف في الوصول إلى التعرُّف، شرح كتاب في الأصلين والتصوف تأليف شيخ الإسلام أبي العباس أحمد ابن حجر الهيتمي الشافعي المكي.

(٦) إنباء المؤيّد ٤٨؛ المنهج التاريخي ١٢٢.

٩٦. رسالة في فضائل نصف شعبان[١].

٩٧. الرسالة النافعة[٢].

٩٨. رشف الرَّحيق من شرب الصّديق[٣].

٩٩. شرح منظومة السيوطي في موافقة القرآن[٤].

١٠٠. فتح الكريم القادِر ببيان ما يتعلَّق بعاشُوراء من الفضائل والأعمال والمآثر[٥].

١٠١. المواهب الفتحيّة على «الطريقة المحمديّة»[٦].

---

(١) إنباء المؤيّد ٤٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) خلاصة الأثر ٤/ ١٨٧؛ إنباء المؤيّد ٤٨.

(٤) إنباء المؤيّد ٤٩.

(٥) هدية العارفين ٢/ ١٢٨٣؛ إنباء المؤيّد ٤٩.

(٦) قال المؤلف في آخر هذا الكتاب: «وكان تمام تسويدي بعد الظهر يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وألف تجاه الكعبة الغراء في محلّي من المدرسة الأشرفية عند باب السلام، أحلني الله وآبائي وأولادي وإخواني من غير سابقة عذاب دار السلام آمين والسلام. تمت». ويبدو أن النسخة بخط المؤلف. راجع: مكتبة السليمانية، قسم السليمانية رقم ٧١٣ (١ ب ـ ٢٥٢ ب)، وللكتاب نسخ: في مكتبة السليمانية قسم فاتح رقم ٢٦٩١ (١ ب ـ ٣٢١ أ)؛ ورقم ٢٦٩٣؛ (١ ب ـ ٢٠٤ ب)؛ ورقم ٢٦٩٢ (١ أ. ٢٩٢ ب)، وقسم يازمه باغيشلر رقم ٢٥٣٢ (١ ب ـ ٣٧٦ ب) وقسم خرْبوط رقم ١٥ وقسم إسمخان سلطان ٢٨٢ (٢٥ ب ـ ٣٣ أ) نسخة ناقصة، وقسم يوزْغادْ رقم ٤٥٩ (أ ب ـ ٢١٣ أ) وقسم لا له لي رقم ١٤١٠ (اب ـ ٢٤٩ أ) وقسم بغدادلي وهبي رقم ٦٨٨؛ وقسم قيليج علي باشا رقم ٦٠٢ (١٠١ أ ـ ٣١٠ ب) ورقم ٦٠٣ (٣٠٠ أ ـ ٤٠٨ أ) وقسم محمود أفندي رقم ١٦٧٣ (١ ب ـ ٣٤٢ أ) والمكتبة المركزية بِجامعة إستانبول AY ١٨٦، =

١٠٢ . الفيض المقسوم على المختصر المرقوم[١].

١٠٣ . رفع اللبس عن عَرائس الأبواب الخمس «شرح الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي»[٢].

ولعل العبارة الموجودة في «مختصر نشر النَّور والزَّهر» لعبد الله مرداد (ص٤٦٦) تُشير إلى كتاب ابن علّان هذا: «وكانت بينه (ابن علّان) وبين شيخنا صفيِّ الدِّين القشاشي مكاتبة. وطلب من شيخنا أن يشرح له أبواباً مِن الإنسان الكامل فأجابه إلى ذلك...».

ومن المُؤلَّفات الّتي نُسبتْ إلى الشيخ محمَّد علي بن محمد علّان الصِّدِّيقي في بعض المراجع[٣]، وفي بطاقات بعض المكتبات: «مثير شوق الأنام إلى حجِّ

= وهي نسخة ناقصة. وفي مكتبة بايزيد العامة قسم ولي الدين أفنْدِي رقم ١٩٤٥ (٣٣٣ ورقة، المجلد الأول) ورقم ١٩٤٦ (٣٣١ ورقة، المجلد الثاني) وهذه النسخة تمتاز عن النسخ الأخرى بأنها مشكولة كل عباراتها؛ وقسم با يزيد برقم ١٤٧٤ (٢٧٢ ورقة) وفي الورقة ٢٧١ب: «وقع الفراغ من تتميم هذه النسخة ضحو الثلاثاء السادس عشر ذي الحجة الحرام ختام شهور سنة ثلاث وخمسين وألف». وفي الورقة ٢٧٢ أ: «حرره الفقير... سليمان بن محمد القره حِصار الشرقي الساكن بقرب جامع سلطان سليمان غازي خان... غفر الله له ولوالديه ولمن كان سبباً لكتابة هذه النسخة»، وفي الورقة (١ أ) «قد دخل (الكتاب) في سِلك ملك الفقير إليه سبحانه إبراهيم بن حمزة الشهير بـ«عشاقي زاده» عفي عنهما»؛ وقسم بايزيد برقم (١٤٧٥) وهي نسخة ناقصة وبرقم ١٤٧٦ (ا ب ـ ١٠٧ أ) وهي نسخة ناقصة أيضاً.

(١) أنهى المؤلف كتابه هذا ضحوة يوم الثلاثاء خامس صفر سنة (١٠٤٧هـ). انظر: مكتبة الحرم المكي الشريف، تصوف ٢٣٥٢ (ا ب ـ ٥٦) عام.

(٢) انظر: المختصر المرقوم في مكتبة الحرم المكي الشريف عام ٢٣٥٢ (الورقة ٣٥ أ).

(٣) انظر: معجم مؤلفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف لعبد الله بن عبد الرحمن المعلمي ٩٦.

بيت الله الحرام»، و«مفتاح البلاد في فضائل الغزو والجهاد»، إلّا أنّهما لمحمد علّان بن عبد الملك الصِّدِّيقي جدِّ أبي مؤلِّفنا، لا لهُ[1].

ج. دِراسة كتاب «الذُّخر والعُدّة في شَرح البُرْدة»:

سبق أن قُلنا: إنَّ قصيدة البردة؛ أي: «الكواكب الدريّة في مدح خير البريّة»، للإمام البُوصيريِّ مِن أشهر القصائد في العالم؛ لذا تناولها بِالشرح والترجمة علماء كثيرون؛ منهم: محمَّد بن أحمد بن مرزوق المغربي التِّلِمْسانِيّ (ت٨٤٢هـ/ ١٤٣٩م)، وله شرحان على البُردةِ، وعَرَّف شرحَيْه قائلاً: «... دعاني بعضُ إخواني مِن الأصحاب إلى التكلُّم على ما في القصيدة من لباب البديع والإعراب فأجبتهُ إلى ذلكَ، ووضعتُ فيه مجموعاً سَمَّيته بـ«الاستيعاب»، فوقع من الإخوان، لفضلهم، موقع التعظيم... فاستدعوا منِّي أن أضمَّ إلى ذلك التكلُّم عليها بالشرح ليقع التكميل... فوضعتُ عليها شرحاً يذلِّل من اللفظ صِعابهُ... وجعلتُ الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم... وسَميتُ المجموع المذكور بـ«إظهار صدق المودّة في شرح البُردةِ...»[2].

ومنهم: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (٨٥١-٩٢٣هـ/ ١٤٤٨-١٥١٧م) الذي لخَّص شرح التِّلمساني المذكور أعلاهُ وقال في مقدِّمة شرحه: «... اختصرتُ فيه شرحها للعلّامة الأستاذ المحقِّق أبي عبد الله محمَّد بن مرزوق المغربي التلمسانيِّ المالكي مع زيادات من غيره، كشرحها للإمام أبي العبّاس الأسدي والعلّامة الجلال المحلِّي وغيرهما، وسمَّيته: «مشارق الأنوار المُضيّة

---

(١) راجع لمخطوطتي هذين المؤلفين: مكتبة السليمانية قسم شهيد علي باشا تحت رقم ١٥٠٤، قسم آياصوفيا ٩٣٣.

(٢) راجع مكتبة السليمانية، قِسم لا له لي برقم ١٨٠٠ (٢ ب).

في شـرح الكواكب الدُّريّـة في مدح خير البريّـة...»[١].

ثمّ جاء مؤلّفنا محمّد علي بن محمّد علّان الصّدّيقي المكّي (٩٩٦-١٠٥٧هـ/ ١٥٨٧-١٦٤٧م) ولخص تلخيص القسطلاني السابق في كتابنا موضع الدراسة هذا، وقال في مقدّمته: «... وزدتُ فيه كثيراً من المزيد وقرّبتُ فيه المرام، رجاء عموم نفع المستفيد... وسَمَّيتهُ «الذُّخر والعُدّة في شرح البُرْدة»[٢].

١. مخطوطتا الكتاب ونسبتُهما إلى المؤلّف:

لم نجِد في المصادر المترجِمة لمحمّد علي بن علّان الصّدّيقي، والمَراجع المتعلقة بالموضوع اسم «الذُّخر والعُدّة في شرح البُردةِ»، بين مؤلّفاته حتّى في «خُلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمّد أمين المحبّي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، ـ وهو من أقرب المترجمين له زماناً ـ لم يُذْكَرْ ذلكَ، إلّا أنّهُ ذُكِرَ مُؤلَّفٌ متعلّقٌ بقصيدة البُردة لِلبُوصِيرِي، وهو المُسمّى بـ«النّفحات الأحديّة تصدير وتعجيز الكواكب الدرِّيّة». (أمِنْ تذكَر جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ)»[٣]. ولم نتيَقّن أنّه «الذُّخر والعدّة في شرح البُردة»، لاختلاف الاسم اختلافاً واضحاً.

وبعد بحثنا عن مخطوطات الكتاب، توصّلنا إلى نسختين من «الذُّخر والعُدّة في شـرح البُردة»، وكِلتاهُما مكتوبتان بِيد المؤلّف محمّد علي بن محمّد علّان الصِّدّيقي، وهُما:

النُّسخة الأولى: وهي النُّسخة التي رمزنا إليها بالحرف «س»، وهي نسخة

---

(١) مكتبة بايزيد برقم ٣٥٣٩ (١ ب).
(٢) راجع مقدمة شرح ابن علان هنا.
(٣) خلاصة الأثر ٤/ ١٧٨:
Sezer, Ismail Hakki, imam Busiri ve burdesi, 206 - 260.

موجودة في مكتبة السليمانية، قسم سَرْوِيلِي برقم (١٤٤)، ضِمن مجموع ـ الأوراق: (١١٢ ب ـ ١٦١ أ). جاءَ في بدايتها (١١٢أ) ما يدلُّ على أنّه خطُّ المؤلِّف: «الذُّخر والعُدّة في شرح البُردة، تأليف كاتبه مفسّر كتاب الله، خادم حديث رسول الله ﷺ محمّد علي بن علّان الصِّدِّيقي، لطف به مولاهُ». وفي الصَّفحة نفسِها بالرُّكن العُلوي تحت الورقة المُلْصَقة، تُقرأ هذه العبارة: «ملكه الفقير محمَّد الواعظ بجامع جَراح باشا في الإستانبول».

وجاءَ في نهايتها (١٦١ أ) أيضاً ما يُستدلُّ به على كون النُّسخة بخطِّ المؤلِّف. «بدأتُ في تأليفه يوم الأربعاء، ١٣ ذي القعدة سنة ١٠٤٣[1]. وأتممتهُ يوم السبت آخر يوم من الشَّهر المذكور، مع أشغال كثيرة وأمور غير يسيرة والمأمول من بحر كرم سيِّدنا رسول الله ﷺ القَبولُ والجائزةُ بالشَّفاعة ونيل خير الدّارين لي، ولأولادي، ولأحبَّائي، ولِلمسلمين. وكان ذلك بسكنى من جبل أبي قُبيس. تقَبله الله بِمنِّه. تمّ».

النسخة الثانية: هي التي رمزنا إليها بالحرف «ج»، ووجدنا هذه النسخة في المكتبة المركزيّة لجامعة إستانبول برقم (AY ٣٧٩١)، ضمن مجموع ـ الأوراق (١ب ـ ٥١ب)، ولكنَّها قد نُسبتْ في بطاقات المكتبة إلى بُروسَه لِي بالْدِيزْزادَه محمّد أفندي (ت١٠٦٠هـ ـ ١٦٥٠م) وكُتِب على ظهر النُّسخة (١ أ): «شرح قصيدة البُردة لِلتِّلمساني»، وهذا خطأ واضح، وبعدما قارنّا بين النسختين، تبيّن لنا أنّ الثانية نفس الأولى، وأنّها بخطِّ المؤلِّف أيضاً على غالب الظنّ. وممّا يدلُّ على ذلك هذه العبارة الموجودة في الورقة (١أ) من النسخة والمكتوبة بخطّ يشبه خط ابن علّان في النُّسخة الأولى «س»: «الذُّخر والعدّة في شرح البردة تأليف كاتبه

---

(١) في أصل النسخة «١٠٠٤٣» ولعله سهو القلم. والصواب ما كتبناه.

محمّد علي ابن علّان الصِّدِّيقي خادم السنّة النّبويّة. لطف الله بهما وبالمسلمين أجمعين، آمين».

وأظنُّ أيضاً أنَّ هذه النُسخة الثانية المرموز إليها بالحرف «ج» كُتِبَتْ بعد النُسخة الأولى، أي المرموز إليها بالحرف «س» من قبل محمَّد علي بن محمَّد علّان الصدِّيقي لِما وجدناه في الثّانية «ج» من تغييرات وتصحيحات يسيرة وإضافات قليلة جدًّا على عبارات النُسخة الأولى «س»، وأنَّ الخطَّ في الثّانية أحسن وأوضح وأنَّ كتابة الأبيات المستشهد بها منتظمةٌ مقارَنة بالأولى.

وينبغي لنا أنْ نُشيرَ إلى أنَّ ورقة أو ورقتين من آخر النُسخة الثانية «ج» ناقصة؛ فلذا لم نجدْ قيد الفراغ.

وتجدرُ الإشارةُ هُنا إلى أنّنا لم نجدْ نسخة من «الذُّخر والعدّة في شرح البُردة» في مكتبات مكّة المكرّمة، رغم جهدنا بالبحث فيها، بما أنّها مولد ومنشأ ومعاش المؤلِّف محمَّد علي بن محمّد علّان الصدِّيقي رحمه الله رحمةً واسعة. وتوجدُ نُسخة ثالثة من الكتاب في مكتبة جامعة برنستون ضمن مجموعة يهودا برقم: (٣٤٥٦)، وتقع في ٥١ ورقة، وتاريخ نسخها صفر، سنة (١١١٦هـ)، ولم نحظَ بالوقوف عليها.

٣. أسلوبهُ في الشّرح:

الأسلوب اللُّغوي لدى مؤلِّف كتابٍ جديرٌ بأن يطّلع عليه القارئُ لفهم ذلك الكتاب فهماً صحيحاً. فبيان ملامح الأسلوب يمهِّد الطَّريق للقرّاء ويكشفُ لهم الغُموضَ في كثيرٍ من المواضع؛ لذلك رأينا أنْ نقدِّم للقارئ الكريم كلمات عن أسلوب المؤلِّف في صياغة عباراته وكيفيّة الرّبط بينها.

وإذا نظرنا في شرح ابن علّان وجدنا الفرق بين أسلوبه اللُّغويّ في خطبة الكتاب وبين أسلوبه في شرح الأبيات، ويبدأ الفرق في اسم الشَّرح، فاختار الشارح «الذُّخر والعُدّة في شرح البُردة» عُنوانًا لِتأليفه، والسجع ظاهر في ألفاظ هذا العنوان، والميل إلى مثل هذا النَّثر المُسجَّع نشاهدهُ عند كثير من المؤلِّفين في تلك القرون، فسلكَ شارحنا ابن علّان هذا المسلكَ؛ لأنَّ أكثر النّاس مضطرُّون إلى اتِّباع ما حولهم مِن عاداتٍ وتقاليد. وكما سبق أنْ بيَّنا أنَّ شرح ابن علّان هذا هو ملخَّص لشرح القسطلاني؛ فلذلك نجده يشير إليه بكلمة الأصل عند اقتباساته منه، بينما يشيرُ إلى أسماء مَن اقتبس منهم من شُرّاح البُردة دون ذكر كتبهم، ونجدُ ابن علان ينتقد بعض عبارات البُوصيريّ في «الكواكب الدرّيّة» تارةً، وبعض عبارات شروحها تارةً أخرى، كما يشير إلى الفروق بين نسخ متن قصيدة البردة.

وأما أسلوبه في شرح الأبيات فغير ما كانَ في المقدِّمة، فالشّارح لا يكلِّف نفسه في تسجيع العبارات ونراهُ يشرحُ بعباراتٍ بسيطة، وهو يحاول أن يشرحَ أبيات البُردة وكلماتها بإفادة سهلة وبعبارة مُقنعة للقارئ، وبشرح مبين للمعاني، متناولاً التحليل الصَّرفي والنَّحوي لمتن القصيدة، ثمَّ يردف على ذلك تبيين النكت البلاغيّة عند مكانها، ونرى الشّارح أيضًا يبيِّن العلاقة المعنويّة بين كثير من الأبيات حين الانتقال من بيت إلى آخرَ. وقد يهملُ عادته هذه في بعض الأبيات، ويفسِّر الشّارح نفسه بعض الاصطلاحات الّتي أتى بها أحياناً.

وابن علّان يذكر أسماء المراجع الّتي نقل منها، ويذكر في بعض الأحيان نقطة انتهاء الكلام المنقول بكلمة «انتهى».

ومِن عادته أيضاً ذكرهُ أسماء مؤلَّفاته السابقة لهذا الشَّرح عن مناسبتها، كما نشاهد هذه العادة عند بعض المؤلِّفين الآخرين.

٤ . منهجه في الشَّرح:

٤/ ١ . من الناحية اللُّغوية: يشرح مؤلِّفنا من جهة المعنى أكثر الكلمات الواردة في قصيدة البُردة، والّتي يرى الحاجة لِتوضيحها، فيَأتي بِشرحٍ مناسبٍ لِكُلِّ حرف وفعل واسمٍ عند اللُّزوم كما يبيِّن أسماء الأماكن متى ما وردت.

٤/ ٢ . **من النّاحية النحويّة والصَّرفيّة:** يتناول الشّارح الكلمات والجمل ويبينُها من جهة القواعد النَّحوية والصَّرفية. ويحلِّل الكلمات أولاً من ناحية الصَّرف ثمَّ من ناحية القواعد النَّحويّة كما يبيِّن معاني الحروف ويبيِّن لكلِّ معرَبٍ من الكلمات أو لكلِّ جملة محَلَّها من الإعراب مِن رفع ونصب وجرّ.

يُوردُ مؤلِّفنا آراء سابقيه مِن علماء النَّحو ثمَّ يتناولها بالانتقاد أحياناً.

٤/ ٣ . **من الناحية البلاغيّة:** والمقصود هنا بـ«البلاغة» علم البيان، وعلم المعاني وعلم البديع، ويشرح ابن علّان أبيات البُردةِ من نواحي هذه العلوم، ويُشير إلى كلِّ نقطة مهمّة ومتعلِّقة بالمواضع البلاغيّة. وعند التفحُّص يرى القارئُ بعد شرح الكلمات من النّاحية الصّرفية والنَّحويّة انتقال المُؤلِّف إلى النّاحية البلاغيّة وذكرهُ الحقيقة، والمجاز والتشبيه، والكناية، والإنشاء والخبر، والجناس والتورية والتجريد والالتفات... في مواضعها. كما يذكر القيود اللّازمة للشرح الأفضل نحو: «الاستعارة التصريحيّة، والمكنيّة، والمرشّحة، وذكر المحلّ وإرادة الحال». ويمكن القول: إنَّ شرح ابن علّان وأمثاله ساحة للتَّمرين ولتطبيق القواعد الصَّرفيّة والنَّحويّة والبلاغيّة لطلّاب هذه العُلوم ولِمن يريد أن يتمرَّن عليها.

٤/ ٤ . من ناحية العلوم الدينية والعلوم الأخرى: قد ذكرنا عند بحث حياةِ ومؤلَّفات ابن علّان العلوم التي اشتغل بها. فهو يأتي بالآيات والأحاديث والأشعار والأمثال المتعلِّقة بالكلمة أو الجملة المشروحة كما استفاد في الشَّرح من علم الكلام وعلم الهيئة والجغرافيا وينقل أيضاً أقوال الصُّوفية عند الحاجة.

٢. منهجي في التَّحقيق:

التزمنا النقاط التالية في تحقيق «الذُّخر والعدّة في شرح البُردة»؛ تسهيلاً لحصول الفائدة منه:

١. حصلنا على نسختين فقط من كتاب «الذُّخر والعُدّة في شرح البُردة» بعد التحرِّي. وقد ذكرنا وصفهما: ولم نتَّخذ إحداهما دون الأخرى أساساً للتحقيق بل اعتمدنا على كِلتيهما لما تحقَّق لنا أنَّهما بخط المؤلِّف بعدّة دلائل ذكرناها. وأوضحنا بدايات الصَّفحات من المخطوطتين بذكر الأرقام داخل النَّص المحقَّق. ورمزنا للنسخة «س» بالأرقام [١، ٢، ٣...] وللنسخة «ج» بالأرقام [1,2,3,....] للتفريق بينهما.

٢. وضعنا العبارات الّتي وُجدَتْ في إحدى النُّسختين دُون الأخرى بين قوسين بالإشارة إلى نسختها في الهامش.

٣. أشرنا إلى وجود الكلمات في نسخة دون الأخرى بعلامة (+)، وإلى عدم وجودها بعلامة (-) في الهامش.

٤. وجدنا الشّارح ابن علّان يأخذ كلمةً أو كلمتين من أبيات البُوصيري ويكتبها بِمداد أحمر، ويشرحها على حدة دون أن يكتب تمام البيت، فكتبنا تمامه قبل شرح ابن علان. وذلك لإمكان قراءة البيت قبل الشَّرح تسهيلاً للفهم وتتميماً للغاية.

ووضعناهُ بين قوسين مربَّعين ليدلَّ ذلك على أنّه من إضافات المحقِّق، لا من أصل المخطوطة كما فعلنا في كلِّ ما أضفناهُ مِن العبارات في نصِّ الكتاب لنساعد في توضيح العبارة وتسهيل فهم المعنى عند الحاجة، وكتبنا كلمات نصِّ «قصيدة البُردة» بلون فاحم (بنصّ أسود).

٥. جعلنا قصيدة البُردة فُصولاً ووضعنا اسماً لكلٍّ فصل بالاستفادة مما فعل شُرّاح القصيدة الآخرون.

٦. رقَّمنا أبيات البُوصيري تسهيلاً للاستفادة منها، مع أنّها لم تُرَقَّمْ ولم تقسَّمْ إلى فصول في النُّسخة المحقّقة.

٧. اعتمدنا النُّسخة المحقَّقة من قِبل محمَّد سيِّد كيلاني في كتابةِ أبيات «الكواكب الدرِّية في مدح خير البرية».

٨. خرَّجنا شواهد الكتاب من الآيات الكريمة والأحاديث الشَّريفة والأشعار بالرُّجوع إلى مصادرها ومراجعها قدر الاستطاعة.

٩. وضعنا الآيات الكريمة بين قوسين زهراوين في المتن، ثمّ كتبنا اسم السُّورة ورقم الآية بين معقوفتين.

١٠. كتبنا رقم الصَّفحة فور ذكر اسم المرجع أو اختصاره إن كان مجلَّداً واحداً، وإلّا فكتبنا أوّلاً رقم المجلّد فرقم الصَّفحة.

١١. عرَّفنا بأسماء الأماكن والأعلام والمُصطلحات الفنية والكتب الواردة في نصِّ «الذُّخر والعُدّة في شرح البُردة» تعريفاً موجزاً كافياً في الهوامش. واستعنّا بالمصادر المتعلِّقة بكلٍّ منها مثل كتب التراجم والتاريخ والمعاجم والتفسير والموسوعات. وكتبنا هذه التعريفات في أوَّل موضع لها في الكتاب، وحاولنا الوقوفَ على المصادر الّتي استقى منها المؤلِّف شواهده.

١٢. وأمّا ما أُهمِل في المخطوطتين من التَّنقيط أحياناً في بعض الحروف، فأثبتنا ذلك ولم نُشر إليه في الحاشية، ومثل ذلك ما يتعَلّق بالهمزة، فأهملنا الطَّريقة التي تعوَّد عليها النُّسّاخُ في القرون السابقة، مثل: كتابة «السايل» و«القايل» فأثبتنا الهمزة في هذه المواضع وغيرها حيث يقتضي الأمرُ بحسب الرَّسم الإملائي

المتعارَف عليه اليوم. ولم نشرْ إليها أيضاً في الحاشية، كما قُمنا بضبط الكلمات التي تحتاجُ إلى الضَّبط بالحركَات.

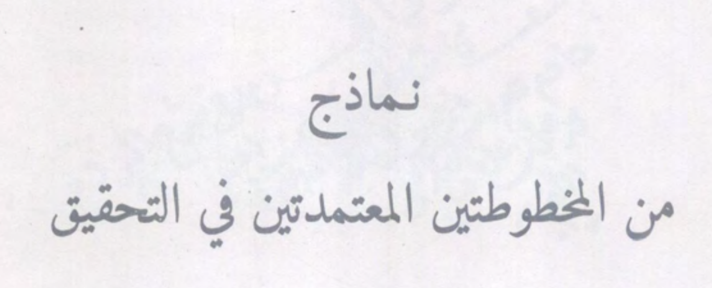
١٣. استخدمنا بعض الرُّموز والاختصارت وبينّاها في أوّل الكتاب.

١٤. حوّلنا المختصرات والرُّموز التي أوردها ابنُ علّان مختصرةً إلى صورة مفصّلة نحو «المص» فكتبنا «المصنف».

١٥. أتينا بفهارس فنية مختلفة في آخر الكتاب ليستفيد منها القارئ بسهولة.

١٦. أشرنا بنقاط بين تنصيصين مثل: «...» إلى ما اختصرناه من المراجع.

* * *



نماذج

من المخطوطتين المعتمدتين في التحقيق



طرّة مخطوطة سرويلي (س)

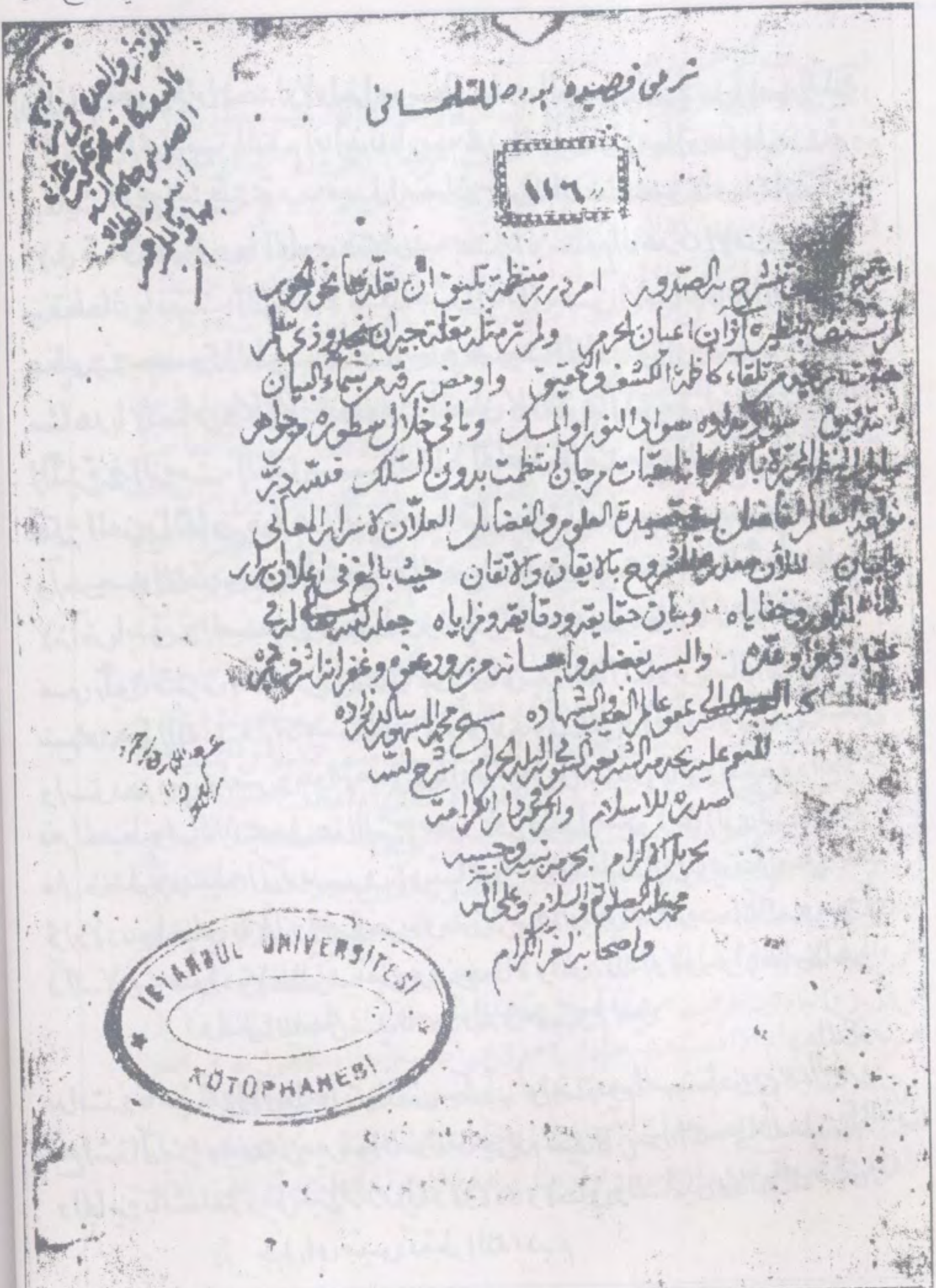
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي شرح بمدح نبينا صلى الله عليه وسلم منا القلوب وجعل ذلك ذخرا
وعدة لنا لحوز المطالب وبردة معدة لكشف الكروب احمده سبحانه وتعالى
حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه واشكره شكرا يزيد صاحبه من الخير الا هو كما يحبه
ويرتضيه واشهد ان لا اله الا الله الواحد الاحد واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الذي لم يكن له في كمال الممكنات كفوا احدا
صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه وعلى ابائه واخوانه الانبياء وعلى آله
وصحبه وتابعيهم وارثيه العلماء الاتقياء ما ريحت عذبات البان ريح صبا واطرب
العيس حادي الحادي لك البيداء اما بعد فهذا تعليق لطيف وترصيف قريب
منيف على القصيدة المنبئة عن كمال المودة المسماة بالبردة للعارف بالله العالم
العامل المحب الاواه شرف الدين ابي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري اثابه الله
من بحر البسيط من عروضه وضربه المخبونين لخصته من شرح المحدث الشهير والعلم
المنشور ذي الفضل الكبير ابي العباس احمد بن ابي بكر القسطلاني الملخص هو من شرح
المحقق المدقق ابن مرزوق المغربي التلمساني وزدت فيه كثيرا من المزيد وقربت فيه المرام
رجاء عموم نفع المستفيد وجعلته احمولة على ابواب كرم سيد المرسلين ووسيلة
الى نيل شفاعته وعنايته في الدنيا ويوم الدين وارجوا من شريف كرمه القبول وحوز
القصد والسول جعله الله عنده مقبولا وبلحظات قبوله مشمولا امين وسميته
الذخر والعدة في شرح البردة امن بفتح همزة الاستفهام اي طلب حصول صورة
في الذهن بالكلمة الموضوعة له وبكسر الميم ابتدائية ويحتمل كونها تعليلية تذكر بفتح
الاولين وضم الكاف مشددة تفعل من الذكر الحضور بالقلب بعد النسيان والظرف
متعلق بمزجت والمصدر مضاف الى قوله جيران بكسر الجيم جمع جار وياؤه منقلبة
عن واو لسكونها وانكسار ما قبلها بذي سلم موضع بين مكة والمدينة قريب
من قديد والباء فيه ظرفية صفة جيران متعلق بمحذوف اي كائنين ولما كان لا يلي
همزة الاستفهام الا المستفهم عنه من فعل في نحو اضربت زيدا او مفعول به في نحو
ازيدا ضربت وكان المستفهم عنه هنا ابتداء المزج او سببه اولاه الهمزة ولم يولها المزج
لعدم تحققه فقال مزجت بفتح التاء اي خلطت جملة مستانفة لا محل لها من
الاعراب ثم قيل هو تجريد ان قصد ولو ادعاء ان صفة المزج الحاصلة له قد بلغت الحد

الصفحة الأولى من مخطوطة سرويلي (س)

ان القلب معمور بذكر الاحبة اولا واخرا ووسطا حادي العيس اظهر في محل الاضمار للتلذذ
بذكر عيس المحبوب بالنغم اي ايذن يا رب لحدي الصلوة وادمها وصل عليه مدة
ابقايك الريح الشرقية تهب فيميل اغصان شجر البان عند هبوبها ومدة ابقاء
الابل تساق فيحدو بها الحادي فتطرب بحدايه ومعلوم ان هذين الامرين لا
ينقطعان ما بقيت الدنيا وفي هذا احسن ايماء الى حسن الاستماع فان للابل خاصية
عظيمة في حصول الطرب لها عند سماع صوت الحادي وذلك معلوم بالاخبار
مشاهد بالابصار وكلما كان الصوت احسن كان طربها اكثر حتى انها لتقطع المسافة
الكثيرة في الزمن القليل بسبب النشاط الحاصل لها عند سماع الصوت الحسن
حكمة العزيز القادر وفي هذا البيت وما قبله براعة الختام وسماه بعضهم حسن القطع
وآخر حسن الخاتمة وهو في الشعر ختم القصيدة باجود بيت يحسن السكوت عليه
لانه آخر ما يبقى في السمع وربما حفظ دون غيره لقرب عهده فان كان مختارا جبر ما
عسى يكون قبله من التقصير والاعمال بخواتيمها وبيد الله المقادير فاسال الله تعالى بجاه
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يحسن الخاتمة لي ولوالدي ولمشايخي ولاولادي ولاحبابي وللمسلمين
واستودعه ديني ونفسي وخواتيم عملي وما انعم به علي والمسلمين فانه لا يضيع ودائعه وهو
نعم الحفيظ واساله ان يجعل هذا الشرح معتبرا وبالقبول مشمولا من الذي كتب اجبوله
على فضله ووسيلة الى كرم سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان يمن علي وعلى والدي
واولادي واحبابي بالانشراح في حزبه وحوز قربه في الدارين انه الرب المالك وهو ولي
ذلك لا رب سواه ولا مطلوب غيره ولا غير عطاه والحمد لله اولا واخرا باطنا وظاهرا
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين

المذكور
بدأت في تاليفه يوم الاربعا ١٣ ذي القعدة سنة ١٠٤٣ واتممته يوم السبت احد يوم من الشهر
مع اشغال كثيرة وامور غير يسيرة والمامول من بحر كرم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القبول
والجايزة بالشفاعة ونيل خير الدارين لي ولاولادي ولاحبابي والمسلمين وكان ذلك ببلدي من
جبل ابي قبيس تقبله الله بمنه م

الصفحة الأخيرة من مخطوطة سرويلي (س)


شرح قصيدة بردة للتلمساني

١١٦

[illegible] شرح [illegible] الصدور امرر منتظمة تليق أن تعلق [illegible]
[illegible] آذان اعيان الحرمين ولمرر متلألئة تجيران [illegible]
[illegible] كاظمة الكشف والتحقيق واومض برقه [illegible] والبيان
[illegible] سواد النور او المسك وما في خلال سطوره جواهر
[illegible] حبات مرجان لم تنظمت بدون السلك فقد [illegible]
[illegible] العالم الفاضل [illegible] العلوم والفضائل العلامة لاسرار المعاني
والبيان [illegible] بالايقان والاتقان حيث بالغ في اعلان اسرار
[illegible] وخفاياه وبيان حقايقه ودقايقه وزاياه جعل [illegible]
[illegible] والبسه بفضله [illegible]
[illegible] عالم الغيب والشهاده [illegible] محمد [illegible] زاده
[illegible] الحرام شرح [illegible]
[illegible] للاسلام [illegible] الكرامة
[illegible] الكرام [illegible]
[illegible] الصلوة والسلام وعلى آله
واصحابه [illegible] الكرام

طرّة مخطوطة جامعة إستانبول (ج)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح بمدح نبينا صلى الله عليه وسلم منا القلوب وجعل ذلك دعوة لنا لحوز المطالب وبردة معدة لكشف الكروب • أحمده سبحانه وتعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه • واشكره شكرا يزيد صاحبه من الخير الإلهي كما يحبه ويرضيه • وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد • وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الذي لم يكن له في كمال الممكنات كفوا أحد • صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه • وعلى آبائه وإخوانه الأنبياء • وعلى آله وصحبه وتابعيهم ووارثيه العلماء الأتقياء • ما رنحت عذبات البان ريح صبا • وأطرب العشاق حادي الحان ذلك النبا • أما بعد فهذا تعليق لطيف وترصيف غريب مشتمل على القصيدة المنبئة عن كمال المودة • المسماة بالبردة • للعارف بالله [illegible] المحب الأواه • شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري [illegible] من بحر البسيط من عروضه وضربه المخبونين • لخصته من شرح المحدث الشهير [illegible] المشهور ذي الفضل الكثير أبي العباس أحمد بن أبي بكر القسطلاني • الملخص من شرح المحقق المدقق ابن مرزوق المغربي التلمساني • وزدت فيه كثيرا من المزايد وقربته [illegible] رجاء عموم نفع المستفيد • وجعلته أحبولة على أبواب كرم سيد المرسلين [illegible] نيل شفاعته وعنايته في الدنيا ويوم الدين • وأرجو من شريف كرمه القبول [illegible] القصد والسول • جعله الله عنده مقبولا • وبلحظات قبوله مشمولا [illegible] آمين • وسميته [illegible] الذخر والعدة • في شرح البردة • أمن بفتح همزة الاستفهام أي هل حصول صورة في الذهن بالكلمة الموضوعة له وبكسر الميم ابتدائيه [illegible] تحليليه تذكر بفتح الأولين وضم الكاف مشددة تفعل من الذكر الحضور [illegible] بعد النسيان والظرف متعلق بمحذوف [illegible] مضاف إلى قوله جيران بكسر الجيم جمع جار وياؤه منقلبة عن واو لسكونها وانكسار ما قبلها [illegible] موضع في [illegible] المدينة قريب منها [illegible] والباء في [illegible] والظرف صفة جيران متعلق بمحذوف

الصفحة الأولى من مخطوطة جامعة إستانبول (ج)

للعاصي كما بينا وهذه القصيدة مشتملة على انواع التغزل توبيخ النفس الوعظ
مدحه صلى الله عليه وسلم ذكر بعض المعجزات على اختلاف انواعها مدح القرآن العظيم
مدح الصحابة رضي الله عنهم ذم الكفار توبيخ النفس ايضا الاقرار بالذنب ذكر معتصمه
في الخلاص من الاثام وختمها بالدعاء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رب حقق رجائي واسمع دعائي واحصل رجائي في العفو والفضل [illegible]
عندك يوم القيمة حيث الثواب والعقاب و[illegible] اي ظني الجميل فيك من عفو
الزلات وازالة المثوبات مما اعلمته من بحر الكرم وسالت بالنبي صلى الله عليه وسلم ان
يكرمني به [illegible] ذلك الظن اي غير ناقص لذلك بل اجرى على حسن التقدير
الذي حسبته ويكون حالي كما قال من قال

وانى لارجو الله حتى كانني ارى بجميل اللطف ما الله صانع

[illegible] الدنيا والاخرة [illegible] اي لعبدك ويعني نفسه
[illegible] والتنوين للتقليل او للتحقير كما يومي اليه وصفه بقوله [illegible]
وتحل بساحته وتطلب [illegible] تلقيتها ينهزم اي يولي ويذهب ولا يبقى
منه بقيه ففيه استعارة مكنيه تتبعها استعارة تخييليه شبه الصبر بجبان لا يثبت
عند الحروب فالتشبيه المضمر مكنيه واثبات الانهزام تخييليه و[illegible] صلاة
من اضافة الصفة لموصوفها ووصفها بقوله [illegible] لتعظيمها وتعظيمها اذ لا يصدر
من العظيم الا ما كان [illegible] دايمة بالحضرة صلاة وتقدير وسلام لكراهة افراد احدهما
عن الاخر كما قاله النووي في شرح مسلم وان نازع فيه ابن الجزري [illegible] النبي محمد صلى الله عليه
وسلم [illegible] اي [illegible] منها من الصلوات اي منصب [illegible] منها
اي سائل [illegible] صلى الله وسلم عليه بالمطر لا [illegible] تعالى على نبيه رحمته
والمطر رحمة وادرج بعضهم هنا بيتا حسنا لا باس به وهو

واله العز والصحب الذين علوا له اهل الصفا والوفا والجود والكرم

[illegible] انهلت وما مصدرية ظرفية [illegible] اطراف سحر

الصفحة الأخيرة من مخطوطة جامعة إستانبول (ج)

الروض المليح من شروح بردة المديح (٣)

الذخر والعدة في شرح البردة

تأليف
الإمام محمد علي بن محمد علان الصديقي المكي
٩٩٦-١٠٥٧ هجرية
رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور أحمد طوران آرسلان

[مُقدِّمةُ الشّارِحِ]

[1 b]
[١١٢ ب]

/ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذي شَرَحَ بمَدْحِ نَبِيِّنا ﷺ مِنّا القُلوبَ، وجَعَلَ ذلكَ ذُخراً وعُدّةً لَنا لِحَوْزِ المَطالِبِ وبُردةً مُعَدّةً لِكَشْفِ الكُروبِ، أحمَدُهُ سُبحانَهُ وتَعالى حَمْداً كَثيراً طَيِّباً مُبارَكاً فيهِ، وأشكُرُهُ شُكْراً يَزيدُ صاحِبَهُ مِنَ الخَيرِ الإلهيِّ، كَما يُحِبُّهُ ويَرتَضِيه.

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ الواحِدُ الأحَد، وأشهَدُ أنَّ سَيِّدَنا ونَبِيَّنا مُحمَّداً ﷺ عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الَّذي لَم يَكُنْ لهُ في كَمالِ المُمكِناتِ كُفواً أحَد[١]، صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَليه، وزادَهُ فضْلاً وشَرَفاً لَدَيه، وعلى آبائِهِ وإخوانِهِ الأنبياء، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وتابِعِيهِ ووارِثِيهِ العُلَماءِ الأتقِياء، «ما رَنَّحَتْ عَذَباتِ البانِ رِيْحُ صَباً، وأطرَبَ العِيسَ حادِي»[٢] ألحان ذلكَ النَّبا[٣].

أمّا بَعدُ؛

فهذا تَعليقٌ لَطيفٌ وتَرصِيفٌ قَريبٌ مُنِيفٌ على القَصِيدةِ المُنبئةِ عَن كَمالِ المَودّةِ المُسَمّاةِ بـ«البُرْدة» لِلعارِفِ باللهِ العالِمِ العامِلِ المُخْبِتِ الأوّاهِ

---

(١) س: أحداً.

(٢) اقتباس من آخر بيت في «البردة».

(٣) أي: النبأ، وخُفِّفَ الهمزُ لمناسبة السّجع في فاصلة العبارة السّابقة، وهي: الصّبا.

شَرَفِ الدِّينِ أبي عَبدِ الله مُحمَّدِ بنِ سَعِيدِ بنِ حَمّادٍ البُوصِيريّ[١] أثابَهُ اللهُ مِن بَحْرِ البَسِيطِ[٢] مِن عَرُوضِهِ[٣] وضَرْبِهِ[٤] المَخبُونَين[٥].

لَخّصْتُهُ مِن شَرْحِ المُحدِّثِ الشَّهِيرِ والعَلَمِ المَنشُورِ ذِي الفَضْلِ الكَبِيرِ أبي العَبّاسِ أحمَدَ بنِ أبي بَكْرٍ القَسْطَلانِيّ[٦] المُلَخّصِ هو مِن شَرْحِ المُحَقّقِ

---

(١) هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصّنهاجيّ، الدّلاصيّ، البوصيري (٦٠٨-٦٩٤هـ/ ١٢١١-١٢٩٤م). نسبته إلى أبوصير. وأصله من المغرب من قلعة حماد، ولد بدلاص، ونشأ في أبوصير وتوفي بالإسكندرية. صوفي، ناظم. وأشهر قصائده «الكواكب الدّريّة في مدح خير البرية» المعروفة بـ«قصيدة البردة». نشر ديوانه محمد سيد كيلاني بالتحقيق والتعليق. (معجم المؤلفين ١٠/ ٢٨. وراجع مقدمة التحقيق في هذا الكتاب).

(٢) هو أحد البحور الخمسة عشر التي ابتكرها الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٤هـ) وتفعيله: (مستفعلن فاعلن) أربع مرات، مرتين في كل شطر. (مجدي وهبة ٤٥).

(٣) والعروض: في علم العروض العربي آخر تفعيلةٍ في صدر البيت العربي.

(٤) والضرب: هو في العروض العربي آخر تفعيلةٍ في عجز البيت العربي.

- وقصيدة البردة على بحر البسيط (مستفعلن - فاعلن) أربع مرات. وتقطيعه:

أمن - تذك - كر - جي - ران - بذي - سلم/ مزجت دم - عا جرى - من مقلة - بدم (مفاعلن - فعلن - مستفعلن - فعلن - مفاعلن - فعلن - مستفعلن - فعلن. (عمر الخربوتي، عصيدة الشّهدة شرح قصيدة البردة ٥).

(٥) يراد بالخبن في العروض العربي حذف الثاني الساكن (أي فاعلن تصبح فعلن) (مستفعلن تصير متفعلن إلى مفاعلن). ومثاله قول الشاعر:

لقد خلتْ حقبٌ صروفُها عجبٌ ... فأحدثتْ عبراً وأعقبتْ دولا

و تقطيعه:

لقدخلت-حقبن-صروفها-عجبن ... مفاعلن - فعلن - مفاعلن - فعلن

وهكذا. (مجدي وهبة ١٨).

(٦) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي القسطلاني (٨٥١-٩٢٣هـ/ ١٤٤٨-١٥١٧م)، المصري الأصل، الشافعي، ويعرف =

المُدَقِّقِ ابنِ[(١)] مَرزُوقٍ المَغرِبِيِّ التِّلِمْسانِيِّ[(٢)]. وزِدْتُ فيهِ كَثِيراً مِنَ المَزِيد. وقَرَّبتُ فيهِ المَرامَ رَجاءَ عُمومِ نَفْعِ المُستَفيد. وجَعَلْتُهُ أُحبُولَةً[(٣)] على أبوابِ كَرَمِ سَيِّدِ المُرسَلِينَ، ووَسِيلةً إلى نَيلِ شَفاعَتِهِ وعِنايَتِهِ في الدُّنْيا ويَومِ الدِّين. وأرجُو مِن شَرِيفِ كَرَمِهِ القَبولَ، وحَوْزَ القَصْدِ والسُّول. جَعَلَهُ اللهُ عِندَهُ مَقبُولاً، وبِلَحظاتِ قَبُولِهِ مَشمُولاً، آمِينَ، وسَمَّيتُه:

«الذُّخْرَ والعُدَّةَ في شَرْحِ البُرْدة».

* * *

= بالقسطلاني (شهاب الدين، أبو العباس) محدث، مؤرخ، فقيه، ومقرئ ولد بمصر في ذي القعدة، ونشأ بها. وقدم مكة، وتوفي بالقاهرة في المحرم. من تصانيفه: «إرشاد الساري على صحيح البخاري» في نحو عشرة أسفار كبار، «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، «فتح الداني في شرح حرز الأماني» في القراءات، «منهاج الابتهاج بشرح مسلم بن الحجاج» في ثمانية أجزاء كبار، و«منحة من منح الفتح المواهبي تنبئ عن لمحةٍ من سيرة أبي القاسم الشاطبي». (أنظر: معجم المؤلفين ٢/ ٨٥-٨٦).

(١) س: بن.

(٢) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن المرزوق، الحفيد، العجمي، التلمساني (٧٦٦-٨٤٢هـ/ ١٣٦٤-١٤٣٩م)، فقيه، أصولي، محدث، مفسر، صوفي، مقرئ، لغوي، بيانيّ، عروضيّ، ناظم. ولد بتلمسان، ورحل إلى الحجاز والمشرق، وتوفي بتلمسان. من تصانيفه: أنوار الذراري في مكررات البخاري، وروضة الأريب في شرح التهذيب، ونور اليقين في شرح أولياء الله المتقين. وله شرحان على البردة: «الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب» و«إظهار صدق المودّة». (الأعلام ٥/ ٣٣١؛ معجم المؤلفين ٨/ ٣١٧).

(٣) أحبولة جمعها أحابيل: المصيدة.

[الفَصْلُ الأَوَّل]

[في عِشْقِ رَسُولِ الله ﷺ(١)]

---

(١) قال الخربوتي في شرحه (ص ٤٢): «يجب أولًا نقل بعض أحوال الناظم وسبب تأليف هذه القصيدة المشتملة على مدائح النبي أبي القاسم، وبيان الشروط المبيّنة في قراءتها، والوجوه المذكورة في تسميتها، وبيان بعض تأثيراتها ليرغب الناس في تعظيماتها:
اعلم أن الناظم الفاهم - رحمه الله - كان ساكناً بمصر، واسمه محمد البوصيري، نسبته إلى بوصير، قرية من قرى مصر. وكان - قدس الله سره - عالماً بالعلوم العربية، فصيحاً في غاية الفصاحة، وبليغاً في نهاية البلاغة، بل لا يوجد له مثيل ولا نظيرٌ في الفصاحة والبلاغة في الجمّ الغفير. وكان - قدَّس سرّه - في بداية عمره من مقربي السلاطين، وكان مقبولاً عندهم ومرغوباً فيما بينهم وكان يصفهم بالأبيات والأشعار الفصيحة، ويهجو أعداءهم بالأوصاف الفظيعة. وكان قد جاء يوماً من عند أحد السلاطين إلى بيته، فدخل السكة، فصادف شيخاً مليحاً، فقال الشيخ له: أأنت رأيت رسول الله ﷺ الليلة في المنام؟ قال البوصيري: إني لم أر النبي في تلك الليلة. لكن امتلأ قلبي من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه السلام. فجئت إلى بيتي، فنمت. فإذا أنا رأيت رسول الله ﷺ مع الأصحاب، كالشمس بين النجوم، فانتبهت وقد ملئ قلبي بالمحبّة والسرور، ولم يفارق بعد ذلك قلبي محبة ذلك النور، وأنشدت في مدحه قصائد كثيرة، كالمضرية والهمزية.
ثم قال الإمام: أصابني خلطُ فالجٍ، فأبطل نصفي وقطعني عن الحركة، ففكرت أن أعمل قصيدة مشتملة على مدائح النبي ﷺ وأستشفي بها من الله تعالى، فأنشدت هذه القصبدة ونمت، فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام في المنام، فقرأت عليه - عليه السلام - هذه القصيدة على التمام. فمسح بيده الكريمة على أعضاء الحقير، فقمت من المنام ملابساً بالعافية من الآلام. فخرجت من بيتي غدوة، فلقيني الشيخ أبو الرجاء، الصّديق لي. فقال لي: يا سيدي هات قصيدتك التي مدحت بها النبي عليه السلام، والحال أني لم أكن أعلمت =

= بها أحداً من الناس، فقلت: أيّ قصيدة تريد؟ فإني مدحته عليه السلام بقصائد كثيرة. فقال: التي أولها:

أمن تذكّر جيرانٍ بذي سلمٍ مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

فقلت: من أين حفظتها يا أبا الرجاء، وما قرأتها على أحد ممن إليّ جاء؟ فقال: لقد سمعتها البارحة تنشدها بين يدي النبي ﷺ وهو يتمايل ويتحرك استحساناً تحرّك الأغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح، فأعطيته إياها فنشر الخبر بين الناس.

ثم اعلمْ أنه يلزم في قراءتها على الوجه المرضي شروط لتكون مؤثرةً فيما قرئت له:

أولها: التوضي.

وثانيها: استقبال القبلة.

وثالثها: الدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها.

ورابعها: كون القارئ عالماً بمعانيها؛ لأن الدعوات لو لم يكن القارئ عالماً بمعانيها، لا يكون فيها تأثيرات كما أشار إليه علي القاري في مقدّمة حزبه الأعظم بقوله: «فعليك بحفظ مبانيه والتأمل في معانيه».

وخامسها: قراءتها بالنظم؛ لأنها وردت منظومةً لا منثورةً.

وسادسها: حفظها.

وسابعها: أن يكون القارئ مأذوناً بقراءتها من أهلها.

وثامنها: قراءتها مع التصلية على النبي عليه السلام، لكن يلزم أن تكون التصلية بالصلاة التي صلى بها الإمام البوصيري وهي:

مولاي صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

لا بغيرها، وإلا فلا تكون مؤثرة. كما روي أن الإمام الغزنوي كان يقرأ هذه القصيدة في كل ليلة ليرى النبي عليه السلام في منامه، ولم توفق له الرّؤيا فشكا ذلك إلى الشيخ كامل وسأله عن سره، فقال الشيخ: لعلك لا تراعي شرائطها. فقال: بل أراعيها. فراقب الشيخ، فقال بعدها: وقفت عل سره وهو أنك لا تصلي بالصلاة التي صلى بها الإمام البوصيري. إذ هو يصلي عليه ـ عليه السلام ـ بقوله:

مولاي صلِّ وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

وسر تصليته بهذه الصلاة دون غيرها أنه لما أنشدها قرأها عليه ـ عليه السلام ـ ولما جاء إلى =

[١. أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمٍ[1] مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ][2]

= قوله: «فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ» وقف الإمام فيه، فقال عليه السلام: «اقرأ»، فقال الإمام: إني لم أوفق للمصراع الثاني لهذا البيت يا رسول الله! فقال عليه السلام: قل يا إمام: «وأنّه خير خلق الله كلِّهم». فأدرج الإمام هذا المصراع الذي قرأه عليه السلام صلاته، وكرره في آخر كل بيتٍ لشدة حرصه وكمال محبته للنبي عليه السلام. كذا قال في شرح هذه القصيدة المسمّى بـ«الشفا».

وتاسعها: الصلاة بتلك الصلاة في تمام كل بيت.

ثم إنهم بينوا تأثيراتها، قال الشارح الشهير بشيخ زاده: «حكاية ما شوهد من بركاتها في الكتب مشهورة عند جماهير الأنام، فأغناني عن الإكثار في وصفها وإطالة الكلام...». انتهى كلام الخربوتي.

وقد رأيت البيت التالي في أول قصيدة البردة في بعض النسخ:

الحمد لله مُنشِئْ الخلقِ من عدمٍ ثم الصلاة على المختار في القدم

(١) «... وفي البيت الأول التصريع. وحقيقته في علم العروض أن يوافق العروض الضرب في الشيء الذي يختص بالضرب...». (إظهار صدق المودة في شرح البردة لابن مرزوق التلمساني، مكتبة السليمانية، قسم لا له لي رقم ١٨٠٠ الورقة ١٣ أ).

«التصريع»: وهو أن يجانس الشاعر بين العروض (آخر تفعيلة في الشطر الأول) والضرب (آخر تفعيلة في الشطر الثاني) وزناً وقافيةً، كقولنا مثلاً: في ملحمة لبنان:

سألتني الورقاء: فيم الملام؟ قلت: لبنان يعتريه خصام

فالعروض (ملام)، والضرب (خصام) وكلاهما على وزن (فعولن). ولهما نفس الرّويّ (الميم). ثم يأتي البيت الثاني وحتى آخر أبيات القصيدة بدون تصريع». (الجامع لفنون اللغة العربية والعروض لعرفان مطرجي، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م، ص ٢٦٠).

«... وكل بيت مصرع فعروضه على زنة ضربه أو ما يجوز في ضربه... وإن التصريع هو أن يقسم البيت نصفين ويجعل آخر النصف من البيت كآخر البيت أجمع. وتغير العروض للضرب فإن كان الضرب «مفاعيلن» جعلت العروض «مفاعيلن»، وإن كان الضرب «فعولن» جعلت العروض «فعولن». (كتاب الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، بيروت، د ت، ص ٢٠).

(٢) قال الشارح حسن فهمي في شرحه المسمى بـ«الاقتصاد بشرح البردة لأخص العباد»: =

أمِنْ: بفَتحِ هَمزةِ الاستِفْهامِ؛ أيْ: طَلَبِ حُصُولِ صُورةٍ في الذِّهْنِ بالكَلِمةِ المَوضُوعةِ لَه، وبكَسْرِ المِيمِ، ابتِدائيّة. ويُحتَمَلُ كَونُها تَعلِيلِيّة. **تَذَكُّرِ**: بفَتحِ الأوَّلَينِ وضَمِّ الكافِ مُشَدَّدةً تَفعُّل مِنَ الذِّكْرِ: الحُضُورِ بالقَلْبِ بَعدَ النِّسْيان. والظَّرْفُ مُتعَلِّقٌ بـ«مَزَجْتُ» والمَصدَرُ مُضافٌ إلى قَولِه: **جِيران**: بكَسْرِ الجِيمِ جَمْعُ جارٍ. وياؤُهُ مُنقَلِبةٌ عَن واوٍ لِسُكونِها وانكِسارِ ما قَبْلَها. **بِذِي سَلَمِ**[1]: مَوضِعٌ بَينَ مَكّةَ والمَدِينةِ قَرِيبٌ مِن قُدَيد[2]. والباءُ فيهِ ظَرفيّة. [والظَّرْف[3] فيه[4]] صِفةُ «جِيران» مُتعَلِّقٌ بمَحذُوفٍ/ ؛ أيْ: كائِنَين [**بِذِي سَلَم**]. [2 a]

= «... والتنوينات في «دمع» و«مقلة» و«دم» عوض عن المضاف إليه. وهو كاف الخطاب؛ وفي «جيران» و«سلم» للتفخيم بالمحبوب والأصحاب (ص ٦)، «... حرف القافية: تتكون القافية من حرف أساسي ترتكز عليه يعرف باسم «الرويّ» فالرويّ هو آخر حرف صحيح في البيت وعليه تبنى القصيدة وإليه تنتسب فيقال: قصيدة ميمية أو نونية أو عينية...». (علم العروض والقافية لعبد العزيز عتيق، بيروت ١٩٨٥م/ ص ١٣٦). انظر للتفصيل في هذه المواضع: «فن التقطيع الشعري والقافية»، لصفا خلوصي، بغداد، ١٩٧٧م.

(١) وقال الشارح عمر بن أحمد الخربوتي (ت١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م) في عصيدة الشّهدة شرح قصيدة البردة (ص ٦): «... والسلم بفتح اللام اسم شجر، وبكسرها اسم جنس للسّلمة كما في كلم وكلمة. وهي أيضاً شجرة في الوادي بين مكة والمدينة فالمراد هاهنا هذه الشجرة؛ لأن مراده من الجيران محبوبه أعني النبيّ عليه الصلاة والسلام، وهذه الشجرة لها مناسبة بالنبيّ عليه الصلاة والسلام؛ لأنه عليه السلام كان كلمّا ذهب إلى مكة وسلك ينزل تحت هذه الشجرة، ويستريح فيه. فالمعنى: أمن تذكرك المحبوب الكائن والملابس في مروره بمكان ذي شجرة معهودة...».

(٢) وقديدٌ اسم موضع قرب مكة. (انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/ ٣١٣). وفي يومنا هذا يمرّ الطريق بين المدينة المنورة ومكة المكرمة بقاع وادي قديد. وبتوفيق الله وبحمده مررنا بهذا الوادي بالحافلة في أوّل شوال سنة ١٤١٩ هـ، الموافق ١٨/ ١/ ١٩٩٩م.

(٣) س: ـ.

(٤) س: ـ.

ولَمّا كانَ لا يَلي هَمزةَ الاستِفْهامِ إلّا المُستَفْهَمُ عَنهُ مِن فِعْلٍ في نَحْو: «أضرَبْتَ زَيْداً؟»، أو مَفعُولٍ[١] بِهِ في نَحْو: «أزَيْداً ضَرَبْتَ؟»، وكانَ المُستَفْهَمُ عنهُ هُنا ابتِداءَ المَزْجُ أو سَبَبُه، أولاهُ الهَمْزةَ ولَم يُولِها المَزْجَ لِعَدَمِ تَحقُّقِهِ [أيْ: لِعَدَمِ تَحقُّقِ الشّاعِرِ مِنَ المَزْجِ أو سَبَبِ المَزْجِ]، فقال: مَزَجْتَ: بفَتْحِ التّاءِ؛ أيْ: خَلَطْتَ؛ جُملةٌ مُستَأنَفةٌ لا مَحَلَّ لَها مِنَ الإعرابِ.

ثُمَّ قِيلَ: هو تَجريدٌ[٢] «إنْ قَصَدَ، ولو ادِّعاءً أنَّ صِفةَ المَزْجِ الحاصِلةِ لَه قَد بَلَغَتْ إلى حَدٍّ/ صَحَّ أنْ يَنتَزِعَ مِن نَفْسِهِ شَخْصاً آخَرَ يُماثِلُهُ فيها. والتِفاتٌ[٣] [١١٣ أ] إنْ قَصَدَ الانتِقالَ مِن فنٍّ، ولو تَقْديراً، إلى آخَرَ على خِلافِ مُقتَضى الظّاهِرِ لِنُكْتة»[٤].

دَمْعاً: هو الماءُ المالِحُ السّائِلُ مِنَ العَينِ مَعَ البُكاء. سُخْنٌ إنْ كانَ لِلحُزْن، وإلّا فبارِدٌ. وسَبَبُهُ مُضاعَفةُ الحَرارةِ الغَريزيّةِ بالحَرارةِ الحادِثةِ بحَرَكةِ النَّفسِ الشَّديدةِ عِندَ الفَرَحِ أو الحُزْن، إلّا أنّها مَعَ الحُزْنِ أقوى؛ فلِذا يَخرُجُ سخناً كالماءِ الشَّديدِ إذا فارَقَ النّارَ القَويّةَ لا يَبرُدُ إلّا بَعدَ حِيْن. فإنْ كانَتِ الحَرارةُ ضَعِيفةً فبِنَفسِ مُفارَقَتِها يَعودُ لأصْلِه. وقَلَّ خُروجُهُ مَعَ الفَرَحِ؛ لأنَّ النَّفسَ مُنبَسِطةٌ[٥] مَعَهُ فتَتَبَدَّدُ الحَرارةُ على الجَسَدِ فيَضعُفُ فِعْلُها. وكَثُرَ مَعَ الحُزْن؛ لأنَّ النَّفْسَ

---

(١) ج: مفعولاً.

(٢) من صوره، في علم البديع العربي، أن ينتزع الإنسان من نفسه شخصاً يخاطبه. (انظر: مجدي وهبة ٨٨).

(٣) الالتفات، في علم المعاني العربي، انتقال كل من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى الآخر في التعبير. (انظر: مجدي وهبة ٥٨).

(٤) وهذه العبارة منقولة من شرح عضد الدين الإيجي مكتبة السليمانية، قسم رشيد أفندي رقم (٨١٠ 3a).

(٥) س: منبسطة.

تَنقَبضُ، فتَخرُجُ الحَرارةُ على صَوْبٍ واحِدٍ فتَقرُّ الرُّطوباتُ المائيّةُ أمامَها. فإذا فرَغَتْ خرَجَ الدَّمُ؛ لأنَّهُ أقرَبُ مِن غَيرِهِ لِعُمومِهِ الأعضاءَ وسَرَيانِهِ في العُروق. **جَرَى**؛ أيْ: سالَ، جُملةٌ في مَحلِّ نَصبٍ[1]، صِفةُ **دَمْعاً**. **مِنْ مُقْلة**: مُتعَلِّقٌ بـ **جَرَى**. والمُقْلةُ: شَحْمةُ العَينِ الَّتي تَجمَعُ السَّوادَ والبَياضَ، وفيها الحَدَقةُ وهي السَّوادُ الَّذي في وسطِ العَيْن. وفيها النّاظِرُ والإنسانُ[2] وهو مَوضِعُ البَصَرِ مِنها[3]. الَّذي تَراهُ كأنَّهُ صُورة.

والعَينُ كالمِرآةِ إذا استَقبَلَها شَخصٌ رَأى شَخْصَهُ فيها؛ لِشِدّةِ صَفاءِ النّاظِر. والنّاظِرُ أيضاً عِرقانِ في العَينَينِ. **بِدَمٍ**: مُتعَلِّقٌ بـ **مَزَجْتَ**. والدَّمُ مَعرُوف؛ أصلُهُ دَمَوَ بتَحريكِ المِيم. وعَن سِيبَوَيهِ «دَمْي» بإسْكانِها لِـجَمْعِهِ على دِماء. ومُتَحَرِّكُ العَينِ لا يُجمَعُ على ذلكَ.

وفي قَولِه: **جَرَى مِن مُقْلةٍ بِدَمِ**: احتِراسٌ ويُسَمَّى تكميلاً[4]؛ إذْ لوِ اقتَصَرَ على **مَزَجْتَ دَمْعاً بِدَمٍ** لاحتَمَلَ أنَّهُ مَـزَجَ الدَّمَ[5] بِدَمٍ أجنَبِيٍّ بَعدَ انفِصالِهِ مِنَ العَيْن. وليسَ مُراداً لهُ، فدَفَعَهُ بذلكَ.

وفي البَيْتِ بَراعةُ استِهلالٍ[6] لأنَّهُ يُعلَمُ مِنهُ ما قَصدَهُ مِن مَدْحِهِ ﷺ بذِكرِ

---

(١) س: ـ.

(٢) أي: إنسان العين. وهو ما يرى في سوادها، أو هو سوادها.

(٣) س: منها.

(٤) الاحتراس، هو عند ابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ): «أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل (شبهة)، فيفطن لذلك حال العمل، فيأتي بما يخلصه من ذلك» والتكميل، هو أن لا يدع الشاعر شيئاً يكمل المعنى إلّا أتى به. (انظر: مجدي وهبة ١٤، ١١٩؛ أحمد مطلوب ٤٠).

(٥) س: بالدم.

(٦) هي أن يبدأ الشاعر قصيدته بما يوضح غرضه منها. (انظر: مجدي وهبة ٧٧؛ أحمد مطلوب ٢٧٧).

الجيرانِ بِذِي سَلَم، وهو مِن جِبالِ الأحِبّة. وفي إسنادِ **مَزَجْتَ** مَجازٌ عَقليٌّ[١]؛ إذْ لَم يَقَعْ مِنَ المُخاطَبِ المَزْجُ المَذكُورُ بَل سَبَبُه، وهو البُكاء؛ فهو نَحْوَ: «بَنى الأَمِيرُ المَدِينة». وتَنكِيرُ **جِيرانٍ** و**دَمْعٍ** و**دَمٍ** [للتَّعظِيمِ أو لِلنَّوعِيّة]. وفي البَيتِ الجناسُ النّاقِصُ[٢] بينَ قَولِه: **دَمْعٍ/ ودَمٍ**[٣] لِزيادةِ العَيْن. [2 b]

وعَطَفَ على قَولِهِ: **تَذَكُّر** قَولَهُ:

[٢. أمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمةٍ وأوْمَضَ البَرْقُ في الظَّلْماءِ مِنْ إضَمِ]

أمْ: مُتَّصِلةٌ، **هَبَّتِ الرِّيحُ**؛ أيْ: أمِن تَذَكُّرٍ أمْ مِن أنْ هَبَّتِ الرِّيح؟ وهُبوبُها: مَجيئُها. والرِّيحُ واحِدةُ[٤] الرِّياح، مِنَ المُؤنَّثاتِ السَّماعِيّة. **مِن تِلْقاء**: بكَسْرِ التّاءِ، وليسَ مِنَ المَصادِرِ على هذا الوَزْنِ إلّا هو و«تِبْيان»: وما عَداهُما فبفَتْحِها نَحو «التَّذْكار». والتِّلْقاءُ: الجِهةُ والنّاحِية. **كاظِمة**: مَوضِعٌ، قِيل: بقُرْبِ المَدينةِ الشَّريفة. **وأومَضَ**؛ أيْ: لَمَعَ لَمَعاناً خَفيفاً. والواوُ فيهِ بمَعنى «أو». **البَرْق**: وهو عِندَ أهلِ السُّنّةِ والجَماعةِ سَوْطُ المَلَك؛ والرَّعْدُ المَلَكُ الَّذي يَسُوقُ السَّحابَ إلى الجِهاتِ الَّتي يُريدُ اللهُ تَعالى. وقِيل: صَوْتُهُ في اللَّيلةِ الظَّلْماء. والتَّقْييدُ بالوَصْفِ؛ لِظُهورِ اللَّمَعان؛ إذْ لِلنُّورِ مَعها مِنَ الظُّهورِ

---

(١) هو إسناد الفعل إلى غير فاعله كقولك: «بنى أبو جعفر المنصور مدينة بغداد، والحقيقة أنه لم يبنها، وإنما بنيت بأمره». (انظر: مجدي وهبة ٣٣٤).

(٢) الجناس: في البديع العربي: تشابه اللفظين في النطق مع اختلافهما في المعنى، وهو إما تام، إن اتفق اللفظان في عدد الحروف ونوعها وشكلها (هيئاتها) وترتيبها، وإما غير تام، إن اختلف اللفظان في واحدٍ من هذه الأربعة. (انظر: مجدي وهبة ١٣٨-١٤٠؛ أحمد مطلوب ٢٦٥-٢٩٢).

(٣) ما بين القوسين ساقط من س. وزاد في هامش ج: «ويحتمل أن يكون التنكير في «دمعاً» للتكثير».

(٤) س: واحده.

ما ليسَ مَع غَيرِها مِن ناحِية **إضَم**: بكَسْرِ الهَمْزة: جَبَل. وقِيل: وادٍ. و**مِن**: فيها ابتِدائِيّة. والتَّردِيدُ[١] بينَ أُمورٍ ثَلاثةٍ والقَضِيّةُ لِـمَنْعِ الخُلُوّ. وسَبَبِيّـةُ كُلٍّ مِنها لِلمَزْجِ المَذكُورِ أنْ يَذْكُرَ المُحِبُّ عُهودَ/ أيّامِ الوِصالِ وتَصَوُّرَ الاتِّصالِ في تِلكَ [١١٣ ب] اللَّيالي، والأماكِنِ العَوالي[٢]. وكذا هُبوبُ الرِّياحِ مِن تِلكَ البِطاحِ ولَمَعانُ البَرْقِ مِن ثَنايا ذلكَ الفَرق، مُهَيِّجٌ لِلغَرامِ مُحَرِّكٌ لِلبُكاءِ الَّذي هو سَبَبٌ لِلمَزْجِ[٣].

ثُمَّ استَفْهَمَهُ لَمّا أنكرَ سَبَبِيّةَ كُلٍّ مِنَ المَذكُورِ لِلمَزْجِ بقَوْلِه:

[٣. فمـا لِعَيْنَيْـكَ إنْ قُلْـتَ اكْفُفا هَمَتا   ومـا لِقَلْبِـكَ إنْ قُلْـتَ اسْـتَفِقْ يَهِـمِ]

فما لِعَينَيكَ: حاسّةُ الرُّؤْية. وهي [أيْ: العَيْن] مُؤنَّثٌ سَماعِيٌّ. **إنْ قُلْتَ لَهُما اكفُفا**؛ أيْ: احبِسا عَنِ البُكاء، أو اكفُفا الدَّمْع. جُملةٌ في مَحَلِّ نَصْبٍ، مَفعُولُ قُلتُ: **هَمَتا**؛ أيْ: سالَتا دَمْعاً؛ فالتَّمْييزُ مَحذُوف، والفاءُ فَصِيحةٌ[٤]؛ أيْ: إنْ كانَ إنكارُكَ حَقًّا فأيُّ سَبَبٍ أوجَبَ لِعَينيكَ لَـمّا أنْ قُلْتَ: اكفُفا بُكاءَكُما، هَمَتا. والهَمَيانُ: جَرَيانُ الماءِ وسَيَلانُه.

---

(١) هو عند ابن رشيق (٤٦٣هـ)، أن يعلق الشاعر لفظة في البيت بمعنى، ثم يرددها بعينها، متعلقة بمعنى آخر في نفس البيت أو في قُسيمٍ منه. (انظر: مجدي وهبة ٩٥؛ أحمد مطلوب ٣٠٢-٣٠٥).

(٢) س، ج: العوال.

(٣) ج: المزح.

(٤) في «فما لعينيك». والفاء الفصيحة: هي التي يحذف فيها المعطوف عليه مع كونه سبباً للمعطوف من غير تقدير حرف الشرط. وقيل: سمّيت فصيحةً؛ لأنها تفصح عن المحذوف وتفيد بيان سببيته، وقال بعضهم: هي داخلة على جملة مسببة عن جملة غير مذكورة نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]؛ أي: ضرب فانفجرت. (معجم النحو ٢٥٩).

وإسنادُهُ إلى العَينَينِ مَجازٌ عَقلِيٌّ، كـ«سالَ الوادِ[ي]»[1]. وفي الكَلامِ إستِعارةٌ مَكنيّةٌ[2] تَتبَعُها[3] استِعارةٌ تَخيِيليّةٌ[4]، شَبَّهَ العَينَ بمَنْ لهُ صَلاحِيّةُ تَوجِيهِ الأمْرِ إليهِ فيَكُونُ التَّشبِيهُ المُضمَرُ في النَّفْسِ استِعارةً مَكنِيّةً على مَذْهَبِ الخَطِيبِ[5] وتَوجِيهُ الأمْرِ إليهِ استِعارةً تَخيِيلِيّةً. ولا يَخفَى جَرَيانُ الاستِعارَتَينِ في

---

(١) س: الواد.

(٢) هي ما حذف فيها المشبه به مع ذكر شيءٍ من لوازمه، قال القزويني: الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقيق معناها حسّاً أو عقلاً؛ أي: التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية فيقال: إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه. وللاستعارة تعريفات أخرى كثيرة. (انظر: مجدي وهبة ٢٩-٣٠؛ أحمد مطلوب ٨٨-١٠٣).

(٣) س: يتبعها.

(٤) هي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم ثم تردف بذكر المستعار له إيضاحاً لها وتعريفاً لحالها. وقد سماها ابن الأثير الحلبي «استعارة التخييل»، وسماها العلوي «الاستعارة الخيالية الوهمية» ومثال: الاستعارة التخييلية قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وهما من الآيات الدالة على التشبيه. ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنيّـة أنشبـتْ أظفارَهـا ... ألفيـتَ كـل تميمـةٍ لا تـنفـعُ

ويتضح في هذه المسألة رأيان:

الأول: رأي السكاكي وهو أن القرينة المكنية تارة تكون تخييلية وتارة تكون تحقيقيّة.

الثاني: رأي القزوينيّ وهو أنّ القرينة المكنية لا تكون إلا تخييليةً.

وكان منطلق السكاكي والقزويني أساساً سار عليه البلاغيّون المتأخرون في هذه المسألة. (انظر: أحمد مطلوب ٩١-٩٢).

(٥) هو محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن أحمد بن محمَّد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن دلف العجلي، القزويني الشافعي (٦٦٦-٧٣٩هـ/ ١٢٦٨-١٣٣٨م). ويعرف بخطيب دمشق (جلال الدّين، أبو المعالي). فقيه، أصولي، =

قولِه: وما لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ لهُ استَفِقْ؛ أيْ: أفِقْ مِن غَمْرَتِك. والاستِفْعالُ لِلمُبالَغة. **يَهِم**: مُضارِعُ «هامَ». والهُيامُ كالجُنون. يُقال: «هامَ في العِشْق»: لا يَدري أينَ هو. وخَصَّ القَلْبَ؛ لأنَّهُ مَحَلُّ العَقْلِ عِندَ أكثَر أهلِ السُّنّة. قالَ تَعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[1] [الأعراف: ١٧٩]، وقِيل: مَحَلُّهُ الرَّأس.

وجَمَعَ بينَ القَوْلَينِ بما بَينَهُما مِن كَمالِ الاتِّصال. وهو شَكْلٌ صَنَوبَرِيٌّ مَوضِعُهُ مِنَ الجَسَدِ وسطَ الصَّدْر. مَنبَعُ الحَياةِ وعُنصُرٌ لِـحَرارةِ الجِسْم.

[3 a] ثُمَّ مَحَلُّ الشَّرْطِيّةِ النَّصْبُ على الحالِ/ مِنَ العَينَينِ. والعامِلُ فيها مَعنى الفِعْل؛ أيْ: أيُّ شَيءٍ حَصَلَ لَهما حالَتَئِذٍ؟ ويُحتَمَلُ أنْ تَكونَ الحالُ جُملة هَمَتا بتَقدِيرِ «قَد». ويَكُونَ قَولُه: **إنْ قُلتَ اكفُفا** قَيْداً لَها، لِـما تَقرَّرَ أنَّ مَضمُونَ الشَّرْطِ قَيدٌ لِـمَضمُونِ الجَزاء؛ أيْ: أيُّ شَيءٍ حَصَلَ لِعَينَيك حالَ هَمَيانِهِما حِينَ أمَرتَهُما بِعَدَمِ البُكاء؟ ومِثْلُهُ فيما ذَكَرَ عَدِيله. وأتى بـ **إنْ** الدّالّةِ على عَدَمِ الجَزْمِ إشارةً إلى أنَّ كُلّاً مِنَ القَولَينِ غَيرُ مُحقَّقٍ، مَع أنَّهُ لو قَدَّرَ وُقُوعَهما لَـما كانا بمَكانٍ مِنَ القَبُول.

وفي التَّعْبيرِ بـ«**القَلْب**» لَطافة، إذْ مادَّتُهُ تُشعِرُ بالتَّقلُّب. ومَع ذلكَ فهو لَم يَتقلَّبْ في الهَوَى عَن حالِه.

= محدّث، أديب، عالم بالعربية والمعاني والبيان، شاعر، مشارك في علوم أخرى، من القضاة، والخطباء. ولد بالموصل، وسكن بلاد الرّوم، وقدم دمشق وناب في القضاء، وولي الخطابة بها، وانتقل إلى الديار المصرية، وتوفّي بدمشق في ٢٧ جمادى الأولى، ودفن بمقابر الصوفية. من تصانيفه: الشـذر المرجاني من شـعر الأرجاني، وتلخيص مفتاح العلوم للسكاكي، والإيضاح في المعاني والبيان. (انظر: معجم المؤلفين ١٠/ ١٤٥-١٤٦).

(١) ج، س: يعقلون.

ولَـمّا لَم يُجِبِ المَسؤُولُ جَواباً وأفحَمَهُ السّائِلُ بالسُّؤالِ والإلزامِ، رَجَعَ إلى تَغْليطِهِ في إنكارِ حالِ الحُبِّ الَّتي لا تَخفَى. فقالَ مُنكِراً:

[٤. أيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكتِمٌ ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومُضْطَرِمِ]

أيَحسَبُ: بفَتْحِ السِّينِ وبكَسْرِها؛ أيْ: أيَظُنُّ، **الصَّبُّ**: العاشِقُ المُشتاق، أو المُستَهامُ الَّذي ولَّـهَهُ الحُبُّ. وهو وَصْفٌ كَثُرَ مَعهُ حَذْفُ المَوصُوف، فغَلَبَتْ عَليهِ الاسمِيَّةُ، وسُمِّيَ بِه؛ لأنَّهُ يَصُبُّ الدَّمْعَ كَثِيراً. **إنَّ الحُبَّ**: بضَمِّ المُهمَلَةِ المَيلُ القَلبِيُّ الغالِبُ إلى الشَّيْءِ كما العَطْشانِ حالَ شِدّةِ عَطَشِهِ إلى الماء. **مُنكَتِم**: عَنِ النّاس. اسمُ فاعِلٍ؛ أيْ: مُستَتِر، **ما بَينَ دَمْعِ عَينٍ مُنسَجِمٍ**: سائِل. وتَنوينُهُ لِلتَّكْثِير. **مِنهُ**؛ أيْ: الحُبُّ أو الصَّبُّ. فـ«مِن» سَبَبِيَّةٌ أو ابتِدائِيَّة. وهو صِفةُ مُنسَجِم، أو حالٌ مِنهُ، وحَرّ قَلْبٍ **مُضْطَرِم**: مُلتَهِب. والطّاءُ فيهِ بَدَلٌ مِن تاءِ الافتِعال./ والتَّنوِينُ فيهِ للتَّعظِيم. **وما**: زائِدة، أو نَكِرة، صِفةُ **مُنكَتِم**؛ أيْ: انكِتاماً [١١٤ أ] ما؛ أو مَوصُولة. وعلى الأخيرِ بَدَلٌ مِنَ الحُبِّ، أو صِفةٌ لَه.

ودَلالةُ اضْطِرامِ القَلْبِ على الحُبِّ بِسَبَبِ ما يُلازِمُهُ مِن اصفِرارِ الوَجْهِ وتَغَيُّرِهِ ونَحافةِ البَدَنِ وتَبدُّلِهِ فهو مِن قِبَلِ الاستِدْلالِ بوُجودِ المُسَبِّبِ على السَّبَب.

وفي قَولِهِ: **اكفُفا وهَمَتا الطِّباقُ**[١]؛ أيْ: الجَمْعُ بَينَ ضِدَّينِ أو مُتَقابِلَين. وفي البَيْتِ التِفاتٌ مِنَ الخِطابِ إلى الغَيْبة؛ إذِ الظَّواهِرُ كُلُّها مِن قَبِيلِ الثّاني.

وفي مَعنى البَيتِ مَعَ البَيتِ قَبلَهُ قَولُ الظَّهيرِ الإربلي[٢]:

---

(١) في علم البديع العربي: هو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة. (انظر: مجدي وهبة ٢٣٢؛ أحمد مطلوب ٥٢٢).

(٢) البيتان لمجد الدّين ابن الظهير الإربلي في التذكرة الفخرية ص٧٤، وهو محمد بن أحمد بن عمر الإربلي، من فقهاء الحنفية، توفي سنة (٦٧٧هـ). انظر: الوافي بالوفيات: ٢/ ٨٧.

طَرْفِـي وقَـلْبِـي ذا يَـسِـيـلُ دَمـاً وذا دُونَ الـوَرى أنـتَ العَلِيـمُ بِفَرْحِـهِ[1]

وهُـمـا بـحُـبِّـكَ شـاهِـدانِ وإنَّمـا تَـعـدِيـلُ كُـلٍّ مِنهُمـا فـي جَرْحِـهِ

وكَأنَّ المَسؤُولَ قالَ لِلسّائِلِ: سَلَّمْنا إنكارَكَ على الصَّبِّ ظَنَّهُ خَفاءَ حُبِّهِ، لَكِنِّي لَستُ بصَبٍّ فما دَلِيلُكَ على ذلكَ؟ فقالَ السّائِلُ مُلتَفِتاً[2] راجِعاً إلى الخِطاب:

[٥. لَولا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً على طَلَلٍ . ولا أرِقْـتَ لِذِكْـرِ البـانِ والعَلَـمِ]

[3 b] **لَولا الهَوى**:/ مَوجُودٌ لَدَيكَ. **لَـمْ تُرِقْ**: تَصُبَّ، **دَمْعاً على طَلَل**؛ أيْ: في طَلَلٍ مَنسُوبٍ لِلأحِبَّة. إنْ قَدَّرَ أنَّهُ رَآهُ يَبكِي فيها، وفيهِ تَـكَلُّفٌ وإلّا فهي لِلتَّعلِيلِ؛ أيْ: مِن ذِكْرى الطَّلَلِ أجرَيْتَ الدَّمْعَ. **والهَوَى** مَقصُور: الحُبُّ. **والطَّلَل**: ما ارتَفَعَ مِن آثارِ الدّار. والجَمْعُ أطلالٌ وطُلُول. وقالَ ابنُ جَماعة[3]: ما بَقِيَ مِنَ الدّارِ بَعدَ خَرابِها، إذا كانَ لهُ ظِلٌّ كبَقِيّةِ الجُدُر. **ولَولا**: حَرفُ امتِناعٍ لِوُجودٍ، لازِمَةُ الدُّخولِ على المُبتَدأ. وهـو هُنا **الهَوى**. خَبَرُهُ مَحذُوفٌ وُجُوباً؛ أيْ: مَوجُود، وسَدَّ مَسَدَّهُ جَوابُ **لَولا**. وهو هُنا لَم ومَجزُومُها. وأردَفَ الدَّلِيلَ المَذكُورَ بآخَرَ في قَولِه: **ولا أرِقْتَ**: بكَسْرِ الرّاءِ؛ أيْ: لَم تَسهَرْ **لِذِكْرِ** شَجرِ **البانِ والعَلَم**. **والبانُ**:

---

(١) ج: قرحه.

(٢) س: متلفتاً.

(٣) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، الحموي، المصري، الشافعي (عز الدين، أبو عمر)، (٦٩٤-٧٦٧هـ/ ١٢٩٤-١٣٦٦م)، عالم مشارك في بعض العلوم. ولد بدمشق في المحرم، ودرَّس، وأفتى وتولى القضاء، وتوفي بمكة في العشر الأوسط من جمادى الآخرة. من تصانيفه: هداية السالك إلى معرفة المذاهب الأربعة في المناسك، تساعيات في الحديث، نزهة الألباب فيما لا يوجد في الكتاب، ومختصر السيرة النبوية. (انظر: معجم المؤلفين ٥/ ٢٥٧).

شَـجَرٌ ببِلادِ الأحِبّة. **والعَلَم**: الجَبَلُ أو الطَّوِيلُ مِنه. وهو مِن جِبالِ الأحِبّة أيضاً. ويُحتَمَلُ: **ولا أرِقْتَ** لِذِكْرِهِما [لِشَبَهِ المَحبُوبِ بِهما في طُولِ القامةِ وحُسْنِ الهَيْئةِ وطِيبِ الرّائِحة. وإنَّما أورَثَهُ ذِكْرُهُما][1] السَّهَرَ لِفَناءِ رُطوباتِ دِماغِهِ المُتولِّدةِ مِن صُعُودِ أبخرةِ المَعِدةِ إليهِ بِكَثْرةِ الحَرارةِ النّاشِئةِ مِنَ الحُبِّ. وإنَّما يَكونُ النَّومُ مِنَ الرُّطوباتِ إذا كَثُرَت، فَتَجمُدُ هُناكَ ويَكُونُ عَنها النَّومُ والسُّبات؛ ولِذا تَنعَكِسُ الحَرارةُ عندَ النَّومِ إلى داخِلِ الجَسَدِ. وسَبَبُها الأعظَمُ كَثْرةُ الطَّعامِ والشَّرابِ لاشتِغالِ الحَرارةِ ببَعضِهِما فيَضعُفُ ما يَصِلُ مِنها إلى الدِّماغ. ويَكثُرُ ما يَفِرُّ أمامَ الحَرارةِ مِنَ الرُّطوباتِ البارِدة، فتَنجَمِدُ لذلكَ ويَنام. والمُحِبُّ الَّذي ألهاهُ حُبُّهُ عَنِ الأكْلِ والشُّرْبِ تَضاعَفَتْ حَرارَتُهُ الغَرِيزيّةُ بالحَرِّ الَّذي اكتَسَبَهُ مِن لَوعةِ الحُبِّ وحُرْقَتِهِ فتُغنِي رُطوباتُهُ فلا يَنامُ سِيَّما عِندَ تَذَكُّرِ مَعاهِدِ الأحباب، أو ما هو شَـبِيهٌ بِها. واللّامُ في **لِذِكْرِ**: لِلتَّعليلِ، و«ال» في **الهَوى**: جِنسِيّـةٌ أو عَهدِيّةٌ[2]؛ أي: لَولا حَقِيقةُ الحُبِّ أو لَولا هَواكَ.

---

(١) والعبارة فيما بين القوسين ساقطة عن «س».

(٢) (ال العهدية): وهي التي تدخل على النكرة فتفيدها درجةً من التعريف تجعل مدلولها فرداً معيناً بعد أن كان مبهماً شائعاً، وتكون إمّا للعهد الذكري، وهي ما سبق لمصحوبها ذكر في الكلام، نحو: «نزل المطر، فأنعش المطر أرضنا»؛ وإما للعهد الحضوري، وهو ما يكون مصحوبها حاضراً وقت الكلام، نحو: «سيحضر معلمي اليوم»؛ أي: اليوم الحاضر الذي نحن فيه؛ وإما للعهد الذهني أو العلمي، وهي ما يكون مصحوبها معهوداً في الذهن، فينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به، نحو سؤالك زميلك: «هل ذهبت إلى الجامعة؟»، أو «هل أتى المحاضر؟» فـ«الجامعة» و«المحاضر» يعهدهما ويعرفهما من تسأله.

والمعرف بـ«ال» العهدية معرّف لفظاً لاقترانه بها، ومعنًى لدلالته على معينٍ.

(ال الجنسية): وهي الداخلة على نكرة تفيد معنى الجنس المحض من غير أن تفيد العهد، وتكون إما للاستغراق وإما لبيان الحقيقة. فأما التي للاستغراق، فتكون إما لاستغراق جميع أفراد الجنس، نحو الآية ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، أي كل فرد منه؛ =

ثُمَّ أردَفَ هَذينِ بِدَليلٍ ثالِثٍ فقال:

[ولا أعارَتْكَ لَونَي عَبْرةٍ وضَنًى ذِكْرى الخِيامِ وذِكْرى ساكِنِي الخِيَمِ[1]]

ولا أعارَتْكَ لَونَي عَبْرةٍ وضَنًى؛ أيْ: ولَولا الهَوى لَم تُعِرْكَ **ذِكْرى الخِيامِ وذِكْرى ساكِني الخِيَمِ**؛ أيْ: لَم تُعطِكَ على سَبيلِ المَجازِ لَوني العَبْرةِ والضَّنَى. ففاعِلُ **أعارَتْ** «**ذِكْرى**»، وهو مُضافٌ إلى **الخِيام**، جَمعُ خَيْمة: بَيتٌ تَبنِيهِ العَرَبُ مِن عِيدانِ الشَّجَر.

[١١٤ ب] / والمُرادُ باللَّوْنِ النَّوْع. كَأنَّهُ شَبَّهَ نَوعَي العَبْرةِ والضَّنَى بِلِباسَينِ أعارَهُما ذِكرَى الخِيامِ وذِكْرى ساكِنِيها لِلصَّبِّ، بِجامِعِ أنَّ آثارَ الحُبِّ زِينةُ الصَّبِّ كَما يَتزيَّنُ باللِّباس. فرِقّةُ جِسْمِهِ وصُفْرةُ لَونِهِ كثَوبٍ بَدِيعِ الرِّقّةِ والصَّبْغ. وذلكَ

= وإما لاستغراق جميع خصائصه، نحو: «أنت المعلم»، أي: اجتمعت فيك كل صفات المعلم. وعلامة «ال» الاستغراقية أن يصلح وقوع «كل» موقعها. وأما «ال» التي لبيان الحقيقة، فهي التي تبين حقيقة الجنس وماهيته وطبيعته؛ ولذلك تسمى «لام الحقيقة والماهية والطبيعة»، نحو: «الرجل أقوى من المرأة»؛ أي: إن حقيقة الرجل وجنسه أقوى من حقيقة المرأة وجنسها من غير أن يكون كل واحد من الرجال كذلك، فقد يكون من النساء من تفوق قوة الكثير من الرجال. والمعرف بـ«ال» الجنسية نكرة معنًى، معرفة لفظاً، وتجري عليه أحكام المعارف كصحة الابتداء به، ومجيء الحال منه. والجملة الموصولة به يجوز أن يكون نعتاً له باعتباره نكرة في المعنى، أو حالاً منه باعتباره معرفة في اللفظ... إلخ. (انظر: موسوعة النحو والصرف والإعراب ١٣٢؛ ابن هشام، مغني اللبيب ٧١-٧٨؛ أوضح المسالك ١/ ١٧٩-١٨٠؛ شرح ابن عقيل ١/ ١٥٣-١٦٢).

(١) ذكر الشارح محمد علي بن علان الصديقي هذا البيت هنا وشرحه، ولكنا لم نجده في ديوان البوصيري والشروح الأخرى؛ فلذا لم نعطه رقماً بين أبيات البردة. إلا أننا أبقيناه، كما أثبته ابن علان، رعايةً للأمانة العلمية. ومع ذلك نظن أن هذا البيت من الأبيات الدخيلة بين أبيات البردة كما أشار إلى ذلك الشارح ابن علان في شرح البيتين: رقم ٨٧ و١٣١.

[4 a] لَونُ الضَّنى وانسِجامُ الدَّمْعِ سِمْطَينِ أو أكثرَ على النَّحْرِ بمَنْزِلةِ/ الدُّرِّ المُضِيءِ عَليهِ [و] ذلكَ لَونُ العَبْرة. ففي قَولِهِ: **ولا أعارَتْكَ لَونَي** استِعارةٌ مَكنِيّة، تَبعَها استِعارةٌ تَخييليّة. فتَشبيهُ لَونَي العَبرةِ والضَّنَى بالثَّوبَينِ المُضمَرِ في النَّفْسِ استِعارةٌ مَكنِيّة. وإثباتُ العاريّةِ استِعارةٌ تَخييليّة. وسَقَطَتْ نُونُ ساكِني لِلإضافة.

ولَـمّا أقامَ الدَّلائِلَ على إثباتِ غَرامِهِ وشِدّةِ هُيامِهِ، ولَم يَبْقَ لهُ عُذْرٌ ولا يُسَوّغُ لهُ نُكرٌ، أقبَلَ عَليهِ بالخِطابِ التَّعَجُّبيِّ، قالَهُ ابنُ جَماعة. وقِيلَ: الإنكارِيّ. وجَرى عَليهِ الأصْلُ[1] والعَضدُ[2] مُنكِراً عَليهِ بصِيغةِ الاستِفْهام، فقال:

[٦. فكيفَ تُنْكِرُ حُبّاً بعدَما شَهِدَتْ   بهِ عليكَ عُدولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ]

فكيفَ: هي في مَحَلِّ الحالِ مِن قَولِهِ **تُنكِرُ**؛ أيْ: تَجحَدُ. والفاءُ في قَولِهِ: **فكيفَ** لِلتَّرتِيبِ على ما قَبلَه، **حُبًّا**: بَعدَ هذهِ الحُجَجِ وتَنوينُهُ لِلتَّعمِيم. **وبَعدَما شَهِدَتْ**؛ أيْ: أخبَرَتْ بِه؛ أيْ: بالحُبِّ. **عَلَيكَ عُدولُ الدَّمْعِ**: السّائِلِ مِن عَينَيكَ لِذِكرِ الطَّلَلِ أو مِن تَذَكُّرِ جيرانٍ، فـ**(ال)** فيهِ لِلعَهدِ الخارِجيِّ. وكذا في المَعطُوف. **والسَّقَم**؛ أيْ: المَرَضِ القائِمِ بِجِسْمِكَ لِذِكْرى ساكِنِي الخِيَم. وهي عُدولٌ لا تُرَدُّ شَهادَتُهم. **وعُدولُ** جَمْعُ «عَدْل»، وأصلُهُ مَصْدَر وجَمْعٌ

---

(١) يعني ابن علان بـ«الأصل» مشارق الأنوار المُضِيّة للقسطلاني.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي (٧٠٨-٧٥٦هـ/ ١٣٠٨-١٣٥٥م)، الشيرازي، الشافعي، (عضد الدين الإيجي) عالم مشارك في العلوم العقلية والأصلين والمعاني والبيان والنحو والفقه وعلم الكلام، ولد بإيج من نواحي شيراز، وتوفي مسجوناً بقلعة دريميان. من مؤلفاته: «الرسالة العضدية» في الوضع، «الفوائد الغياثية» في المعاني والبيان، و«شرح منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل»، و«المواقف في علم الكلام»، و«تحقيق التفسير في تكثير التنوير». (انظر: معجم المؤلفين ٥/ ١٩٩).

وثُنِّيَ باعتِبارِ ما صارَ إليهِ مِنَ النَّقلِ لِلذّات. فيُقال: «عَدلانِ» و«عُدول»، وإنْ كانَ حَقُّهُ باعتِبارِ أصلِهِ الإفْراد على كُلِّ حال. وإطلاقُهُ على الذّاتِ مِن إطلاقِ المَصدَرِ مُراداً بِهِ اسمُ الفاعِلِ مُبالَغة، قالَ العَضد: وفي تَشبيهِ «**الدَّمْعِ**» و«**السَّقَمِ**» بالشّاهِدِ العَدْلِ المُضمَرِ في النَّفْسِ استِعارةٌ مَكنيّة، وإثباتِ الشَّهادةِ استِعارةٌ تَخييليّة، كَذا قال، فتَأمَّلْ. قالَ: والجَمْعُ بَينَ الإنكارِ والشَّهادةِ والعَدْلِ مُراعاةُ النَّظير[1]. وجَمعُ «**العُدولُ**» مَع إفرادِ «**الدَّمْعِ**» و«**السَّقَمِ**» تَنزيلًا لتَعدُّدِ أوقاتِ الدَّمْعِ وتَعدُّدِ السَّقَمِ مَنزِلةَ المُتعَدِّدِ مِنهُما.

[٧. وأثْبَتَ الوَجدُ خَطَّيْ عَبْرةٍ وضَنًى مِثْلِ البَهارِ على خَدَّيْكَ والعَنَمِ]

وبَعدَما **أثْبَتَ الوَجدُ**: حُرْقةُ القَلْبِ عِندَ مُفارَقةِ المَحبُوبِ أو عِندَ رُؤْيةِ ما يُذَكِّرُ به. **خَطَّيْ عَبْرةٍ**: بِفَتحِ العَينِ: الدَّمْعةِ الجارِيةِ مِنَ العَين. والإضافةُ لاميةٌ. وتَنوينُ **عَبْرة**: لِلتَّكْثِير. **وضَنًى**؛ أيْ: مَرَضاً مُستلزِماً صُفْرةَ الوَجْهِ وضَعْفَ البَدَن. **مِثْلِ البَهار**: صِفةُ **خَطَّي**: وهو [أيْ: مِثْل] مِنَ الأسْماءِ المُتوَغِّلةِ في الإبْهام. **والبَهارُ**: بِفَتحِ المُوحَّدةِ: وردٌ أصفَرُ. **على خَدَّيكَ** ومِثْلِ **العَنَم**: بِفَتحِ المُهْمَلةِ والنُّون: شَجَرٌ لَهُ أغصانٌ حُمْر. ومُرادُهُ تَشبيهُ الخَطَّينِ بـ**العَنَمِ في الحُمْرةِ** لانمِزاجِ الدَّمْعِ بالدَّم، وأثَرِ **الضَّنَى بالبَهارِ** في الصُّفْرة. ففيهِ لَفٌّ ونَشْرٌ مُشوَّشٌ[2]. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ المُشَبَّهُ الخَدُّ الأصفَرُ مَع فوقِهِ مِنَ الخَطِّ الأحمَرِ والمُشَبَّهُ بِهِ البَهارُ المَفرُوشُ تَحتَ العَنَمِ في حُصُولِ شَيءٍ أصفَرَ/ عَليهِ خَطٌّ أحمَرُ. [4 b]

---

(١) هي جمع كلماتٍ أو عباراتٍ متناسبة، بحيث يُقوّى المعنى لكلّ منها بمعاني الكلمات أو العبارات الأخرى. (انظر: مجدي وهبة ٣٥١؛ أحمد مطلوب ٦١٤).

(٢) هو أن يذكر المتعدّد مفصلًا أو مجملًا، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد بالترتيب (اللف والنشر المرتب) أو من غير ترتيب (اللف والنشر غير المرتب). (انظر: مجدي وهبة ٣١٩-٣٢٠؛ أحمد مطلوب ٥٢٥-٥٢٧، ٥٧٧).

ولَمّا كانت هذهِ الحُجَجُ واضِحةً وعلى كُلِّ شَرَفٍ لائِحةٌ/ أفصَحَ المُخاطبُ [١١٥ أ] مُقِرًّا بِلسانِ المَقالِ كَما أقَرَّ بِلِسانِ الحالِ فقال:

[٨. نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أهوَى فأرَّقَنِي والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالألَمِ]

نَعَم: بِفَتحِ أوَّلَيهِ؛ أيْ: صَدَقْتَ أيُّها السّائِلُ في كُلِّ ما نَسَبْتَني إليَه؛ فإنّي إنَّما بَكَيتُ وسَقِمْتُ مِن تَذَكُّرِ الجِيرانِ الَّذينَ كُنتُ فارَقتُهُم وتَسلَّيْتُ عَنهُم بَعضَ التَّسَلِّي. وسَبَبُ التَّذَكُّرِ أنْ **سَرَى طَيْف**؛ أيْ: خَيالُ **مَن أهوَى**: إلَيَّ لَيْلاً في النَّوْم، فانتَبَهْتُ لِذلكَ فزِعاً مَرعُوباً لَـمّا حَرَّكَني مِنَ الفَرَحِ بِسَبَبِ لِقائِهم، ظَنًّا مِنِّي أنَّ ذلكَ في اليَقظةِ، فلَمَّا تَبيَّنَ لي أنَّهُ حُلُمٌ عادَ إلَيَّ ما كُنتُ تَسلَّيْتُ عَنهُ بَعضَ التَّسَلّي، فأثَّرَ ذلكَ عِندي **فأرَّقَنِي**: بتَشدِيدِ الرّاءِ؛ أيْ: أسهَرَني. والفاءُ فصِيحةٌ بِناءً على أنَّها المَعطُوفةُ على مُقَدَّر كما مَشَى عليهِ في «الكَشّافِ»[١] في بَعضِ المَواضِعِ. **والحُبُّ يَعتَرِضُ اللَّذّات**؛ أيْ: يَحُولُ دُونَها، **بالألَمِ**. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ مَعنى **يَعتَرِض**: يَغبنُ ذا اللَّذّات، مِن قَولِهم: عَرَضْتُهُ إذا غَبَنْتُهُ. **واللَّذّاتُ** جَمعُ لَذّة: هي إدراكُ المُلائِمِ مِن حَيثُ هو مُلائِم. ويُقابِلُهُ الألَم. وقِيل: اللَّذّةُ دَفعُ الألَمِ كالأكلِ لألَمِ الجُوْع، ورُدَّ بأنَّهُ أحَدُ أسبابِها. وقَد يُتَصَوَّرُ دُونَهُ، كالالتِذاذِ برُؤْيةِ وجْهِ مَليحٍ بَغْتَةً؛ إذْ لَم يَتقَدَّمْ ألَمٌ لِفَقْدِهِ حَتَّى

---

(١) أي في تفسير الزَّمخشري، وهو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الزمخشري (أبو القاسم، جار الله) (٤٦٧-٥٣٨هـ/ ١٠٧٥-١١٤٤م)، مفسر، محدث، متكلم، نحوي، لغوي، بياني، أديب، ناظم، ناثر، مشارك في عدة علوم. ولد بزمخشر من قرى خوارزم في رجب، وقدم بغداد، وسمع الحديث وتفقه، ورحل إلى مكة فجاور بها وسمي جار الله، وتوفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة بعد رجوعه من مكة. ومن تصانيفه الكثيرة: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، والفائق في غريب الحديث، والمفصل في صنعة الإعراب، الكشاف عن حقائق التنزيل، وديوان شعر. (انظر معجم المؤلفين ١٢/ ١٨٦).

يُدْفَع. فكَأنَّهُ قال: كانَ لي قَبلَ طُروقِ خَيالِهم التِذاذٌ بالنَّوْمِ المُوجِبِ لِراحةِ بَدَني عَنهُ مَن يَرى اللَّذّاتِ وُجُوداً بِنَفْسِها، لا أنَّها إضافيّة؛ أو يُسَلِّيني عَن ألَمِ فِراقِهِم عِندَ مَن يَراها دَفْعَ الألَم.

وقَولُهُ: **والحُبُّ يَعترِضُ اللَّذّاتِ بالألَمِ**: اعتِراضِيّةٌ؛ أيْ: على رَأيِ عُلَماءِ المَعاني. أُتي لِدَفْعِ تَوهُّمِ تَضَجُّرِهِ مِنَ الهَجْر. وجَعَلَ المُسنَدَ فِعلاً مُضارِعاً لإفادةِ الاستِمْرار. وفي قَولِهِ: **سَرَى طَيْف**، استِعارةٌ مَكنِيّة تَتْبَعُها[1] استِعارةٌ تَخييليّة، لا يَخفَى بَيانُها على بَيانِكَ. وتَوحِيدُ الألَمِ مَع جَمْعِ اللَّذّاتِ إيماءٌ[2] إلى أنَّ الواحِدَ منهُ يُقابِلُ المُتعدِّدَ مِنها ويَقطَعُها. وفي الجَمْعِ بَينَهُما مُقابَلة[3].

ثُمَّ لَمّا أقَرَّ بالحُبِّ وصَدَّقَهُ فيما نَسَبَ إليهِ وأخبَرَهُ بسَبَبِهِ رَجَعَ باللَّوْمِ عليهِ فيما لامَهُ بِهِ فقال:

[٩. يا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرةً ... مِنِّي إليكَ ولو أنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ]

يا لائِمِي: يا عاذِلي **في الهَوَى العُذْرِيِّ**؛ أيْ: المَنسُوبِ إلى بَني عُذْرة[4]،

---

(١) ج: يتبعها.

(٢) ج: إيما.

(٣) والمقابلة هي في البديع العربي: أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم بما يقابل كلاً على الترتيب. (انظر: مجدي وهبة ٣٧٨؛ أحمد مطلوب ٦٣٥-٦٤٠).

(٤) أي عذرة بن سعد: بطن عظيم من قضاعة، من القحطانية وهم: بنو عذرة بن سعد بن هذيم ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة. تتفرع منه أفخاذ عديدة، وعذرة هؤلاء هم المعروفون بشدة العشق، قال سعيد بن عقبة لأعرابي: ممن الرجل؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا. قال: عذري! ورب الكعبة، فقلت له: ومم ذاك؟ قال: في نسائنا صباحة، وفي رجالنا عفة. وقدم وفد من عذرة على النبي ﷺ في صفر سنة تسع، وكانوا اثني عشر رجلاً، وتعلموا الفرائض، وأقاموا أياماً، ثم ودعوا رسول الله ﷺ، فأمر =

قَبيلةٍ مِنَ اليَمَنِ، مَنْ عَشِقَ مِنهُم ماتَ في عِشْقِه. اقبَلْ[١] أو خُذْ مَعذِرةً: ويَصِحُّ رَفْعُها، خَبَرُ مُبتَدأٍ مَحذُوفٍ؛ أيْ: هَذه، أو مُبتَدأ. ومِنِّي: صِفةٌ[٢]. وإلَيك: خَبَرُه. مِنِّي: مُتعَلِّقٌ بما قَبْلَه، أو حالٌ مِن مَعْذِرة. إلَيكَ: في مَحَلِّ الحالِ مِنَ الضَّمِيرِ المَجرُورِ قَبلَه./ [5 a] ولو: حَرْفٌ يَقتَضِي امتِناعَ ما يَلِيهِ واستِلْزامَهُ لِتالِيهِ. **أنصَفْتَ لَمْ تَلُمِ**؛ أيْ: لَكِنَّكَ لَم تُنْصِفْ. وخَصَّ **الهَوى** بالعُذْرِيِّ لِصِدْقِهم فيهِ أو رِقَّةِ قُلوبِهم؛ فهُمْ إذا هَوُوا هَوَوْا وإذا أحَبُّوا سَقَطُوا، وهي صِفةٌ مُخَصِّصة.

وفي البَيتِ إيماءٌ إلى أنَّهُ يَنبَغِي لِلمُحِبِّ في الله استِغراقُ عُمرِهِ في الدَّأبِ في الطّاعة، وإنْ لَم يملَّ ذلكَ أصلاً. وفي قَولِهِ: **لم تلم**، تَجنِيسٌ ناقِص.

[١٠. عَدَتْكَ حالِي لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الوُشاةِ ولا دائي بِمُنْحَسِمِ]

عَدَتْكَ؛ أيْ: جاوَزَتْكَ. وقِيلَ: هو مِنَ الحَذْفِ والإيصالِ[٣]، والأَصْلُ: عَدَتْ عَنْكَ **حالي**: بِفَتحِ الياءِ: هَيئَتِي. و**الحالُ** يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ. والأفصَحُ تَأنِيثُ مَعناها. ويُحتَمَلُ/ [١١٥ ب] أنْ يَكُونَ في الكَلامِ هَمْزَةُ استِفْهامٍ إنكارِيٌّ مُقَدَّرةٌ؛ أيْ: أعَدَتْكَ؟ وحُذِفَتْ لِلعِلْمِ بها، حَذَفَها في قَولِهِ تَعالى حِكايةً عَن إبراهِيمَ عَلَيهِ السَّلامُ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]، و[٤] على هذا فتَكُونُ[٥] الجُملةُ تَأكِيدَ قَولِهِ:

= لهم بجوائز، وانصرفوا إلى أهليهم باليمن. (انظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٢/ ٧٦٨).

(١) ج: أقبل.

(٢) س: ـ.

(٣) سمّى النُّحاة حذف حرف جر وإيصال متعلقه إلى المجرور وإظهار الإعراب المحلي في مجروره «حذفاً وإيصالاً». (انظر: إظهار الأسرار، للإمام البركوي محمد بن بير علي، ٢١).

(٤) س: ـ.

(٥) ج: فيكون.

ولو أنصفْتَ لَم تَلُمِ: وكَأَنَّ العاذِلَ قالَ حِينَ استَفْهَمَهُ: نَعَم جاوَزَتْني، فقالَ الصَّبُّ: خُذْ عِلْمَها، **لا سِرِّي**: أيْ أمريَ الخَفيَّ. **بمُسْتَتِرٍ**: مُنكَتِمٍ **عَنِ الوُشاة**: الَّذينَ هُم أعدائِي. الواشِي: الكَذّابُ الَّذي يُبلِغُ الحَديثَ ويُزَيِّنُه، **ولا دائي**؛ أيْ: مَرَضِي في الحُبِّ، **بمُنْحَسِم**: مُنقَطِعٍ فيُرجى زَوالُه، وتُحتَمَلُ أنْ تَكُونَ الجُملةُ خَبَرِيّةً؛ أيْ: جاوَزتكَ حالي؛ فإنَّكَ لَم تُصَبْ بمُصِيبَتِي فتَعْلَمَ مِقدارَ ما أنا فيه. ولو أُصِبْتَهُ لَما عَذَلتَنِي. وعلى هذا يَكُونُ قَولُه: لا سِرِّي مُستَأنَفاً استِئْنافاً بَيانِيّا. كَأنَّهُ قِيلَ لَه: ما حالُكَ الَّتي استَعْظَمْتَها؟ فقال: لا سِرِّي.. إلى آخِرِه.

واللّامُ في **الوُشاةِ** لِلاستِغْراق. وفيهِ مُبالَغة؛ وأنَّ حالَهُ بَلَغَتْهُم أجمَع. وتَنوينُ مُستَتَرٍ لِلتَّحقِير. وعَبَّرَ عَنِ العِشْقِ المُستَولي عَلَيهِ بـ السِّرّ تارةً باعتِبارِ أنَّهُ يُكتَم؛ وبـ الدّاءِ مَرّةً أُخرَى باعتِبارِ احتِراقِ القَلْبِ المُفضِي إلى الهَلاكِ النّاشِئِ عَنه. والحالُ: أعَمُّ مِنهُما. والجامِعُ بينَ الجُملَتَينِ عَقلِيٌّ.

ولَمّا أبدى العاذِلُ عَذلَهُ في صُورةِ النُّصحِ وكانَ العَذْلُ أبغَضَ ما يَكُونُ إلى المُحِبِّ على أيِّ حالٍ كانَ، قالَ لَه:

[١١. مَحَضْتَنِي النُّصحَ لكِنْ لَسْتُ أسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذّالِ في صَمَمِ]

مَحَضْتَنِي: أخلَصْتَ لي **النُّصحَ** بزَعْمِكَ. وأنا لا أُسَلِّمُ ذلكَ؛ سَلَّمْتُهُ **لَكِنْ لَستُ أسمَعُهُ**: مِنكَ فالاستِدراكُ مِنَ السَّماع. وجُملةُ **أسمَعُهُ** في مَحَلِّ الخَبَرِ لـ لَيسَ المُتوَهَّمِ مِنَ التَّسليمِ والقَبُول؛ لأنَّهُ نُصْحٌ لَه. والإتيانُ بالخَبَرِ مُضارِعاً لإفادةِ استِمرارِ النَّفْي. وعَلَّلَ عَدَمَ سَماعِهِ بقَولِهِ على طَرِيقِ الاستِئْنافِ البَيانِيِّ.

[5 b] **إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذّالِ**؛ أيْ: اللُّوّامِ **في صَمَمٍ**/ فلا يَسمَعُ عَذْلَهُم. قالَ الثَّعالِبيُّ[1]

---

(١) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (٣٥٠-٤٢٩هـ/ ٩٦١-١٠٣٧م) النيسابوري (أبو منصور)، أديب، ناثر، ناظم، لغوي، أخباريّ، بياني. من تصانيفه الكثيرة: فقه اللغة =

في «فِقْهِ اللُّغة»: يُقال: «في أُذُنِهِ وقْرٌ، فإنْ زادَ فهو صَمَمٌ، فإنْ زادَ فهو طَرَشٌ، فإنْ زادَ حَتَّى لا يَسمَعَ الرَّعْدَ فهو صَلخٌ[١]». وكَأَنَّ حِكْمَةَ اقتِصارِهِ على الصَّمَمِ مَع عُلُوٍّ ما يَعُدُّهُ عَليهِ أَنَّ الوَزْنَ لَم يَستَقِمْ لهُ إلّا بذِكْرِه. وفي الحَديث: «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعمِي ويُصِمُّ[٢]». وتَصدِيرُ الجُملةِ بـ إنَّ باعتِبارِ تَرَدُّدِ السّامِعِ في سَبَبِ عَدَمِ سَماعِهِ لِعَذْلِه. ويَحسُنُ تَوكِيدُ الحُكْمِ المُتَرَدِّدِ فيهِ وتَقوِيَتُهُ بِه. ولا مَحَلَّ لِـجُملةِ مَحَضْتَنِي ولا لِـجُملةِ إنَّ المُحِبَّ؛ لأَنَّهُما مُستَأْنَفَتانِ[٣]. والأُولى أيضاً مُحتَملةٌ لِكَونِها تَفسِيرِيّةً لِلَومِ اللّائِمِ المُتَقَدِّمِ وجُملَتِهِ[٤]، ثُمَّ أَخَذَ النّاظِم: أمسِكْ أَيُّها العاذِلُ عَن نُصْحِكَ؛ فإِنِّي مُتَّهِمٌ لكَ فقَدِ اتَّهَمْتَ مَن لا يُتَّهَم، فقال:

[١٢. إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نُصْحٍ عَنْ التُّهَمِ]

إنِّي اتَّهمْتُ: أيْ نَسَبْتُ إلى التُّهمةِ والكَذِبِ في الكَلام. وأصلُه: «اوتَهَمْتُ»: فقُلِبَتِ الواوُ ياءً؛ لِسُكُونِها وانكِسارِ ما قَبلَها وأُدغِمَتْ في تاءِ الافتِعال. **نَصِيحَ**؛ أيْ: نَصِيحةَ؛ فهو مِنَ التَّرخِيمِ[٥] لِلضَّرُورة. **الشَّيْبِ**: البَياضِ الَّذي يَعلُو الشَّعْر. **في عَذَلٍ**؛ أيْ: أَنَّهُ مُنذِرٌ لي بِقُرْبِ الأجَلِ وحُلُولِ المَوْتِ المُوجِبِ لاشتِغالِ العَبْدِ بما يُقَرِّبُ إلى المَوْلى زُلْفى، ويُورِثُهُ لَدَيهِ حُسْنى[٦] العُقبى. **والشَّيْبُ أبعَدُ**:

= وسر العربية، وسحر البلاغة وسر البراعة، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ونثر النظم وحل العقد، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب. (انظر: معجم المؤلفين ٦/ ١٨٩).

(١) راجع: فقه اللغة لأبي منصور بن إسماعيل الثعالبي ١٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب ١١٦.

(٣) ج، س: مستأنفتين.

(٤) س: وجملة.

(٥) أي: تصغير الاسم بتجريده من الزوائد. (انظر: معجم النحو ٩٨).

(٦) س: حسني.

أفعلُ تَفْضِيلٍ، كما هو في[1] الرِّوايةِ؛ أيْ: أبعَدُ مِنَ النّاصِحِينَ في نُصْحِ مواليهم.

[١١٦ أ] / وحَذْفُ المُفَضَّلِ عليهِ جائزٌ مَعَ العِلْمِ بِه؛ لِقَولِهِ تَعالى: ﴿ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]؛ أيْ: مِنه. ويَصِحُّ أنْ يَكُونَ فِعلاً ماضِياً. في نُصْحٍ عَنِ التُّهَم: إذْ ليسَ بَعدَ بَياضِ الزَّرْعِ إلّا حَصادُه. وقَد قِيلَ في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] أنَّهُ الشَّيْب. وكَأنَّ الشَّيْبَ يَقُولُ لِلمُحِبِّ: اترُكْ ما أنتَ عَليهِ مِنَ الهَوَى، واشتَغِلْ بما يُدْنِيكَ مِنَ المَوْلى كصُورةِ ما يُبدِيهِ العاذِلُ في نُصْحِه.

وما أحسَنَ قَوْلَ قَمَرِ الدَّوْلة:

لَمّا رَأيتُ الشَّيْبَ[2] في الشَّعْرِ الـ ... أسوَدِ قَد لاحَ صِحْتُ: وا[3] حُزْني!

هَذا وحَقِّ الإلَهِ أحسَبُهُ ... أوَّلَ خَيطِ سُدِّيْ مِنَ الكَفَنِ

وقَوْلَ الآخَر:

لِمْ لا انتَهَيْتَ وقَد ألَمَّ نَذِيرُ ... لِلشَّيْبِ يُؤذِنُ أنَّهُ سَيَسِيرُ

أمّا الشَّبابُ فإنَّهُ عُذْرٌ وما ... لِلمَرْءِ مِن بَعْدِ المَشِيبِ عَذِيرُ

ثُمَّ مَحَلُّ قَولِه: (والشَّيْبُ أبعَدُ) النَّصب؛ حالٌ مِنَ المَفعُول. ورُبِطَتْ بالواوِ والضَّمِيرِ تَقدِيراً؛ لإعادةِ لَفْظِ الشَّيْبِ الَّذي هو في مَكانِ الضَّمِير. والإظهارُ لإشْهارِ لَفْظِ الشَّيْبِ على البُعْدِ عَنِ الاتِّهام. ففيهِ زِيادةُ تَقْرِيرِ بُعْدِهِ مِنَ التُّهمة، مَع أنَّ في إعادَتِهِ تَذكِيراً/ لِنَفْسِه لَعلَّها تَتفكَّرُ وبإنْذارِهِ تَنزَجِرُ. واللّامُ في الشَّيْبِ والتُّهَم لِلجِنْس. [6 a]

---

(١) س: ـ.

(٢) س: المشيب.

(٣) س: عظة.

[الفصل الثّاني]

[في التَّحذِيرِ مِن أهواءِ النَّفْسِ ومُتابَعةِ الشَّيْطان]

ولَـمَّا كان قوله: إنِّي اتَّهَمْتُ إلَخ يَستَلزِمُ أنَّهُ لَم يَعِظْهُ ولَم يَأخُذْ بِقولِهِ بينَ الحامِلِ لهُ على ذلكَ بقولِه:

[١٣. فإنَّ أمّارَتِي بالسُّـوءِ مـا اتَّعَظَتْ مِـنْ جَهْلِهـا بنذيـرِ الشَّـيْبِ والهَـرَمِ]

فإنَّ أمّارَتِي: وقالَ العَضدُ: الفاءُ فيهِ داخِلةٌ على المُسَبَّب. **فإنَّ** عَدَمَ الاتِّعاظِ مَعلُولٌ لِلاتِّهام، والاتِّهامُ عِلّةٌ لَه. **بالسُّوْءِ ما اتَّعَظَتْ**: فلَم تَقْبَلْ مَوعِظةَ الشَّيْب. مِن: تَعليلِيّة. **جَهْلِها بنَذِيرِ الشَّيْب**: أيْ جَهِلَتْ إنذارَ المَشِيب. فالباءُ صِلةٌ [بمَعنى التَّعلُّق][1] اتَّعَظ، أو صِلةُ جَهِلَت. وقَد رُوِيَ: عَن جَهْلِها. والمَعنى على الشَّيْب **والهَرَم**: وهو كِبَرُ السِّنِّ وضَعْفُ القُوى. وذِكْرُهُ بَعدَ الشَّيْبِ تَرَقٍّ مِنَ الأدنى إلى الأعلى. فـ **نَذِير** بمَعنى المَصْدَر. أو أرادَ بـ **الشَّيْب**: النَّذِير، فيَكُونُ مِن إضافةِ الصِّفةِ إلى المَوصُوف. ويَكُونُ التَّقدِيرُ أيضاً: ونَذِيرِ الهَرَم [أي[2]] والهَرَمِ النَّذِير. أو إنذارِ الهَرَمِ على التَّقْدِيرِ الأوَّل. وإضافَتُهُ بَيانِيّة.

قِيلَ: الـ **أمّارة**: هي النَّفس. والياءُ المُضافُ إلَيها، وهو البَدَن. وهو المَأمُور. فالنَّفْسُ مُستَولِيةٌ لِسُلْطانِها على البَدَن؛ تَصرِفُهُ في شَهَواتِها، إلّا أنْ يَزَعها[3] وازِعٌ

---

(١) أي: تتعلق بـ«اتعظ».

(٢) س: ـ.

(٣) أي: يمنع.

عَقلِيٌّ أو شَرعِيٌّ فلا يَلزَمُ إضافةُ أمّارةٍ إلى أمّارةٍ؛ أيْ: نَفْسِهِ إلى نَفْسِهِ الّتي عَبَّرَ عنها بـ«الياء»[1]. فتَكُونُ نَفسُهُ أمّارةً مَأمُورةً. والعَقلُ يَقتَضِي تَغايُرَهُما.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعضُهم أنَّ النَّفسَ إنْ كانَتْ لا يَلُوحُ لَها طَمَعٌ إلّا تَعرَّضَتْ لهُ ولا شَهْوةٌ إلّا اقتَنَصَتْها مِن غيرِ سُلوكِ طَريقِ الرَّشادِ ولا استِضاءةٍ بنُورِ سَدادٍ ولا إحكامِ رِياضةٍ بَل بِهَيَمانٍ مِنَ البِطالةِ في كُلِّ وادٍ. وهي الّتي يُعَبَّرُ عَنها بـ«**الهَوى**». فهِيَ المَذكُورةُ في قَولِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]. وإنْ ثَبَتَ لَها مِنَ اللهِ العِصْمةُ وسَبَقَتْ لَها مِنهُ السَّعادةُ فمُطْمَئِنّةٌ؛ لاطمِئْنانِها إلى ذِكْرِهِ. وقِيلَ: إلى الإيمان. قالَ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ / إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [١١٦ ب] [الفجر: ٢٧-٢٨]. الآية. وإنْ وقَعَتْ في مَعصِيةٍ بسائِقِ القَضاءِ ورَجَعَتْ بالمَلامةِ على نَفْسِها وذلكَ حالٌ حَمِيدة. فهي النَّفْس اللَّوّامة. ولَها إنْ شاءَ اللهُ العاقِبةُ الجَمِيلة. قالَ جَعْفَرٌ الصّادِق[2]: «مَن لَم يَتَّهِمْ [نَفْسَهُ][3] على دَوامِ الأوْقاتِ ولَم يُخالِفْها في سائِرِ الحالاتِ كانَ مَغرُوراً. ومَن نَظَرَ إلَيها باستِحْسانِ شَيءٍ مِنها فقَد أهلَكَها فالنَّفْسُ مَجبُولةٌ على سُوْءِ الأدَب، والعَبدُ مَأمُورٌ بمُلازَمَتِهِ جُهْدَه. فعلى العَبْدِ رَدُّ النَّفْسِ إلَيه. فمَنْ غَفَلَ عَن ذلكَ فقَد أطلَقَ عِنانَ النَّفْسِ وغَفَلَ عَنِ الرِّعاية».

---

(١) أي: بياء المتكلم في «أماراتي».

(٢) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط (٨٠-١٤٨هـ/ ٦٩٩-٧٦٥م) الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، أخذ عنه جماعة، منهم: الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق؛ لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صدّاعاً بالحق. له: «رسائل» مجموعة في كتاب ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال: إن جابر بن حيان قام بجمعها. مولده ووفاته بالمدينة. (انظر: الأعلام ٢/ ١٢٦؛ معجم المؤلفين ٣/ ١٤٥).

(٣) س: ـ.

[١٤. ولا أعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى   ضَيفٍ ألمَّ بِرَأْسِي غيرَ مُحْتَشِمِ]

ولا أعَدَّتْ؛ أيْ: هَيَّأت. وهو عَطْفٌ على ما **اتَّعظَت**، **مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ**: الحَسَن. **قِرَى**: بكَسْرِ القافِ والقَصْر. قالَ في الصِّحاح: فإنْ فتحْتَ قافَهُ/ [6 b] مَدَدْتَ[١]. وفيهِ إجمالٌ بيِّنٌ بِقَولِهِ أوَّلًا مِنَ الفِعل، وقَدَّمَ المُبيَّنَ اهتِماماً به. **والقِرَى** يَكُونُ مَصدَراً بمَعنى «الضِّيافة»، ويَكُونُ بمَعنى «ما يُقرَى[٢] بهِ الضَّيْف»، وهو الطَّعام. **ضَيْفٍ**: هو النّازل، وسُمِّي بذلك لِقلَّةِ إقامَتِه. **ألَـمَّ**: بتَشدِيدِ المِيمِ؛ أيْ: نَزَلَ **بِرَأسِي غيرَ مُحتَشِم**؛ أيْ: مُستَحْيٍ ولا مُنقَبِضٍ؛ إذْ مِن آدابِ الضَّيفِ أنْ لا يُكثِرَ الإقامةَ عندَ مَن أضافَهُ حَتَّى يُخرِجَهُ بِيَدِه[٣]، فمَن لا يَفْعَل ذلكَ كانَ غيرَ مُحتَشِم.

ووَجْهُ تَشْبِيهِ **الشَّيْبِ** بـ **الضَّيفِ** أنَّ الشَّبابَ الَّذي كانَ بِهِ قَبلَ الشَّيْب، لَـمّا تَبَدَّلَتْ صِفَتُهُ كانَ الأجنَبي. ولَـمّا كانَ الشَّيْبُ نَذيراً بانقِضاءِ العُمرِ صارَ بِلِسانِ حالِهِ كالطّالِبِ لِلمُبادَرةِ بالأعمالِ الصّالِحةِ الَّتي هي زادُ الآخرةِ كما يَطلُبُ الضَّيْفُ قِراهُ تَصرِيحاً أو حُكْماً. فـ **الضَّيْف**: استِعارةٌ مُصرَّحةٌ[٤] عَنِ الشَّيْب. والقَرينةُ **ألَمَّ بِرَأسِي**. وذِكْر **قِرى** تَرشِيح[٥]. ويَجُوزُ في راءِ **غَيرَ** النَّصْبُ حالًا مِن فاعِلِ **ألَـمَّ**، أو مِنَ الضَّيفِ والجَرُّ صِفةَ **ضَيْف**. والرَّفْعُ خَبَـرَ[٦] مُبتَدأٍ مَحذُوف؛ أيْ: هو غَيرُ مُحتَشِم. والجُملةُ[٧] حالٌ مِن فاعِلِ **ألَـمَّ** أو صِفةُ **ضَيْف**. قِيلَ: قَولُه:

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربيّة لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ٢/ ٥٣٤.

(٢) ج: يقرأ به.

(٣) ج: -.

(٤) هي التي ذكر فيها المشبه به وحذف المشبه، (انظر: مجدي وهبة ٢٩).

(٥) هي التي ذكر فيها ما يلائم المشبه به بعد استيفاء القرينة. (انظر: مجدي وهبة ٢٩).

(٦) س: صفة.

(٧) يعني جُملة «هو غير محتشم».

ضَيْفٍ أَلَـمَّ بِرَأْسِي غَيرَ مُحتَشِمٍ كَلامُ المُتَنبّي [١]. ففي كَلامِ المُصَنِّفِ تَضمِين [٢]؛ أو إنَّهُ مِن تَوارُدِ الخَواطِر.

ولَمّا اعتَذَرَ عَن عَدَمِ قَبُولِ نُصْحِ الشَّيْبِ بعَدَمِ قَبولِ النَّفْسِ الأمّارةِ وأَنَّهُ كانَ يَترَقَّبُ قَبلَ حُلُولِهِ لِيَنزَجِرَ، فلَمَّا لَم يَكُنِ الأمرُ كما نَواهُ لِغَلَبةِ النَّفْسِ الأمّارةِ نَدِمَ على عَدَمِ كَتْمِهِ لهُ عِندَ ظُهورِه، فقال:

[١٥. لَـو كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنّـي مـا أُوَقِّرُهُ كَتَمْـتُ سِـرّاً بَـدا لِـي مِنـهُ بِالكَتَـمِ]

لو كُنتُ أعلَمُ: أعرِفُ أو أتيَقَّنُ قبلَ نزولِ الشَّيْب. والعُدول إليهِ عَنِ الماضي لإفادةِ الاستِمْرار. **أنّي ما أُوَقِّرُه**: بَعدَ نُزولِهِ بي بتَرْكِ فِعْلِ القَبيحِ استِحياءً مِنهُ نَويتُ قَبل: **كَتَمْتُ**: أخفَيْتُ **سِرًّا بَدا**: ظَهَرَ **لِي مِنهُ بالكَتَمِ** خَضباً، أو بغَيرِهِ مِمّا يُخْضَبُ بِه. **والكَتَم**: مُحرَّكةٌ نَبْتٌ يُخلَطُ بالحِنّاءِ ويُخضَبُ بِهِ الشَّعْرُ فيُقَنّي لَونَهُ. قالَهُ في «القامُوسِ» [٣] ....

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي (٣٠٣-٣٥٤هـ/ ٩١٥-٩٦٥م) الكوفي المعروف بالمتنبي (أبو الطيب) شاعر، حكيم. ولد بالكوفة، ونشأ بالشام، فأكثر التنقل بالبادية، وطلب الأدب، وعلم العربية، ونظر في أيام الناس، وفاق أهل عصره في الشعر، واتصل بسيف الدولة فانقطع إليه ثم مضى إلى مصر، فمدح بها كافوراً الإخشيدي، ومدح عضد الدولة ملك فارس والعراق، وقتل بالقرب من النعمانية في رمضان. من آثاره: ديوان شعر. (انظر: الأعلام ١/ ٢٠١؛ معجم المؤلفين ١/ ١١٥).

(٢) وهو ما تنطوي عليه القضية دون أن يصرح فيها. والتضمين في العروض العربي، أن قافية البيت بصدر البيت الذي يليه. والتضمين، في البديع العربي، أن يضمن الشاعر شعره بيتاً من شعر الغير مع التصريح بذلك إن لم يكن البيت المقتبس معروفاً للبلغاء. (انظر: وهبة ١٠٨).

(٣) يعني «القاموس المحيط» للفيروزآبادي. وهو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم ابن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧هـ/ ١٣٢٩-١٤١٤م) الشيرازي، الشافعي (مجد الدين، أبو طاهر) لغوي مشارك =

وعَبَّـرَ عَمّا بَدا مِنَ الشَّيْبِ أو[1] بالسِّرِّ؛ لأنَّهُ قَبلَ ظُهورِهِ خَفيّ، أو لأنَّهُ مُنذِرٌ بِقُرْبِ الأجَلِ الَّذي كانَ خَفيًّا.

وقيّدَ بِقَولِهِ: لي وإنْ[2] كانَ ما[3] يَبدُو لهُ مِنهُ يَبدُو لِغَيرِه، إلّا أنَّهُ أوَّلُ مَن يَطَّلِعُ عَليهِ صاحِبُهُ في الغالِبِ؛ لاهتِمامِهِ بشَأْنِ نَفْسِهِ أكثَرَ مِـمّا يَهتَمُّ بِهِ غَيرُه، فهو احتِراس.

ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ مِنَ البَيانِ بَعدَ الإجمالِ وهـو مِن بابِ الإطْنابِ[4]

= في عدة علوم. ولد بكازرون من أعمال شيراز، ونشأ بها، وانتقل إلى شيراز، وأخذ الأدب واللغة عن والده وغيره من علماء شيراز، وانتقل إلى العراق، وأخذ عنه الصفدي وابن عقيل والجمال الأسنوي وابن هشام، ثم قدم القاهرة وأخذ عن علمائها وجال في البلاد الشرقية والشامية ودخل الروم والهند ولقي جمعاً من الفضلاء وحمل عنهم شيئاً كثيراً، ثم دخل زبيد، فتلقاه الأشرف إسماعيل وبالغ في إكرامه واستمر في كنفه على نشر العلم، وكثر الانتفاع به، وأضيف إليه قضاء اليمن كله وقرأ السلطان فمن دونه عليه. واستمر بزبيد عشرين سنة وهي بقية أيام الأشرف ثم ولده الناصر، وقدم في خلال هذه المدة مكة مراراً وجاور بالمدينة والطائف، وبالغ في تعظيمه شاه منصور بن شجاع صاحب تبريز والأشرف صاحب مصر والسلطان بايزيد بن عثمان وابن أويس صاحب بغداد وتمرلنك وغيرهم واقتنى كتباً كثيرة، وتوفي بزبيد ليلة العشرين من شوال، من تصانيفه الكثيرة: القاموس المحيط والقاموس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وفتح الباري بالسيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري كمل ربع العبادات منه في عشرين مجلداً، والإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد، والبلغة في ترجمة أئمة النحاة واللغة. (انظر: معجم المؤلفين ١٢/ ١١٨-١١٩).

(١) س: أو.

(٢) ج: -.

(٣) س: -.

(٤) هو أداء المعنى بلفظ زائد عليه لفائدة كقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: ٤]. =

[١١٧ أ] / نَحْو: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥-٢٦]. وفائِدَتُهُ عِلْمٌ بالشَّيْءِ[١] إجمالًا وتَفصِيلًا.

وبَينَ قَولِهِ كَتَمْتُ والكَتَم تَجنِيس[٢].

ثُمَّ هذا السِّرُّ غَيْرُهُ في قَولِهِ لا سِرِّي بمُسْتَتِرٍ؛ لأنَّ ذاكَ هو الشّاهِدُ بِهَواهُ مِن دَمْعِهِ وأرَقِهِ وجَواهُ[٣] وهذا هو الشَّيْبُ، كما شَرَحْناهُ/ وفي مَعنى كَلامِ [7 a] المُصَنِّفِ قَوْلُ ابنِ عُصْفُور[٤]:

لَمـا تَدَنَّسْـتُ بالتَّفْرِيـطِ فـي كِبَـرِي وصِرْتُ مُغْرًى[٥] بِشُرْبِ الرّاحِ واللَّعَسِ

= فالإطناب هنا بذكر الخاصّ (الروح أي جبريل) بعد العام (الملائكة)، والفائدة تعظيم جبريل والتنويه بشأنه. (انظر: مجدي وهبة ٣٠؛ أحمد مطلوب ١٤٢-١٤٣).

(١) ج: الشيء.

(٢) الجنس: الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض ومن الأشياء جملة، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا؛ أي: يشاكله وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولا عقل.
فالتجنيس هو التجانس والجناس والمجانسة وكلها مشتقة من الجنس، وقد قال ابن الأثير الحلبي: «فأما لفظة الجناس فيقال: إن العرب لم تتكلم بها وإنما علماء اللغة قاسوها على نظائرها، وجعلوا الجناس حال كلمة بالنسبة إلى أختها وكذلك المجانسة. وأما التجنيس فإنه فعل المجنس مثل التصنيف فعل المصنف. وأما التجانس فهو الكلمات في نفسها من التشابه. (أحمد مطلوب ٢٦٤-٢٩٢).

(٣) أي: اشتداد وجده من عشق أو حزن.

(٤) هو علي بن مؤمن بن محمّد بن علي الخضرمي، الإشبيلي (٥٩٧-٦٦٣هـ/ ١٢٠١-١٢٦٥م) وعرف بابن عصفور (أبو الحسن)، فقيه، نحوي، صرفيّ، لغويّ، مؤرخ، شاعر. توفي بتونس. من تصانيفه: الممتع في التصريف، وشرح المقدمة الجزولية في النحو لم يكمل، وشرح ديوان المتنبي، وشرح المعرب في النّحو لم يتم، وشرح الجمل للزجاجي في النحو. (انظر: معجم المؤلفين ٧/ ٢٥١).

(٥) ج: مغرا.

رَأيتُ أنَّ خِضابَ الشَّيبِ أستَرُ لي إنَّ البَياضَ قَليلُ الحَمْلِ لِلدَّنَسِ

ثُمَّ استَفْهَمَ عَمَّنْ يَتكَفَّلُ لهُ بِرَدِّ جِماحِ نَفْسِهِ الأمّارةِ بالسُّوءِ بالمَواعِظِ الحَسَنة، فقال:

[١٦. مَنْ لِي بِرَدِّ جِماحٍ مِنْ غَوايَتِها كما يُرَدُّ جِماحُ الخَيْلِ باللُّجُمِ]

مَنْ[١]: استِفْهامٌ فيهِ مَعنى التَّمنّي، مُبتدأٌ خَبرُهُ قَولُهُ: **لي**؛ أيْ: مَن كائِنٌ بالإمدادِ لي والإعانة. ويَتعَلَّقُ بمُتعلِّقِ الخَبرِ الثّاني في[٢] قَولِه: **بِرَدِّ جِماحٍ**: بِصَرْفٍ ومَنْعٍ مِن **غَوايَتِها**: بفَتحِ الغَينِ المُعجمةِ: ضَلالَتِها، لأنَّ الضَّميرَ لِلنَّفْسِ الأمّارة. **كَما يُرَدُّ جِماحُ الخَيْلِ باللُّجُم**: القَويّة، لا كَعِنانِ واعِظِ الشَّيْب.

ومِثْلُ هذا الاستِفْهامِ يُقالُ فيهِ استِفْهامُ تَضَرُّعٍ واستِعْطافٍ ونِسْبةُ الجُمُوحِ إلى النَّفْسِ إمّا على طَريقِ التَّخييليّة المَكنِيّة، أو على طَريقِ المُشاكَلةِ لِمُصاحَبَتِهِ جِماحَ الخَيْل. **ومِن**: ابتِدائِيّة. **والكاف**: لِلتَّشْبيه. **وما**: مَصدَرِيّة. والظَّرْفُ إمّا صِفةُ «رَدّ» فيَكُونُ مَجرُورَ المَحَلّ، أو صِفةُ مَفعُولٍ مُطلَقٍ؛ أيْ: يَرُدُّ جِماحَ الخَيْلِ رَدًّا مِثلَ رَدِّ جِماحِ الخَيْلِ؛ أيْ: جامِحِها أو ذا جِماحِها. وإضافَتُهُ لِلخَيلِ إضافةٌ لِلمَصْدَرِ إلى فاعِله. **واللُّجُم**: بضَمَّتَينِ جَمعُ لِجام، فارِسِيٌّ، مُعَرَّب. أصلُهُ لِكام[٣]. **والباء** فيهِ للاستِعانة. ولَـمّا أمَرَ برَدِّ النَّفْسِ عَن جِماحِها باللُّجُمِ القَويّةِ عَدَلَ عنهُ إلى السِّياسةِ اللَّيِّنةِ الهَيِّنةِ[٤] لِئَلّا يُنفرَ فقال:

---

(١) س: ـ.

(٢) س: ـ.

(٣) فرهنگ، فشرده، فارسي به أنكليسي لعباس آربانيور كاشاني «لكام». ليس كما ورد في «المعرب» للجواليقي (ت٥٤٠هـ) على شكل «لغام».

(٤) ج: البهية.

[١٧. **فلا تَرُمْ بالمعاصِي كَسْرَ شَهْوَتِها إنَّ الطَّعـامَ يُقـوِّي شَـهْـوةَ النَّهـِمِ**]

فلا تَرُمْ أيُّها الصّالِحُ لِلخِطاب: تَطْلُب. والفاءُ فَصِيحة؛ أيْ: إذا عَرفْتَ عُزُوبَ النَّفْسِ عَنِ الخُيُورِ **فلا تَرُمْ بالمَعاصِي كَسْرَ شَهوَتِها**. فإنَّهُ غَلَط. فتَمادِيها على المَعصِيةِ سَبَبُ أُنسِها بِها وتَمادِيها عَليها لإلْفِها لِذلكَ، بَل يَنبَغِي قَلعُها مِنها جُملةً واحِدةً كـرَدِّ اللِّجامِ الجَمُوح. **والمَعصِيةُ**: الإتيانُ بالمَنهِيّات. **وال** فيـهِ لِلاستِغْراق. والباءُ الدّاخِلةُ عليهِ لِلاستِعانة. **والكَسْرُ**: تَفريقُ أجزاءِ الشَّيْءِ بَعضِها عَن بَعْضٍ بالقَرْعِ العَنِيف. **والشَّهْوة**: طَلَبُ النَّفْسِ لِشَيْءٍ تَراهُ لَذِيذاً حِسًّا أو وهْماً، والضَّمِيرُ لِلنَّفْس.

شَبَّـهَ أوَّلاً الشَّهْوةَ بِشَيْءٍ يَتأَتَّى كَسْرُه، ثُمَّ أثبَتَهُ لَها فالتَّشْبِيهُ المُضمَرُ استِعارةٌ مَكنِيّة وإثْباتُ الكَسْرِ تَخيِيليّة. أو شَبَّهَ إبْطالَها بالكَسْرِ، ثُمَّ استَعارَ لَهُ لَفْظَ الكَسْـرِ فتَكُونَ[١] مُصرَّحة، ثُمَّ استَدَلَّ على ما ذَكَرَهُ بِقَولِهِ على طَرِيقِ الاستِئْنافِ البَيانِيِّ.

إنَّ الطَّعامَ: كُلَّ ما يُؤْكَلُ بقُوّةِ البَدَنِ ودَفْعِ الجُوْعِ غالِباً. **وال** فيهِ لِلجِنْس. **يُقَوِّي**؛ أيْ: يُمَكِّنْ **شَهْوةَ النَّهِم**: بِفَتحِ النُّونِ وكَسْرِ الهاءِ صِفةٌ مُشَبَّهةٌ مِن «نَهِمَ يَنْهَمُ»، وهو قُوَّةُ الرَّغْبةِ في الطَّعام/ مَعَ الحِرْصِ الشَّدِيدِ عَليهِ؛ وذلكَ لِذَوقِهِ الطَّعامَ فانبَعَثَ حِرْصُهُ عَليه. ويُمكِّنُ حُبَّهُ لَه، بخِلافِ ما إذا رَفَعَ مِن بَينِ يَدَيه. فإنَّهُ لا يَجِدُ ما يَشتَغِلُ فيهِ فيَيأَسَ مِنه. وكَذا النَّفْسُ إذا حِيلَ بَينَها وبينَ العِصْيانِ / يَئِسَتْ منهُ وعادَتْ إلى الطّاعة. واعتُرِضَ بأنَّ النَّهِمَ إنَّما يَرغَبُ في الطَّعامِ عندَ حُضورِهِ ما لَم يَشْبَعْ مِنه، وإلّا فقد أخَذَ حاجَتَه. فالدَّلِيلُ غَيرُ ظاهِر. وأُجِيبَ بأنَّ العَرَبَ تَقُول: «تَطَعَّمْ تطعَم[٢]»؛ أيْ: ذُقْ تَأكُل. والمَعدةُ أبداً تَنفَتِحُ لِـما

[7 b] [١١٧ ب]

---

(١) س: فيكون.

(٢) أي: ذق حتى يدعوك طعمه إلى أكله. يضرب في الحث على الدخول في الأمر؛ أي: =

يُلقَى فيها مِنَ الطَّعامِ إلّا لِـمانِعٍ، وقُوَّتُها الجاذِبةُ لا تَزالُ وإنِ امتَلأت، سِيَّما مَعِدةَ النَّهِم، ومِثالُ هذا ما ذَكَرَهُ بِقَولِهِ:

[١٨. والنَّفسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهمِلْهُ شَبَّ على حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِمِ]

والنَّفْس: هي عِندَ الصُّوفيّةِ ما كانَ مُتَّصِفاً بِرَذائِلِ الأخْلاقِ وقَبائِحِ الأحْوال. والنَّفْسُ عِندَ غَيرِهِم الرُّوحُ أو الدَّمُ أو الجَسَد. وال هُنا لِلعَهدِ الخارِجيِّ؛ أيْ: النَّفْس الأمّارة. ففيهِ إظْهارٌ في مَحَلِّ الإضْمارِ لِلتَّفْخِيمِ وزِيادةِ التَّمْكِين. **كالطِّفْل**: المَولُود. قالَ العَضد: الّذي لَم يَبلُغْ سِنَّ البُلُوغ. ولَم يُقَيِّدْهُ بِذلكَ كُلٌّ مِن[1] ابنِ جَماعة والأصل[2] **إنْ تُهمِلْهُ**: تَترُكْهُ. **شَبَّ**[3]: كَبرَ وحَرِصَ **على حُبِّ الرَّضاع**: لألْفِهِ لَه. والمَصدَرُ مُضافٌ لِـمَفْعُولِه، والرَّضاعُ بكَسْرِ رائِهِ وبِفَتحٍ، وتَلحَقُهُ[4] التّاءُ جَوازاً[5]، مَصْدَر «رَضعَ»[6]. **وإنْ تَفْطِمْهُ**: تَفْصِلْهُ عنهُ **يَنفَطِم**: لَم يَصِرْ طالِباً لَه بِوَجْه، وقَد كانَ قَبلُ يَبكِي فلا يَسكُتُ إلّا بالرَّضاع، فلَمّا فُطِمَ يَئِسَ مِنه، فكذا النَّفْسُ إنَّما تَنفَطِمُ عَن مَألُوفِها برادِعٍ قَوِيٍّ ووازِعٍ إلَـهِيٍّ.

وسُئِلَ بَعضُهُم عَنِ الإسْلام، فقال: «ذَبْحُ النَّفْسِ بِسَيْفِ المُجاهَدة». ورُوِيَ «المُخالَفة».

= ادخل في أوله يدعوك إلى الدُّخول في آخره ويرغبك فيه. (انظر: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال ١/ ١٧٧).

(١) وما بين القوسين ساقط من «س».

(٢) يعني ابن علان بهذه الكلمة مشارق الأنوار المُضية في شرح الكواكب الدرية للقسطلاني.

(٣) ج: يشب.

(٤) س: يلحقه.

(٥) س: جوار.

(٦) س: رضيع.

والجُملةُ الشَّرْطِيّةُ مُحتَمِلةٌ لِلحاليّة؛ عامِلُها معنى التَّشبيهِ المُستَفادِ مِنَ الكاف؛ والتَّفْسيرِيّةِ كأنَّها عَطْفُ بَيانٍ لِلجُملةِ السّابقة؛ وتَفْصِيلٌ لَها لإجْمالِها؛ ولِلاستِئْنافِ لِبَيانِ وجْهِ الشَّبَه. والجامِعُ بَينَ الشَّرْطِيَّتَينِ اتِّحادُ المُسنَدِ إليهِ فيهِما وضِدَّيهِ الإهْمالُ لِلفِطام؛ إذِ المُرادُ بِهِ عَدَمُ الإفْطام، والإفْطامُ عَدَمُ الإهْمال. وأتى بـ إنْ الشَّرْطِيّةِ المَوضُوعةِ لِلشَّكِّ في مَحَلٍّ إذا باعتِبارِ عادةِ الأُمَّهاتِ مَعَ الأبناءِ في تَدرِيجِهِنَّ لَهم في الفِطامِ شَيئاً فشَيئاً حَتَّى يَقطعنَهُم عَنه.

ولَمّا شَبَّهَ النَّفسَ بالطِّفْلِ وهو لا يُؤمَرُ ولا يُنهَى لعَدَمِ فهمِهِ ذلكَ، وإنْ فهِمَ لا يَمْتَثِلُ إنَّما الشَّأْنُ في إزاحَتِهِ عَن ذلكَ وأنْ لا يُمكَّنَ منهُ أمرٌ يَصْرِفُ الهَوى عَنِ النَّفْسِ حَتّى لا يَجِدَ إليهِ سَبِيلاً، فقال:

[١٩. فاصْرِفْ هَواها وحـاذِرْ أنْ تُوَلِّيَهُ إنَّ الهَـوَى مـا تَوَلَّـى يُصْـمِ أوْ يَصِمِ]

فاصْرِفْ هَواها: قَبلَ تَمكُّنِ سُلْطانِهِ وبادِرْهُ حالَ ضَعْفِهِ على حَسَبِ الطّاقة. ولَم يَقُلْ: فاصْرِفِ النَّفْسَ/ عَن هَواها؛ لأنَّها لا تَفهَمُ هذا المَعنى، أو تَفهَمُهُ ولا تَمتَثِلُهُ كالطِّفْل. **والفاءُ** فصيحة. **والهَوى**: المَحبَّةُ والمَيلُ التّامُّ. **وهَوى النَّفس**: مُناها وشَهَواتُها. والضَّميرُ لِلنَّفس. **وحاذِرْ**: المُفاعَلةُ لِلمُبالَغةِ لا لِلمُغالَبة؛ أيْ: احذَرْ وتَحرَّزْ عَن أنْ **تُوَلِّيَهُ** بإمرةٍ مِن الإمارةِ؛ أي: الوِلاية. ويُروى **تُوالِيَهُ** مِنَ المُوالاة. والضَّميرُ فيهِ **لِلهَوى**. والمَفعُولُ الثّاني مَحذُوفٌ؛ أيْ: أمراً أو عَملاً. وعَلَّلَ ذلكَ على سَبيلِ الاستِئْنافِ البَيانِيِّ بِقَولِهِ: **إنَّ الهَوَى**. أظهَرَ في مَحَلِّ الإضْمارِ لِلتَّفْخِيمِ والتَّنوين. فـ ال فيهِ لِلعَهدِ الخارِجيِّ./ **ما تَولَّى**: ما فيهِ شَرطِيّةٌ مَصدَرِيّةٌ؛ أيْ: مُدّةَ تَولِّيه.

[8 a] [١١٨ أ]

يُصْمِ: بضَمِّ الياءِ مِنَ الإصْماءِ؛ أيْ: القَتل؛ مِن «أصمَيْتُ الصَّيْدَ فقَتَلْتُه»، أو **يَصِمِ**: بِفَتحِ التَّحتيّةِ وكَسْرِ الصّاد؛ أيْ: يَجعَلُهُ ذا عَيْبٍ، مِن «وَصَمَهُ يَصِمُهُ

وضماً» إذا عابَه، وحُذِفَتِ الواوُ منهُ لِوُقوعِها بينَ حَرْفِ مُضارَعةٍ مَفتوحٍ وحَرفٍ مَكسُور. ويُحتَمَلُ أنَّ المُفاعَلةَ في **حاذِر**: على بابِها. [ففيهِ تَنْبيهٌ على مُراقَبةِ النَّفْس. فإنَّها تَرقُبُ الغَفْلةَ مِن صاحِبِها لِيَقَعَ في هَواها، فهي تُحاذِرُهُ كما يُحاذِرُها][1].

وفي البَيتِ استِعارةٌ مَكنِيّة تَتبَعُها استِعارةٌ تَخييليّة، شَبَّهَ النَّفْسَ بطالِبِ أمارةٍ، وحَذَفَهُ وأثبَتَ مِن لَوازِمِهِ الأمرَ بصَرْفِهِ عَنِ التَّوْلِيَةِ وأنَّهُ جائِرٌ ظالِمٌ إنْ تَوَلَّى قَتَلَ أو عابَ. فهي مُرَشَّحةٌ أيضاً؛ لأنَّها قُرِنَتْ بِما يُلائِمُ المُشَبَّهَ به. لَكِنْ قالَ ابنُ جَماعةٍ في كَونِهِ كِنايةً أو استِعارة: «بَحْثٌ عِندي». وأبرَزَ خَبَرَ **إنْ** في صُورةٍ شَرطِيّةٍ دالّةٍ على تَعليقِ أمرٍ بأمرٍ في الاستِقْبالِ لِقَصْدِ أنَّ تَولِيَةَ الهَوى أمْرٌ[2] لا يَنبَغِي أنْ يُوجَدَ ولا يَقَعَ إلّا فرضاً كما يُفرَضُ المُحال. وقَولُهُ: **يُصْمِ أو يَصِمِ** مانِعة الخُلُوِّ وبَينَهُما تَجنِيسُ التَّحريفِ[3]. ومنهُ قَولُهُم: «البِدْعةُ شَرَكُ الشِّرْك».

ولَمّا كانَ في قَولِهِ: **فاصرِفْ هَواها**: ما يَتناوَلُ هَواها مِنَ الطّاعاتِ إنْ هَوَتْها، احتَرسَ مِنه، فأزالَ ذلكَ بِقَولِهِ:

[٢٠. وراعِها وهيَ في الأعمالِ سائِمةٌ وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرعَى فلا تُسِمِ]

وراعِها؛ أيْ: لاحِظِ النَّفْسَ وهي [في] **الأعمالِ** الصّالِحة **سائِمةٌ**؛ أيْ: راعِية.

ولَـمّا كانَ لِلنَّفْسِ حَظٌّ في بَعضِ العِباداتِ كانَ رُبَّما يَلحَقُها الرِّياء.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من: «س».

(٢) س: أم.

(٣) قال ابن منقذ: «هو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين». (انظر: مجدي وهبة ٣٠؛ أحمد مطلوب ١٤٢-١٤٣).

ويُمدَحُ الإنسانُ مِن أجْلِ فِعْلِها، فهو يَهواها لِذلكَ، وهذا القَصْدُ قَد يَخفَى على صاحِبِها. نَبَّـهَ على ذلكَ بِقولِهِ: **وإنْ هي استَحْلَتِ المَرْعَى**؛ أي: وجَدَتْهُ حُلْواً. فانهَمَكَتْ، أو هَمَّتْ بالعُكوفِ عليهِ **فلا تُسِم**؛ أيْ: فلا تُخرِجْها لِذلكَ المَرْعى، حَتَّى تَتفقَّدَ دَسائِسَها؛ لأنَّ النُّفوسَ البَشَريّةَ/ إلّا مَن رَحِمَ اللهُ لا تَهوى الطّاعةَ مِن حَيثُ ذاتِها. فإذا استَحْلَتْها ومالَتْ إلَيها أمكَنَ ذلكَ أنْ يَكونَ لِغَرَضٍ لَها فيه، فيَعودُ هَواها كالمَكرُوهِ المَأمُورِ بِصَرْفِها عَنه. وقَولُه: **في الأعمالِ** مُتعلِّقٌ بـ **سائِمة**، قُدِّمَ عليهِ لِلتَّخْصِيص. وكَلِمةُ **في**: لِلظَّرفيّةِ الحَقِيقيّةِ واستِعْمالُها في الظَّرفيّةِ المَجازيّةِ كما هُنا مَجازٌ عِندَهُم. [8 b]

وفي البَيتِ استِعارةٌ مَكنيّة وتَخييليّة، شَبَّهَ الأعمالَ بالكَلأِ في كَثْرةِ النَّفْع، فالتَّشْبيهُ المُضمَرُ في النَّفْسِ استِعارةٌ مَكنيّة. وإثباتُ السَّوْمِ تَخييليّة، ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ مِن الاستِعارةِ التَّمْثِيليّة؛ أيْ: شَبَّهَ الهَيئةَ الحاصِلةَ مِن استِعْمالِ النَّفْسِ بـ **الأعمالِ** واحِداً بَعدَ واحِد، ومَنْعِها عَمّا فيه المَضَرّةُ بِحالِ الحَيَوانِ في الرَّعْيِ بينَ العُشْبِ والكَلأِ بأكْلِ ما يَرضاهُ شَيئاً فشَيئاً، ومَنْعِ ما لا يَرضاه. وعَدَلَ عَن «إذا» إلى إنْ المَوضُوعةِ لِلشَّكِّ مَع أنَّ المَقامَ لِلتَّحقِيقِ إيماءً إلى أنَّ ذلكَ لا يَنبَغِي أنْ يُوجَدَ ويَقَعَ إلّا فرْضاً وتَقدِيراً. والمَعطُوفُ عليهِ بالواوِ في قَولِهِ: **وإنْ هِي استَحْلَتِ المَرعَى** مُقَدَّرٌ، تَقدِيرُه: إنْ لَم تَستَحْلِ المَرعَى فدَعْها سائِمة، وإنْ هي استَحْلَتهُ فلا، وهي فاعِلُ فِعْلٍ مَحذُوفٍ يُفَسِّرُهُ الفِعْلُ المَذكُورُ بَعدَه.

[١١٨ ب] فلَمّا حُذِفَ العامِلُ انفَصَلَ الضَّمِيرُ/ المُتَّصِلُ بهِ المُستَكِنُّ فيه، واللّامُ في المَرعَى لِلجِنْس، وبينَ **راعِها** **والمَرعَى** جِناسُ الاشتِقاقِ[1]؛ أيْ: الاشتِقاقِ الصَّغير.

---

(١) الاشتقاق: نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة. وهو يقابل الجمود ويضاده، ويعتبر الاشتقاق أحد المصادر الهامة في توسعة اللغة ونموها. ويقسم اللغويّون الاشتقاق إلى قسمين، هما: الاشتقاق الكبير والاشتقاق الصغير. =

ثُمَّ استَشهَدَ على ما تَضَمَّنَهُ كَلامُهُ المَذكُور بِقَولِهِ، على سَبيلِ الاستِئناف:

[٢١. كَـمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قاتِلةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أنَّ السُّـمَّ في الدَّسَمِ]

كم: خَبَرِيّةٌ مَعناها عَدَدٌ كَثِيرٌ وهي هُنا مَنصُوبةٌ على الظَّرفيّة. العامِلُ فيها **حَسَّنَتْ**؛ أيْ: كَثِيراً ما زَيَّنَت. وفائِدةُ التَّكثِيرِ بالتَّفعِيلِ مَع أنَّهُ مَدلُولُ كَم التَّأكِيدُ والمُبالَغة. **لَذّةً لِلمَرْء**؛ أيْ: الرَّجُل. والظَّرْفُ إمّا لَغو، مُتعلّقٌ بـ **حَسَّنت** أو بِقَولِهِ **قاتِلةً**. والتَّقدِيمُ لِلاهتِمامِ وإقامةِ الوَزْن. وهي صِفةُ **لَذّة** مُخصِّصة. **مِن**: ابتِدائِيّة. **حَيثُ**: مِنَ الظُّروفِ المَبنِيّةِ لاحتِياجِها إلى جُملةٍ تُبَيِّنُ مَعناها، كاحتِياجِ الحَرْفِ لِكاشِفِ مَعناها. وإنَّما احتاجَتْ لِذلكَ لأنَّ وضْعَها لِمَكانٍ تَقعُ فيهِ النِّسْبة. وهي قائِمةٌ بالجُملة. وقَد تُستَعمَلُ لِلتَّعلِيلِ[1] والظَّرْف؛ أيْ: مِن حَيثُ لَغو مُتَعلِّقٌ بالفِعْل؛ أو مُستَقرّ، حالٌ مِنَ القَتْلِ أو التَّحسِينِ الدّالِّ عَلَيهِما. **حَسَّنَتْ** و**قاتِلةً**؛ أيْ: حالَ كَونِ التَّحْسِينِ أو القَتْلِ حاصِلاً **مِنْ حَيثُ لَم يَدْرِ**: يَعْلَمْ **أنَّ السُّمَّ**: بِفَتحِ المُهمَلةِ وضَمِّها: داءٌ قاتِلٌ إذا طُرِحَ في ماءٍ أو طَعام. **في الدَّسَم**: بِفَتحِ المُهمَلَتينِ ودَكُ اللَّحْم/ والشَّحْم، فأكلَهُ ولَم يَتفَقّدْ باطِنَهُ [9 a]

= فأما الصغير فهو أخذ الكلمة من أصلها وتصريفها عدة تصريفات بنفس ترتيب حروفها مع ما تقتضيه الصيغ من زيادات، مثل: يأكل وأكل ومأكول وأكول وأكال من مادة (أكل). وهذا النوع يسمى أيضاً الاشتقاق الأصغر.

وأما الأكبر فهو كما عرفه ابن جني ومثل له بقوله: «أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف من كل واحدٍ منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه. ومثاله: (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) وكل هذه التقاليب تدور حول معنى القوة والشدة». وهذا النوع من الاشتقاق قد يسمى بالاشتقاق الكبير. (انظر: معجم المصطلحات الصرفية والنحوية لمحمد سمير نجيب اللبدي ١١٦).

(١) ج: للتعليلة.

مِـمّا دُسَّ فيه. وخَصَّ الدَّسَمَ؛ لأنَّهُ يَعلُو الأشياءَ فيَستُرُ ما تَحتَهُ كصُورةِ العِبادةِ تَستُرُ ما بَطنَ مِنَ النِّيّةِ الخَبيثة، أو لأنَّ الدَّسَمَ لِسُهولةِ امتِزاجِ السُّمِّ بِهِ يَخفى إلّا على المُتفَقِّدِ اللَّبيبِ كخَفاءِ النِّيّةِ في العِباداتِ والدِّرايةُ المَعرِفةُ الحاصِلةُ بِضَرْبٍ مِنَ الحِيلة. وأنّ: مَع اسمِها وخَبَرِها سادٌّ مَسَدَّ مَفعُولَي يَدرِي. وفاعِلُهُ راجِعٌ إلى المَرْء. وجُملةُ لَـمْ يَدْرِ مجرور[ةٌ] بإضافةِ حَيثُ إلَيها.

وفَصلَ البَيْتَ عَمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كما تَقدَّمَ استِئنافٌ لِبَيانِ عِلّةِ النَّهْيِ السّابِق. لأنَّهُ لَـمّا قال: فلا تسِمِ كانَ مَظِنّةُ السُّؤالِ سَبَبَ النَّهْيِ عَنه، فأجابَ بِذلكَ. ولَـمّا أشارَ إلى دَسائِسِ النَّفْسِ وارتِقابِها غَفلاتِ صاحِبِها حَذَّرَ مِن ذلكَ فقال:

[٢٢. واخْشَ الدَّسائِسَ مِنْ جُوعٍ ومِنْ شَبَعٍ ... فَـرُبَّ مَـخْـمَـصَـةٍ شَرٌّ مِـنَ التُّخَمِ]

واخْشَ: مِنَ الخَشْيةِ خَوْفٌ يَشُوبُهُ تَعظِيم. وأكثَرُ ما يَكُونُ عَن عِلْمٍ مِـمّا يُخشَى مِنه. الدَّسائِس؛ أيْ: [ما] تَجمَعُهُ النَّفْسُ مِنَ المَكْرِ حالَ تَلبُّسِها بقَلِيلِ العِبادة. وعَبَّـرَ عنهُ على طَرِيقِ الاستِعارةِ المُصرَّحةِ بقَولِهِ: مِن جُوْعٍ، وحالَ تَلبُّسِها بكَثِيرِها، وعَبَّـرَ عنهُ بِقولِهِ: ومِنْ شَبَعٍ: والجُوْعُ أَلَمٌ يَعتَرِي الحَيوانَ مِن خُلُوِّ المَعِدةِ مِنَ الطَّعام. وضِدُّهُ الشِّبَع. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ التَّجوُّزُ فيهما مِنَ المَجازِ المُرسَلِ[١] مِن تَسمِيةِ الشَّيءِ بما يَؤُولُ إليه؛ لأنَّ قِلَّتَها تَؤُولُ[٢] إلى جُوعِ صاحِبِها في الآخِرةِ بالنِّسْبةِ إلى شَبَعِها، وكَثْرَتَها تَؤُولُ إلى الشَّبَعِ هُناك. فرُبَّ مَخمَصةٍ: شِدّةُ جُوعٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ: جَمعُ تُخْمة. قِيلَ: فسادُ المَعِدةِ بالطَّعام. وأصلُها «وخْمة»، أُبدِلَتِ الواوُ تاءً. وعَرَّفَها ونَكَّرَ مَخمَصةً إيماءً

---

(١) هو كلمة أو تركيب استعمل في غير معناه الحقيقي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. (انظر: مجدي وهبة ٣٣٤؛ أحمد مطلوب ٦٠٢).

(٢) س: يؤول.

بأنَّ شِدّةَ جُوعٍ واحِدٍ/ شَرٌّ مِن جَمِيعِ التُّخَم، إذْ هو جَمْعٌ مُحلًّى بـ ال؛ وذلكَ [١١٩ أ] لإضرارِ الجُوعِ الفرطِ[١] بالقَلْبِ والرُّوْحِ والدِّينِ. أمّا التُّخْمةُ فمُضِرّةٌ على سَبيلِ الغالِبِ بالجِسْم.

ومَعنى البَيْتِ أنَّ النَّفْسَ قد تُزيِّنُ لِصاحِبِها التَّقْليلَ[٢] بما فيهِ مِنَ السَّلامةِ مِنَ المَلَلِ وقَصْدُها بِذلكَ الرّاحة، وقَدْ تُزَيِّنُ لهُ الإكثارَ بما فيهِ مِن تكثيرِ الثَّوابِ وقَصْدُها بِذلكَ الشُّهْرة، حَتَّى تُثْنِي[٣] عَليها النّاس[٤]. وفي الجَمْعِ بينَ **الجُوعِ والشَّبَعِ** طِباق. وكذا في الجَمْعِ بينَ **المَخْمَصةِ والتُّخَم**. إذْ كُلٌّ مِنهُما شِدّةٌ ما يُضافُ إلَيه. **والدَّسائِس**: مَنصُوبٌ بنَزْعِ الخافِض. والظَّرْفُ بَعدَهُ صِفةٌ أو حالٌ مِنَ الدَّسائِس. و**مِن**: فيهِما ابتِدائيّة. وتَنوينُهما لِلتَّحقِيرِ مُبالَغة. وفي تَكريرِ **مِن** إيماءٌ إلى أنَّ كُلًّا مِنهُما مُستَقِلٌّ في الأمرِ بتَحيُّثِه. ويَجُوزُ جَرُّ **شَرّ** صِفةَ **مَخمَصة**، ورَفْعُ خَبَرِ مُبتدأٍ مَحذُوف. [فَـ] الجُملةُ صِفةُ **مَخمَصة**.

ولَـمّا حَذَّرَهُ مِنَ الدَّسائِسِ بالنِّسْبةِ لِـما يَأتي أمرَهُ بِعلاجٍ دَواماً فارقه فيما مَضى بِقَولِهِ:

[٢٣. واسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِامْتَلأتْ مِنَ المَحارِمِ والْـزَمْ حِمْيـةَ النَّـدَمِ]

[9 b] واستَفْرِغِ: صُبَّ **الدَّمْعَ**: ال فيهِ/ لِلاستغراق. مِن: ابتِدائِيّة. **عَينٍ**: تَنوينُهُ لِلتَّحقِير، وحَقارَتُها لِوَصْفِها. وهو **قَدِ امتَلَأَتْ مِنَ المَحارِمِ**: المَعاصِي الَّتي اقترَفَتْها. ومَعنى امتِلائِها مِنها أنْ تُكثِرَ المَعاصِي مِن جِهَتِها، فيَكُونَ مِن إطلاقِ

---

(١) س: الفرط.

(٢) س: التقليل.

(٣) س: يعني.

(٤) س: الناس.

المَلزُومِ وهو الامتِلاءُ وإرادةِ اللّازم؛ أيْ[١]: تُكثِرُ الذُّنوب. وخُصَّتِ العَينُ عَن باقي الجَوارِحِ؛ لأنَّ العَينَ تَنظُرُ أولًا فتَمِيلُ النَّفْسُ لِلمَنظُورِ وتَتبَعُها الجَوارِحُ.

ولَـمّا عَرَّفَهُ بالدَّواءِ القاطِعِ لِلدّاءِ نَبَّهَهُ على غِذائِهِ حالَ نَقاهَتِهِ مِنهُ فقال: **والْزَمْ حِمْيَة**: بكَسْرِ الحاءِ؛ أيْ: مَنْعَ النَّدَمِ مِنَ العَوْدِ إلى المَعاصِي. والإضافةُ بَيانِيّةٌ أو بمَعنى «مِن»، شَبَّهَ تَرْكَ المَعاصِي بتَرْكِ المَريضِ المُضِرَّ بِهِ مِنَ الطَّعام.

ثُمَّ استَعارَ لِتَرْكِ المَعاصِي لَفْظَ **الحِمْية** المُختَصّةِ بتَرْكِ الطَّعامِ المُضِرِّ مُبالَغَةً؛ فتَكُونُ استِعارةً مُصَرَّحةً. وذِكْرُ النَّدَمِ تَجرِيد، لِكَونِهِ مِن مُلائِماتِ المُشَبَّهِ ومِنَ الغِذاءِ لِلنّاقِهِ مِن مَرَضِ ذُنوبه، فيَكُونُ عَطْفاً على **والزَمْ**، أو مِنَ الدَّواءِ لِداءِ[٢] المَعاصي، فيَكُونُ عَطْفاً على **استَفْرِغْ**. قَولُه:

[٢٤. وخالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطانَ واعْصِهِما   وإنْ هُمـا مَحَّضـاكَ النُّصْـحَ فاتَّـهِمِ]

وخالِـفِ النَّـفْسَ: الأمّارة، فـ ال لِلعَهـدِ الخارِجِيِّ. **والمُخالَفَـةُ**: تَـرْكُ المُوافَقة. والأخْذُ بغَيرِ طَرِيقِ الآخرِ في حالٍ أو قَوْلٍ أو فِعْل. **والشَّيْطان**: كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الجِنِّ. مِن «شـاطَ»؛ أيْ: احتَرَقَ غَضَباً، فالألِفُ والنُّونُ مَزِيدَتانِ، ووَزْنُهُ «فعلان»؛ أو مِن «شَـطَنَ»؛ أيْ: بَعُدَ عَنِ الخَيْر. فالنُّوْنُ أصلِيّةٌ ووَزْنُهُ «فيعال». قالَ الجاحِظ[٣]: الجِنِّيُّ إذا كَفَرَ وظَلَمَ وتَعدَّى وأفسَدَ فهو شَيْطان،

---

(١) س: ـ.

(٢) س: الداء.

(٣) هو عمرو بن بحـر بن محبوب الكناني، البصري، المعتزلي (١٥٠-٢٥٥هـ/ ٧٦٧-٨٦٩م)، المعروف بالجاحظ (أبو عثمان) عالم، أديب، مشـارك في أنواع العلوم. ولد بالبصرة، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد، وتنسب إليه الفرقة الجاحظية، وأقام مدة ببغداد. من تصانيفه الكثيرة: الحيوان في سبعة أجزاء، =

فإنْ قَوِيَ على حَمْلِ البناءِ[(١)] والشَّيءِ الثَّقِيلِ وعلى استِراقِ السَّمْعِ فمارِد. فإنْ[(٢)] زادَ على ذلكَ فعِفريت **واعصِهِما** والفَرْقُ بينَ مَطلُوبَيهِما أنَّ مَقصُودَ النَّفسِ الحَظُّ والشَّهْوةُ العاجِلةُ كيفَ كانَت، ومَقصُودُ الشَّيْطانِ الوُقوعُ في العِصْيانِ ونَهيٌ عَن إطاعةِ النَّفْسِ مَع أنَّ بَعضَ مَعصِيةٍ مُبالَغة، وذلكَ لأنَّ مُخالَفَتَها مُطْلقاً سَبَبُ الخَلاصِ مِنَ المَنهِيِّ عَنهُ والأمنِ مِنَ الوُقوعِ فيه، فنَهى عَنها لِذلكَ؛ أيْ: اجعَلْ عادَتَكَ مُخالَفَتها مُطْلقاً لِتأمَنَ مِن[(٣)] آفاتِها، وإلاّ لاحتَمَلَ أنْ تَقَعَ[(٤)]/ فيها مِن غَيرِ شُعور. وعَطْفُ العِصْيانِ على المُخالفةِ مِن عَطْفِ [١١٩ ب] الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ العِصْيانَ تَرْكُ الامتِثال. فكُلُّ عِصْيانٍ مُخالَفَةٌ مِن غَيرِ عَكْس. وضَمِيرُ التَّثْنِيَةِ لِلنَّفْسِ والشَّيْطان. [**واعصِهِما**] أمرٌ لِما يَقَعُ على سَبيلِ الفَرْض. وعَطْفٌ على شَرْطِ تَقدِيرِهِ إنْ لَم يَمْحَضاكَ **النُّصح**. **قَولُهُ: وإنْ**: أتَى بها دُونَ «إذا»، لأنَّهُ أمرٌ مَشكُوكٌ فيه، بَل هو على سَبيلِ الفَرض. **هُما**: فاعِلُ فِعْلٍ مَحذُوفٍ يُفَسِّرُهُ **مَحَّضاكَ**؛ أيْ: أخلَصا لكَ النُّصحَ. تَحرِّي قَولٍ أو فِعلٍ فيهِ صَلاحُ/ صاحِبِه. **فاتَّهِم**؛ أيْ: فاتَّهِمْهُما، لِدَلالةِ السِّياقِ عليهِ ولِدعايةِ الوَزْنِ إلَيه. [10 a]

وذلكَ كَأنْ تَقُولَ النَّفْس: «مَتِّعْني بهذهِ لأشبَعَ مِنها، فأتوجَّهُ إلى الطّاعةِ فارِغةً»، أو تَقولَ هي أو الشَّيطانُ لِمُجِدٍّ في العِبادة: إنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَن عَمَلِكَ فحافِظْ على أصلِ الإيمانِ يَكْفِكَ؛ أو لِلمُنهَمِكِ في المُخالَفة: «قَدِ اجتَرَمْتَ ما لا يُقبَلُ لكَ مَعَهُ عَمَل».

= والبيان والتبيين، والطبائع، والنبي والمتنبئ، وسلوة الحريف بمناظرة الربيع والخريف. (معجم المؤلفين ٨/ ٧).

(١) س: البنا.

(٢) س: وإن.

(٣) س: ـ.

(٤) س: يقع.

[٢٥. ولا تُطِعْ منهما خَصْماً ولا حَكَماً   فأنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ]

ولا تُطِعْ مِنهُما؛ أيْ: لا تُنَفِّذ. والمُطاوَعةُ[1] امتِثال. **خَصْماً**: في ابتِداءِ الأمْر، كما إذا أدرَكَ أحدُهما الإقدامَ على المَعصِية. وهي صُورة كَوْنِ أحَدِهِما **خَصْماً**. فإنَّهُ حِينَئِذٍ يُزيِّنُ القُدومَ عَليها. والمَأمُور بدَفْعِ ذلكَ لِما يَعلَمُ مِن سُوءِ عاقِبَتِها. فهُما خَصْمانِ. **ولا حَكَماً**: بعدَ الاشتِغالِ بِها؛ لأنَّهُ استَولى سُلْطانُ أحَدِهما. فالمُكَلَّفُ يُريدُ التَّنصُّلَ والنَّفْسُ أو الشَّيْطانُ يُزَيِّنُ لهُ البَقاءَ والتَّسويفَ وطُولَ الأمَل. **والحَكَم**: بِفَتحَتَينِ مَن فُوِّضَ إليهِ الأمرُ لِيَحكُمَ بما يَراهُ مَصْلَحةً. **ومِنهُما**: حالٌ مِن **خَصْماً**. ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ مِن بيانِيَةً قُدِّمَت على المُبَيَّنِ اهتِماماً أو تَجريدِيّة. **ولا** في قَولِهِ: **ولا حَكَماً**: زائِدةٌ لِلتَّأكِيدِ أو لِلإشارةِ إلى أنَّ النَّهْيَ مُتَعلِّقٌ بكُلٍّ مِنهُما على حِدة، لا أنَّهُ مُتعلِّقٌ بِهما مَعاً. **وخَصْماً وحَكَماً** [عامّانِ][2] لِوُقوعِهِما نَكِرَتَينِ في سِياقِ النَّفي. وتَقدِيمُ الخَصْمِ مُبالَغةٌ وتَرَقٍّ مِنَ الأدنَى إلى الأعلى. **فأنتَ تَعْرِفُ**: الفاءُ فيهِ سَبَبِيّة. وفي بَعضِ النُّسَخِ وأنتَ بالواو. والجُملةُ الاسمِيّةُ الخَبَرِيّةُ مُؤَوَّلةٌ بالإنشاءِ، مَعطُوفةٌ على الإنشائِيّةِ قَبلَها؛ أيْ: واعرِفْ كَيدَهُما. **كَيْد**؛ أيْ: مَكْرَ **الخَصْمِ والحَكَمِ**: وإضافَتُهُ إلَيهِما مِن إضافةِ المَصْدَرِ إلى فاعِلِه. **وال** فيهِما لِلعَهدِ الخارِجِيِّ لِتَقدُّمِ ذِكرِهِما. والمَقامُ لِلإضْمارِ وأُظهِرا فيهِ لِيَكُونَ نَصّاً في المُراد.

وفي البَيتِ رَدُّ العَجُزِ على الصَّدْرِ[3]، ولَـمّا حَذَّرَ مِن غَوائِلِ النَّفْسِ وأمَرَ بمُخالَفَتِها خافَ على نَفْسِهِ الرِّياءَ فغَضَّ مِن[4] نَفْسِهِ فقال:

---

(١) س: الطاعة.

(٢) في س و ج: عامين. والصحيح ما أثبتناه.

(٣) هو أن يجعل أحد اللفظين المكرّرين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة أو البيت والآخر في آخرها أو آخره. (مجدي وهبة ١٧٦؛ أحمد مطلوب ٤٩٦).

(٤) ج: على.

[٢٦. أسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ]

أستغفِرُ الله: أطلُبُ سَترَهُ وتَغطِيَته، وفي التَّعبيرِ بِهِ إيماءٌ إلى أنَّهُ عَمِلَ مِنَ الذَّنْبِ ما لا يَرجُو عَفوَهُ بَل أخفاه. وعَدَمُ إظهارِهِ **مِن** أجْلِ **قَوْلٍ** صَدَرَ مِنِّي بالأمرِ بالمَعرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنكَرِ. **بلا عَمَلٍ**: أيْ غيرَ مُلابِسٍ عَمَلَ مُوافقٍ لَهُ مِن مَعرُوفٍ أُمِرْتُ بِهِ ومُنكَرٍ نُهيتُ عَنه، وناهِيكَ بِذلكَ قِلَّةَ حَياءٍ وأكبَرَ زَلَلٍ، ولِلاستِغْفارِ فضْلٌ طَوِيل.

وما أحسَنَ قَوْلَ القائِلِ[1]:

[١٢٠ أ] / ولَو أنَّ فِرْعَونَ لَمّا طَغَى وقالَ على اللهِ إفْكاً وزُوْرا
أنابَ إلى اللهِ مُستَغْفِراً لَما وجَدَ اللهَ إلّا غَفُورا

[10 b] / والظَّرْفُ صِفةُ **قَوْلٍ** أتى بهِ لِبَيانِ جِهةِ الاستِغْفارِ منهُ لَمّا خالَفَ حالَهُ في ذلكَ، قالَه. وجُملةُ **أستَغفِرُ** خَبرِيّةٌ لَفْظاً، إنشائِيّةٌ مَعنًى. والفِعْلُ يَطلُبُ مَفعُولَينِ، الثّاني مَجرُور، هو **مِن قَوْلٍ**. ويَجُوزُ حَذْفُ الجارِّ، نَحو: أستَغفِرُ اللهَ ذَنْباً **لَقَد**: اللّامُ فيهِ مُؤذِنةٌ بقَسَمٍ مُقَدَّر. وقَد فيهِ لِلتَّحقيقِ والجَزْم. **نَسَبْتُ**؛ أيْ: أضَفْت. **بهِ** بسَبَبِ القَوْلِ **نَسْلاً**: ولَداً **لِذِي عُقُم**: بضَمِّ القافِ إتْباعاً لِضَمّةِ العَينِ؛ أيْ: لا يَقبَلُ الوَلَد؛ أيْ: أنَّ مِثلي فيما تَصَدَّيتُ لهُ مِنَ الأمرِ بالمَعرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنكَرِ وتَخلُّفي عَنِ العَمَلِ بذلكَ مِثلَ مَن يَنسبُ الوَلَدَ لِلعَقيم، فإنَّ [نِسبة][2] الأمر والنَّهي إنَّما يَكُونُ لِمَنْ يُطابِقُ حالُهُ قالَهُ، لا مَن يُخالِفُ ذلكَ مِن فِعْلِهِ فنِسْبَتُهُ إليهِ كنِسْبةِ الوَلَدِ لِلعَقيم، ثُمَّ الجُملةُ القَسَمِيّةُ صِفةُ **قَوْل**؛ لأنَّها خَبَرِيّةٌ باعتِبارِ جَوابِها.

---

(١) لم أطلع على قائله.

(٢) س: ـ.

ولَمّا كانَ ما مثلَ بهِ نَفْسَهُ غَيرَ ظاهِرٍ لِكُلِّ أحَدٍ بالَغَ في كَشْفِ القِناعِ فقال:

[٢٧. أمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ ما ائْتَمَرْتُ بِهِ وما اسْتَقَمْتُ فما قَوْلي لَكَ اسْتَقِمِ]

أمَرْتُكَ الخَيْرَ: بالنَّصب، بنزعِ الخافِضِ؛ أيْ: بهِ، وهو ضِدُّ الشَّرِّ وكُلُّ ما لَهُ عاقِبةٌ مَحمُودةٌ. وأتى بهِ، والمَقامُ لِلضَّمِيرِ، لِزيادةِ تَمكُّنِ [الـ] خير[1] المَأمُور بهِ في الذِّهْن. وذُكِرَ بِصِيغةِ الماضِي في قَولِهِ: **أمَرْتُكَ** دَلالةً على التَّحقُّق. **لَكِنْ ما ائْتَمَرْتُ** أنا بهِ. وفائِدةُ الاستِدْراكِ دَفْعُ تَوَهُّمٍ نَشأَ مِن قَولِهِ **أمَرْتُكَ الخَيْرَ** أنَّهُ مُؤتَمِرٌ بِهِ، فدَفَعَهُ بِذلكَ. والائتِمارُ «افتِعال» مِنَ الأمْر. مَعناهُ قَبولُ الأمرِ وامتِثالُ مُوجِبه. وضَمِيرُ **بِهِ** راجِعٌ لِلخَيْر. والظَّرْفُ مُتَعلِّقٌ بـ **ائتَمَرْتَ** وما فيهِ لِلنَّفْي. **وما استَقَمْتُ**: أنا؛ أيْ: ما اعتَدَلْتُ. فما الفائِدةُ في **قَولِي لَكَ استَقِم**؟ استِفْهامٌ لِلتَّحقِير أو لِلتَّوبِيخِ أو لِلتَّعَجُّبِ أو لِلإنْكار. وجُملةُ **وما استَقَمْتُ**: مَعطُوفةٌ على **أمَرْتُكَ**. والاستِقامةُ لَفظٌ جامِعٌ لامتِثالِ الأوامِرِ واجتِنابِ المَناهِي، شامِلٌ لِلعَقائِدِ والأعمالِ والأخْلاق. **والفاءُ** في قَولِهِ **فما** لِلتَّعقِيبِ مَع إشْمامِ رائِحةٍ مِنَ السَّبَبِيّة. وتَرتَّبَ عَدَمُ الفائِدةِ على عَدَمِ الاستِقامةِ، كأنَّهُ جَعلَ عَدَمَ الاستِقامةِ سَبَبَ عَدَمِ[2] الفائِدة.

[٢٨. ولا تَزَوَّدْتُ قَبلَ المَوْتِ نافِلَةً ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فرْضٍ ولَمْ أصُمِ]

ولا تَزَوَّدْتُ: اتَّخَذْتُ زاداً، **قَبْلَ** سَفَرِ **المَوْت**: المُفَوِّتِ لِلطّاعة، **نافِلَةً**: مِن صالِحِ الأعمال. وهي التَّطَوُّعُ بعدَ أداءِ الفَرِيضةِ؛ لأنَّ الفَرْضَ قَد لا يَكفي لاحتِمالِ أنْ يَكُونَ فيهِ نَقصٌ فيَزُولَ بالنّافِلة. **ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فرْضٍ**، وكَذا

---

(١) ج، س: خير.

(٢) س: ـ.

لَمْ أَصُمْ سِوى فرْض أيضاً، وحُذِفَ لِدَلالَةِ ما قَبلَهُ عليه.

وفي البَيتِ استِعارةٌ مَكنِيّة. وقَرِينَتُها/ التَّخييليّة في قَولِهِ **تَزَوَّدْتُ ... إلَخ** [11 a] شَبَّهَ [المَوْتَ بسَفَرٍ يُوصِلُ إلى المَقصُود. ثُمَّ أثبَتَ لَه لازِمَ السَّفَرِ وهو الزّادُ. فالتَّشْبِيهُ](١) المُضمَرُ [استِعارةٌ] مَكنِيّة، وإثباتُ الزّادِ تَخيِيلِيّة. ويُحتَمَلُ أَنَّها استِعارةٌ تَمثِيلِيّة، شَبَّهَ الهَيئَةَ الحاصِلَةَ مِن تَهيئَةِ أسبابِ الانتِقالِ مِن مَحَلٍّ إلى آخَرَ لِيَنتَفِعَ بها ويَتخَلَّصَ مِنَ الهَلاكِ بِحالِ مُسافِرٍ يَتَّخِذُ الطَّعامَ لِيَنتَفِعَ بِهِ في سَفَرِهِ ويَتخَلَّصَ بِهِ مِن أَلَمِ الجُوْعِ وإدراكِ الآلامِ وحُلولِ الهَلاك. ونَصبَ نافِلَةً: على نَزْعِ الخافِضِ، أو على تَضمِينِ الفِعْلِ/ مَعنى الأخْذ، وتَنوِينُها [١٢٠ ب] لِلتَّقلِيلِ؛ لأَنَّهُ في مَقامِ التَّحَزُّنِ والتَّحَسُّر. وفائِدَةُ قَولِهِ **قَبْلَ المَوْتِ** مَع أَنَّ الزّادَ لا يَكُونُ إلّا قَبلَ السَّفَرِ التَّأكِيدُ والمُبالَغةُ والتَّحَزُّنُ على ما فاتَهُ مِن أيّام عُمرِهِ وفي قَولِهِ: **ولَمْ أُصَلِّ سِوَى فرْضٍ ... إلَخ** إطنابٌ لِدُخولِ ذلكَ فيما قَبلَه.

ثُمَّ شَرَعَ فيما قَصَدَهُ مِن مَدْحِ سَيِّدِ المُرسَلِينَ ﷺ، فقال:

* * *

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «س».

[الفَصْلُ الثّالِثُ]

[في مَدْحِ رَسُولِ الله ﷺ]

[٢٩. ظَلَمْتُ سُنّةَ مَنْ أحْيا الظّلامَ إلَى أنِ اشْتَكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ]

ظَلَمْتُ: بتَرْكِي ذلكَ **سُنّةَ**: طَرِيقةَ سَيِّدِ المُرسَلِينَ ﷺ **مَنْ أحيا الظّلامَ**؛ أيْ: اللَّيْل، مَجازاً مُرسَلاً مِن تَسمِيةِ المَحَلِّ باسْمِ الحال، أو مِنْ إطلاقِ اللّازمِ وإرادةِ المَلزُوم. وقِيلَ: هي اسْمُ أوَّلِهِ، فأُطلِقَتْ عَليه، مِن تَسمِيةِ الكُلِّ باسْمِ الجُزْءِ؛ أي: قامَ اللّيْلَ بالصَّلاةِ وجَدَّ فيه. **إلى أنِ اشتَكَتْ قَدَماهُ**: مِن طُولِ قِيامِهِ. **الضُّرَّ**: ففي رِوايةٍ أنَّها تَفطَّرَتْ؛ وفي أُخرَى تَشقَّقت، وفي أُخرَى **مِنْ ورَمٍ**. وسَبَبُ تَوَرُّمِها انصِبابُ المَوادِّ الكائنَةِ في أعلى الجِسْمِ إلَيها لِسُهولةِ الانصِبابِ حِينَئِذٍ وعَدَمِ استِقْرارِها في الأعضاءِ كالماءِ المُرسَلِ مِن أعلى إلى أسفَل. والاستِلْقاءُ أو الجُلُوسُ أو الحَرَكةُ تَمنَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِن ذلكَ، فصارَتْ قَدَماهُ كحالي الشّاكِي ما نَزَلَ بهِ مِن[1] ضَرَرِ ذلكَ القَدم.

في الصَّحِيحِ عَنِ المُغِيرة بنِ شُعْبة، قال: قامَ رَسُولُ الله ﷺ حَتّى انتَفَخَتْ قَدَماهُ فقِيلَ لَه: أتُكَلِّفُ هذا، وقَد غَفَرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأخَّرَ؟ قال: أفَلا أكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟[2] فلْيَعْتَبِرِ العاقِلُ بالمَغفُورِ لَه، ولْيَنْظُر هَل يَجِدُ الغَرِيقُ في الخَطأ لِنَفْسِهِ عُذْراً في التَّقْصِير.

---

(١) ج: -.

(٢) مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٨.

ثُمَّ قَولُهُ: ظَلَمْتُ، مِن الاستِئنافِ البَيانِيِّ، كَأَنَّ سائِلاً يَقُول: هَل أنصَفْتَ في الاقتِصارِ على الفَرْضِ مِنهُما، أو ظَلَمْتَ؟ فأجابَهُ بِذلكَ؛ فلِذا فصَلَهُ. وقِيل: فصَلَهُ لِكَمالِ اتِّحادِهِ به؛ لأنَّهُ بَيانٌ لَه، والإتيانُ بالمَوصُولِ فيهِ إيماءٌ إلى شَناعةِ هذا الظُّلْمِ وقُبْحِ هذا الجَوْرِ، وأنَّهُ أفرَطَ في الظُّلْمِ مِن حَيثُ أنَّهُ تَـرَكَ سُنّةَ مَنْ هَذهِ صِفَتُه. وفي تَعبيرِهِ بـ الظَّلام مُريداً بِهِ اللَّيلَ كُلَّهُ إيماءٌ إلى أنَّهُ ﷺ مُبتَدِئٌ تَرْكَ النَّوْمِ مِن أوَّلِهِ/ إلى آخِرِه. قاله القاضي عَضد. وفيهِ أنَّ ذلكَ خِلافُ ما صَحَّ عَنهُ مِن حَديثِ عائِشَةَ: «أنَّهُ لَم يَقُمِ اللَّيْلَ كُلَّهُ»(١). [11 b]

والشَّكْوى إنْ كانَتْ بِلِسانِ الحالِ فلا كَلام، وإلّا ففي الكَلامِ استِعارةٌ مَكنِيّة تَتبَعُها استِعارةٌ تَخيِيليّة، أو أنَّهُ على سَبيلِ التَّمثِيل، أو على أنَّهُ مِنَ المَجازِ العَقلِيِّ. وفي البَيتِ حُسْنُ التَّخَلُّصِ(٢). قالَ العِزُّ بنُ جَماعة: وهو بابٌ نَفيسٌ ضَيِّقٌ صَعْبٌ تزِلُّ فيهِ أقدامُ كَثير.

ولِبَعضِهِم فيهِ مِن قَصِيدةٍ نُونيّة(٣):

للهِ مَـنْ قَلبُهُ فـي الحُـبِّ مُرتَهَنٌ ... وهـو بِرَهْـنِ قَلْبٍ وهو مَشْـغُولُ

ولَيـسَ يَشـغَلُهُ إلّا مَدائِـحُ مَـنْ ... عَـلا بِـهِ لِـمَقـامِ العِـزِّ جِبْرِيـلُ

وفي ظَلَمْتُ والظَّلامِ جِناس.

ثُمَّ بَعدَ ذِكْرِهِ مُلازمةَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلاةَ أخذَ/ يَذكُرُ مُلازَمَتَهُ الصِّيامَ فقال: [١٢١ أ]

---

(١) س: الليل كله.

(٢) وهو الخروج من كلامٍ إلى آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه، والكلام الذي خرج إليه. (مجدي وهبة ١٤٩-١٥٠؛ أحمد مطلوب ٤٦٢).

(٣) س: نونية.

[٣٠. وشَـدَّ مِنْ سَغَبٍ أحشاءَهُ وطَوَى   تَحْتَ الحِجارةِ كَشْـحاً مُتْـرَفَ الأدَمِ]

وشَـدَّ(١): عَصَبَ **مِن سَغَبٍ**: بمُهْمَلةٍ فمُعجَمةٍ: جُوْع مُتعِب. وتَنوِينُهُ لِلتَّعظِيمِ. **ومن**: ابتِدائِيّة. **أحشـاءَه**: جَمعُ حَشـا: ما انضمَّتْ عليهِ ضُلوعُـهُ الشَّرِيفة. وتَقدِيمُ **مِن سَغَبٍ** على قَولِهِ **أحشاءَهُ** اهتِماماً وتَبييناً لِلعِلّةِ والسَّبَب. **وطَوَى**: مِن طَوَيتُ الشَّيْءَ: لَفَفْتُهُ مَعطُوفٌ على **شَـدَّ**. **تَحتَ الحِجارة**: ظَرْفُ **طَوَى**. **كَشْحاً**: ما بَينَ الخاصِرةِ إلى الضِّلَع. **مُتْرَف**؛ أيْ: ناعِم، **الأدَم**: الجِلْد. وهو بضَمَّتَينِ جَمعُ أدِيمٍ كـ أُفُق وأفيق. ووَصَفَ **كَشْحاً** بـ **مُتْرَفٍ** مِن إضافَتِهِ لِلمَعرِفة؛ لأنَّها لَفظِيّة.

وفي قَولِهِ: **وشَدَّ مِن سَغَبٍ أحشاءَهُ** مُبالَغةٌ عَظِيمة؛ أيْ: أنَّهُ ﷺ لَم يَقنَعْ بشَدِّ الأحشاءِ بَل طَوَى الكَشْحَ النّاعِمَ الجِلْدِ تَحتَ الحِجارةِ أيضاً. والكَشْحُ النّاعِمُ إذا طُوِي تَحتَها اشتَدَّ تَألُّـمُه. ففيهِ أنَّهُ ﷺ أصابَهُ مِنَ الجُوْعِ ما يَكُونُ أشَـدَّ مِن هذا الألَم. فرامَ دَفْعَهُ بهذا الألَم. وهذا غايةٌ في الرِّياضة. وفَعلَهُ ﷺ ذلكَ لِيُسَكِّنَ بَعضَ ألَمِ الجُوْع. وإنَّما كانَ مُسَكِّناً لَه؛ لأنَّ كَلْبَ الجُوْعِ مِن شِدّةِ حَرارةِ المَعِدةِ الغَرِيزيّة. فهي إذا امتَلأتِ اشتَغَلَتْ تِلكَ الحَرارةُ بالطَّعام، فإذا لَم يَكُنْ(٢) فيها طَعام طَلَبَتْ رُطوباتِ الجِسْمِ وجَواهِرَهُ. فيَتألَّمُ الإنسانُ بتلكَ الحَرارة، فتَعلَقُ بكَثِيرٍ مِن جَواهِرِ البَدَن. وإذا انضَمَّتِ انضَمَّ على المَعِدةِ الأحشاءُ والجِلْدُ، فانخَمَدَتْ نارُها بَعضَ الانخماد، فقَلَّ الألَم. وفائِدةُ الحَجَرِ تَثقِيلُ الجِلْدِ فيَكثُرُ انضِمامُهُ على الأحشـاء، وهُو العَصَبُ(٣) بالشَّدِّ مَع ما

---

(١) س: شدة.

(٢) س: تكن.

(٣) س: العصب.

فيهِ مِنَ البُرودةِ المُسَكِّنةِ لِحَرارةِ المَعِدة، وتَشتَغِلُ(١) بِبُرودَتِهِ(٢). ونَهيُهُ ﷺ عَنِ الوِصالِ لِئَلّا يَضعُفُوا بهِ عَن جِهادِ الكُفّار، لا لأجْلِ تَألُّمِهِم بالجُوْعِ خاصّةً./ فإنَّ التَّألُّمَ بهِ مِن أسبابِ الأجْر. وأفضَلُ العِباداتِ آجَرُها؛ ولِذا لَمّا لَم يُؤَثِّرِ الجُوعُ في قُواهُ الإضعافُ عَنِ الجِهادِ داخَلَهُ وصَبَرَ على أَلَمِهِ لِزيادةِ أجرِهِ مَع بَقاءِ نَضارةِ بَدَنِهِ وحِفْظِ قُوَّتِهِ، حَتّى أنَّ مَن رَآهُ لا يَظُنُّ أنَّ بِهِ جُوْعاً. [12 a]

وفي قَولِ النّاظِمِ مُترَفَ الأدَم إشارةٌ لِذلكَ مع ما فيهِ مِنَ الاحتِراس. وعَلِمَ جابرٌ(٣) مَع ذلكَ بِجُوعِهِ ﷺ فأخبَرَ بهِ امرأتَهُ في قِصّةِ الخَنْدقِ إنَّما كانَ لِكَشْفِهِ ﷺ بَطْنَهُ لِحَفرِ الخَنْدق، كما ثَبَتَ في الصَّحيح(٤).

ولَمّا ذَكَرَ مِن جُوعِهِ ما ذَكَرَ خافَ أنْ يَتوَهَّمَ سَقيمُ القَلْبِ أنَّ ذلكَ مِن فاقةٍ وعَيلةٍ فيُخالِفَ قَولَهُ تَعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨] دَفعهُ بِقَولِهِ:

[٣١. وراوَدَتْهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فأراها أَيَّما شَمَمِ]

وراوَدَتْهُ: خادَعَتْه. **الجِبالُ الشُّمُّ**: المُرتَفِعاتُ الرُّؤُوسِ على نَفْسِها أنْ

---

(١) س: يشتغل.

(٢) س: ببردته.

(٣) هو جابر بن عبد الله رضي الله عنه أبو عبد الرحمن أو أبو عبد الله أو أبو محمد المدني، الأنصاري، السلمي، صحابيّ مشهور. له ألف وخمسمئة حديث وأربعون حديثاً. وغزا تسع عشرة غزوة. وقال جابر: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين مرةً. توفي بالمدينة بعد أن كف بصره سنة ثلاث وسبعين وهو ابن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان، وكان والي المدينة، وجابر آخر الصحابة موتاً بالمدينة. (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ٥٩؛ ودليل الفالحين لابن علان ١/ ٥٢).

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد ١٨٨، والمغازي ٢٩.

تكُون مِنْ ذَهَبٍ: تَسِيرُ مَعَهُ حَيثُ سارَ، وأنْ تُطاوِعَهُ[١] على ذلكَ نَفْسُه. وهذا مَعنى قَولِهِ عَنْ نَفْسِه.

وإسنادُ المُراوَدةِ إليها يَحتَمِلُ أنْ تَكُونَ حَقِيقةً بأنْ خَلَقَ اللهُ فيها النُّطْقَ وإدراكَ ذلكَ، ويَحتَمِلُ أنْ يَكُونَ مِن مَجازِ التَّشبيه؛ أيْ: فتَكُونَ استِعارةً مَكنِيّة. وإثباتُ المُراوَدةِ تَخييلـ[يّة].

وعَدّى المُراوَدةَ بـ عَن لِما في المُخادَعةِ مِن مَعنى التَّبَعِيّة، والمُفاعَلة [١٢١ ب] فيه/ لِلمُبالَغة، ويَحتَمِلُ أنَّها على بابِها بينَ اثنَينِ إلّا أنَّ أحَدَهُما ضَمِنَ؛ أيْ: طلبته بتَوقُّعِهِ[٢] لِطَلَبِهِ إيّاها، ولا يَلزَمُ مِن جانِبِهِ طَلَب. وقَولُه: مِن ذَهَب: حالٌ مِنَ الجِبال، أو صِفةٌ لَه. ولا بُدَّ مِن تَقدِيرِ مُتعلّقِهِ كما قَدَّرْناهُ؛ لأنَّها حال. والمُراوَدةُ لَم تَكُنْ مِن ذَهَب، وضَمِيرُ نَفْسِهِ يَعُودُ لِلنَّبيِّ ﷺ. فأراها: الفاءُ لِلتَّرتِيبِ أو التَّعقِيبِ مِن غيرِ مُهْلة؛ أي: أبصَرَها حَقِيقةً بأنْ خَلَقَ فيها الإدراكَ، أو مَجازاً؛ أيْ: جَعَلَها تُبصِرُ مِنهُ شَمَماً أيّما شَمَم؛ أيْ: كامِلاً. والشَّمَمُ: ارتِفاعٌ في قَصَبةِ الأنفِ مَع استِواءِ أعلاه. وهذا كِنايةٌ عَن كَمالِ إعراضِهِ ﷺ عَنها؛ لأنَّها لَـمّا تاهَتْ بارتِفاعِها الصُّوريِّ الذَّهَبيِّ ووَثِقَتْ بأنْ يَشُمَّ رائِحَتَها ويَضُمَّها إليهِ أراها ﷺ في أنفِهِ الشَّمَمَ الدّالَّ على الإعراضِ وعَدَمِ الالتِفاتِ إلَيها رَأْساً. رَوى التِّرمِذيُّ أنَّهُ ﷺ قال: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي أنْ يَجعَلَ لي بَطْحاءَ مَكّةَ ذَهَباً، فقُلتُ: لا يا رَبِّ، ولَكِنْ أشبَعُ يَوماً وأجُوعُ يَوماً» الحَدِيث[٣]. وقَولُه: أيّما شَمَم: مَفعُولٌ ثانٍ[٤] لـ«أراها» ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ إعراضَهُ عَنها لَم يَكُنْ مِن غِنًى يَعرِضُ

---

(١) س: تطاوعه.

(٢) س: بتوقعه.

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد ٣٥.

(٤) ج، س: ثاني.

حاصِلٍ بَل كانَ مَع شِدّةِ الحاجةِ والضَّرورةِ كَما تَدُلُّ عليهِ الأحادِيثُ النَّبويّةُ بِقَولِه:

[٣٢. وأَكَّـدَتْ زُهْـدَهُ فيها ضَرُورَتُـهُ   إنَّ الضَّـرُورةَ لا تَعْـدُو علـى العِصَمِ]

[12 b] **وأَكَّدَتْ**: الواوُ لِلحالِ، والتَّأكِيدُ: التَّقريرُ والإحكام./ **زُهْده**: تَرْكُ رَغْبةِ الدُّنيا وما يَتعَلَّقُ بها مَعَ القُدْرةِ عَليها. **فيها**؛ أيْ: الجِبال. مُتَعلِّقٌ بـ **زُهْد** أو بـ **ضَرُورة** في قَولِهِ: **ضَرُورَتُه**: بالرَّفعِ فاعِلُ **أكَّدَت**. وهي شِدّةُ الحاجةِ وضِيْقُ الحال. والضَّمِيرُ يَرجعُ لِلنَّبيِّ ﷺ، وقَدَّمَ المَفعُولَ على الفاعِلِ اهتِماماً؛ لأنَّ القَصْدَ تَقريرُ زُهْدِهِ وكَمالِ إعراضِهِ عَنِ المُحتاجِ إليهِ المَقدُورِ عَليه. وعَلَّلَ ذلكَ على سَبيلِ الاستِئنافِ البَيانِيِّ بِقَولِهِ: **إنَّ الضَّرُورةَ**: ال فيهِ لِلعَهدِ الخارِجيِّ. **لا تَعدُو**: لا تَجرِي وتَظْلمْ. وعَدَّى بـ **على** في قَولِهِ: على ذَوي **العِصَمِ** لِتَضمُّنِهِ مَعنى الغَلَبةِ والاستِيلاء. والعِصْمةُ في الاصطِلاحِ مَلَكَةٌ نَفسانِيّةٌ تَمنَعُ المُتَّصِفَ بها عَنِ الفُجورِ والمَكرُوه.

وعِصْمةُ الأنبياءِ حِفْظُ اللهُ إيّاهُم، وإنَّما لَم تَعْدُ الضَّرورةُ ذُوي العِصَمِ؛ لأنَّهُم يَتنزَّهُونَ مَعها عَن أشرَفِ الأشْياءِ وأجَلِّها، فَضْلاً عَن أحسَنِها. وذَوُوها هُم الأنبياءُ، فيَكُونُ مُرادُهُ الجِنسَ. ويُحتَمَلُ أنْ تَـكُونَ ال لِلعَهدِ الذِّهنِيِّ؛ أيْ: مُحمَّد ﷺ، ولِلصُّوفيّةِ في تَعرِيفِ الزُّهْدِ عِباراتٌ كُلٌّ عَبَّـرَ على حَسَبِ حالِه. فقِيل: خُلُوُّ الأيدِي مِنَ الأملاك، والقُلُوبِ مِنَ التَّتبُّع. وقِيل: مَن صَدَقَ في زُهْدِهِ أتَتهُ الدُّنيا وهِي راغِمة؛ ولِذا قِيل: لَو سَقَطَتْ قَلَنسُوةٌ مِنَ السَّماءِ لَما وقَعَتْ إلّا على رَأسِ مَن لا يُريدُها. قِيل: وأجمَعُ ما قِيلَ فيهِ قَولُ الدّارانِيِّ[1]:

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي (... ـ ٢١٥هـ/ ... ـ ٨٣٠م) المذحجي، أبو سليمان: زاهد مشهور، من أهل داريا (بغوطة دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، =

الزُّهْدُ: تَرْكُ ما يَشْغَلُكَ عَنِ الله. وقَولُ الشِّبْلِيِّ[1] أنْ لا يَرى سِوَى الله تعالى.

ثُمَّ استَدَلَّ المُصَنِّفُ على الحُكْمِ الَّذي نَفاهُ بِقَولِهِ:

[٣٣. وكَيْفَ تَدْعُو إلَى الدُّنْيا ضَرُورَةُ مَنْ لَـوْلاهُ لَمْ تَـخْـرُجِ الـدُّنْيا مِـنَ العَـدَمِ]

وكَيفَ يُتَصَوَّرُ أنْ **تَدعُو إلى** اتِّباعِ **الدُّنيا** وزِينَتِها، **ضَرورةُ مَن لَولاهُ لَم تَخرُجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ**/ إلى الوُجودِ بَعدَ أنْ لَم تَكُنْ. هذا مُرادُهُ، لَكِن في لَفْظِهِ [١٢٢ أ] تَجَوُّزٌ. فإنَّ قَولَهُ **تخرُج** يُوهِمُ[2] أنَّها في العَدَمِ شَيءٌ. وحَقِيقَتُهُ إنَّما انتفى عَنها الخُروجُ مِنهُ إلى الوُجُود. ومَذهَبُ أهلِ الحَقِّ أنَّهُ لا وُجودَ لِلمَعدُوم حالَ العَدَمِ، وأنَّهُ ليسَ بِشَيءٍ. وإذا ثَبَتَ أنَّ وُجُودَهُ ﷺ عِلَّةُ وُجودِ الدُّنيا، فالدُّنيا بأجمَعِها مُفتَقِرةٌ إليه، لافتِقارِ وُجودِ المَعلُولِ إلى وُجودِ عِلَّتِهِ. فلو كانَتْ ضَرُورَتُهُ تَدعُو إلى الدُّنيا لَكانَ وُجودُهُ مَعلُولًا لِوُجودِها، وافتَقَرَ هو في وُجُودِها إلى وُجُودِها. وهذا خُلْفٌ؛ لأنَّ فيهِ عَكْسَ الحَقائِقِ مِن صَيرُورةِ العِلَّةِ[3] مَعلُولًا،

= ثم عاد إلى الشام، وتوفّي في بلده. كان من كبار المتصوّفين. له أخبار في الزهد، من كلامه: «خير السخاء ما وافق الحاجة». (الأعلام ٣/ ٢٩٣-٢٩٤؛ عبد الرحمن جامي، نفحات الأنس من حضرات القدس ٩٣-٩٤).

(١) اسمه دلف. يقال: ابن جحدر، ويقال: ابن جعفر. ويقال: اسمه جعفر بن يونس. كذا رئي مكتوباً على قبره. وهو خراساني الأصل. بغدادي المنشأ والمولد. تاب في مجلس خير النساج. وصحب الجنيد. ومن في عصره من المشايخ. وصار أوحد وقته حالاً وعلماً. وكان عالماً، فقيهاً على مذهب مالك. كتب الأحاديث الكثيرة ورواها. عاش سبعاً وثمانين سنة. ومات في ذي الحجة، سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة. ودفن في مقبرة الخيزران. (طبقات الصوفية للسلمي ٣٣٧-٣٣٨).

(٢) س: توهم.

(٣) علة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء وهي قسمان: الأول: ما يتقوم به الماهية من أجزائها ويسمى علة الماهية. والثاني: ما يتوقف عليه اتّصاف الماهية المتقومة بأجزائها بالوجود =

وبالعَكْس؛ لأنَّ العِلّةَ لا تفتَقِرُ في وُجُودِها إلى وُجُودِ المَعلُول. فإنْ قِيلَ: بَلْ تَفتَقِرُ العِلّةُ إلى مَعلُولِها، إذْ لا يُتَصَوَّرُ بدُونِه قَبلَ ذلكَ في العِلّةِ العَقلِيّة. أمّا العِلّةُ الوَضعِيّةُ[1] فلا، ثُمَّ استِلْزامُ العِلّةِ مَعلُولَها لا مِن حَيثُ أنَّها لا تُوجَدُ/ إلّا [13 a] بوُجُودِه، بَل مِن حَيثُ اقتِضاؤها إيجادَه. وبالجُملةِ فالدَّليلُ خِطابيٌّ، إقناعِيٌّ، لا بُرهانِيٌّ، يَقِينيٌّ. وإذا كانَت ضَرُورةُ نَبِيِّنا ﷺ لا تَدعُو إلى الدُّنيا فيَنبَغِي لِمَنْ يَكُونُ على مِلَّتِهِ وداخِلاً في زُمْرةِ أُمَّتِهِ أنْ يَكُونَ كذلكَ. قال تَعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. فمَحَبَّتُهُ تَعالى مَشرُوطةٌ باتِّباعِ نَبيِّهِ ﷺ، وكيفَ لا نَزهَدُ في الدُّنيا؟ وهي لو كانَت تَعدِلُ عندَ الله جَناحَ بَعوضةٍ ما سَقى مِنها كافِراً شَرْبةَ ماءٍ[2]. ثُمَّ الواوُ في وكيفَ عاطِفة، والمَعطُوفُ عليهِ أكَّدَتْ زُهدَهُ فيها ضَرُورتُه. وصَحَّ مَع تَخالُفِهِما خَبراً وإنشاءً؛ لأنَّ المَقصُودَ مِن وكيفَ ... إلخ الإخْبار. وعَدَلَ عَنهُ إلى الاستِفْهامِ الإنكارِيِّ مُبالَغةً.

= الخارجي، ويسمى علة الوجود. وعلة الماهية إما أن لا يجب بها وجود المعلول بالفعل بل بالقوة وهي العلة المادية. وإما أن يجب بها وجوده وهي العلة الصورية. وعلة الوجود إما أن يوجد منها المعلول أي يكون مؤثراً في المعلول موجداً له وهي العلة الفاعلة أو لا، وحينئذٍ إما أن يكون المعلول لأجلها وهي العلة الغائية أو لا، وهي الشرط إن كان وجودياً وارتفاع الموانع إن كان عدمياً. (التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ١٠٣).

(١) الوضع في اللغة جعل اللفظ بإزاء المعنى وفي الاصطلاح تخصيص شيء بشيءٍ متى أطلق أو أحس الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني. والمراد بالإطلاق استعمال اللفظ وإرادة المعنى والإحساس استعمال اللفظ أعم من أن يكون فيه إرادة المعنى أو لا. وفي اصطلاح الحكماء هو هيئة عارضة للشيء بسبب نسبتين نسبة أجزاء بعضها إلى بعض، ونسبة أجزائه إلى الأمور الخارجية عنه كالقيام والقعود، فإن كلًّا منهما هيئةٌ عارضةٌ للشخص بسبب نسبة أعضائه بعضها إلى بعض وإلى الأمور الخارجية عنه. (التعريفات للسيد الشريف الجرجاني ١٧١).

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد ١٣؛ وابن ماجة في الزهد ٣.

ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ عاطِفةً على إنَّ الضَّرُورة... إلخ. ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ الواوُ اعتِراضِيّةً. والدُّنيا تأنيثُ «أدنى» مِنَ «الدُّنُوِّ»: القُرب: عِبارةٌ عَنِ الدّارِ الَّتي هي مَحَلُّ الحَياةِ الأُوْلى.

ثُمَّ بَيَّنَ النّاظِمُ مَن خَرَجَتِ الدُّنيا بسَبَبِهِ مِنَ العَدَمِ بقَولِه:

[٣٤. مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْنِ والفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ]

مُحمَّدٍ: بالجَرِّ عَطْفُ بَيانٍ أو بَدَلٌ مِنْ مَنْ في قَولِهِ: مَنْ أحيا، أعرَبهُ الأصلُ والعَضدُ بَدَلاً مِنَ الضَّميرِ المَجرُورِ مَحلًّا بَعدَ لَولا. وهو الهاءُ على مَذهَبِ سِيبَويهِ[(١)] وما سَـ[ـلَـ]ـكْتُهُ أولى فتأمَّله. قِيل: البَدَلُ أبلَغُ في إفادةِ المَقصُودِ وأوضَحُ في أداءِ المُراد. ويَجُوزُ رَفْعُه، خَبَر مُبتَدأٍ مَحذُوف؛ أيْ: هو مُحمَّدٌ، وعَليهِ فالجُملةُ مُستَأنَفةٌ استِئنافاً بيانِيًّا، أو مُبتدأ خَبَرُهُ الآمِرُ النّاهي. سَيِّدُ الكَونَينِ: السَّيِّدُ المُتَولِّي لِلسُّؤْدَد. وأصلُهُ «سَيوِدٌ» بوَزْنِ «فَيعِل». وفي الكَلامِ مُضافٌ؛ أيْ: أهْلِ الكَوْنَين. وهُما الدُّنيا والآخِرة. وسَيِّدُ الثَّقَلَينِ: الجِنِّ/ والإنسِ، سُمُّوا [١٢٢ ب] بِهِ لإثقالِهِم الأرضَ. وسَيِّدُ الفَرِيقَينِ. وبَيَّنَهُما بقَولِهِ: مِنْ عُرْبٍ: بضَمٍّ فسُكونٍ، ومِنْ عَجَم: بفَتحَتينِ. وذِكرُ الثَّقَلينِ بعدَ ما قَبلَهُ مِن عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ اهتِماماً، أو لِتَغايُرِ الوَصفَين. ودَليلُ سِيادَتِهِ الأحادِيثُ النَّبويّةُ[(٢)]. والفَرِيقُ: الجَماعةُ المُنفَرِدةُ المُتَميِّزةُ عَنِ الأُخرى. ومِنْ بَيانِيّة.

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (... ـ ١٨٠هـ/ ... ـ ٧٩٦م) (أبو بشر) أديب، نحويّ. أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر، وورد بغداد، وناظر بها الكسائي، وتعصبوا عليه، وجعلوا للعرب جُعلاً حتى وافقوه على خلافه. من آثاره: كتاب سيبويه في النحو. (انظر: معجم المؤلفين ٨/ ١٠؛ ١٣/ ٤٠٩؛ إنباه الرواة ٢/ ٣٤٦-٣٦٠؛ بغية الوعاة ٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: دليل الفالحين ١/ ٢٣. ومنها حديث: «أنا سيد الناس يوم القيامة». أخرجه البخاري في الأنبياء ٣؛ ومسلم في الإيمان ٣٢٨.

وفي البَيتِ التَّوشِيح[1]: وهو أنْ يَأتِيَ المُتكلِّمُ باسمٍ مُثنًّى في آخِرِ الكَلامِ وبَعدَهُ مُفرَدانِ هُما عَينُ ذلكَ المُثنَّى. والآخرُ مِنهُما قافيةُ البَيتِ أو مُنتَهى السَّجْع.

[٣٥. نَبِيُّنا الآمِرُ النّاهِي فلاَ أحَدٌ   أبَرَّ في قَوْلِ «لا» مِنْهُ ولا «نَعَمِ»]

نَبِيّنا: مَأخُوذٌ مِنَ «النُّبوّة» الرِّفْعة. فهو غَيرُ مَهمُوز، فعيلاً بمَعنى مَفعُول؛ أو مِنَ النَّبأ: الخَبَرِ مَهمُوزاً فعيلاً بمَعنى فاعِل. وهو في الشَّرْعِ على المَشهُورِ مَنْ أُوحِيَ إليهِ بشَرْعٍ وإنْ لَم يُؤمَرْ بتَبليغِه./ وهو صِفةُ مُحمَّد، فيُعرَبُ إعرابَهُ، [13 b] ويَجُوزُ أيضاً قَطعُهُ بالرَّفْع، خَبَرُ مُبتَدإٍ مَحذُوف، أو بالنَّصْبِ مَفعُولُ فِعْلٍ مَحذُوف؛ أيْ: أمدَحُ. **الآمِر** بالمَعرُوفِ، **النّاهِي** عَنِ المُنكَرِ، بإرسالِ الله تَعالى إيّاهُ إلَينا. وعَبَّرَ بِهما عَنها لأنَّهُما مَلزُومانِ لَها، وكُلَّما وُجِدَ المَلزُومُ وُجِدَ اللّازِم. فكَأنَّهُ قال: نَبِيُّنا الرَّسُولُ، والمَشهُورُ أنَّ الرَّسُولَ يَمتازُ عَنِ النَّبِيِّ بأنَّهُ أمَرَ بالتَّبلِيغ، وإنْ لَم يَكُنْ لَهُ كِتابٌ أو شَرْعٌ جَدِيد. وحَذَفَ مَفعُولَي الوَصفَينِ لِلتَّعمِيم. وإسنادُهُما إليهِ مَجاز. فالآمِرُ والنّاهِي حَقِيقةً هو اللهُ تَعالى قالَهُ العَضد. قالَ السُّهَيلِيُّ[2] الأحسَنُ في سَرْدِ مِثلِ هاتَينِ الصِّفتَينِ العَطْف،

(١) هو أن يضمن الشاعر توشيحه بيتاً من شعر الغير مع التصريح بذلك إن لم يكن البيت مشهوراً لدى البلغاء. (انظر: مجدي وهبة ١٢٦).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ الخثعمي، السهيلي، الأندلسي، المالكي، الضرير (أبو القاسم، أبو زيد، أبو الحسن) (٥٠٨-٥٨١هـ/ ١١١٤-١١٨٥م) مؤرخ، محدث، حافظ، نحوي، لغوي، مقرئ، أديب ولد بسهيل، وأخذ عن ابن العربي وغيره، ونمي خبر نبوغه إلى مراكش، فطلبه واليها وأحسن إليه وأقبل عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام، وتوفي بها في شعبان. من مؤلفاته: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، القصيدة العينية، والروض الأنف في شرح تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام، ونتائج الفكر، ومسألة رؤية الله عز وجلّ في المنام =

نَحو: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] بخِلافِ مثل: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤] إلّا أنْ يُقال: الأمرُ بالشّيْءِ نهيٌ عَن ضِدِّهِ. فلا تَباعُدَ بينَ الآمِرِ والنّاهي حِينَئذٍ، قالَ العِزُّ بنُ جَماعة: «هذا بالنِّسبةِ إلى الأمرِ والتَّبعِيِّ لا الأصليِّ فيهما». انتهى. **فلا أحَدٌ**: بالرَّفع فهو هُنا لِلعُموم؛ لأنَّهُ في سِياقِ النَّفْي. وأصلُهُ وحَدٌ بفَتحتَينِ فأُبدِلَتْ واوُهُ هَمْزةً. فإنِ استُعمِلَ في الإثباتِ فلا عُمومَ فيه، نَحْو: «إنَّ أحَدَكُم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ»[1]؛ أيْ: الواحِدُ مِنكُم. **أبَرَّ**: بالنَّصْبِ خَبَر **لا**: العامِلةِ عَمَلَ «ليسَ»، كما هُو لُغةُ الحِجازِيِّينَ[2]، وبالرَّفعِ على إهْمالِها. **في قَولِ** «لا» مِنه: أيْ مِنَ النَّبيِّ ﷺ، وفَصَلَ بينَ أفعلِ التَّفْضِيلِ **ولا في قَولِهِ**: نَعَم، ومِن التَّفْصِيلِيَّةِ بالظَّرْف، وهو جائِز، والمَمنُوعُ الفَصْلُ بَينَهُما بغَيرِه. وزِيادةُ أفضَلِيَّتِهِ ﷺ في الأبَرِّيَّةِ، وإنْ كانَ لا تَدُلُّ[3] عَليها العِبارةُ يُفِيدُها المَقامُ وقَرائِنُ الأحوال؛ لأنَّ مِثلَ هذا الكَلامِ لا يُورَدُ إلّا في مَقامٍ يُقصَدُ بِهِ المَدْحُ ويُحتَمَلُ أنْ/ يَكُونَ مَدلُولاً. والتَّقدِيرُ: بَلْ هو أبَرُّ. واستشكلَ [١٢٣ أ] بأنَّهُ يَقتَضِي أنَّهُ ﷺ كانَ يَأتي بـ لا تارةً إذا سُئِلَ شَيئاً. فيَخالِفُ حَدِيثَ جابرٍ عِندَ مُسلِمٍ: «ما سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ فقال: لا»[4]. وأُجيبُ بأنَّهُ لا يَلزَمُ مِن قَولِهِ: أبَرَّ في قَوْلِ لا أنْ يَكُونَ قالَها عَنِ السُّؤالِ وإنْ أرخَى العِنان. فالمُراد: لا يَذكُرُها إلّا في شَيءٍ لا يُمكِنُ إعطاؤُه. وبِهِ يُخَصَّصُ الحَدِيث. قالَهُ ابنُ جَماعة. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ مَعناه: فلا أحَدٌ أصدَقَ مِنهُ في الخَبَرِ بنَوعَيهِ.

= ورؤية النبي ﷺ، وشرح الجمل للزجاجي في النحو لم يتم، وله أشعار كثيرة. (انظر: معجم المؤلفين ٥/ ١٤٧).

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، ١؛ ومسلم في القدر ١؛ وأبو داود في السنة ١٦.

(٢) مغني اللبيب (٣١٥).

(٣) ج: يدل.

(٤) مسلم، كتاب الفضائل ١٤.

وعَبَّرَ عَنِ المُثبَتِ بـ **نَعَم**، وعَنِ المَنفيِّ بـ **لا**. وذلكَ إمّا باعتِبارِ الخَبَرِ مُطلَقاً، أو باعتِبارِهِ عَن ثَوابٍ أو عِقابٍ، فهو أصدَقُ النّاسِ في خَبَرِه، ولِذا يُبادِرُ إلى الفِعْلِ أوِ التَّرْك.

[٣٦. هُوَ الحَبِيْبُ الَّذِي تُرْجَى شَفاعَتُهُ لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأهْوالِ مُقْتَحَمِ]

هو الحَبِيبُ: المَحبُوبُ لله تَعالى أو لأُمَّتِهِ أو المَحبُوبُ لهُ تَعالى ولِمَلائِكَتِهِ وسائِرِ خَلْقِه. واختُلِفَ في[1] أيِّهما أرجَح: أمَقامُ المَحبّةِ أم مَقامُ الخلّة؟ والصَّحِيحُ أنَّ الأُولى/ أفضَل، كما بَيَّنتُهُ أوَّلَ «شَرحِ رِياضِ الصّالِحينَ[2] لِلإمامِ النَّوَوِيّ»[3]. وتَعرِيفُ الجُزأينِ لإفادةِ القَصْرِ على سَبيلِ المُبالَغة، وأنَّهُ بَلَغَتْ **مَحبُوبِيَّتُهُ مَرتَبَةً لا يُتَصوَّرُ المَزِيدُ عَليها**، لعَدَمِ الاعتِدادِ والاعتِبارِ بمَحبُوبِيّةِ غيرِه، فكَأنَّهُ لا مَحبُوبِيّةَ لِغَيرِه، أو القَصْرِ الحَقيقِيّ. قِيل: وهو أولى؛ لأنَّ المَوصُولَ مَع [14 a]

---

(١) س: ـ.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١/ ١٢.

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام النووي، الدمشقي، الشافعي (محيي الدين، أبو زكريا) (٦٣١-٦٧٧هـ/ ١٢٣٣-١٢٧٨م) فقيه، محدث، حافظ، لغوي، مشارك في بعض العلوم. ولد بنوى من أعمال حوران في العشر الأول من المحرم، وقرأ القرآن بها، وقدم دمشق، فسكن المدرسة الروحية، ولازم كمال الدين إسحاق المغربي، وقرأ الفقه وأصوله والحديث وأصوله والمنطق والنحو وأصول الدين، وسمع الكثير من الرضي ابن البرهان وعبد العزيز الحموي وغيرهما، وولي مشيخة دار الحديث بعد شهاب الدين أبي شامة، وتوفي بنوى في ١٤ رجب، ودفن بها. من تصانيفه الكثيرة: الأربعون النووية في الحديث، وروضة الطالبين وعمدة المفتين في فروع الفقه الشافعي، تهذيب الأسماء واللغات، التبيان في آداب حملة القرآن، ورياض الصالحين. (انظر: معجم المؤلفين ١٣/ ٢٠٢).

صِلَتِهِ صِفةُ الحَبيب. فيَكُونُ مِن قَصْرِ المُعَرَّفِ بلامِ الجِنْس[١] الحبيب المُقيَّد بالصِّفةِ على المُبتَدأ. وهو حَقِيقيٌّ، وهو مِن قَصْرِ الصِّفـةِ على المَوصُوف، والمَوصُول هو **الَّذي تُرجَى شَفاعَتُهُ لِكُلِّ هَولٍ مِنَ الأهوالِ مُقْتَحَم**: بِفَتحِ الحاءِ؛ أيْ: مَدخُولاً فيهِ قَهراً، اسمُ مَفعُولٍ مِن «اقتَحَمْتَ الشَّيْءَ»: رَمَيتَ بِنَفْسِكَ فيهِ [دُونَ] رَوِيّة. وأرادَ بـ **كُلِّ هَوْل**: عُمومَ ما يُؤملُ مِنهُ ﷺ مِنَ الشَّفاعات. هذا هو **الظّاهِرُ مِن كَلامِه. وهي كَثِيرة: العُظمى، وهي في إراحةِ الخَلائِقِ مِـمّا يُصِيبُهم مِن كَرْبِ المَوقِف. وهي مُختَصّةٌ بهِ** ﷺ، **وشَفاعَتُهُ في أقوامٍ يَدخُلونَ الجَنّةَ بغَيرِ حِساب. قالَ النَّوَوِيُّ هي مُختَصّةٌ بهِ. وتَرَدَّدَ ابنُ دقيقِ العِيد**[٢] **في ذلكَ. وكذا السُّبْكيّ**[٣] **وزاد: لَم يَرِدْ فيهِ شَيء. و[شَفاعةٌ] أُخرى في إخراجِ أَهْلِ الكَبائِرِ مِن**

---

(١) س: + الحبيب.

(٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، المنفلوطي، ثم القوصيّ المصري، الشافعيّ، المالكي، المعروف بابن دقيق العيد (أبو الفتح، تقيّ الدين) (٦٢٠-٧٠٢هـ/ ١٢٢٨-١٣٠٢م) محدِّث، حافظ، فقيه، أصولي، أديب نحويّ، شاعر، خطيب. ولد في ينبع على ساحل البحر الأحمر من أرض الحجاز ونشأ بقوص، ورحل إلى الشام ومصر وسمع الكثير، ولي قضاء الديار المصريّة وتوفي بالقاهرة في ١١ صفر من تصانيفه: الاقتراح في علوم الحديث، وشرح مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكيّ لم يكمل، والإلمام في أحاديث الأحكام، وشرح مقدمة المطرزي في أصول الفقه، وديوان خطب، وله شعر. (انظر: معجم المؤلفين ١١/ ٧٠).

(٣) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري، الخزرجي، السبكي، الشافعي، (تقي الدين، أبو الحسن) (٦٨٣-٧٥٦هـ/ ١٢٨٤-١٣٥٥م) عالم مشارك في الفقه والتفسير والأصلين والمنطق والقراءات والحديث والخلاف والأدب والنحو واللغة والحكمة. ولد بسبك العبيد من أعمال المنوفية بمصر في صفر، وتفقه على والده، ودخل القاهرة، وولي قضاء الشام، وتوفّي في جمادى الآخرة بظاهر القاهرة، ودفن بمقابر الصّوفية. من تصانيفه الكثيرة: الابتهاج في شرح المنهاج للنووي، والدر النظيم =

أُمَّتِهِ مِنَ النّار، وإدخالِهم الجَنّة. ويُشارِكُهُ فيها الأنبياءُ والمَلائِكةُ والمُؤمِنُون. و[شَفاعةٌ] أخرى في قَومٍ حُوسِبُوا واستَحقُّوا النّارَ أنْ لا يَدخُلُوها. وأُخرَى زيادةُ دَرَجاتِ أقوامٍ في الجَنّةِ وجَوَّزَ النَّوويُّ اختِصاصَها بِهِ ﷺ و[شَفاعةٌ] أُخرى في تَخفيفِ عَذابِ بَعضِ الكُفّارِ كأبي طالِب. وشَفاعاتٌ أُخرى: مِنها شَفاعَتُهُ لِجَماعةٍ مِن صُلَحاءِ أُمَّتِهِ في التَّجاوُزِ عَنهُم في تَقصِيرِهم في الطّاعات.

وفي قَولِهِ: الآمِرِ النّاهي إيماءٌ إلى أنَّ اكتِسابَ الشَّرَفِ لِـمَنِ اتَّبَعَ/ سُنَّتَهُ [١٢٣ ب] إنَّما يَكُونُ بالأمْرِ بالمَعرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنكَر. ولا يَحسُنُ ذلكَ حَتَّى يُصاحِبَهُ الصِّدْقُ والبِرُّ. فمَن حَصَّلَ هذا الوَصْفَ بِشُروطِهِ استَحَقَّ أنْ يَنالَ ما يُشبِهُ رُتبَتَهُ ﷺ، فيُقال فيهِ كَما قِيلَ لِنَبيِّهِ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: هو الحَبيبُ الّذي تُرجَى شَفاعَتُه؛ لأنَّ الآمِرِينَ النّاهِينَ هُم العُلَماء. وهُم وَرَثةُ الأنبياء. ورُبَّما ورِثُوا مِنهُم هذا النَّوعَ ولَـمّا لَم يَكُنْ مِيراثُهم مُستَغرِقاً لَم تكُنْ[1] شَفاعَتُهم لِكُلِّ هَولٍ كَما هي شَفاعةُ مُورِثِهم. وفي الخَبَر: «أنَّ النّاسَ يَدخُلونَ الجَنّةَ فيَبقى العُلَماءُ فيَسألُونَ الدُّخُول. فيَقُولُ لَهم اللهُ تَعالى: «أنتُم عِندِي كمَلائِكَتِي، اشفَعُوا ثُمَّ ادخُلُوا[2]».

ثُمَّ اللّامُ في قَولِهِ: لِكُلِّ هَوْلٍ يَجُوزُ كَونُها بمَعنى «عِند»، أو بمَعنى «في»، والتَّعلِيلُ أولى. وهي مُتَعلِّقةٌ بـ تُرجَى أو بـ شَفاعته. والهَوْلُ: مَصْدَرٌ بمَعنى الفاعِل. وتَنوينُهُ لِلتَّعظِيمِ بِدَليلِ وصْفِهِ بِقَولِهِ مِنَ الأهوال: وهو جَمعٌ مُعَرَّفٌ

= في تفسير القرآن العظيم، والطوالع المشرقة في الوقف على طبقة بعد طبقة، والمواهب الصمدية في المواريث الصفدية. والفتاوى جمعها ولده تاج الدين في ثلاثة مجلدات. (انظر: معجم المؤلفين ٧/ ١٢٧).

(١) س: يكن.

(٢) مشارق الأنوار للقسطلاني ١٢ أ.

مُستَغرِقٌ لأهوالِ الدّارَين. وجُملة: هو الحَبِيبُ مُستَأنَفةٌ استِئنافاً بيانِيًا، أو حالٌ مِن ضَمِيرِ الآمِرِ أو النّاهي.

[٣٧. دَعا إلى اللهِ فالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ]

دَعا: كُلَّ مَن بُعِثَ إلَيهِ مِن إنسٍ وجِنٍّ، كَما يُؤذِنُ بِهِ حَذْفُ المَعمُول.

[14 b] **إلى الله**: إلى تَوحِيدِهِ وطاعَتِهِ والإقرارِ برِسالَتِهِ/ هو ﷺ. **والله**: عَلَمٌ لِلذّاتِ الواجِبِ الوُجودِ المُستَحِقِّ جَمِيعَ المَحامِد. ولِلخِلافِ في أنّهُ مُرتَجلٌ، أو مُشتَقٌّ، أو عَرَبِيٌّ، أو مُعَرَّبٌ مَحَلٌّ غيرَ هذا المَقام. وجُملةُ **دَعا** خَبَرٌ عَن مَحذُوف؛ أيْ: هو دَعا. وتَرَكَ العاطِفَ إشعاراً بأنَّ لِكُلِّ صِفةٍ صَلاحِيَة أنْ يُوصَفَ بِها على الاستِقْلال. ويُحتَمَلُ أنْ تَكُونَ الجُملةُ مُسْتأنَفة. **فالمُستَمسِكُونَ**؛ أيْ: المُعتَصِمُونَ **به**. **والفاءُ** فاء النَّتِيجة[١]. وعَدَلَ عَنِ الفِعلِيّة إلَيها إيماءً بأنَّ هذا أمرٌ مُستَمِرٌّ ونَتيجةٌ مُستَقِرّة. **مُستَمسِكُون بحَبْلٍ**: بِعَهْدٍ **غيرِ مُنفَصِمٍ**: بالفاءِ والصّادِ المُهمَلةِ مِن فصَمْتُ الشَّيْء: كَسَرْتُه. وفيهِ تَلمِيحٌ إلى قَولِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ولَم يَقُلْ فالمُجِيبُونَ لهُ إعلاماً بأنَّ مُجرَّدَ الإجابَةِ بالقَولِ ونَحوِهِ لا نكفي، بَل لا بُدَّ مِن الاعتِصامِ بما جاءَ بِه. وفي وصْفِ الحَبْلِ بـ **غيرِ مُنفَصِم** مُبالَغة؛ لأنَّ الكَسْرَ مِن غيرِ إبانةٍ لَـمّا كانَ مُثبَتاً في مَقامِ المَدْحِ أفادَ عَدمَ تَطرُّقِ الخَلَلِ إليهِ بوَجْهٍ، مُطْلَقاً.

وفي البَيْتِ تَشبِيهٌ بَلِيغٌ[٢] شَبَّهَ «المُستَمسِكَ» بدَعوَتِهِ ﷺ إلى التَّوحِيدِ

---

(١) فاء النتيجة: تستعمل لإفادة كيفية نتائج الأفعال، نحو: «... ولكنه جد واجتهد وساعده الحظ فنال ما ترى» و«أهمل الطالب دروسه ولم يجدّ فرسب في آخر السنة». (انظر: الأدوات في اللغة العربية باللغة التركية لحسن آقداغ ٩٤).

(٢) هو ما حذف فيه كلّ من الأداة ووجه الشبه. (انظر: مجدي وهبة ١٠٠).

لِينجُوَ مِن عَذابِ الله ويَتخَلَّصَ مِنَ العُقوبةِ بالمُستَمْسِكِ بحَبْلٍ وثِيقٍ مُحكَمٍ لَم يَعرِضْ لهُ خَلَل، مُتوَسِّلاً بِهِ إلى الخَلاصِ مِن الهَلكةِ بجامِعِ التَّوثُّقِ الكامِلِ فيهما، ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ مِن الاستِعارةِ المُصرَّحةِ ويَكُون في قَولِهِ غير مُنفصِمٍ تَرشِيحاً.

ولَمّا كانَ/ حُسْنُ الخُلُقِ تابعاً[1] لِحُسْنِ الخَلْقِ، والأنبياءُ عَليهِم الصلاةُ والسَّلامُ أحسَنُ النّاسِ خَلْقاً وخُلُقاً ونَبِيُّنا ﷺ. [١٢٤ أ]

[٣٨. فـاقَ النَّبِيِّينَ فـي خَلْقٍ وفي خُلُقٍ وَلَـمْ يُـدانُـوهُ فـي عِـلْـمٍ ولا كَـرَمِ]

فاقَ النَّبِيِّينَ: عَليهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ: عَلا عَليهِم. في كُلِّ خَلْقٍ بفَتحِ الخاءِ وسُكونِ اللّام: الصُّورةُ المُدرَكةُ بحاسّةِ البَصَر. وتَقديمُهُ لِتَقدُّمِهِ في الظّاهِر، وفي كُلِّ خُلُق: بِضَمِّ أوَّلَيهِ؛ أيْ: سَجِيّةٍ؛ أيْ: ما طُبِعَ عَليهِ مِن حَميدِ الخِصالِ المُدرَكةِ بالبَصِيرة.

قِيل: لا نُسَلِّمُ فَهْمَ إرادةِ العُمومِ مِن خَلْقٍ وخُلُقٍ، لأنَّهُما نكِرَتانِ في سِياقِ الإثبات. والنَّكِرةُ كَذلكَ لا تَعُمُّ فلا يَكُونُ في البَيْتِ مَدْحٌ تامٌّ؛ لأنَّ مَعناهُ فاقَهُم[2] في بَعضٍ مِنهُما، والبَعْضُ الآخَرُ مُحتَمَلٌ لأنْ يُساوُوهُ أو يَفُوقُوهُ فيهِ، فَتحصُلُ[3] المُعادَلَةُ بذلكَ حِينَئذٍ، أو يَكُونُوا أعلى[4] إنْ كانَ ما فاقُوهُ بِهِ أكثَر.

وأُجِيبَ بأنَّ المُرادَ في خَلقِهم وخُلُقِهم، إذْ لا يُرادُ؛ أيْ: كانَ مِنهُما، إنَّما المُرادُ بِهِما، مِنهُ ومِنهُم. وحِينَئذٍ فهُما اسما جِنسٍ أُضِيفا فيَعُمّا. ودَلِيلُ الإضافةِ

---

(١) ج: تابع.

(٢) ج، س: فافهم.

(٣) ج: يحصل.

(٤) ج، س: أعلا.

العَقل، أو المُرادُ بهما الحَقِيقةُ وهي واحِدة. وما يُقالُ إنَّ الإنسانِيَّةَ لا تَفاوُتَ فيها، يُجابُ عَنهُ بأَنَّ المُرادَ العارِضُ لَها. إمّا بالتَّركِيبِ/ الصُّورِيِّ وهو الخَلْق، أو باعتِبارِ الصِّفاتِ المَعنَوِيّةِ وهي الخُلُق؛ لأنَّ أصلَ هذهِ الأوصافِ فيهِ وفي غَيرِهِ خَلْقُ اللهِ تَعالى مِن غَيرِ اكتِسابٍ، لِما في صَحِيحِ مُسلِمٍ قالَ لِرَجُلٍ: «إنَّ فيكَ لَخَصْلَتَينِ يُحِبُّهُما اللهُ ورَسُولُه: الحِلْمُ والأناةُ. فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أنا أتخَلَّقُ بِهما أمِ اللهُ جَبَلَنِي عَلَيهِما؟ فقال: بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَليهِما»[١]. الحَدِيث. [15 a]

نَعَم، يَكتَسِبُ الإنسانُ قُوَّتَهُما بالمُخالَطةِ والاستِعْمال، وما ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ مُستَمَدٌّ مِن حَدِيثِ التِّرمِذِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ما بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إلّا حَسَنَ الوَجْه، حَسَنَ الصَّوْتِ وكانَ نَبِيُّكُم ﷺ أحسَنَهُم وجْهاً وأحسَنَهُم صَوْتاً»[٢]. وحَدِيثُ البُخارِيِّ عَن أنَسٍ[٣]: «كانَ ﷺ أحسَنَ النّاسِ خَلْقاً وأحسَنَهُم خُلُقاً»[٤].

ولم يُدانُوه: يُقارِبُوه. في عِلْمٍ ولا كَرَم: وخَصَّهُما بالذِّكْرِ مَع دُخُولِهما في الخُلُق؛ لأَنَّهُما كالمَنبَعِ لِسائِرِ الأوصافِ الحَمِيدة. وإذا لَم يُقارِبْ فيهما ففي غَيرِهما أولى، إذْ أصلُ الأخْلاقِ كُلِّها العَقل، ومِنهُ يَنبَعِثُ العِلْم. وقَد أُعطِيَ ﷺ مِنَ العَقْلِ ما لا يُقارِبُهُ غَيرُهُ فيما أُعطِيَ مِنهُ. وفي «الشِّفاءِ» عَن وهْب: «وَجَدْتُ في جَمِيعِ كُتُبِ اللهِ أنَّ اللهَ تَعالى لَم يُعْطِ جَمِيعَ خَلْقِهِ مِن

(١) أخرجه مسلم في الإيمان: ٢٥؛ أبو داود في الأدب: ١٤٩.

(٢) الشمائل المحمدية للترمذي، ص ١٥٤ (رقم الحديث: ٣١٤).

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجار الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة (١٠ ق هـ - ٩٣هـ/ ٦١٢-٧١٢م)، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (انظر: الأعلام ٢/ ٢٤-٢٥).

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب ٢٣.

بَدْءِ الدُّنيا إلى انقِضائِها مِنَ العَقْلِ في جَنْبِ عَقْلِهِ ﷺ إلّا كحَبَّةٍ بينَ رِمالِ الدُّنيا»(١). وجُملةُ فاقَ النَّبِيّينَ في مَحَلِّ الحالِ مِن فاعِلِ دَعا. وفيهِ احتِراس. فإنَّهُ لَـمّا قال: فاقَ النَّبِيّينَ ... إلخ احتمَلَ تَفوُّقاً مَع دُنُوِّهِم مِنهُ، فدَفَعَ ذلكَ: أيْ؛ أنَّهم كَما لَم يُشارِكُوهُ/ في الأخْلاقِ لَم يُدانُوهُ فيها. [١٢٤ب]

[٣٩. وكلُّهُـمْ مِنْ رَسُـولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفاً مِـنَ الْبَحْرِ أوْ رَشْـفاً مِـنَ الدِّيَمِ]

وكُلُّهم مِن رَسُولِ اللهِ: مُحمَّدٍ ﷺ فالإضافةُ لِلعَهدِ. مُلتَمِسٌ: طالِب. غَرْفاً مِنَ البَحْرِ؛ أيْ: بَحْرِ كَرَمِه. أو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ: دِيَمِ كَرَمِه. فكُلٌّ مِنَ البَحرِ ومِنَ الدِّيَمِ بَدَلُ اشتِمالٍ مِن رَسُولِ اللهِ. حَذَفَ الضَّمِيرَ الرّابِطَ لهُ به. أو ال نائِبَةٌ عَن ذلكَ الضَّمِير، كَما هو رَأيُ الكُوفيِّينَ(٢) فيه، نحو: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] أيْ: مَأْواه. وعلى رَأيِ البَصريِّينَ(٣): التَّقدِيرُ مِنَ البَحرِ، أو الدِّيَم لَه، أو نَحو ذلكَ. وعَليهِ ففي البَيْتِ تَجريد. وهو أنْ يَنتزِعَ(٤) مِن ذِي صِفةٍ آخَرَ مِثلَهُ فيها، إيذاناً بكَمالِ المُبالَغة، ويَكُون بـ«مِن» و«الباءِ» و«في»، والواوُ في صَدْرِ البَيْتِ واوُ الحال. والجُملةُ حالٌ مِن فاعِلِ يُدانُوه، فهي حالٌ مُتداخِلة، أو مِن مَفعُول فاقَ، فتَكُونُ حالاً مُترادِفة، وعَدَلَ عَن قَولِهِ: مِنهُ إلى الظّاهِرِ لِزيادةِ التَّعظِيمِ عَمّا في/ الإضْمار، أو لِلاستِلْذاذ، أو لأنَّهُ لَـمّا أرادَ أنْ يُثبِتَ التِماسَ الأنبِياءِ مِنهُ كانَ ذِكْرُ رَسُولِ اللهِ أقطَعَ لِبَيانِ المَرام. [15 b]

وتَقدِيمُ المَجرُورِ على مُلتَمِس لإفادةِ الحَصْر، ومُلتَمِس خَبَر كُلّهم،

---

(١) الشفا في حقوق المصطفى ٥٥.

(٢) المدارس النحوية، شوقي ضيف ١٥١-٢٤٢.

(٣) المدارس النحوية، شوقي ضيف ٩-١٥٠.

(٤) ج: ينزع.

فاختيارُ(١) الالتِماسِ دُونَ السُّؤالِ رِعايةُ أدَبٍ مَعَ الأنبِياءِ عَليهِم السَّلام(٢).
وغَرْفاً ورَشْفاً: مَفعُولا مُلتَمِس؛ لأنَّهُ على حِكايةِ الحالِ الماضِية، أو حالانِ.
والدِّيَمُ: بكَسْرٍ ففَتْحٍ جَمعُ دِيمةٍ بِكَسرٍ فسُكُونٍ: المَطَرُ الَّذي ليسَ فيهِ رَعدٌ ولا بَرقٌ يَدومُ يَوماً ولَيلةً **والرَّشفُ**: الأخذُ بأطرافِ الشَّفة. وقالَ الجَوهَرِيُّ(٣): «المَصُّ»(٤). وفي ذلكَ التَّشبيهُ البَليغ. شَبَّهَ عِلمَهُ بالبَحْرِ وكَرَمَهُ بالدِّيَم، وما أخَذَ الأنبِياءُ عَليهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنهُما بالغَرْفةِ والرَّشْفة. ووَجْهُ تَشبيهِ العِلْمِ بالبَحرِ الاتِّساع، أو بُعدُ الغَوْر، أو إخراجُ الغائِصِ فيهِ [مِنْ] جَواهِرِ الدُّرر. ووجْهُ تَشبِيهِ الكَرَمِ **بالدِّيَمِ** ما يَحصُلُ مِنَ النَّفْعِ بِها. وخَصَّ **الرَّشْفَ** بـ **الدِّيَم**، **والغَرْفَ** بـ **البَحْرِ**؛ لأنَّها تَجري على سَطْحِ الأرضِ فلا يَجتَمِعُ فيها ما هو كالبَحْرِ حَتَّى تَغتَرِف؛ وأو لِتَنويعِ المُشَبَّهِ به، وفيهِ إيماءٌ إلى تَفاوُتِ التِماساتِهم مِن حَضْرَتِهِ بِحَسَبِ مِقدارِ تَفاوُتِ الاستِعْداد. فإنَّ تَفاوُتَ المَعارِفِ بِحَسَبِ

---

(١) س: ـ.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ج».

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (أبو نصر) (...ـ٣٩٣هـ/ ...ـ١٠٠٣م) لغوي، أديب، ذو خط جيّد، أصله من بلاد الترك من فاراب، ورحل إلى العراق، وقرأ العربية على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى الحجاز وطوف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من الطواف عاد راجعاً إلى خراسان، ثم سرح إلى نيسابور، فلم يزل مقيماً بها للتدريس والتأليف وتعليم الخط حتى توفي فيها. من تصانيفه: تاج اللغة وصحاح العربية، وكتاب المقدّمة في النحو، وكتاب في العروض، وله شعر. (انظر: معجم المؤلفين ٢/ ٢٦٧).

(٤) «الرشف: المصُّ، وقد رشفه يرشفه ويترشّفه، وارتشفه؛ أي: امتصه. وفي المثل: الرشف أنقع؛ أي: إذا ترشفت الماء قليلاً قليلاً كان أسكن للعطش». (تاج اللغة وصحاح العربية ٢/ ٢٧).

تفاوُتِ الاستِعداداتِ[١]. ولا يَلزَمُ مِن التِماسِهم ذلكَ مِن حَضرَتِهِ الكَرِيمةِ تَأخُّرُ زَمَنِهم عَنه؛ لأنَّ طَلَبَهُم مِن بَحرِ عِلْمِهِ ودِيَمِ كَرَمِه، وذلكَ لا يَستلزِمُ اتِّحادَ زَمَنِ وُجودِهِم ولا عِلمِهم ببَعْثِهِ ﷺ بَعدَهُم. ولَئِنْ سلمَ لُزُومَ ذلكَ حالَ الطَّلَبِ مِنهُم لِذلكَ فهو حاصِلٌ لَهم مِمّا أُعلِمُوا بِهِ مِن مَبعَثِهِ وصِفاتِهِ. قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١] الآية.

وأفرَدَ البَحرَ لأنَّهُ مُشبَّهٌ بِهِ العِلْم. وهي صِفةٌ واحِدةٌ؛/ أو إيماءً إلى أنَّ البَحرَ الواحِدَ يُقاوِمُ جَميعَ الدِّيَم. وجَمَعَ الدِّيَمَ لأنَّهُ شَبَّهَ بها كَرَمَ الطَّبائِع، وهي أخلاقٌ مُتعَدِّدة. [١٢٥ أ]

[٤٠. وواقِفُونَ لَدَيْـهِ عِنْـدَ حَدِّهِـمِ مِـنْ نُقْطةِ العِلْمِ أوْ مِنْ شَـكْلةِ الحِكَمِ]

وكُلُّهم **واقِفون**: ثابِتُونَ، **لَديهِ عِندَ حَدِّهِم**: **الَّذي** حَدَّ لَهم لا يَتعدَّوْنَهُ عِلْماً وكَرَماً. فالواوُ لِلحال، والجُملةُ الاسمِيّةُ المُقدَّرُ مُبتدؤُها حالٌ مِن مَفعُولِ أو فاعِلِ **لَم يُدانُوه**. ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ[٢] عاطِفة. والمَعطُوفُ عَليهِ الجُملةُ الاسمِيّة؛ أيْ: قَولُه: **وكُلُّهم مِن رَسُولِ الله مُلتَمِسٌ**؛ إذِ القَصْدُ تعدُّدُ أحوالِ الأنبياءِ مَع حَضْرَتِهِ العَلِيّةِ بحَيثُ يَستلزِمُ وُقوفَهُ وظُهورَ تَقرُّرِ فضْلِهِ عَليهم. فعَبَّرَ تارةً بالجُملةِ الاسمِيّةِ وأُخرى بالفِعلِيّة. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ **وواقِفونَ** عَطفاً على **مُلتَمِس**. وأفرَدَ أوّلاً باعتِبارِ لَفْظِ **كُلّ**، وجَمَعَ ثانِياً باعتِبارِ مَعناها. **ولَدى**: ظَرْفُ مَكان. **مِنْ نُقطةِ العِلمِ أو مِن شَكْلةِ الحِكَم**: أيْ: مِن نُقْطةٍ مِن بَحرِ عِلْمِهِ وشَكْلةٍ مِن دِيَمَ حِكَمِه. وخَصَّ النُّقطةَ بالعِلْم؛ لأنَّ بها تتمَيَّزُ ذَواتُ الحُروفِ المُشتَبِهةِ الصُّوَر[٣]. والعِلْمُ خاصِيَّتُهُ التَّمييز،/ كَما حَدَّهُ بَعضُ الأُصولِيِّينَ أنَّهُ [16 a]

(١) ج: الاستعداد.

(٢) ج: يكون.

(٣) س: الصورة.

«صِفةٌ تُوجِبُ تَمييزاً لا يَحتَمِلُ النَّقِيض». وأضافَ الشَّكْلةَ لـ الحِكَم؛ لأنَّ فائِدَةَ الحِكْمةِ وضْعُ الشَّيْءِ في المَكانِ الَّذي يَستَحِقُّهُ على أكمَلِ وجْه، لِئَلّا يَختَلَّ النِّظام، وهذهِ فائِدةُ الشَّكْلة؛ لأنَّ بها يُضافُ الحكمُ إلى صاحِبِهِ ويَزُولُ اللَّبْس.

وفي ذلكَ التَّورِيةُ[1] الخَطِّيّة، وهي أنْ يَقُولَ انظُرْ ما يُشبِهُ النُّقطةَ الواحِدةَ الَّتي هي مِن أسبابِ العِلْمِ إلى نَفسِ العِلْم، وإلى سائِرِ أسبابِهِ وصِفاتِها، وإضافةُ نُقطةٍ وشَكْلةٍ على مَعنى «مِن». ومِن: ابتِدائِيّة. والظَّرْفُ صِفةٌ لـ حَدِّهم، أو حالٌ مِنهُ.

[٤١. فهْوَ الَّذي تَمَّ مَعْناهُ وصُورَتُهُ ثُمَّ اصْطَفاهُ حَبِيباً بارِئُ النَّسَمِ]

فهو الَّذي تَمَّ: أيْ: كَملَ مَعناهُ: أيْ: ما يُرادُ مِنهُ مِن عُلُوِّ المَراتِبِ وكَرِيمِ الأخْلاقِ والكَمالاتِ والأوصاف. وصُورَتُه: أيْ: خَلْقُه. والفاءُ فيهِ لِلنَّتِيجة. أيْ: لَمّا كانَ فائِقاً على[2] الكُلِّ خَلْقاً وخُلُقاً لا يُقارِبُهُ نَبِيٌّ في الفَضْلِ ولا يُدانِيهِ رَسُولٌ في العَقْلِ فهو الَّذي تَمَّ ظاهِراً وباطِناً. والصُّورةُ ما تَتَعَيَّنُ بها الأعيانُ وتَتَمَيَّزُ بها عَن غَيرِها. ويَصِحُّ أنْ يُرادَ مِن مَعناهُ وصُورَتُهُ روحانِيَّتُهُ وجِسْمُه، أو عِلْمُهُ وعَمَلُه[3]، أو أخلاقُهُ المرضِيَّةُ، وعَقائِدُهُ، أو مُعامَلَتُه مَعَ الخَلْقِ [ومَعَ الحَقِّ][4] والحَقُّ أنَّ المَعنى والصُّورةَ تَشمَلُ[5] ذلكَ كُلَّه. فيَكُونُ المَعنى عَن

---

(١) هي، في علم البديع العربي، أن يكون للفظ معنيان: أحدهما قريب والثاني بعيد، والبعيد هو المقصود. (انظر: مجدي وهبة ١٢٦؛ أحمد مطلوب ٤٣٣-٤٣٥).

(٢) س: في.

(٣) ج: ـ.

(٤) وما بين القوسين ساقط من «س».

(٥) س: يشمل.

نِها[يةِ][١] كَمالِ لِلنُّبوّةِ والرِّسالة. ووَجْهُ تَقديمِ مَعناهُ مَع أنَّ الصُّورةَ في الرُّؤْيةِ مُقدَّمةٌ على المَعنى، بَلِ المُدرَكُ بالبَصرِ هي، لا هو الإشارةُ إلى أنَّ القَصْدَ بالأصالةِ الكَمال لا بِحَسَبِ الصُّورة. **ثُمَّ اصطفاه**: اختارَهُ/ بَعدَ تَكميلِهِما. [١٢٥ ب] وثُمَّ: لِتَرتيبِ الإخبارِ بالمَدْح. وقِيل: هي لِبَيانِ عُلُوِّ رُتْبةٍ بَعدَ رُتْبة. والتَّرقِّي مِنَ الأدنَى إلى الأعلَى في وصْفِهِ أنَّ الاصطِفاءَ أعلى مِن تَكميلِهما. ويَجُوزُ أنْ يُراد: اصطَفاهُ وهُما في عِلْمِ الله تَعالى. وتَقديرِهِ والاصطِفاءُ حُصولُهُ بالفِعْلِ الظّاهِر، فتَكُونُ[٢] ثُمَّ على مَعناها. **حَبِيباً**: ثاني مَفعُولَي اصطَفَى: أو لِتَضمِينِهِ مَعنى الجَعْلِ والإيجاد. وتَنكِيرُهُ لِلتَّعظِيمِ. **بارِئُ النَّسَم**: فاعِلُ اصطَفَى. وإنَّما خُصَّ بالذِّكْرِ مِن بينِ أوصافِهِ تَعالى تَنبيهاً على أنَّ مَعنى مَحبّةِ الله تعالى لهُ خَلْقُهُ إيّاهُ على تِلكَ الصُّورةِ وتَوفيقِهِ لِتلكَ الأخْلاقِ الحَميدةِ الَّتي جِماعُها الإعراضُ عَمّا سِوَى الله. والنَّسَم: جَمْعُ نسمةٌ: هي الإنسان.

قِيل: وفي الإتيان تَناسبُ الصَّدْرِ والعَجُز.

[٤٢. مُنَـزَّهٌ عَنْ شَـرِيكٍ في مَحاسِـنِهِ فَجَوْهَـرُ الحُسْـنِ فيْـهِ غَيْـرُ مُنْقَسِـمِ]

مُنَـزَّه: أيْ: مُبَرَّأٌ ﷺ خَبَـرُ مُبتَدأ مَحذُوف؛ أيْ: هو مُبعَد. **عَن وُجُـودِ شَرِيكٍ**: مُشارِكٍ في مَحاسِنِهِ الشَّريفة. **فجَوهَرُ الحُسْن**: أيْ: حَقيقَتُهُ الكامِلةُ كامِنٌ فيهِ؛ لأنَّهُ الَّذي تَمَّ خَلْقاً وخُلُقاً. **غيرُ مُنقَسِم**: بَينَهُ وبينَ غَيرِه، وإلّا لَمَا كانَ تامًّا فيه؛ لأنَّهُ عندَ الانقِسامِ لا يَنالُهُ إلّا بَعضٌ مِنهُ/ فلا يَكُون تامًّا. والغَرَضُ [16 b] خِلافُه. **وشَرِيك**: وإنْ كانَ في سِياقِ الإثباتِ مِن حَيثُ اللَّفْظِ إلّا أنَّهُ في سِياقِ النَّفْي مَعنى؛ لأنَّ مَعنى مُنَزَّه عَن شَـرِيك: لا يُوجَدُ لهُ شَرِيكٌ فيها. **ومُنَزَّه**:

---

(١) س: نها.

(٢) س: فيكون.

بِصيغةِ المَفعُول. وحَذَفَ الفاعِلَ لِلعِلْمِ بِه. خَبَرُ مُبتَدأ مَحذُوف، أو خَبَر قَولِهِ في البَيْتِ قَبلَه: فهُو. والمَحاسِنُ: جَمعُ «حُسْن» على خِلافِ القِياس. وهو في البَيْتِ جَمعٌ مُضافٌ، فيَعُمُّ ما فيهِ مِن حُسْنِ الصُّورةِ والمَعنى. والفاء في قَولِهِ: **فجَوهَرُ**: فاءُ النَّتيجة. والظَّرْفُ خَبرٌ إنْ أعربَ مُبتَدأ، أو صِفة. **وغَيرُ مُنقَسِم**: على الأوَّل، خَبرٌ بعدَ خَبَر. ويَجُوزُ أنْ يُنصَبَ حالاً مِنَ الضَّميرِ المُستَكِنّ في الظَّرْفِ المُستَقِرّ.

والبَيْتُ تَأكِيدٌ للبَيتِ قَبْلَه. أتى بِهِ لِتَقريرِه؛ وأنَّهُ صَدَرَ عَن رَوِيّةٍ ودِراية.

[٤٣. دَعْ مـا ادَّعَتْهُ النَّصـارَى في نَبِيِّهِمِ   واحْكُمْ بِما شِئْتَ مَدْحاً فيْهِ واحْتَكِمِ]

دَع؛ أي: اترُكْ. والخِطابُ فيهِ لِغَيرِ مُعيَّن. **ما ادَّعَتْه**: قالَتْه. والادِّعاءُ أنْ يَدَّعِيَ شَيئاً. وكَثيراً ما يُستَعمَلُ في الدَّعوى الكاذِبة. **النَّصارَى**: جَمع «نَصْران» كـ«نَدامى»[(١)] جَمع «نَدْمان»، إلّا أنَّهُ لا يُقالُ نَصران إلّا مَع ياءِ النِّسْبة. فجُمِعَ على «نَصارَى» كَما في «الصِّحاح». سُمُّوا بذلكَ لِنَصرِهِم المَسِيحَ عَليهِ السَّلام، أو لأنَّ «نَصران» قَريةٌ بالشّام[(٢)] نُسِبُوا إلَيها لإقامَتِهِم بها. **في نَبِيِّهِم**: الإضافَةُ فيهِ لِلعَهدِ؛ أيْ: عِيسى عَليهِ السَّلام، مِن نِسبَتِهِ لِلأُلوهِيّةِ على اختِلافِ آرائِهِم فيه. وقُل هو عَبدُ الله ورَسُولُه.

[١٢٦ أ] وعَدَلَ/ عَن قَولِهِ عِيسَى إلى ما عَبَّرَ بهِ زِيادَةَ تَوبيخٍ وتَثريبٍ[(٣)] باتِّخاذِهِم مَن جاءَهُم نَبِيًّا، رَسُولاً، داعِياً إلى عِبادةِ الله بالحَقِّ إلَهاً. فإنَّ مَن أقَرَّ بالرِّسالةِ

---

(١) س: ندمى.

(٢) في المنجد في الأدب والعلوم (ص ٥٢٩): «الناصرة (Nazareth): مدينة في فلسطين (الجليل) فيها قضى المسيح حياته المحتجبة فدعي ناصرياً وأتباعه من بعده نصارى».

(٣) ثرب فلاناً، وعليه: لامه وعيّره بذنبه. وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

كيفَ يَكُونُ إلهاً؟ **واحكُمْ بما شِئْتَ مَدْحاً**: مَفعُولُ **احكُم**، أو حالٌ بمَعنى الفاعِلِ. **فيهِ**؛ أيْ: في شَأْنِ رَسُولِ الله ﷺ ووَصْفِهِ وحالِه. **والمَدْحُ**: الثَّناءُ الحَسَنُ على الجَمِيلِ مُطْلقاً؛ أيْ: مَدْح سَمِعتَهُ فيهِ غَير وصْفِهِ بالأُلوهِيّةِ فاقضِ بِصِحَّتِهِ ولا تُكَذِّبْ قائِلَه. فمَعنى **بما شِئْتَ**؛ أيْ: بِصِحّةِ ما شِئْتَ مِمّا سَمِعْتَ؛ لأنَّ ما يَستَدعِيهِ الحُكْمُ مَحكُوماً فيه. ولا بُدَّ وأنْ يَكُونَ غير فِعْلِ الحاكِم. وأتى بِقَولِهِ: **واحتَكِم**: استِظْهاراً على أنَّ المَحكُومَ عَليهِ بصِحّةِ مَدحِهِ يَرضَى بتَحكِيمِكَ[١] في ذلكَ فيَجعَلُ لكَ حِيازة. الحُكْم. وهو احتِراسٌ عَمّا يُوهِمُهُ **احكُمْ** أنَّ ذلكَ لِسُلطانِ الحاكِمِ وقَهْرِه. فزادَ **واحتَكِم** لِيَدُلَّ على أنَّهُ مِنَ الحكمِ الَّذي يَرتَضِيهِ المَحكُومُ عَليهِ بِه. وتَخصِيصُهم بإضافةِ عِيسى إلَيهِم لَيسَتْ لِلاختِصاصِ بَل هي لَنا أيضاً. بمَعنى أنَّهُ يُؤمِنُ بِحَقِيقَتِها، لا أنَّهُ صاحِبُ شَرِيعَتِنا وسَيُبعَثُ فينا إماماً، ومُوهِمٌ أنَّهُ ليسَ نَبيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ نَبيًّا لَهُم. وهو باطِل.

[٤٤. وانْسُبْ إلى ذاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وانْسُبْ إلى قَدْرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَمِ]

وانسُبْ: وفي نُسخة بـ **الفاءِ الفَصِيحةِ** أو التَّفْسِير لِقَولِه: **فاحكُم** إلَخ **إلى ذاتِهِ** الشَّرِيفة. **والذّاتُ** ما يُقابِلُ الصِّفة./ [17 a] والتّاءُ فيهِ لَيسَتْ لِلتَّأنِيث. وهو في كَلامِهم بمَعنى نَفْسِ الشَّيْءِ وعَينِه. وليسَ استِعْمالُهُ كذلكَ في كَلامِ العَرَب. نَبَّهَ عليهِ الرّاغِبُ[٢]. **بما شِئْتَ**: المَوصُولُ بِصِلَتِهِ مَفعُول **انسُبْ**. وهو لِلعُمُومِ

(١) س: تحكيمك.

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (أبو القاسم) (... - ٥٠٢هـ/ ... - ١١٠٨م)، أديب، لغوي، حكيم، مفسّر. من تصانيفه الكثيرة: تحقيق البيان في تأويل القرآن، والذريعة إلى مكارم الشريعة، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ومفردات ألفاظ القرآن، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. (انظر: معجم المؤلفين ٤/ ٥٩، ١٣/ ٣٨٣).

قَلِيلاً أو كَثِيراً مُتناهِياً وغَيرَه. مِن: بَيانِيّة. **شَرَفٍ**: عُلُوٌّ وقِيل: كَمالٍ مُتَعلِّقٍ بالحَقِيقةِ والذّات. **وانسُبْ إلى قَدْرِه**: مِقْدارِ مَنزِلَتِه ومَرتَبَتِه. **ما شِئْتَ مِن عِظَمٍ**: والتَّنْوينُ فيهِ وفي عَدِيلِهِ لِلتَّفخِيمِ والعَظَمة: كَمالٌ مُتَعلِّقٌ بالمَرتَبةِ والوَصْف.

وفي البَيْتِ صِيغةُ المُماثَلة. وهو تَساوِي الفاصِلَتَينِ وزْناً، مَع كَونِ ما في إحدى القَرِينتَينِ أو أكثَرِهِ مِنَ الألفاظِ مِثلَ ما يُقابِلُهُ مِن الأُخرى.

ثُمَّ فيهِ زِيادةٌ على البَيْتِ قَبلَه؛ لأنَّ الأمرَ فيما قَبلَهُ بِقَولِهِ: واحكُم بِصِدْقِ ما سُمِعَ مِنَ المَدْح. وهو في هذا البَيْت بِقَولِهِ: وانسُبْ بمُلابَسةِ ذلكَ وإنشائِه. فليسَ تَفْصِيل ما أجمَلَهُ البَيْتُ قَبلَه.

ولَـمّا أراد تَحقِيقَ المدَّعى أكَّدَ فقال:

[٤٥. فـإنَّ فضلَ رَسُـولِ الله لَيْـسَ لَهُ حَـدٌّ فـيُـعْـرِبَ عَـنْـهُ نـاطِـقٌ بِـفَـمِ]

فإنَّ فضْلَ رَسُولِ الله: ﷺ **الفاءُ لِلسَّبَبِيّةِ، والفَضْل؛ أيْ**: زِيادَتُـهُ على جَمِيعِ الأنبِياءِ وغَيرِهم مِنَ الخَلائِق./ [١٢٦ ب] وأظهَرَ مَوضِعَ الضَّمِيرِ لِكَونِه كالعِلْمِ في الفَضْلِ والشَّرَف. **ليسَ لهُ حَدٌّ**: نِهاية. **فيُعرِبَ**: بالنَّصْبِ، بإضمارِ أنْ بعدَ الفاءِ في جَوابِ النَّفْيِ الَّذي أفادَتْهُ ليسَ، وإذا كانَ لا حَدَّ لَهُ فكيفَ يُتَصوَّرُ أنْ يُعرِبَ. والإعرابُ الإبانة. **وعَنه**: مُتَعلِّقٌ بـ أعرب. واختُلِفَ في أنَّ كَمالاتِ الشَّخْصِ الكامِلِ: مُتناهِيةٌ أو لا؟ والأصَحُّ أنَّ كَمالاتِهِ غَيرُ مُتناهِية؛ لأنَّهُ أبدِيٌّ والمَعارِفُ التَّفْصِيلِيّةُ[1] غَيرُ مُتناهِية، فصَحَّ نَفْيُ الحَدِّ والغاية، والضَّمِيرُ عائِدٌ لِلرَّسُولِ ﷺ. والمُرادُ عَن جَمِيعِ فضْلِهِ وإلّا فبَيانُ بَعضِهِ مُمكِن، إلّا أنْ يقصدَ الإغْراق، ويُحتَمَلُ عَودُهُ إلى حَدّ. وهو أقربُ **ناطِق**: مِنَ النُّطْقِ وهي الأصواتُ

---

(١) ج: التفصيلية.

المُتقطِّعةُ الَّتي يُظهِرُها اللِّسان. وأثرُ الوَصْفِ فيهِ على كُـلِّ[١] مُتكلِّمٍ لِعَدَمِ إطلاقِ النّاطِقِ عَليهِ تَعالى، بخِلافِ المُتكَلِّم. **بِفَمٍ**: أصلُـهُ فوْهٌ بِفتحٍ فسُكُونٍ حُذِفَتِ الهاءُ لِـخَفائِها. وقُلِبَتِ الواوُ مِيماً لِتَسلَمَ مِنَ الحَذْفِ لو قُلِبَـتْ واواً لِتَحرُّكِها وانفِتاحِ ما قَبلَها ولاقَتْ ساكِناً، إذْ لو حُذِفَتْ لِذلكَ لَبقِيَ الاسمُ على حَرْفٍ واحِدٍ، والباءُ لِلاستِعانة.

وفائِدةُ قَولِه: **بِفَمٍ** المُبالَغةُ والتَّقرِيرُ كَما «سَمِعتُـهُ بأُذُنَيَّ». ولَـمّا كانَ قَدرُهُ ﷺ لا حَدَّ لهُ لَزِمَ مِنهُ أنَّ جَمِيعَ ما ظَهَرَ مِن آياتِهِ غيرُ مُناسِبٍ لِعُلُوِّ قَدْرِهِ كَما أشارَ إليهِ بِقَولِهِ:

[٤٦. لَـو ناسَـبَتْ قَـدْرَهُ آياتُـهُ عِظَماً أحْيا اسْـمُهُ حِينَ يُدْعَـى دارِسَ الرِّمَمِ]

لو ناسَبَتْ: ماثَلَتْ. والمُناسَبةُ والمُشاكَلةُ والمُشابَهةُ كَونُ الشَّيئَينِ بحَيثُ يُمكِنُ أنْ/ يُوجَدَ بَينَهُما اعتِبارُ الوَحْدة، أو أكثر. وحاصِلُهُ الاشتِراكُ بينَ شَيْءٍ واحِدٍ أو أكثَر، وباعتِبارِ ذلكَ الواحِدِ يَكُونُ ضعفَ المُناسَبةِ وقُوَّتها. **قَدْرَهُ**: رُتبَتَهُ. **آياتُهُ**: جَمعُ «آية»: عَلاماتُ نُبوَّتِهِ ﷺ الظّاهِرةُ والباطِنة. والقُرآنُ مِنها. أو المُرادُ ما عَداه. ولو سَلِمَ دُخُولُهُ فيها فيُحمَلُ الكُلُّ على الكُلِّ الإفرادِيِّ؛ أيْ: إنَّ كُلَّ فردٍ مِن آياتِهِ لو ناسَبَ قَدْرَهُ **عِظَماً لأحيا اسمُهُ** المَوتى وعِظَم بكَسْرٍ ففَتْحٍ مَصْدَرُ عَظُمَ كـ«كَرُم» كبر عظمه. ثُمَّ استُعِيرَ لِكُلِّ كَبيرٍ مَحسُوساً كانَ أو مَعقُولاً وهو تَمييزُ **أحيا اسمُهُ**؛ أيْ: العِلْم ولو كَتَبهُ **حِينَ يُدعى**: يُنادى. بالبِناءِ لِلمَفعُول. ونائِبُ فاعِلِهِ ضَمِيرٌ يَعودُ إلى الاسم؛ ويُحتَمَلُ التَّنازُع[٢]، فإنَّ [17 b]

---

(١) ج: ـ.

(٢) ضابط التنازع في النحو العربيّ: أن يتقدم عاملان أو أكثر، ويتأخر معمول أو أكثر. ويكون كل من المتقدم طالباً لذلك المتأخر. (انظر: قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاريّ ١٩٨).

أحيا يَقتضِي مَفعُولاً و**يُدعَى** يَقتضِي ما يَقومُ مَقامَ فاعِلِه. فَيَجُوزُ رَفْعُ **دارِس** ونَصْبُهُ على اختِلافِ المَذهَبَين. **دارِس**: باقِي **الرِّمَم** بكَسْرٍ ففتْحٍ جَمعُ رِمّة. وهي العِظامُ البالِيه، وجُملةُ **أحيا** جوابُ لو. وإضافةُ **دارِس** لَفظِيّة. والصِّفةُ فيهِ بمَعنى الحال؛ صِفةُ مَحذُوف؛ أيْ: شَخْصاً دارِساً رِممه. وجُملةُ **يُدعى** في مَحَلِّ جَرٍّ، بإضافةِ حِينَ إليها.

ومَعنى البَيْتِ على رَفعِ دارِس: **لو ناسَبَتْ**/ [١٢٧ أ] **قَدْرَهُ آياتُهُ** لَكانَ مِن جُملَتِها إذا دُعِيَ دارِس الرِّمَم مَع اسمِهِ أحياهُ اللهُ تَعالى بِبَركةِ اسمِه. ومَعناهُ على نَصبِه: ونائِبُ فاعِلِ **يُدعى** مُستَتِر. أحيا بركة اسمِهِ حِينَ يُذكَرُ دارِسُ الرِّمَمِ حِينَ يُدعى هو؛ أيْ: الدّارِس مُصاحِباً لِذكْرِ الاسمِ المُبارَك. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ ضِمْنَ يُدعى مَعنى يُذكَر؛ أيْ: أحيا اسمُهُ دارِسَ الرِّمَمِ حِينَ يُذكَر هو؛ أيْ: اسمُهُ عَليه. فـ **دارِس** مَفعُول **أحيا**.

وإنَّما لَم تكُنِ الآياتُ[١] مُناسِبةً لِقَدْرِهِ الشَّرِيفِ لِئَلّا تَعيا العُقولُ عَن فهمِها، لو أتَتْ مُناسِبةً لِقَدْرِهِ لِقُصورِ قَدْرِنا عَن قَدْرِهِ كما أشارَ إليهِ بِقَولِه:

[٤٧ لَـمْ يَمْتَحِنّـا بِمـا تَعْيا العُقُـولُ بِهِ حِرْصـاً عَلَيْنـا فلَمْ نَرْتَـبْ ولَـمْ نَهِمِ]

لَمْ يَمتَحِنّا: يَختَبِرْنا في التَّكلِيفِ والتَّفهيم. **بما تَعْيا**: تَعجِزُ **العُقُولُ** عَن الاهتِداءِ لِوَجهِه. **بِهِ**: **الباءُ** سَبَبِيّة؛ أيْ: بما نَكِلُّ عَنهُ فلا نَفهَمُهُ[٢] **حِرْصاً عَلينا**: مَفعُولٌ لهُ على تَضمِينِ **يَمتَحِنّا** مَعنى «يُكلِّفُنا»؛ أيْ: ترك التَّكلِيفِ بما ذكَر، لِحرصِهِ على هِدايَتِنا. **فلَمْ نَرْتَبْ**: نَشُكَّ فيما يُلقَى إلَينا. **والفاءُ** عاطِفَةٌ على لَم يَمتَحِنّا. ويَصِحُّ كَونُها تَفرِيعِيّةً فمَدخُولُها كالنَّتيجةِ لِما قَبلَه. **ولَم نَهِمِ**؛ أيْ: لَم

(١) ج: يكن.

(٢) س: نكل عنه فلا نفهمه.

نَتحَيَّرْ فيهِ مِنَ «الوَهْم»، أو مِن «هامَ يَهِيم» مِنَ «الهُيام»: والمُرادُ لازِمُهُ؛ أيْ: التَّحيُّر. قالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولا رَحمةَ مَعَ التَّكْلِيفِ بِذلكَ. وحَذَفَ مُتعلّقَ الفِعلَينِ لِظُهورِهِ. ولَم في قَولِهِ: ولَم نَهِم زائِدةٌ لِلتَّأكِيدِ. ولا يَرِدُ امتِحانُنا بما في/ القُرآنِ مِنَ المُتشابهِ. إمّا لأنَّ [18 a] الجُمهُورَ على الوَقْفِ على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧] في آيَتِه؛ لأنَّ الخِطابَ بما لا يُعلَمُ بَعِيد؛ فيَعلَمُ تَأويلَهُ أيضاً الرّاسِخُون. وإذا عَلِمُوهُ عَلَّمُوهُ غيرَهم. وإمّا لأنَّ المُرادَ باعتِبارِ ما كُلِّفْنا بهِ مِنَ الأعمالِ قالَ تَعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والمُتَشابِهُ ليسَ مِن ذلكَ، إذْ لا يَتعَلَّقُ بِهِ تكلِيف.

وفي البَيْتِ الثَّناءُ عَليهِ ﷺ بكَمالِ إشْفاقِهِ عَلَينا ورَحمَتِهِ لَنا. وجُملةُ **لَم يَمتَحِنّا** مُستأنَفةٌ استِئنافاً بَيانيًّا.

[٤٨. أعْيا الوَرَى فهْمُ مَعْناهُ فلَيْسَ يُرَى لِلقُـرْبِ والبُعْـدِ فيْـهِ غَيْـر مُنْفَحِـمِ]

أعيا: أعجَزَ. **الوَرَى**: الخَلائِق. وهو مَفعُولُ **أعيا** تَقـدَّمَ على فاعِلِـه. وهو **فهْمُ**؛ أيْ: عِلْمُ. وقِيل: **الفَهْم**: تَصوُّرُ الشَّيْء مِن لَفْظِ المُخاطَب. وقِيل: «الوُصُولُ إلى المَعنى»، وقِيل: «المَعرِفةُ العَقلِيّة»؛ أيْ: أعجَزَهُم فهْمُ تفصِيلِ مَعناهُ: مِن أحوالِهِ السَّنِيّةِ وصِفاتِهِ البَهِيّة، والإسْنادُ إلى الفَهْمِ مَجازٌ عَقلِيٌّ، وهو مُضافٌ إلى مَفعُولِه، والضَّميرُ عائِدٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ. **فليسَ يُرَى**: اسمُ لَيسَ ضَمِيرُ الشَّأن. والجُملةُ الفِعلِيّةُ بَعدَهُ في مَحَلِّ الخَبرِ لَها. **ويُرَى** إنْ كانَ مَبنِيًّا لِلفاعِلِ ففاعِلُهُ ضَمِيرُ **الوَرَى**. أو وصْفٌ مِنهُ؛ أيْ: راءٍ دَلَّ عَليهِ يُرى. وإنْ كانَ مَبنِيًّا لِلمَفعُولِ فنائِبُ فاعِلِهِ **غير**. **لِلقُربِ والبُعْد**: لَغو، مُتعلِّقٌ بـ**ليسَ**. أو بـ**يُرى**. أو يُرى فاعِلُهُ المَدلولُ عَليهِ/ بِهِ، أو مُستَقِرٌّ، صِفةُ مَفعُولِ [١٢٧ ب]

يَرى على بِنائِهِ[١] لِلفاعِلِ؛ أيْ: أحداً كائِناً فيهما. أو حالٌ مِن ضَمِير يرى. **فيهِ غَيرُ مُنفَحِمِ**: الظَّرْفُ مُتَعلِّقٌ بـ مُنفَحِم، أو بالمَصْدَرينِ. وغَيرَ: بالنَّصْبِ على الاستِثْناءِ المُفَرَّغِ؛ أيْ: لا يُرى الوَرَى أو راءٍ أحَدٌ غَيرَ مُنفَحِم. هذا على بِناءِ يَرى لِلفاعِلِ، وبالرَّفعِ على بِنائِهِ لِلمَفعُول. ومُنفَحِم: اسمُ فاعِلٍ مِنَ الفحمِ إذا سَكَتَ ولَم يُجِبْ؛ أيْ: فلا يُرى مِنَ الخَلْقِ المُفكِّرينَ في إدراكِ [تِلكَ الأحوال، القاصِدِينَ الإحاطَةَ بها عِندَ القُرْبِ مِنهُ والبُعْدِ عَنهُ مُنقطع عَن إدراكِ][٢] ذلكَ.

وفي الجَمْعِ بَينَ الإعياءِ والانفِحام، وبينَ الفَهْمِ والمَعنى، وبينَ القُرْبِ والبُعْدِ مُراعاةُ النَّظِير. وفي القُرْبِ والبُعْدِ الطِّباق. واللّامُ في لِلبُعْدِ بمَعنى «عِندَ»، أو «مَع».

ثُمَّ شَبَّهَ عَدَمَ الإحاطةِ بِمَعناهُ مَعَ القُرْبِ والبُعْدِ بالشَّمْسِ في قَولِهِ:

[٤٩. كالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنينِ مِنْ بُعُدٍ   صَغِيْرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ]

كالشَّمْسِ؛ أيْ: هو كالشَّمْس، وهي كَوكَبٌ نَهارِيٌّ في الفَلَكِ[٣]، سُمِّيَتْ بذلكَ لِبُعدِها وسُرعَتِها. وذَكَرَ أهلُ الهَيئَةِ[٤] أنَّ جِرْمَها كقَدْرِ الأرضِ

---

(١) ج: نيابته.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «س».

(٣) الفَلَكُ: جمعهُ فِلَك وفَلْك وأفلاك: مدار النُّجوم. ومنه «فلك البروج» (فلك): دائرة ترسمها الشمس في سيرها في سنة واحدةٍ، وتقسم الدائرة إلى اثني عشر برجاً. كل واحد منها ٣٠ درجة (سماه المعاصرون عن غير حاجة الدائرة الكسوفية) و«فلك التدوير» عند الأقدمين (فلك): دائرة عليها الكوكب السيار، بينما يتحول مركز الفلك على دائرة ثانية تحيط بالأرض وتدعى فلك الأوج: و«الفلك»: علم يبحث عن أحوال الأجرام العلوية. (المنجد الأبجدي ٧٧١).

(٤) علم الهيئة: علم يبحث فيه عن أحوال الأجرام السماوية.

مِئةٌ ونَيِّفٌ وسِتُّونَ مَرّةً. وعَنِ الثَّعلَبِيِّ(1): قَدْرَ الدُّنيا مِئةٌ وعِشرُون. وعَنِ ابنِ عَبّاسٍ(2) وعِكْرِمة(3): كقَدْرِ الدُّنيا. والجُملةُ مُرَتَّبةٌ على السّابقِ تَرتُّبَ اللّازمِ على المَلزُوم. **تَظْهَرُ لِلعَينَينِ**: جُملةٌ في مَحَلِّ الحالِ مِنَ الشَّمْس، فإنَّها مَفعُولٌ/ بِه مَعنًى. كَأَنَّهُ قال: لِشَبَهِ(4) الشَّمْسِ حالَ كَونِها غيرَ مُدرَكةٍ قَرِيبةً أو بَعِيدة. ويَجُوزُ كَونُها مُستأنَفةً جَوابَ ما وَجْهُ شَبَهِهِ ﷺ بالشَّمْس. وتَثنِيةُ العَينِ لِـمُبالَغة. **مِن بُعُد**: بَضَمِّ العَينِ إتباعاً. **صَغِيرةً وتُكلُّ**: تُعجِزُ **الطَّرْفَ**: العَيْن. وهو في الأَصْلِ تَحرِيكُ الجَفْن. فعَبَّرَ بِهِ عَنِ النَّظَرِ لأَنَّهُ يُلازِمُ النَّظَر. ثُمَّ سُمِّيتْ بِهِ العَيْنُ لأَنَّها مَحَلُّه. وأتى بِهِ دُونَ لَفظِ «العَين» دَفعاً لِلتَّكرار. فيَكُونُ فيهِ إقامةُ الظّاهِرِ مَقامَ الضَّمِير. **مِن أَمَم**: بِفَتحِ أوَّلَيهِ. قالَ العَضد: «بينَ القَرِيبِ [18 b]

---

(1) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، مفسّر من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ، من كتبه: «عرائس المجالس»، و«الكشف والبيان في تفسير القرآن»، توفي سنة (٤٢٧هـ). انظر: (الأعلام ١/ ٢١٢).

(2) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي ﷺ وصاحبه وحبر الأمة وفقيهها وترجمان القرآن. روى ألفاً وستمئة وستين حديثاً. مات سنة ثمانٍ وستين للهجرة (٦٨٧م) بالطائف، وصلّى عليه محمد ابن الحنفية. (راجع: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ٢٠٢).

(3) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني (٢٥-١٠٥هـ/ ٦٤٥-٧٢٣م)، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس: تابعيّ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمئة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعياً. وذهب إلى نجدة الحروري، فأقام عنده ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة. وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي «الصفريّة» وعادل إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتّى مات. وكانت وفاته بالمدينة هو و«كثير عزة» في يوم واحد، فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. (انظر: الأعلام ٤/ ٢٤٤).

(4) س: تشبه.

والبَعِيدِ» واختارَهُ على القَرِيبِ لإفادةِ أنَّ كَلالَهُ لَـمّا كانَ حاصِلاً بينَهُما، ففي القُرْبِ أولى بأنْ يَحصُلَ[1] ففَهْمُ معناهُ ﷺ كالشَّمْسِ تَظهَرُ مِن بُعْدٍ صَغِيرةً، وإنْ كانَتْ في نَفْسِ الأمرِ أعظَمَ مِنَ الأرضِ بكَثِير. وهي **تُكِلُّ الطَّرْفَ مِن أَمَمِ** وهذا إمّا لإعياءِ الطَّرْفِ عَنِ الإحاطةِ بجُمْلَتِها لِعِظَمِ جِرْمِها، وإمّا لإعيائِهِ عَنِ الإحاطةِ بها مِن قُوّةِ شُعاعِ نُورِها، فإنَّهُ يَرُدُّ الطَّرْفَ كَلِيلاً.

وَجْهُ الشَّبَهِ أنَّ البَعِيدَ مِنهُ ﷺ إنَّما يَتحَصَّلُ مِن أحوالِهِ على النَّزْرِ اليَسِيرِ بالوَصْفِ، مُتَعَفِّفٌ[2] عِندَ ذلكَ. فقَد أدرَكَهُ على خِلافِ ما هو بهِ كمُدْرِكِ الشَّمْسِ مَع بُعدِها، والقَرِيب المُشاهِد لأنوارِهِ[3] و[4] آياتِهِ الَّتي تُبهِرُ عَينَ الباصِرةِ البَصِيرةِ عَنِ الإحاطةِ بجُملةِ معناهُ لِعِظَمِ قَدْرِه، يَزِيدُ بَصِيرةَ البَصِيرِ[5] عَلِيلًا، ويُرجِعُ طَرْفَهُ النّاظِرَ كَلِيلاً.

[٥٠. وكَيْـفَ يُدْرِكُ فـي الدُّنْيا حَقِيقَتَهُ قَـوْمٌ نِيـامٌ تَسَلَّوْا عَنْـهُ بِالحُلُـمِ]

وكيفَ: مَوضُوعةٌ لِلسُّؤالِ عَنِ الحال. وهي هُنا لِلاستِفْهامِ الإنكارِيِّ **يُدرِكُ**: يَتصَوَّرُ ويَبلُغُ إلى الحَقِيقةِ مِنهُ. **في الدُّنيا حَقِيقَتَـهُ**: كَمالاتُهُ المُختَصّةَ بهِ ونِهايةَ مَنزِلَتِهِ في القُرْبِ والقَبُول./ لأنَّ حَقِيقَتَهُ ظاهِراً هي الإنسان. [١٢٨ أ]

وفي تَقيِيدِ عَدَمِ الإدْراكِ بالدُّنيا إيمـاءٌ[6] إلى إدراكِ ذلكَ في الآخِرةِ بالمَقامِ المَحمُودِ والوَسِيلةِ العُظْمى والدَّرَجةِ العُلْيا.

---

(١) شرح العضد الإيجي، مكتبة السليمانية، قسم رشيد أفندي (٤٨ ب).

(٢) س: متعف.

(٣) س: ـ.

(٤) ج: ـ.

(٥) س: البصر.

(٦) ج: إيماء.

قَوْمٌ: الرِّجالُ خاصّة. مَنقُولٌ مِن جَمْع «قائم»[(١)] وتَنكِيرُهُ لإفادةِ العُمُوم. إذْ هو في حَيِّزِ الاستِفْهامِ الإنكارِيِّ. وهو في مَعنى النَّفْي؛ فلِذا قالَ العَضد: لأنَّهُ في حَيِّزِ النَّفْي. نِيام: بكَسْرِ النُّوْنِ جَمعُ «نائِم» والنَّوْمُ في أصلِهِ زَوالُ الشُّعُورِ بِسَبَبِ استِرخاءِ أعصابِ الدِّماغِ مِن رُطوباتِ الأبخِرةِ المتَصاعِدةِ إليه. والمُرادُ هُنا لازِمُهُ مِنَ الغَفْلة، مَجازاً مُرسَلاً.

وفي الحَدِيث: «النّاسُ نِيامٌ فإذا ماتُوا انتَبهُوا»[(٢)]. فمَنْ في الدُّنيا لا يُدرِكُ الحَقائِقَ المُتَمحِّضةَ لِلآخِرة؛ لأنَّ نَفْسَ الدُّنيا حِجابٌ مِنها كَما يَحجُبُ النّائِمَ النَّومُ عَن إدراكِ أحوالِ اليَقَظة، واندَفَعَ[(٣)]/ ما يُقالُ أنَّ في الكَلامِ تَخصِيصُ [19 a] عَدَمِ الإدراكِ بالنِّيام، فيَقتَضِي إدراكُ ذلكَ فيها مِنَ اليَقِظِينَ. لِما ذَكَرناهُ أنَّ النَّوْمَ مَجازٌ عَنِ الغَفْلة. وقَدَّمَ المَفعُولَ على الفاعِلِ؛ لأنَّ المَقصُودَ عَدَمُ إدراكِ حَقِيقَتِه. تَسَلَّوا عَنهُ بالحُلُم؛ أيْ: اكتَفَوْا بِذلكَ. والحُلُم: صِفةٌ أو حالُ القَوْم، أو مِن ضَميرِ [نِيام][(٤)]، أو مُستأنَفة. والحُلُم بضَمَّتَينِ ما يَراهُ النّائِمُ في مَنامِهِ. ولَـمّا أثبتَ لِلقومِ النَّوْمَ لَزِمَ كَوْنُ إدراكِهِم إيّاهُ مِثلَ رُؤيةِ النّائِمِ في النَّوْم.

وفي الجَمْعِ بينَ النَّوْمِ والحُلُمِ مُراعاةُ النَّظِير. والظَّرفانِ مُتَعلِّقانِ بـ تَسَلَّوْا.

[٥١. فمَبْلَغُ العِلْمِ فيْهِ أنَّهُ بَشَرٌ وأنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ الله كُلِّهِمِ]

فمَبْلَغُ: مُنتَهى **العِلْم**: عِلْم الوَرَى. و«ال» فيهِ لِلعَهدِ الخارِجِيِّ؛ أيْ: عِلمُهُم

---

(١) س: قيام.

(٢) هو من قول علي بن أبي طالب، لكن عزاه الشّعراني في «الطبقات» لسهل التستري. (انظر: العجلوني، كشف الخفاء ٢/ ٤١٤).

(٣) س: واندفع.

(٤) ج، س: قيام.

بصِفاتِه وكَمالاتِه فيه: ﷺ صِفة، أو حالٌ لِلعِلْم **أنَّهُ بَشَرٌ**: خَصَّهُ اللهُ بالرِّسالةِ إلى خَلْقِه. **وأنَّهُ خَيرُ خَلْقِ الله كُلِّهِم**؛ أيْ: مَخْلُوقاتِه. وفي الإتيانِ بضَمِيرِ جَمعِ الذُّكورِ إيماءٌ إلى أنَّ المُرادَ مِنهُم العُقَلاء. فدَخَلَ الأنبِياءُ والرُّسلُ والمَلائِكةُ والجِنُّ. كَما هو مَذهَبُ أكثَرِ أهلِ السُّنّة.

وجُملة **وأنَّهُ بَشَر**: في مَحَلِّ الخَبَر، عَطفاً على «أنَّ» ومَدخُولِها فيما مَرَّ. **وخَيرُ**: أفعلُ تَفضِيل، خَفَّفَهُ[1] لِكَثرةِ الاستِعمال.

وفي البَيْتِ إيماءٌ إلى تَساوِي النّاسِ في البَشَريّةِ والتَّمايُزِ بالمَعارِفِ والخَصائِصِ الجَمِيلة. فالمُصَنِّفُ أوما[2] إلى الأوَّلِ بأنَّهُ بَشَرٌ لِيُشارِكَ أبناءَ هذا النَّوعِ في البَشَرِيّة، وإلى الثّاني إجمالاً بأنَّهُ خَيرُ خَلْقِ الله كُلِّهِم.

[٥٢. وكُلُّ آيٍ أتَى الرُّسلُ الكِرامُ بِها فإنَّما اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ]

وكُلُّ آيٍ: مُعجِزةٍ **أتَى الرُّسْلُ**: بِسُكُونِ السِّينِ تَخْفيفاً. وال فيهِ لِلاستِغْراق. [١٢٨ ب] **الكِرام**: جَمْعُ «كَرِيم»؛ أيْ: مُكَرَّم. والكَرامةُ/ الدَّلالة على صِحّةِ الرِّسالةِ بالمُعجِزة، ووصَفَهُم بالكَرامةِ لِكَرامَتِهِم عِندَه تَعالى، وهي صِفةٌ مادِحةٌ لِلتَّأكِيد. وجُملةُ **أتَى** في مَحَلِّ جَرٍّ صِفةِ **آيٍ**. **وكُلُّ** مُبتَدأ. ولِتَضَمُّنِهِ مَعنى العُمُومِ دَخَلَتِ الفاءُ في خَبَرِه[3]. قوله: **فإنَّما اتَّصَلَت**؛ أيْ: الآياتُ **مِن**: ابتِدائِيّة **نُورِه**؛ أيْ: نُورِ النَّبِيِّ ﷺ. والنُّورُ ضِدُّ الظُّلمة، واختارَهُ على الضَّوْءِ لأنَّ الضَّوْءَ لِما بالذّاتِ نَحْو: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ [يونس: ٥] والنُّورُ لِما بالعرض، ففيهِ إيماءٌ إلى أنَّ اتِّصالَ نُورِ نُبُوّةِ الرُّسلِ بِهِم مِن أنوارِهِ العارِضةِ لَه، وعَبَّرَ بِهِ دُونَهُ

(١) س: حقيقة.

(٢) س: أومى.

(٣) س: حيزه.

فإنَّما هي مِنهُ؛ لأنَّ ما عَبَّرَ بِهِ يُعطِي أنَّ نورَهُ لَم يَزَلْ قائِماً بِهِ لَم يَنقُصْ شَيْءٌ مِنهُ بخِلافِ فإنَّما هي مِنهُ؛ فإنَّهُ لَرُبَّما[1] تُوُهِّمَ أنَّهُ وزِّعَ عَليهِم، وقَد لا يَبقى لهُ مِنهُ شَيْءٌ، ففي تَعبيرِهِ بِذلكَ احتِراسٌ مِن ذلكَ. **بِهِم**: مُتَعلِّقٌ بـ **اتَّصَلَتْ**. ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ الباءُ بِمَعنى إلى، مِثلها قَولُهُ تَعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] وقَدَّمَ النُّوْرَ لأنَّهُ المُبتدأ، على **بِهِم**؛ لأنَّهُ المُنتهى.

وأيَّدَ ذلكَ المدَّعى بِقَولِهِ:

[٥٣. فإنَّهُ شَمْسُ فضْلٍ هُمْ كَواكِبُها يُظْهِرْنَ أنْوارَها لِلنَّاسِ في الظُّلَمِ]

فإنَّهُ؛ أيْ: رَسُولُ الله ﷺ. **فالفاءُ** سَبَبِيّة، أو تَعليل. **شَمْسُ فضْلٍ**: الفَضْلُ ضِدُ النَّقْص. والإضافةُ[2] إضافةُ الصِّفةِ لمَوصُوفِها مُبالَغةً في الاختِصاص. وفي[3] إضافةِ المَوصُوفِ إلى المُشتَقِّ مِنهُ الوَصْفُ مُبالَغةٌ في ثُبُوتِهِ لَه؛ وذلكَ أنَّهُ لا يُضافُ إليهِ إلّا[4] لاختِصاصِهِ واشتِهارِهِ بذلكَ. وفي العِبارةِ استِعارةٌ مَكنِيّةٌ تَتبَعُها استِعارةٌ[5] تَخيِيلِيّة، فشَبَّهَ الفَضْلَ بالسَّماءِ بِجامِعِ عُلُوِّ القَدْر. فالتَّشْبِيهُ المُضمَرُ في النَّفْسِ استِعارةٌ مَكنِيّة، وإثباتُ الشَّمْسِ تَخيِيلِيّة.

هُم عَليهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ **كَواكِبُها**: جَمعُ كَوكَب: النَّجْمُ الظّاهِر. والضَّمِيرُ لِلشَّمْس. والجُملةُ صِفةُ شَمْس، أو مُستأنَفة. **يُظهِرْنَ** بضَمِّ الياء؛ أيْ: تُبدِي الكَواكِب. وأتَى بِضَمِيرِ جَمعِ النِّسْوةِ نَظَراً إلى الكَواكِبِ اللّائِي شُبِّهوا

---

(١) س: لربما. .

(٢) س: -.

(٣) س: + في.

(٤) س: -.

(٥) س: + مكنية تبعها استعارة.

بِهِنَّ، وإلّا فالقِياسُ نَظَراً لِلمُشَبَّهِينَ يُظهِرون. **أنوارَها**؛ أيْ: أنوارَ تِلكَ الشَّمْسِ المُكنَّى بها عَنهُ ﷺ، وجوَّزَ عَوْدَ الضَّمِيرِ لِلكَواكِب، وما ذَكَرْتُهُ أولى. **لِلنّاس**: مُتعلِّقٌ بالفِعْل. ولَـمّا كانَ حِكْمةُ إرسالِ الرُّسلِ هِدايةَ النّاسِ لِطَريقِ الحَقِّ قَيَّدَ بِهِ وعَرَّفَهُ بـ **ال** الجِنْسيّةِ لِلإشارةِ إلى أنَّ الرُّسلَ مَبعُوثُونَ[1] إلى النّاسِ فقط، بخِلافِ نَبِيِّنا ﷺ، فمَرسُولٌ إليهِم وإلى الجِنِّ، بَل وإلى المَلائِكة. وجُملةُ **يُظهِرْنَ** صِفةُ **الكَواكِب**، أو مُستأنَفةٌ لِبيانِ وجْهِ الشَّبه./ [١٢٩ أ] **في الظُّلَم**: صِفةٌ، أو حالٌ مِنَ المَجرُورِ قَبلَه، أو لَغو مُتعلِّقٌ بـ **يُظهِرْنَ**.

ففيهِ إيماءٌ إلى أنَّ بَعثَهُ الرُّسلَ والأنبياءَ لَـمّا لَم يَكُنْ إلى جَميعِ النّاسِ بَل كُلُّ واحِدٍ إلى جَماعةٍ خاصّة، شُبِّهوا بالكَواكِبِ المُظهِرةِ أنوارَها[2] على قَدْرٍ وكَيفيّةٍ مَخصُوصَيْنِ. وقَيَّدَ الظُّهورَ بكَونِهِ في الظُّلَمِ لِيُفيدَ بقاءَ الظُّلَمِ الَّتي هي شَرْطُ ظُهورِ نُورِ الكَواكِبِ على ما يُشاهَدُ في الواقِع، بخِلافِ نَبِيِّنا ﷺ، فإنَّهُ لَمّا كانَ مَبعُوثاً إلى جَميعِ الأُمَمِ مِنَ الإنسِ والجِنِّ لَم يَحتَجْ ظُهورُ أنوارِهِ، ولَم يَفتَقِرْ إشراقُها إلى قَيدٍ وشَرْط؛ ولِذا شَبَّهَهُ بالشَّمْسِ الظّاهِرِ نُورُها ظُهوراً تامًّا، مُزِيلاً لِـجَميعِ الظُّلَمِ بالكُلِّيّة. ولَـمّا لَم يَبْقَ مَعَ الشَّمْسِ عِندَ ظُهورِها أثَرٌ لِشَيءٍ مِنَ الكَواكِب، كَذلكَ آياتُهُ ﷺ وشَرِيعَتُه؛ لَـمّا بَدَتْ نَسَخَتْ سائِرَ الشَّرائِع. لا يُقالُ هو مُتأخِّرُ الوُجودِ عَنهُم وأنوارُ كُلٍّ مِنهُم مُتقدِّمٌ عليه، فكيفَ يَستَمِدُّ أنوارَهُم مِن نُورِه؟ لأنّا نَقولُ نُورُهُ مُتقدِّمٌ وإنْ تَأخَّرَ وُجُودُ ذاتِه.

[٥٤. أكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زانَـهُ خُلُـقٌ ... بِالحُسْـنِ مُشْـتَمِلٍ بِالبِشْـرِ مُتَّسِـمِ]

أكْرِمْ: صِيغةُ أمْر، مَعناهُ التَّعَجُّب. **بخَلْقِ** صُورة **نَبِيٍّ** مَوصُوفٍ بأنَّهُ شَمْسُ

---

(١) ج: المبعوثون.

(٢) ج: أنورها.

فضْل: وتَنوينُهُ لِلتَّعظِيمِ./ وتَنكِيرُهُ لإرادةِ التَّمكُّنِ مِن أجزاءِ الأوصافِ عَليه. [20 a]
وإضافةُ خَلْقٍ إليهِ مِن إضافةِ المَصْدَرِ إلى مَفعُولِه. زانَهُ؛ أيْ: زانَ ذلكَ الخَلْقَ مِنهُ، أو زانَ ذلكَ النَّبيَّ. خُلُقٌ: بِضَمَّتَينِ مَلَكةٌ يَصدُرُ عَنها الفِعْلُ بسُهولة. والمُرادُ هُنا الأوصافُ الرّوحانِيّةُ والمَعاني المُستَحسَنةُ المُسَمَّى بمَكارِمِ الأخْلاق. وفي الحَدِيث: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخْلاق»[1]. وهو مُفردٌ مُرادٌ مِنهُ الجِنْس. كَما في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، ولِذا أنكرَ لِيُوافِقَ ما في القَولِ المَذكُور، ففي البَيْتِ اقتِباس[2]، والجُملةُ صِفةٌ. إمّا لـ«خَلْق» أو لـ«نَبيٍّ»، والفائِدةُ فيها القَصْدُ إلى كَمالِ حُسْنِ الصُّورةِ بانْضِمامِ حُسْنِ السِّيرة، فزادَ كَمالاً على كَمال. بالحُسْنِ مُشتَمِلٍ بالبِشْرِ: بكَسْرٍ فسُكونٍ طَلاقةُ الوَجْه. وهي تَغَيُّرُ الوَجْهِ مِنَ السُّرُور. مُتَّسِمِ: كَأنَّهُ صارَ الحُسْنُ لهُ كالثَّوْب. فهو مُشتَمِلٌ بِهِ ومُتَّسِم: بالبِشْرِ مُعلِمٌ بطَلاقةِ الوَجْه. ففي تَشْبيهِ الحُسْنِ بلِباسٍ استِعارةٌ مَكنِيّة، وإثباتُ لازِمِهِ وهو الاشتِمالُ استِعارةٌ تَخيِيليّة.

والظَّرْفانِ مُتَعلِّقانِ بالوَصفَينِ بَعدَهُما. وقُدِّما عليهِ لإفادةِ الاختِصاصِ والجُمْلتانِ صِفةُ خَلْقِ نَبِيٍّ، فخَلْقُهُ ﷺ الَّذي هو ذاتُه.

---

(١) كشف الخفاء ١/ ٢١١.

(٢) الاقتباس: هو إدخال المؤلف كلاماً منسوباً لغيره في نصه، ويكون ذلك إما للتحلِية أو للاستدلال، على أنه يجب الإشارة إلى مصدر الاقتباس بهامش المتن وإبرازه بوضعه بين علامات تنصيص أو بأية وسيلة أخرى. على أن الذوق الأدبي العام يفضل ألا يزيد النصّ المقتبس عن عشرة أسطر تقريباً.
والاقتباس: في البديع العزبي، أن يضمن الكلام نثراً أو شعراً شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، لا على أن المقتبس جزء منهما، ويجوز أن يغير المقتبس في الآية أو الحديث قليلاً. (انظر: مجدي وهبة ٥٦؛ أحمد مطلوب ٣٧٢-٣٧٣).

[٥٥. كالزَّهْرِ في تَرَفٍ والبَدْرِ في شَرَفٍ والبَحْرِ في كَرَمٍ والدَّهْرِ في هِمَمِ]

كالزَّهْر: بِسُكُونِ الهاءِ هُنا وتُفتحُ تَخْفيفاً. **في تَرَفٍ**: تَنعُّمٍ ونَضارةِ جِسْمٍ وطِيبِ عَرْف. هذهِ صِفةُ الزَّهر. ويَزيدُ نُورُ النَّارنج بِبَياضِ اللَّوْنِ/ الَّذي ليسَ [١٢٩ ب] بالأمهَقِ، وهذا كانَ لَونُهُ ﷺ، وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ حُسْنَ الصُّورةِ إنَّما يُتمَدَّحُ بها إذا عُزِّزَتْ بحُسْنِ الخُلُق، وإلّا فلا نَظَرَ إليها. قالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكُم ولا إلى أجسامِكُم، إنَّما يَنظُرُ إلى قُلُوبِكُم وأعمالِكُم»(١). **والبَدْرِ في شَرَفٍ**؛ أيْ: وكالبَدْرِ في الشَّرفِ وعُلُوِّ القَدْرِ وحُسْنِ البَهْجة. وهذانِ الوَصْفانِ يَرجِعانِ إلى الصُّورةِ والخُلُقِ المُشتَمِلِ على الحُسْن. **والبَدْر**: القَمَرُ عِندَ تَمامِه. وهو يَدورُ البُروجَ الاثنَي عَشَر، ويَقطَعُ الفَلَكَ في مُدّةِ ثَمانيةٍ وعِشرينَ يَوماً وبَعضِ يَوْم. ويُقيمُ في كُلِّ بُرجٍ يَومَينِ وثُلُثاً تَقريباً. وكُلُّ مَنزِلةٍ مِن مَنازِلِ القَمَرِ الثَّمانيةِ والعِشرينَ يَوماً ولَيلة. ويَظهَرُ عِندَ إهلالِهِ مِن ناحيةِ الغَرْبِ بعدَ غُروبِ جِرْمِ الشَّمْس. ويَزيدُ نُورُهُ كُلَّ لَيلةٍ نِصفَ سُبُعٍ حَتَّى يَكمُلَ ويَمتَلِئَ لَيلةَ الرّابعَ عَشَرَ مِن إهلالِه. ثُمَّ يأخُذُ في النَّقصِ فيَنقُصُ كُلَّ لَيلةٍ نِصفَ سُبُعٍ كَما بَدَأ، إلى أنْ يُمحَقَ نُورُهُ آخِرَ ثَمانيةٍ وعِشرينَ يَوماً مِن إهلالِه. **والبَحْرِ في كَرَمٍ والدَّهْرِ في هِمَمٍ**: جَمعُ «هِمَّة»: الإرادة. وهذانِ الوَصفانِ يَرجِعانِ إلى خُلُقِه. ولا خَفاءَ بكَرَمِ الدَّهْرِ. فما بالُكَ بكَرَمٍ مِنَ البَحْرِ نُقطةٌ مِن جُودِه؟! والأحاديثُ فيهِ كَثيرة جِدًّا. وحَسْبُكَ/ حَديث: «إنَّ مُحمَّداً يُعطي عَطاءَ مَن لا يَخشَى الفَقْرَ»(٢). [20 b]

ووَجْهُ التَّشبيهِ بـ **الدَّهر** أنَّ جَميعَ الحادِثاتِ لا تَقعُ إلّا فيه، فنُسِبَتْ إلَيه، فالجاهِلُ يَعتَقِدُ تَأثيرَه، والمُوحِّدُ يَعلَمُ أنَّ لا مُؤَثِّرَ غيرُهُ تَعالى، فإذا أسنَدَهُ إلى

---

(١) أخرجه مسلم في البر ٣٣؛ وابن ماجه في الزهد ٩؛ وأحمد بن حنبل في مسنده ٢/ ٢٨٥.

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل ٥٧؛ وأحمد بن حنبل في مسنده ٣/ ١٧٥.

الدَّهْرِ فعلى المَجازِ العَقليِّ مِنَ الإسنادِ إلى زَمَنِ الفِعْل، ومِن نِسبةِ الهِمّةِ إلى الدَّهْرِ قَولُ مُعاوِيةَ[1]: «نَحنُ الزَّمان مَن رَفَعْناهُ ارتَفَع، ومَنْ وضَعْناهُ اتَّضع». ولا هِمّةَ أرفعُ مِن هِمّةِ مَن فضَّلَهُ الله على سائرِ المَخْلُوقاتِ، فهو العالي الهِمّةِ دُنيا وآخِرة.

وقَولُهُ **كالزَّهْر**: صِفةُ نَبيّ، أو حالٌ مِنهُ، أو خبرُ مُبتَدأ مَحذُوف هُو هو. **وفي شَرَفٍ**: بَيانُ وجْهِ الشَّبَه، مُتَعلِّقٌ بمَعنى التَّشبيهِ المَدلُولِ لِلكاف. والأَولى جَعْلُهُ قيداً لِلمُشَبَّهِ بِهِ صِفةً، أو حالًا؛ أيْ: الكائِن أو كائِناً؛ إذْ نُعومةُ النُّورِ وطَراوَتُهُ إنَّما تَـكُونُ ما لَم يأخُذْ في الذُّبُولِ واليبس. ويَجُوزُ إعرابُهُ حالاً مِن مَفعُولِ زانَهُ، أو مِن فاعِلِ مُشتَمِل، أو مُتَّسِم. ووجْهُ الشَّبَهِ حِينَئِذٍ التَّبسُّمُ الدّائِمُ ورِقّةُ القَلْبِ وحُسْنُ المَنظَرِ وغيرُ ذلكَ، لِيَكُونَ التَّشْبيهُ على وجْهٍ مُستَغْرَب. والمُشَبَّهُ والمُشَبَّهُ بِهِ مَحسُوسانِ. وكَذا فيما بَعدَه.

ووَجْهُ الشَّبَهِ في البَحْرِ مَجازِيٌّ؛ لأنَّ المُرادَ مِنهُ عُمُومُ الانتِفاعِ بسُهولة. وقَولُه: **والبَدْر**: مَعطُوفٌ/ على الزَّهْر. يَجري فيهِ إعرابُه. وتَسكِينُ هاءِ الدَّهْرِ [١٣٠ أ] مَع أنَّ الأصْلَ فتحُهُ تَخْفيفاً، أو لِتناسُبِ مُوازنهِ مِن باقِي المَعطُوفاتِ عَليهِ في سُكونِ وسطِها.

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، أبو عبد الرحمن (٢٠ ق. هـ - ٦٠هـ/ ٦٠٣-٦٨٠م)، أسلم زمن الفتح، وله مئة وثلاثون حديثاً. اتفقا على أربعة. وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة، وعنه أبو ذر، مع تقدمه؛ وابن عباس ومن التابعين جبير بن نضير وابن المسيب، وخلق. قال الحافظ شمس الدين الذهبي: ولي الشام عشرين سنة، وملك عشرين سنة، وكان حليماً، كريماً، سائساً، عاقلاً، خليقاً للأمارة، كامل السّؤدد، ذا دهاء ورأي وفكر، كأنما خلق للملك، وقال له النبيّ ﷺ: «إن ملكت فاعدل»، توفي سنة ستين. (انظر: الخزرجي، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٨١؛ الأعلام ٧/ ٢٦١-٢٦٢).

[٥٦. كَأَنَّـهُ وهْـوَ فـرْدٌ مِـنْ جَلالَتِـهِ   فـي عَسْـكَرٍ حِينَ تَلْقـاهُ وفي حَشَـمِ]

كَأَنَّهُ: ﷺ، وهوَ **فرْد**: وحدَهُ **في**[1] **جَلالَتِه**: **في**: تَعلِيلِيّة؛ أيْ: مِن أجلِ جَلالَتِهِ القائِمَةِ بِه. والجَلالَةُ: العِظَمُ. فالجَليلُ: عَظِيمُ القَدْر. وهو وجْهُ الشَّبَه، قُدِّمَ على المُشَبَّهِ بِهِ وهو قَوله: **في عَسْكَرٍ**؛ أيْ: جَيشٍ عَظيمٍ كَما يُؤذِنُ بِهِ التَّنوينُ لِزيادَتِهِ في المُشَبَّه. ويُحتَمَلُ كَونُهُ خَبَراً بعدَ خَبَر، وكَوْنُ في بمَعنى «مَع». وفي نُسْخة: **مِن جَلالَتِه**، فـ مِن: تَعلِيلِيّة. قُدِّمَت على الخَبَرِ لإرادةِ إثباتِ الحُكْمِ مُعلَّلاً لِيَكُونَ أوقعَ في النَّفْس. وفي نُسْخة: «**مَوكِب**» بَدَلَ **عَسْكَر**. وهو القَوْمُ على الخَيلِ والإبِل. **حِينَ**: ظَرْفٌ عامِلُهُ خَبَرُ كَأَنَّ، أو مَعنى التَّشْبيه. **تَلقاهُ**: مَجرُورُ المَحَلِّ، لإضافةِ حِينَ إلَيه. والخِطابُ لِكُلِّ صالِحٍ لَه. ففيهِ إيماءٌ إلى تَحقُّقِه، ووَضْعُ المُضارِعِ مَوضِعَ الماضي استِحْضاراً لِصُورةِ تِلكَ الحال العَجيبةِ وإيهاماً لِـمُشاهدةِ تلكَ الصِّفةِ الجَليلة. قِيلَ في قَولِهِ: **حِينَ تَلقاهُ** حَشْوٌ[2]. والظَّاهِرُ أنَّهُ لَـمَّح بِهِ إلى قَولِ عَليٍّ[3]. رَضِيَ اللهُ عَنهُ: «مَن رآهُ بَديهةً هابَهُ ومَنْ خالَطَهُ مَعرِفةً أَحبَّهُ»[4].

---

(١) هكذا وردت في النسختين مع أنها وردت في نص القصيدة المحقق «من».

(٢) هو زيادة اللفظ على المعنى لغير ضرورة أو فائدة، وفي البلاغة العربية يفرق بين الحشو والتطويل، بأن الأول الزيادة فيه متعينة. (انظر: مجدي وهبة ١٥٠؛ أحمد مطلوب ٤٦٦).

(٣) هو علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب (٢٣ ق. هـ - ٤٠هـ/ ٦٠٠-٦٦١م) بن هاشم الهاشمي أبو الحسن؛ ابن عم النبي ﷺ وختنه على بنته، أمير المؤمنين، يكنى أبا تراب. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، له خمسمئة حديث. اتفقا على عشرين. وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر. شهد بدراً والمشاهد كلها وهو أول من أسلم من الصِّبيان. قال له النبي ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وفضائله كثيرة، استشهد ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت أو خلت من رمضان سنة أربعين، وهو حينئذٍ أفضل من على وجه الأرض. (انظر: الخزرجي، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٧٥؛ الأعلام ٤/ ٢٩٥).

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب ٨.

وفي حَشَم؛ أيْ: خدمتهِ الخاصِّين؛ عَطْفٌ على **في عَسْكَر**. وضَمِيرُ **تَلقاهُ** و**جَلالَتِهِ** لِلنَّبيِّ ﷺ.

ولـمّا وصَفَ جَلالَ أُبَّهَتِهِ/ في الأبصارِ وعَظَمةَ هَيبَتِهِ في البَصائِر، وذلك [21 a] مَظِنّةٌ تُوهِمُ أنَّهُ مَهِيبٌ قَليلُ البِشْرِ والابتِسامِ احتَرَسَ مِن ذلكَ فرَفَعَهُ بِقولِهِ:

[٥٧. كَأَنَّما اللُّؤلُؤُ المَكْنُونُ في صَدَفٍ   مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ ومُبْتَسَمِ]

كَأَنَّما اللُّؤلُؤُ المَكنُون: المَصُون **في صَدَفٍ**؛ أيْ: غِشاءٍ. **مِن مَعدِنَي**: بكَسرِ الدّالِ وفَتحِ النُّونِ وسُكونِ الياء. **مَنْطِقٍ مِنهُ ومُبتَسَمِ**: فشَبَّهَ كَلامَهُ بالدُّرِّ في استِمالةِ القُلوبِ والخَواطِر، وجَذْبِ البَواطِنِ والظَّواهِرِ مَع حُسْنِ الابتِسامِ وطَلاقةِ الوَجْهِ عِندَ الكَمال؛ أو شَبَّهَ ألفاظَهُ الَّتي يَنطِقُ بها في فصاحتها وحَلاوَتِها واحتِوائِها على المَعانِي النَّفيسةِ لِكَونِها ألفاظَ مَن أُوتِيَ جَوامِعَ الكَلِم[1]. وشَبَّهَ ثَغرَهُ وهو ما يَبدُو مِن ثَناياهُ وأسنانِهِ عِندَ التَّبسُّمِ - قالَ الجَوهَرِيُّ: «وهو دُونَ الضَّحِكِ في حُسْنِهِ وتَناسُبِهِ وصَفائِهِ وضِيائِه» - بالدُّرِّ المَصُونِ في صَدَفِه؛ أيْ: المَحارةِ الَّتي يَتولَّدُ فيها، وِعاءٌ لهُ يَحفَظُهُ مِنَ التَّغيُّرِ حَتَّى يَنشَقَّ عَنه، كَما أنَّ القَلْبَ وِعاءُ الكَلامِ النَّفْسِيِّ حَتّى يُبرِزَهُ اللِّسانُ، وكَما أنَّ انضِمامَ الشَّفَتينِ على الثَّغْرِ كالوِعاءِ لَه، وعِندَ التَّبسُّمِ يَبرُز.

ومَعنى البَيْت: كَأَنَّ اللُّؤلُؤَ المَصُونَ في صَدَفِهِ يَخرُجُ مِن مَعدِنَينِ/ مِن [١٣٠ ب] مَعادِنِهِ ﷺ، أحَدِهِما مَعدِنُ كَلِماتِه، ثانِيهِما مَعدِنُ ابتِسامِه.

أمّا الأوَّل فلِكَمالِ فصاحَتِه، وحَسْبُكَ قَولُ بَعضِ الصَّحابة: «ما رَأيْنا الَّذي هو أفصَحُ مِنْكَ». فقال: «وما يَمنَعُني وإنَّما أُنزِلَ القُرآنُ بِلِساني»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في التعبير ٢٢؛ والنسائي في الجهاد ١.

(٢) هذا من كلام سيدنا أبي بكر رضي الله عنه حيث قال: يا رسول الله، لقد طفت في العرب =

وكَأَنَّ المُصَنِّفَ لَـمَّحَ في التَّشْبيهِ المَذكُورِ إلى ما في حَدِيثِ أُمِّ مَعبَدٍ[(١)]: «كَأَنَّ مَنطِقَهُ خَرزاتٌ نُظِمْنَ».

وأمّا الثّاني فمِنهُ قولُ بَعضِ ناعِتيهِ: «إذا ضَحِكَ افتَرَّ عَن مِثْلِ سَنى البَرْق»، وقَولُ آخَر: عَن مِثلِ حَبِّ الغَمامِ[(٢)]. وقولُ آخر: إذا تَكلَّمَ رُئِيَ كالنُّورِ يَخرُجُ مِن بينِ ثَناياهُ[(٣)].

وهذهِ كُلُّها صِفاتُ اللُّؤلُؤ. وفي قَولِـهِ: **اللّؤلؤ المكنون**، اقتِباسٌ. **وفي صَدَفٍ** خَبَر **اللُّؤلُؤ**. **ومِن مَعدِني**: بَيانٌ لِقَولِـهِ صَدَف، أو ظَرْفُ لَغوٍ مُتَعلِّقٌ بـ **مَكنُون**، ويَجُوزُ إعرابُهُ خَبرَ مُبتَدأ. **ومِن** حِينَئذٍ ابتِدائيّة. **والمَنْطِق**: مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ مُرادٌ بِهِ الكَلام، أو اسـمُ مَكانِ النُّطْق. وكذا **مُبتَسَم**. ومِنهُ صِفةُ **مَنطِق**. وتَنوِينُهُ وتَنوينُ مُبتَسَمٍ لِلتَّعظِيمِ. وعلى كَونِهما اسمَي مَكانٍ فإضافةُ المَعدِنِ إلَيهما بَيانِيّة. ويُحتَملُ إعرابُ اللُّؤلُؤ خَبَر مَحذُوف؛ أيْ: كَأنّما كَلامُهُ وثَغرُهُ اللُّؤلُؤ. **ومِن مَعدِني**: مِن تَتِمّةِ المُبتَدأ. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ المَحذُوفُ الخَبَر؛ أيْ: كَأَنَّما اللُّؤلُؤ المَكنُونُ في صَدَفِ كَلامِهِ وثَغرِهِ الكائنَينِ مِن مَعدِنَي مَنطِقٍ. وهو أبلَغُ.

= وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك. (انظر: المواهب اللدنية ٢/ ٢٣٨).

(١) أم معبد: اسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية، صحابية جليلة، نزل عليها النبي ﷺ في هجرته. وهي مشهورة بحديث وصفت فيه لزوجها شمائل رسول الله ﷺ وما ظهر لها من معجزاته ﷺ. (انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ٥١٣؛ أسد الغابة لابن الأثير ٦/ ٣٩٦؛ الإصابة لابن حجر العسقلاني ٨/ ٢٨١).

(٢) هذا من كلام أبي هالة رضي الله عنه حيث وصف به ضحك رسول الله ﷺ. (انظر: القاضي عياض، الشفاء ١/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه الدارمي في المقدمة ١٠.

ولَمّا كَملَ[(١)] ما قامَ بهِ/ حالَ الحَياةِ خَلْقاً وخُلُقاً أخَذَ يَمدَحُ تُربَتَهُ الَّتي دُفِنَ فيها بِقَولِهِ: [21 b]

[٥٨. لا طِيْبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أعْظُمَهُ   طُوْبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ ومُلْتَثِمِ]

لا طِيْبَ: في الوُجودِ **يَعدِلُ**: جُملةٌ في مَحَلِّ خَبَرِ «**لا**» **تُرْباً**: بِضَمِّ التّاءِ لُغةٌ في تُراب. وتَنوينُهُ لِلتَّعظِيمِ، **ضَمَّ**: جَمَعَ. **أعظُمَهُ**؛ أيْ: كُلَّ بَدَنِه، مِن إطلاقِ اسمِ الجُزْءِ وإرادةِ الكُلِّ. بَلْ ذلكَ التُّرْبُ أفضَلُ وأسمَى لاشتِمالِهِ على جَسَدِهِ الشَّريف. **طُوبَى**: «فُعلى» مِنَ الطِّيْب. قُلِبَتِ الياءُ واواً لِسُكُونِها عَقِبَ ضَمّة. مَرفُوعٌ مُبتَدأ. وجازَ مَع نكارَتِهِ لتَضمُّنِهِ مَعنى الدُّعاء. نَحو: «سَلامٌ عَلَيكَ»، أو صِفةُ مُبتَدإٍ مَحذُوف؛ أيْ: حالُهُ طُوبى. والخَبَر **لِمُنتَشِقٍ مِنهُ**: بالشَّمِّ. وهو مُتعلِّقٌ بالوَصْفِ. **ومُلتَثِم**؛ أيْ: مُقبل، أو طُوبى لِمَنْ عَفَّرَ وجهَهُ بِتُربِهِ فصارَ لهُ مِثلَ اللِّثام. وهذا أولى لِكَراهةِ تَقبيلِ القَبْرِ. بَل يُستَحَبُّ لِزائِرِهِ البُعدُ مِنهُ خارِجَ الحُجْرةِ تَعظِيماً له ﷺ. و**طُوبَى**: مُحتَمِلٌ لِمُجَرَّدِ الإخبار؛ أيْ: لَمّا كانَتْ تُربَتُهُ أطيبَ الطِّيْبِ حَصَلَتِ الطُّوبَى؛ أيْ: التَّطَيُّبُ بها لِمَن ذكرَ، وكَأنَّهُ أشارَ بالوَصفَينِ إلى النَّوعَينِ المُستَعمَلَينِ في الطِّيبِ، لأنَّهُ إنَّما يُستَعمَلُ بالشَّمِّ. ومُحتَملٌ لأنَّ تكُونَ طُوبى الجَنّة، أو شَجَرةً فيها، ولأنْ يَكُونَ أرادَ الدُّعاءَ لِمَنِ استَنْشَقَ مِن تِلكَ التُّربةِ العَظِيمةِ والتَثَمَ، أو الإخْبار/ عَنهُ. [١٣١ أ]

والاحتِمالُ الأوَّلُ مَبنِيٌّ على أنَّ المُرادَ بأنَّ تُربَتَهُ أفضَلُ أنواعِ الطِّيْب، باعتِبارِ الحَقِيقةِ الحِسِّيّة؛ وذلكَ إمّا لأنَّهُ في نَفْسِ الأمرِ كَذلكَ، أدرَكَهُ مُدرِكٌ أمْ لا، إذْ لا يَلزَمُ مِن قِيامِ المَعنى بالمَحَلِّ إدراكُهُ لِكُلِّ أحمَد، بَل حَتَّى تُوجَدَ الشَّرائِطُ وتَنتَفي المَوانِع، وعَدَمُ الإدراكِ لا يَدُلُّ على عَدَمِ المُدرك. وانتِفاءُ

---

(١) ج: ـ.

الدَّليلِ لا يَدُلُّ على انتِفاءِ المَدلُول. فالمَزكُومُ لا يُدرِكُ رائِحةَ المِسْكِ مَع أنَّها لَم تَنتَفِ عَنه، إلّا لمّا كانَت أحوالُ القَبْرِ مِن أُمُورِ الآخِرةِ لا يُدرِكُها مِنَ الأحياءِ إلّا مَن كُشِفَ لهُ الغِطاءُ مِنَ الأولياء؛ لأنَّ مَتاعَ الآخِرةِ باقٍ وما في الدُّنيا فانٍ. والفاني لا يَتمَتَّعُ بالباقي لِلتَّضادِّ. وجاءَ ما يَدُلُّ على أنَّ قَبرَهُ مِن رِياضِ الجَنّة[١]؛ أيْ: حَقِيقةً. فإذا تَقرَّرَ ذلكَ لَم يَبْقَ عِندَ العاقِلِ المُصَدِّقِ بالشَّريعةِ امتِراءٌ في أنَّهُ لا طِيْبَ مِن الدُّنيا يَعدِلُه.

وما سَلَكْناهُ مِن حَمْلِ قَولِه: «رَوضةٌ مِن رِياضِ الجَنّة» على الحَقِيقة، لا يَدفَعُهُ كَونُ الجَنّةِ في السَّماء. كَما دَلَّ عليهِ حَديث: «أنَّ سَقْفَها عَرْشُ الرَّحمَن»[٢]. لإمكانِ حَمْلِ قَولِه: «مِن رِياضِ الجَنّة». أنَّهُ مُقتَطَعٌ[٣] مِنها. كَما أنَّ الحَجَرَ الأسوَدَ/ مِنها[٤]، ولا امتِناعَ في نَقْلِ شَيْءٍ مِنها [إلى] الدُّنيا، أو بالعَكْس. إنَّما المُمتَنِعُ كَونُ السَّماءِ أرضاً ولَم نَقُلْ بِه. ويُحتَمَلُ حَمْلُ قَولِهِ: «مِن رِياضِ الجَنّة»، على أنَّهُ مِن مَجازِ التَّشْبِيه. شَبَّهَ القَبْرَ لِسَعَتِهِ وطِيبِ رائِحَتِهِ وسَلامَتِهِ مِنَ الآفاتِ بمَكانٍ مِنَ الجَنّة. وهذا شائِع؛ أيْ: وصْفُ المَكانِ الحَسَنِ بأنَّهُ مِنها. وأمّا باعتِبارِ صِفاتِ المُؤمِنِ في ذلكَ، فإنَّ المُؤمِنَ لا يَعدِلُ بشَمِّ رائِحةِ تُربَتِهِ الشَّريفةِ شَيئاً مِنَ الطِّيْب. [22 a]

والاحتِمالُ الثّاني على أنَّها أفضَلُ أنواعِهِ حُكْماً، ثُمَّ لَـمّا كانَ هذا الطِّيْبُ الَّذي بتُربَتِهِ الشَّريفةِ أظهَرَهُ آياتُ مَولِدِهِ أشارَ إلى ذلكَ[٥] بِقَولِهِ:

---

(١) انظر: البخاري، مسجد مكة ٥؛ والترمذي، المناقب ٦٧؛ والنسائي، المساجد ٧.

(٢) مشارق الأنوار للقسطلاني ١٨ ب.

(٣) ج: منقطع.

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الحج ٤٩.

(٥) ج: لذلك.

[الفَصْلُ الرّابع]
[في بَيانِ مَولِدِ النَّبيِّ ﷺ]

[٥٩. أبـانَ مَوْلِـدُهُ عَنْ طِيْـبِ عُنْصُرِهِ   يـا طِيْـبَ مُبْتَـدَأٍ مِنْـهُ ومُخْتَتَـمِ]

أبانَ: أظهَرَ. **مَولِدُهُ**؛ أيْ: آياتُ وِلادَتِهِ، أو زَمانُها، أو مَكانُها، **عَن طِيْبِ عُنصُرِهِ**: بضَمِّ العَينِ والصّادِ المُهمَلَتينِ؛ أيْ: أصلِهِ؛ أيْ: آبائه الَّذينَ تناسَلَ مِنهُم؛ أيْ: أبانَ أحوالَهم، وما شُوهِدَ مِنهُم مِن أنوارِهِ المُنتَقِلِ مِن واحِدٍ إلى آخَرَ مِنهُم إلى أبيهِ وغَيره. ذلكَ مِمّا ظَهَرَ عَليهِم مِن آياتِهِ مِن دَلائِلِ طِيْبِ أصلِهِ وحَسَبِه؛ أيْ: أبانَ عَن جَلالةِ أصلِهِ وعُلُوِّ شَأنِهِ ورِفعةِ مَنزِلَتِهِ وسُمُوِّ مَرتَبَتِهِ. وإسنادُ **أبانَ** إلى **مَولِد** مَجازٌ عَقليٌّ؛ أيْ: أبانَهُ اللهُ فيها. ولا بُدَّ مِن تَقدِيرِ مُضافٍ إذا جُعِلَ مَولِدٌ مَصْدَراً مِيمِيًّا؛ لأنَّ القَصْدَ ظُهورُها زَمَنَ وِلادَتِه. وجُملةُ **أبانَ** مُستَأنَفة، فلا مَحلَّ لَها. **يا طِيْبَ**: المُنادَى فيهِ مَحذُوف؛ أيْ: يا أُولي الألبابِ، انظُرُوا طِيْبَ.. **فطِيب**: مَفعُول «انظُروا»، أو حالٌ مِن مَولِدِهِ بتَقدِيرِ/ قائِلاً، أو مَقولاً فيه. فـ«طِيب» مَقولُ القَولِ مَنصُوباً، أو مَرفُوعاً، نائِبَ [١٣١ ب] الفاعِلِ. وإطلاقُ الحالِ عَليهِما باعتِبارِ أنَّهُ مَعمُولُها. **مُبتَدأ**: ابتَدأ **مِنهُ ومُختَتَم**: اختِتام. وهذا مَأخُوذٌ مِن قَولِهِ ﷺ: «لَيسَ فِيْنا سِفاحٌ كُلُّنا نِكاح»[1]. وفي قَولِهِ: **مُختَتَم** مَجازُ الحَذْفِ[2] إذِ التَّقدِيرُ «مِنهُ»، فهو مِنَ الحَذْفِ في الأواخِرِ لِدَلالةِ

---

(١) أخرج الطبراني وابن شاكر ما يشبهه في المعنى، كما في «المدح النبوي بين الغلو والإنصاف»، للسيد محمد بن علوي المالكي الحسني ١٨٢-١٨٨.

(٢) هو المجاز بالنقصان، وكان الأوائل كسيبويه والفراء قد ذكروه وقالوا إنه على اتّساع =

الأوائِل. نَحْو: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]؛ أيْ: كَثيراً.

وآياتُ مَولِدِهِ ﷺ كَثيرةٌ جِدًّا مَذكُورةٌ في كُتُبِ السِّيَرِ والمَواليد[١]. وما حَصَلَ لهُ مِنَ التَّرقِياتِ وعُلُوِّ المَراتِبِ في مُختَتَمِ أمرِهِ مِن تَرقِّي دِينِهِ وتَزايُدِ مِلَّتِهِ إلى أنْ بَلَغَت مَرتَبَةَ الكَمال، وتَحقَّقَ فيها التَّكمِيلُ والإكمالُ ومَحلّهُ كُتُبِ دَلائِلِ النُّبوّةِ والمُعجِزات[٢].

وفي البَيْتِ إشارةٌ إلى أنَّ السَّعِيدَ مَن سَعِدَ في بَطْنِ أُمِّهِ ومِثلُهُ الشَّقِيُّ، وفيهِ أنَّهُ لا/ يَستَحِقُّ أَحَدٌ شَيئاً على الله تَعالى يَخُصُّ مَن شاءَ بما شاءَ إنَّ السَّعادةَ [22 b] أصلُها التَّخصِيصُ، فمَن سَبَقَتْ لهُ مِنَ اللهِ الحُسْنى فـ **يا طِيْبَ مُبتَدأٍ مِنهُ ومُختَتَمِ**.

= الكلام، مثاله أن المضاف إليه يكتسب إعراب المضاف في نحو قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، فإن الحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجرّ، والنَّصْب فيها مجاز، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥]؛ أي: اختار من قومه، فإن الحكم الّذي يجب لـ«قومه» هو الجر، والنصب فيه مجاز.

ولا يسمَّى كل حذف مجازاً، وقد أوضح عبد القاهر ذلك بقوله: «ولا ينبغي أن يقال إن وجه المجاز في هذا الحذف فإن الحذف إذا تجرّد عن تغيير حكم من أحكام ما بقي بعد الحذف لم يسم مجازاً، ألا ترى أنك تقول: «زيد منطلق وعمرو»، فتحذف الخبر ثم لا توصف جملة الكلام من أجل ذلك بأنه مجاز». (انظر: أحمد مطلوب ٥٩٨).

(١) من أشهر كتب السير سيرة ابن هشام الحميري (ت٢١٨هـ). وفي «المولد النبوي» رسائل كثيرة حتى أصبحت الرسائل التي وضعت فيه باللغات المختلفة لا تدخل تحت حصر. (انظر للتفصيل: مقدمة سيرة ابن هشام).

(٢) وهو اسم مشترك للكتب التي ألفت لإثبات النبوة ولا سيما نبوة محمد ﷺ، ومن أشهر هذه المؤلفات: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) ودلائل النبوة لأبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م). (راجع للتفصيل: يوسف شوقي ياووز، دلائل النبوة، الموسوعة الإسلامية لوقف رئاسة الشؤون الدينية التركية (DiA) ٩/ ١١٥-١١٨.

فمِنْ آياتِ مَولِدِهِ ما ذَكَرَهُ بِقولِهِ:

[٦٠. يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فيْـهِ الفُـرْسُ أَنَّهمُ   قَـدْ أُنْـذِرُوا بِحُلُـولِ البُـؤْسِ والنِّقَمِ]

يَوْم: عِبارةٌ عَمّا بينَ طُلوعِ الفَجْرِ الصّادِقِ وغُروبِ الشَّمْس، أمّا النَّهارُ فما بينَ طُلوعِ الشَّمْسِ وغُرُوبها. ويُستَعمَلُ كُلٌّ في كُلٍّ، وقَد يُستعمَلُ في مُطلَقِ الوَقْت. وهو المُرادُ هُنا، لا المُقابلُ لِلَّيلة، وهو مَرفُوعٌ، بَدَلٌ مِن مَولِدِهِ على تَقدِيرِهِ اسمَ زَمانٍ، أو مَصْدَراً. وثَمّةَ مُضافٌ مُقَدَّر. ويَجُوزُ كَونُهُ بَياناً لِـمَولِدِه، وكَونُهُ خَبَرَ مُبتَدأ مَحذُوف. والجُملةُ حِينَئذٍ مُستأنَفةٌ استِئنافاً بَيانِيًّا. وأتَى بقَولِهِ **يَوم** لِيَتمَكَّنَ مِن وصْفِهِ بِقَولِهِ **تَفَرَّسَ**: تَثَبَّتَ ونَظَر. **فيهِ الفُرْسُ**: بِسُكُونِ الرّاءِ اسـمُ جَمعٍ لأهلِ بلادِ فارِسَ[1]، وهم عَبَدةُ النّار. **أَنَّهُم**: بِفَتحِ الهَمْزة. **قَد**: لِلتَّحقيقِ بِصيغةِ الماضِي في قَولِهِ: **أُنذِرُوا**: أُعلِمُوا. والإنذارُ الخَبرُ المُخَوِّف. ففي ذلكَ إشارةٌ إلى تَحقيقِ ذلكَ التَّفرُّسِ فيهم وقُوَّتِهِ وثَباتِهِ وتَحقُّقِهِ. **بِحُلولِ**: نُزُول. **البُؤْس**: العَذابِ الشَّـدِيد. **والنِّقَم**: بكَسْرٍ ففَتحٍ جَمعُ نِقْمةٍ بكَسْرٍ فسُكُونٍ نَحو «نِعْمة» و«نِعَم». و«أَنَّ» ومَعمُولاها مَفعُول **تَفَرَّسَ**؛ أيْ: ظَهَرَ لَهم ذلكَ اليَومُ مِن الأماراتِ الَّتي أخبَرَهُم بها عُلَماؤُهم وكُهّانُهم في ظُهورِ أمرِ رَسُولِ الله ﷺ أنَّهُ كائِن، وما أنذَرَهُم بهِ كاهِنُهم مِن خَرابِ مُلكِهِم وتَشَتُّتِ أمرِهِم وتَفرِيقِ قَبائِلِهم على يَدِ رَسُولِ الله ﷺ ويَدِ أصحابِهِ القائِمينَ بشَرِيعَتِه. إنَّ ذلكَ حالٌّ بِهِم، وذلكَ مُرادُهُ مِنَ البُؤْسِ والنِّقَم.

وفي قَولِهِ **تَفَرَّسَ فيهِ الفُرْسُ** تَجنِيس، لا يَخفَى. **وال** في **الفُرْسِ** لِلعَهدِ الخارِجِيِّ؛ أيْ: عَبَدة النّار. وفي البُؤْسِ والنِّقَمِ لِلحَقِيقةِ والجِنْس.

---

(١) والفارسي واحد الفرس، معرب «بارس» الفارسية.

[٦١. وباتَ إيْوانُ كِسْرَى وهْوَ مُنْصَدِعٌ   كَشَـمْلِ أصْحابِ كِسْـرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ]

[١٣٢ أ] / **وباتَ**: صارَ **إيوانُ كِسْرى**: **الإيوانُ** بكَسْرِ الهَمْزة أفصَح، صُفّةٌ عَظِيمة، يَجلِسُ فيها المُلوك. **وكِسْرى**: بِفَتحِ الكافِ وكَسرِها لَقَبُ مَنْ مَلَكَ الفُرْسَ. والمُرادُ مِنهُ هُنا أنو شروانَ بنُ قباد. وجُملةُ **وباتَ إيوانُ كِسْرى** عَطفٌ على جُملةِ **تَفرَّسَ فيهِ الفُرْس**. فتَكُونُ مَرفُوعةَ المَحَلِّ، رَفعها. والعائِدُ مَحذُوف؛ أيْ: باتَ فيه، ويُحتَمَلُ كَونُ الواوِ لِلحال، والجُملةُ على تَقدِيرِ «قَد». وذُو/ الحالِ [23 a] فاعِلُ **تَفرَّس**. **وهو مُنصَدِعٌ**؛ أيْ: مُنشَقٌّ، جُملةٌ حالِيّةٌ صاحِبُها **إيوان**. **كشَمْلِ**: كَما اجتَمَعَ مِن **أصحابِ كِسْرى**. والكافُ ومَجرُورُها في مَحَلِّ المَفعُولِ المُطْلَق؛ أيْ: انصدِاعاً مِثلَ شَمْلِهم. **غَيرَ مُلتَئِم**: خَبَرُ **بات**.

وفائِدةُ التَّقيِيدِ بِهِ الإيماءُ إلى أنَّ إيوانَهُ انشَقَّ بحَيثُ لا يَقبَلُ الالتِئامَ في تلكَ اللَّيلةِ مَع جِدَّتِهِ، ففي غَيرِها أولى؛ لأنَّ القُصُورَ الجُدُدَ أقبَلُ لِلالتِئامِ مِنَ المُتقادِمِ[1] عَليها الزَّمان. ففيهِ كَمالُ مُبالَغةٍ في انصدِاعِه. وفي جَعْلِ شَمْلِ أصحابِ كِسرى مُشَبَّهاً بهِ مُبالَغة مُستَفادة مِن أصْلِ التَّشْبيهِ الَّذي هو إلحاقُ ناقِصٍ بكامِلٍ، وخَصَّ شَمْلَ الأصحابِ دُونَ الحَشَمِ والخَدَمِ بالذِّكرِ إشارةً إلى أنَّ جَماعَتَهُ المُلازِمينَ لهُ مَع قُوّةِ قُدرَتِهم وكَثرةِ أشياعِهم[2] وغايةِ تَوجُّهِهم لِنَظْمِ أحوالِهم شَمِلَهم الشَّتات، فكيفَ بمَنْ دُونَهم؟ وفي انشِقاقِ الإيوانِ الَّذي مَحَلُّ ظُهورِ عَظَمةِ المَلِكِ إيذانٌ في أوَّلِ الأمرِ بتَبدِيلِ العِزّةِ بالذِّلّة، والعَظَمةِ بالمَهانة، وزَوالِ المَملَكةِ بالكُلِّيّة.

---

(١) ج: المتقام.

(٢) س: أسبابهم.

[٦٢. والنّارُ خامِدةُ الأنفاسِ مِنْ أَسَفٍ عَلَيْـهِ والنَّهْرُ سـاهِي العَيْنِ مِنْ سَـدَمِ]

وصارَتِ النّارُ الَّتي يَعبُدُونَها في ذلكَ اليَوم. خامِدة الأنفاسِ: لا لَهَبَ لَها والجَمْرُ باقٍ.

وفي الكَلامِ استِعارةٌ مَكنِيّة، [شُبِّهَتِ النّارُ بذِي نفسٍ بِجامِعِ الصُّعودِ مِن كُلٍّ والهُبُوط. والتَّشْبِيهُ المُضمَرُ في النَّفْسِ استِعارةٌ مَكنِيّة][١]، وإثباتُ الخُمودِ تَخييلِيّة.

مِن: تَعليلِيّة. أسَفٍ: حُزْنٍ شَديدٍ وغَضَبٍ. فالأسَفُ ثَورانُ دَمِ القَلْبِ لِقَصْدِ الانتِقام، فعلى من دُونَكَ غَضَبٌ ويَنتَشِرُ[٢] [الدَّمُ] وعلى مَن فوقَكَ حُزنٌ فيَنقَبِضُ الدَّمُ ولا يَنتَشِرُ. عَليهِ؛ أيْ: على الانصِداعِ إنْ أُريدَ بالأسَفِ الحُزْنُ، وإنْ أُرِيدَ بِهِ الغَضَبُ فالضَّمِيرُ عائِدٌ على النَّبِيِّ ﷺ؛ لأنَّ وِلادَتَهُ سَبَبُ تَرْكِ عِبادَتِها. وقالَ العَضد: الضَّمِيرُ عائِدٌ على الفُرْسِ. وفيهِ بُعد.

وهذا إشارةٌ إلى أنَّهُ ﷺ لَيلةَ مَولِدِهِ ارتَعَدَ تِلكَ اللَّيلةَ إيوانُ كِسْرى وسَقَطَ مِنهُ أربَعَ عَشرةَ شُرافة. وكَتَبَ إليهِ صاحِبُ فارِسَ يُخبِرُهُ بأنَّ بُيوتَ النِّيرانِ قَد خَمَدَتْ تِلكَ اللَّيلة، ولَم تَكُنْ[٣] خمدَتْ قَبلَ ذلكَ بألفِ سَنة.

وصارَ النَّهْر: ال فيهِ لِلجِنْسِ أو لِلعَهدِ، والمَعهُود بُحَيرةُ ساوةَ بقَرينةِ/ [١٣٢ ب] المَقامِ والحال. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ الكَلامُ مِن مَجازِ الحَذْف؛ أيْ: أهْلُ النّارِ وأهْلُ النَّهْر. نَحو: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] فيَكُونُ مِن دَلالةِ الاقتِضاء.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «س».

(٢) س: وتنتشر؛ ج: وتنشر.

(٣) س: لم يكن.

[23 b] **ساهِي العَيْن**: إضافَتُهُ كإضافةِ **خامِدة** في عَديلِهِ لَفظِيّة؛/ إنْ كانَ الوَصْفُ فيهما على حِكايةِ الحالِ الماضِية، وإلّا فالوَصْفُ بمَعنى الماضي، فإضافَتُهُ مَعنَوِيّة. **والجُمْلَتانِ**؛ أيْ: والنّارُ **خامِدةٌ والنَّهْرُ ساهِي العَيْن**: مُحتَمِلَتانِ لِلحالِيّةِ مِن ضَمِيرِ **مُنصَدِع** إيماءً إلى اجتِماعِ الهُمومِ وإشعارِهِ بالابتِلاءِ بالغُمُوم، وأنَّهُم لَم يَختَصُّوا بغُصّةِ الانصِداعِ فقط، وأنْ تَكُونا[1] مَعطُوفَتينِ على جُملةِ **بات**. فتَكُونُ الجُملَتانِ مَرفُوعَتَي المَحَلِّ صِفة **يوم** بالتَّبَعِيّة. والعائِدُ مَحذُوفٌ؛ أيْ: فيه، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِن عَطفِ المُفرَدِ كَما بَدَأْنا بهِ في التَّقرِير، وأوْمَأنا إليهِ في التَّقدِير. ومَعنى **ساهِي العَيْن**؛ أيْ: سكنَ جِريةَ عَينِهِ الَّتي هي مادَّتُه. والاستِعارةُ المَكنِيّة والتَّخييلِيّةُ كهُما في عَدِيلِهِ مِنَ الشَّطْرِ الأوّل، فاستَخرِجْ بِبَيانِكَ ذلكَ واستَعِنْ عَنِ البَيان. **مِن**: تَعلِيلِيّة. **سَـدَم** بفتحِ المُهمَلَتينِ؛ أيْ: نَدَمٍ وحُزنٍ. ويُحتَمَلُ كَونُ سُكونِها مَجازاً عَن عَدَمِ جِريةِ الماء؛ لأنَّ الماءَ الجارِيَ لا يَسكُنُ بَل يخلفُ بَعضُهُ بَعضاً كالعَينِ اليَقْظى[2]، فإنَّها تطرفُ المَرّةَ بعدَ الأُخرى.

[٦٣. وساءَ ساوةَ أنْ غاضَتْ بُحَيْرَتُها ... ورُدَّ وارِدُها بالغَيْظِ حِيْنَ ظَمِي]

ومِن آياتِ وِلادَتِهِ يَومُ **ساءَ**: أحزَنَ أهلَ مَدِينةِ **ساوه**[3]: بينَ هَمذانَ[4]

---

(١) ج: ويكون أن تكون، س: أن يكونا.

(٢) س: التغطي.

(٣) ساوه: بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة: مدينة حسنة بين الري وهمذان في الوسط، وبقربها مدينة يقال لها: آوه. فساوه سنية شافعية، وآوه أهلها شيعة إمامية. وما زالتا معمورتين إلى سنة (٦١٧هـ) فجاءها التتر وخربوها. وأما طول ساوه فسبع وسبعون درجة ونصف وثلث، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وقد نسب إليها طائفة من أهل العلم. (معجم البلدان ٣/ ١٧٩-١٨٠).

(٤) همذان: طولها من جهة المغرب ثلاث وسبعون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة. قيل: معناه المحبوبة. وكان الّذي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة ٢٤ من الهجرة. وهي =

والرّيِّ[١] **أنْ**: بِفَتحِ الهَمْزة، **غاضَت**: بالمُعجَمَتينِ: نَقَصَتْ. وفي نُسْخة **«غارت»**. يُقال: غارَ الماءُ: نَضبَ في الأرض. **بُحَيرَتُها**: اسمُ ماءٍ مُجتَمعٍ واسعِ الطُّولِ والعَرْض. قِيلَ: كانَ كُلٌّ مِنهُما سِتّةَ أميالٍ بقُربِ ساوةَ. فجَفَّتْ فلَم يَبْقَ فيها شَيْء، حَتَّى قِيلَ: إنَّ لَهيبَ النّارِ يَنبُعُ مِن قَعرِها. كَأَنَّما طَبَخَ أرضَها حَرْقاً. **وأنْ** ومَنصُوبُها فاعِلُ **ساءَ**، مُؤخَّرٌ عَن مَفعُولِه، وهو **ساوة**، لِتعَلُّقِ الغَرَضِ بوُقوعِ المساءةِ على **ساوةَ**، لا أنَّ الفاعِلَ ما[٢] ذا، وأيضاً ففي الفاعِلِ ضَمِيرُ المَفعُولِ به. فلو أُخِّرَ عادَ على مُتأخِّرٍ مُطلقاً. وهو لا يَجوزُ إلّا في أبوابٍ مَحصُورةٍ على أنَّ في مُقارَنةِ المَفعُولِ زِيادةُ حُسْنٍ لِلتَّجنِيس[٣]. وأحزَنَها أيضاً **أنْ رُدَّ**: بالمَجهُولِ صُرِفَ، **وارِدُها**: لِلاستِسْقاءِ مِن مائِها. **بالغَيْظِ**: مَعَهُ ويَصِحُّ كَونُها لِلمُلابَسة. **حِينَ ظَمِئ**: ظَرْف لـ **لغَيْظ** أو لـ **رُدَّ**. وغِيضَ إنَّما كانَ مِن وِلادَتِهِ ﷺ هو الّذي أحزَنَ ساوةَ.

وإسنادُ الحُزْنِ إلى نَفْسِ النّارِ والماءِ مَجازٌ أو استِعارةٌ على تَنزِيلِهِما مَنزِلةَ العاقِلِ. ويَدُلُّ لِذلكَ قَولُه:

[٦٤. كَأنَّ بِالنّـارِ مـا بِالماءِ/ مِـنْ بَلَلٍ حُزْنـاً وبِالمـاءِ مـا بِالنّـارِ مِـنْ ضَرَمِ] [١٣٣ أ]

وهو مَسُوقٌ لِتَحقيقِ ما قَبلَه، اعتِراض، لا مَحَلَّ لَه؛ أيْ: صارَت نارُ فارِسَ الَّتي خَمَدَت، **كَأنَّ** بها مِنَ الأوصافِ الَّتي مِن جُملَتِها البَلَل/ مِثلَ أوصافِ [24 a]

= أحسن البلاد وأنزهها وأرفهها إلا أن شتاءها مفرط البرد. (معجم البلدان ٥/ ٤١٠). وفي زماننا من أشهر مدن إيران.

(١) الريّ: بفتح أوله وتشديد ثانيه، وتقع في الشمال الشرقي من طهران، وبينهما خمس كيلو مترات، ومن أعيان من ينسب إليها أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي، وفخر الدين الرازي. (معجم البلدان ٣/ ١١٦؛ لغات تاريخية وجغرافية ٣/ ٣٢١).

(٢) لعل المقصود هنا بـ«ما» هي التي ترد في البيت الآتي.

(٣) س: ـ.

ماءِ بُحيرةِ «ساوَهْ» قبلَ غيضِهِ؛ أيْ: صارَتْ مُبتَلّةً بارِدةً كبَلَلِ ماءِ بُحيرةِ ساوة وبُرودَتِهِ مِنَ الحُزْنِ وصارَ هو؛ أيْ: ماءُ بُحَيرَتِها الَّذي غاضَ حَتَّى جَفَّ مَكانُهُ، وصارَ يَلتَهِبُ كَأنَّ بِهِ مِنَ الأوصافِ الَّتي مِنها **الضَّرَم**. مثلَ أوصافِ نارِ فارِسَ قبلَ خُمودِها مِن حُزْنِهِ أيضاً.

فالحاصِلُ أنَّ كُلًّا مِن ماءِ بُحيرةِ [ساوةَ] ونارِ فارِسَ انتقَلَ إلى كُلٍّ مِنهُما أوصافُ الآخَرِ مِنَ الحُزنِ على تَغييرِ أحوالِ الكُفْر. وخَصَّ مِن أوصافِ الماءِ **البَلَلَ** دُونَ البُرودةِ ومِن أوصافِ النّارِ الاضطِرامَ دُونَ الحَرارة؛ لأنَّ النّارَ لا تَبقى حَقِيقَتَها مَع الاتِّصافِ بالبَلَل، فإنَّها في غايةِ اليُبوسة؛ فلِذا تَفَرَّقُ الأجزاءِ والبَلَلِ يَصِلُ الأجزاءَ المُتفَرِّقة. كَما يَفعَلُ الماءُ بالتُّراب. ووَصْفُها بالبَرْدِ لا يُخرِجُها عَن حَقِيقَتِها. والماءُ إذا اتَّصَفَ بالاضطِرامِ الَّذي هو غايةُ اليبسِ خَرَجَ عَن حَقِيقَتِهِ لِحدُوثِ التَّفْرِيق. فيَستَمِرُّ بعدَ الاتِّصال، ووَصْفُهُ بالحَرارةِ لا يُخرِجُهُ عَنها. يُقال: «ماءٌ جارٍ». ولا يُقال: «ماءٌ يُفَرِّقُ الأجزاءَ».

وتَقدِيمُ خَبَرِ **كَأنَّ** وهو الظَّرْفُ على اسمِها لإفادةِ الحَصْرِ ادِّعاء. و**مِن بَلَل**: مِن فيهِ بَيانِيّة. وهو ومَجرُورُهُ في مَحَلِّ الحال. والعامِلُ فيها مَعنى الفِعْلِ المُستَفادِ مِن قَولِهِ: **بِالماء**، وحُزْناً: مفعولٌ لهُ ويُحتَمَلُ نَصبُهُ على الحالِ في النّارِ؛ أيْ: مَحزُونةً. **وبالماءِ**: ظَرْفٌ مُستَقِرّ، عُطِفَ على النّار. وحَذَفَ حُزْناً مِن المَعطُوفِ لِدَلالةِ المَذكُورِ عَليه.

والتَّشبيهُ مِنَ المُتعَدِّدِ طَرَفاهُ، شَبَّهَ لازِمَ الماءِ بلازِمِ النّار، وبالعَكس فلَزِمَ تَشْبيهُ الماءِ بالنّارِ وبالعَكْسِ. والجَمْعُ بينَ الماءِ والنّارِ تَضادٌّ[1] وتَقابل **البَلَل**

---

(١) التضاد: هو التطبيق والتكافؤ والطباق والمطابقة والمقاسمة... إلخ. (انظر: أحمد مطلوب ٣٦٧).

بـ **الضَّرَمِ** وإثباتُ البَلَلِ الَّذي هو لازِمُ الماءِ لِلنّارِ، وبالعَكْسِ عَكْسٌ[١] وتَبدِيل. وفي حُسْنِ التَّعْلِيلِ دَعوى ثُبوتِ البَلَلِ لِلنّار. والالتِهابِ لِلماءِ بِسَبَبِ الحُزْن.

[٦٥. والجِـنُّ تَهْتِفُ والأنْوارُ ساطِعةٌ والحَـقُّ يَظْهَـرُ مِـنْ مَعْنًى ومِـنْ كَلِمِ]

والجِنُّ: أولادُ إبليسَ لَعَنَهُ اللهُ وهُم جِسْم نارِيٌّ. لهُ قُدرةٌ على التَّشَكُّل. والواوُ عاطِفةٌ لِلجُملةِ الاسميّةِ على الجُمَلِ السَّوابق. والرّابِطُ مُقَدَّر؛ أيْ: لهُ أو فيه. **تَهتِفُ**: تِلكَ اللَّيلةَ؛ أيْ: تُصَوِّتُ[٢] على الجِبالِ وبِبُطونِ الأودِيةِ بالإعلامِ بما أظَلَّ النّاسَ مِن نُبوَّتِهِ ﷺ. ويُحتَمَلُ أنْ يُرادَ[٣] مِن **تَهتِف**: تَقُولُ قَولاً مِن غَيرِ تَحقِيق؛ لأنَّها كانَت قَبلَ وِلادَتِهِ ﷺ غَيرَ مَمنُوعةٍ مِن استِراقِ السَّمْع؛ فلِذا كَثُرَتْ إصابةُ/ الكُهّانِ في ذلكَ الوَقْت؛ لأنَّهُم يَسمَعُونَ مِنَ [١٣٣ ب] المَلائِكةِ ما/ يَكُونُ مِنَ الحَوادِثِ في الأرضِ على التَّحقِيق. فلَمّا مُنِعُوا بَعدَها [24 b] مِن الاستِراقِ بالشُّـهُبِ إلّا مِنَ الخَطْفةِ جَعَلُوا يَتكلَّمُونَ مِن غَيرِ تَحقِيق؛ ولِذا كَذَبوا بَعدَها؛ فلِذا **تَهتِفُ**؛ أيْ: تَقولُ لا عَن تَحقِيق.

ثُمَّ لا إشكالَ في حُزْنِ الجِنّ؛ لأنَّ أكثَرَهُم عُصاة، ولا في انصِداعِ إيوانِ كِسْرى لِما فيهِ مِن ذُلِّهِ وصَغارِه. وكذا خَمْدِ النّارِ واضطِرامِ مَكانِ الماءِ لِذلكَ. لَـكِنَّ المُصَنِّفَ جَعَلَهُ فيهما مِـن حُزنِهما وهُما لا إدراكَ لَهما. والجَمادُ لا يُوصَفُ بالكُفْرِ ومَشاقّةِ الله تَعالى، بَل كُلُّها مُنقادةٌ خاضِعةٌ لأمْرِه. قالَ تَعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [النحل: ٤٩]، فالمُناسِبُ أنْ يَقُولَ مِن فرَح.

---

(١) في البلاغة العربية إعادة الكلام بترتيب عكسي، مثال ذلك: «عادات السادات سادات العادات»، وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الروم: ١٩]. (انظر: مجدي وهبة ٢٥١؛ أحمد مطلوب ٥٣٣-٥٣٥).

(٢) س: يصوت.

(٣) س: مراد.

وأُجِيبُ بأنَّ المُرادَ أهلُ النّار، وأهلُ «ساوةَ». وإنْ لَم يُقدّرِ المُضاف فحُزْنُ الماءِ والنّارِ على نَفْسِهما مِن أجلِ أنَّ الماءَ لا يَجري والنّارَ لا تُوقَد، وإنْ كانا فرِحَينِ[1] بوَلادَتِهِ ﷺ.

والأنوارُ: المَحسُوسةُ الظّاهِرةُ عِندَ وِلادَتِهِ لأُمِّه. **ساطِعة**؛ أيْ: مُرتَفِعةٌ. حَتَّى أضاءَتْ بها قُصُورَ بُصرى[2] بالشّام، أو النُّور الَّذي عَلا وجْهَ كُلٍّ مِن آبائِه. والجَمْعُ باعتِبارِ تَعدُّدِ المَحالِّ. ويُحتَمَلُ أنْ يُرِيدَ الآياتِ. وسَمّاها نُوراً، لأنَّها تَهدي إلى سَبيلِ الحَقِّ، كَما يَهدي النُّورُ [إلى] سَبيلِ الحُسْنِ. **والحَقُّ**؛ أيْ: القَولُ المُطابِقُ لِلواقِعِ بِحَسَبِ ما يَنبَغي في وقْتٍ يَنبَغي. وهو مُبتَدأ، خَبَرُهُ جُملةُ **يَظهَر**: مِنَ الظُّهور ضِدَّ الخَفاء. وكُلُّ ما هو بارِزٌ لِلبَصَرِ فهو ظاهِر. **مِن مَعنًى ومِن كَلِم**: مَعنى اللَّفْظ، ما يُرادُ ويُقصَدُ مِنهُ، مِن إطلاقِ المَصْدَر وإرادةِ اسمِ المَفعُول. والمُرادُ مِنهُ الجَمْع؛ لِيُطابِقَ عَدِيلَهُ المَعطُوفَ عَليه. إذْ هو جَمْعُ كَلِمة. ومن: فيهِما ابتِدائِيّة، مُتَعلِّقٌ بـ **يَظْهَر**. ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ بيانِيّةً **لِلحَقِّ**. والتَّنْوينُ عِوَضٌ عَنِ المُضافِ إليهِ؛ أيْ: مِن مَعناهُ ومِن كَلِمِه. والمُرادُ مِن مَعناهُ سِيرَتُهُ السَّنِيّةُ، وكَمالاتُهُ البَهِيّةُ، أو الأُمورُ المَعقُولة، ومِنَ الكَلِمِ الأُمورُ المَحسُوسة، ويُحتَمَلُ أنَّ المُرادَ أنَّ الحَقَّ يَلوحُ مِن ظَواهِرِ الحَوادِثِ العَجِيبةِ والخَوارِقِ الغَرِيبةِ وبَواطِنِها. وجُملةُ **والجِنُّ تَهتِف**: تُفيدُ التَّجدُّدَ والاستِمرار.

---

(١) ج: في خير.

(٢) بصرى: بالضم والقصر وهي مدينة تاريخية في جنوب سوريا؛ زارها النبي ﷺ مرتين قبل بعثته، وهي تقع قريباً من منبع نهر اليرموك، وبينها وبين دمشق (١٤١كم)، تدل آثارها الرائعة على ما كان لها من مجد في الزمان القديم. كانت أول مدينة فتحها المسلمون في الشام إذ سقطت في يد خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م. (معجم البلدان ١/ ٤٤١؛ المنجد في الأدب والعلوم، لفردنان توتل ٧٧؛ مصطفى فايده، بصرى، الموسوعة الإسلامية لوقف رئاسة الشؤون الدينية التركية (DIA)، ٦/ ٤٧٠-٤٧١.

ويُقَوِّي الحُكْمَ لِكَونِ المُسنَدِ فيها الجُملةُ الفِعلِيّة. وجُملةُ والأنوارُ ساطِعةٌ تُفيدُ الدَّوامَ والثُّبوت.

وبَيَّنَ على سَبيلِ الاستِئنافِ البَيانِيِّ حالَ الكَفَرةِ عِندَ سَماعِ الحَقِّ بِقَولِهِ:

[٦٦. عَمُوا وصَمُّوا فإعلانُ البَشائِرِ لَمْ يُسْمَعْ وبارِقةُ الإنْذارِ لَمْ تُشَمِ]

[25 a] **عَمُوا وصَمُّوا**؛ أيْ: كالعُمْيِ الصُّمِّ في عَدَمِ/ انتِفاعِهم بالمُشاهَدِ مِن مُعجِزاتِه؛ لأنَّ ثَمرةَ الأبصارِ الجَريُ على شاكِلةِ/ البَصَر، وكالصُّمِّ في كَونِهم [١٣٤ أ] لم يَنتَفِعُوا بما تَواتَـرَ عِندَهم مِن آياتِه. والتَّواتُـرُ يَقُومُ مَقامَ المُعايَنةِ في إفادةِ العِلْم؛ لأنَّ الحاصِلَ بهِ مِنَ الضَّرُورِيّاتِ، وكَأنَّهُ قَسمهُم إلى مَن حَضَرَ وشاهَد؛ لأنَّهُ لَم يُقِـرَّ بمُقتَضى ما رَأى، وهؤلاءِ هُم الَّذينَ أخبَرَ عَنهُم بأنَّهُم عَمُوا، وإلى مَن لَم يَحضُر، لَكِنْ تَواتَرَ عِندَه الأخبار، فلَم يُصَدِّق. وهُم الَّذينَ أخبَرَ عَنهُم أنَّهُم صَمُّوا.

وفي كَلامِهِ المَذكُورِ استِعارةٌ مُصَرَّحةٌ تَبعِيّة. شَبَّهَ مَن ذُكِرَ بالأعمَى والأصَمِّ بِجامِعِ عَدَمِ الانتِفاع، ثُمَّ أطلَقَ اسمَ المُشَبَّهِ بهِ على المُشَبَّه.

فإعلانُ: إظْهار، بالرَّفعِ مُبتَدأ. **البَشائِر**: بصِحّةِ[١] رِسالَتِهِ ﷺ وإشاعَتِها كسُطوعِ الأنوارِ وإخبارِ الكُهّان. **لَم يُسمَعْ**[٢]: بالتَّحتِيّة، مَبنِيًّا لِلمَجهُول، ونائِبُ فاعِلِهِ ضَميرُ الإعلان. وفيهِ إيجازٌ بحَذْفِ الفاعِلِ مَع تَطهِيرِ اللِّسانِ عَن ذِكرِ أهلِ الكُفْر. ويَجُوزُ أنْ يُنصَبَ إعلان: مَفعُولٌ مُقدَّم لـ **تسمع**[٣] مَبنِيًّا للفاعِل، مَبدُوء بالتّاءِ الفَوقِيّة، وضَمِيرُهُ عائِدٌ لِمَنْ عادَ إليهِ ضَمِيرُ **عَمُوا وصَمُّوا**، بتَأويلِ

---

(١) س: نصحه.

(٢) س: يسمع.

(٣) س، ج: ليسمع.

الجَماعة. **وبارِقة**: بالرَّفعِ أو النَّصب. **الإنذار**: بِهِ **لَم تُشَم**: بالبِناءِ لِلمَفعُولِ أو للفاعِلِ كَما مَرَّ في «**فإعلانُ البَشائِرِ لَم يُسمَع**»[1]؛ أيْ: ما لاحَ لَهم بما أنذَرَهُم مِن انقِضاءِ دَولةِ الكُفّار، وإذلالِ أهلِه، الَّذي هو شَبيهٌ بإشهارِ السُّيوفِ تَضربُ مَن لَم يَدخُلْ في الطّاعةِ بها، أو كالبَرْقِ المُنذِرِ بنزول[2] الصَّواعِقِ وكانقِضاضِ الشُّهُبِ المُؤذِنِ بأمرٍ عَظِيمٍ بخَرابِ الدُّنيا أو غَيرِه. وذلكَ كصَدْعِ الإيوانِ وخُمودِ النِّيران، كَأنَّ حاضِرَ ذلكَ لَم يَرَه. وهو مَعنى **لَم تُشَم**؛ أيْ: لَم يُنظَرْ إلَيهما.

ثُمَّ قِراءةُ الفِعْلَينِ بالبِناءِ لِلمَجهُولِ أولى؛ لأنَّ فيهِ تَنبيهاً على تَمكُّنِ العَمى والصَّمَمِ مِنهُم، حَتّى لَم يَكُنْ حِينَئذٍ مِنهُم في الوُجُودِ مَن يَتَّصِفُ بضِدِّهِما. وتَقدِيمُ المَفعُولينِ على تَقدِيرِهما مَبنِيَّينِ لِلفاعِلِ لِلاهتِمامِ؛ لأنَّهُما مَنشَأُ العَمى والصَّمَمِ حَيثُ لَم يَسمَعُوا المُبشِّراتِ الظّاهِرةَ مَعَ الإعلان. ولَم يَرَوْا بَوارِقَ المُنذِراتِ الباهِرةِ مَعَ الظُّهورِ مَع دِعايةِ الرَّويِّ في الثّاني إلى تَقدِيمِ مَفعُولِه. وتَشبِيهُ **الإنذارِ** بسَحابٍ يُخافُ مِنهُ استِعارةٌ مَكنِيّة. وإثباتُ **البارقة** تَخييل. وإضافةُ **إعلان** مَعنَويّة، وإضافةُ **بارقة** لَفظِيّة، وكَأنَّ عَماهُم وصَمَمَهُم لَـما عَلِمُوا/ مِنها[3] عِياناً وإخباراً. [25 b]

[٦٧. مِنْ بَعْدِ ما أخْبَرَ الأقْوامَ كاهِنُهُمْ   بِأنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ]

مِن بَعدِ ما أخبَرَ الأقوامَ: الصُّمَّ العُمْيَ **كاهِنُهُم**. ومِن: ابتِدائيّة. وبَعد: [١٣٤ ب] ظَرْفٌ للفِعْلَينِ المُثبَتينِ أو المَنفيَّينِ. ويُحتَمَلُ أنْ يَكونَ/ ظَرْفاً للبِشارةِ المَفهُوم

---

(١) س: يسمع.

(٢) س: بزوال.

(٣) س: ـ.

مِنَ البَشائِرِ في البَيْتِ قَبلَه. والكاهِنُ الَّذي يَدَّعِي مَعرفةَ الأسرارِ ومُغَيَّباتِ الأحوالِ ويُخبِرُ عَنِ الأُمورِ الماضِيةِ والاستِقبالِ بأخْذِ العِلْمِ مِنَ الشَّياطِينِ المُستَرِقينَ لِلسَّمْع.

وقَدَّمَ المَفعُولَ على الفاعِلِ لإضافَتِهِ إلى ضَمِيرِ المَفعُولِ به، فلو أخَّرَ لعادَ الضَّمِيرُ على ما تأخَّرَ لَفظاً ورُتبةً، وأتى بِفِعْلِ الإخبارِ مَبنِيًّا لِلفاعِلِ، وذِكْرُ المَفعُولِ بهِ مُبالَغةٌ في إظهارِ شَناعةِ حالِهِم، إذْ لَم يَرعَوُوا بَعدَ أنْ أخبَرَهُم. والمُرادُ بِهِ الجِنْسُ المُتناوِلُ للواحِدِ وما فوقَه.

بأنَّ دِينَهُم المُعوجَّ لَم يَقُم: والدِّينُ استُعِيرَ لِلطَّرِيقةِ المَسلُوكةِ حَقًّا أو باطِلاً؛ أيْ: طَرِيقَتِهِم الخاصّةِ لِعبادةِ غَيرِ الله تَعالى. والتَّهوُّدُ والتَّنصُّرُ بعدَ النَّسْخِ لَم يَقُم. ووَصْفُهُ بهذا بَعدَ وصْفِهِ بـ **المُعْوَجِّ** لِلتَّأكِيدِ والتَّنصِيصِ على عَدَمِ الاستِقامة، أو وصْفه بالاعوِجاجِ مِنَ النّاظِمِ والَّذي مِنَ الكاهِنِ وصَفَهُ بقَولِهِ: **لَم يَقُم**. وعَدَلَ عَن مُقتَضى الظّاهِرِ لا يَقومُ إلى ما عَبَّرَ بهِ لِيفيدَ تَحقُّقَ عَدَمِها مِثْل: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] وفي نُسْخةٍ **لَم يُقِم** بضَمِّ التَّحتيّةِ مِن أقامَ بمَعنى أدامَ.

وفي الجَمْعِ بينَ الأقوامِ ويَقُم نَوعٌ مِن صَنعةِ جِناسِ الاشتِقاق.

[٦٨. وبَعْدما عايَنُوا في الأُفُقِ مِنْ شُهُبٍ مُنْقَضّةٍ وفْقَ ما في الأرْضِ مِنْ صَنَمِ]

وكانَ هذا العَمى والصَّمَمُ **بَعدما عايَنُوا**: بأبصارِهِم. فالظَّرْفُ مَجرُورٌ عَطفاً على بَعد: المَجرُور في البَيْت. قِيلَ أو مَنصُوبٌ عَطفاً على مَحَلِّ ذلكَ. **في الأُفق**: النّاحِية. وتَسكِينُ القافِ لِلتَّخْفيف. والجَمْعُ آفاق. **من**: بَيانِيّة. **شُهُب**: جَمع «شِهاب» الشُّعلةُ السّاطِعة. ويُقال شِهابٌ ثاقِب؛ أيْ: **مُضِيء**. **مُنقَضّةٍ**: ساقِطةٍ على الشَّياطِينِ المُستَرِقينَ لِلسَّمْعِ مِنَ المَلائِكةِ في السَّماءِ لَيلةَ

وِلادَتِهِ، ويَجُوزُ جَرُّهُ صِفة شُهُبٍ، ونَصبُهُ حالاً، ورَفعُهُ خَبَر مُبتَدأ مَحذُوفٍ وفْقَ: مِنَ المُوافقة. ونَصبَهُ على نَزْعِ الخافِضِ؛ أيْ: على وِفاقِ **ما في الأرضِ مِن صَنَم**؛ أيْ: انقَضَّتْ نَحو الصَّنَم. وهو ما كـانَ مُصَوَّراً. **ومِن صَنَمٍ**: بَيانُ ما. وهو لِكَونِه/ بَياناً[1] لـ **ما** المَوصُولةِ العامّةِ عامّ، أو عُمُومِهِ لِدَلالةِ المَقام، فإنَّ المَرمَى كُلُّ صَنَمٍ تِلكَ اللَّيلة، ولَم تَزَلِ[2] الشُّهُبُ تَنقَضُّ إلى جِهةِ الأصنام. [26 a]

[٦٩. حَتَّى غَداعَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ مِـنَ الشَّـياطِينِ يَـقْـفُو إثْـرَ مَـنْـهَـزِمِ]

حَتَّى غَدا: سـارَ مُسرِعاً. **عَن طَرِيقِ الوَحْيِ**: الَّذي يَجِيءُ المَلَكُ مِنهُ إلى النَّبِيِّ ﷺ. **مُنهَزِمٌ مِنَ الشَّياطِين**: صِفةُ مُنهَزِم. **يَقفُو**:/ يَتبَع. صِفةٌ أُخرى، أو حالٌ مِنَ الفاعِلِ أو مِن ضَمِيرِه. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ **غَدا** مِنَ الأفعالِ النّاقِصةِ بمَعنى «صار». **ومُنهَزِم**: اسمُه. وجُملةُ **يَقفُو** خَبَر. **إثْر**: بكَسْرٍ فسُكونٍ ما بَقِيَ مِن رَسْمِ الشَّيْء. ويُقال بِفَتحِ أوَّلَيه. يُقال: «جَرَحْتُ إثْرَهُ وأثَرَه»؛ أيْ: عَقِبه: **مُنهَزِم**: مِنهُم. فلَم يَقعُدْ بَعدَ مَبعَثِهِ ﷺ أحَدٌ مِنهُم على طَرِيقِ الوَحْيِ يَسمَعُ مِنهُ ما يَتكَلَّمُ بِهِ المَلائِكةُ عِندَما يَقضِي اللهُ الأمْرَ، كَأنَّهُ سِلسِلةٌ على صَفْوان. ثُمَّ رَجْمُ الشَّياطِينِ بالكَواكِبِ كانَ قَبلَ مَولِدِهِ ﷺ، كَما يُؤذِنُ بِهِ قَولُه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، إلّا أنَّهُ كانَ قَليلاً بحَيثُ لَم يَتنَبَّهْ لهُ أكثَرُ النّاسِ كَما في «الكَشّاف»[3]. [١٣٥ أ]

وفيهِ أيضاً أنَّهُم مُنِعُوا لِولادةِ[4] عِيسى مِن ثَلاثِ سَماواتٍ. فلَمّا وُلِدَ ﷺ

---

(١) س، ج: بيان.

(٢) س: يزل.

(٣) لم أجد نفس العبارة في الكشاف للزمخشري ٢/ ٣٨٩؛ ٤/ ١٣٥.

(٤) ج: بولادة.

حُجِبُوا عَن جَمِيعِها، وكانَ الاستِراقُ في بَعضِ الأحوالِ واقِعاً، فلَمّا وُلِدَ ﷺ كثُرَ الرَّجْمُ لَهم حَتَّى تنبَّـهَ لهُ النّاس، وصَدُّوا عَن ذلكَ رَأساً. وقِيل: إنَّ مَنعَهُم إنَّما حَدَثَ عِندَ المَبعَثِ لا عِندَ المَولِد. وفي «الكَشّاف»: نَفْسُ الكَوكَبِ قارّةٌ في الفَلَك. والرَّجْمُ بالشُّهُبِ المُنفَصِلةِ مِنها كقَبَسٍ يُؤخَذُ مِنَ النّار. والثّابِتةُ ثابِتةٌ لا تَنقَضُّ.

ثُمَّ شَبَّهَهم في هَزْمِهِم وتَبدُّدِ شَمْلِهم بقَولِهِ:

[٧٠. كَأَنَّـهُـمْ هَرَبـاً أَبْطـالُ أَبْرَهَـةٍ   أَوْ عَسْـكَرٌ بِالحَصَى مِـنْ راحَتَيْهِ رُمِي]

كَأَنَّهُم هَرَباً؛ أيْ: في حالِ فِرارِهم مِنَ الشُّهُب، ولِكَونِه مَصْدَراً لا يُثَنَّى ولا يُجمَع. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ نَصبَهُ مَفعُولاً مُطلقاً أو حالاً؛ أيْ: هارِبينَ **هَرَباً**. وهارِبينَ حالٌ، عامِلُها مَعنى التَّشبِيه، أو تَمييزاً عَنِ الحُكْمِ التَّشبيهِيِّ. نَحو: «زيدٌ أسَدُ شَجاعةٍ»، أو ظَرْفاً بتَقدِيرِ مُضافٍ؛ أيْ: زَمَنَ هَرَبِهِم. **أبطالُ**: جَمْعُ بَطَلٍ بِفَتحَتينِ الشُّجاع. سُمِّيَ بذلكَ؛ لأنَّ الدِّماءَ تَبطلُ[1] عِندَه. أو الشُّجعانُ تَبطلُ[2] شَجاعَتُهُم عِندَ مُلاقاتِه. ووَصْفُهم بها حِينَئذٍ استِهزاءٌ وتَهكُّمٌ. **أبرَهةٍ**: بالصَّرْفِ لِلضَّرُورة، وإلّا فهو غيرُ مُنصَرِفٍ لِلعَلَمِيّةِ والتَّأنيث. وهو صاحِبُ الفيلِ الَّذي جـاءَ يَهدِمُ الكَعبةَ[3]. ومَعنى أبرَهةٍ بالحَبَشِيّةِ أبيضُ الوَجـه. / فأرسَلَ اللهُ عَليهِ وعلى عَسْكَرِهِ ﴿طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ﴾ [26 b] [الفيل: ٣-٤]، فهَرَبَ أبطالُهم يَطلُبُونَ النَّجاةَ سائرَ الجِهات، ولاتَ حِينَ مَهرَبٍ لَهم، بَل تفرَّقَتْ عَليهِم الحِجارةُ وتَرادَفَتْ فلا يُخطِئُ أحَداً مِنهُم،

---

(١) س: يبطل.

(٢) س: يبطل.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١/ ٤٤، ٦٣، ٣٠٥.

وكانَ الحَجَرُ لا يُصِيبُ شَيئاً إلّا هَشَّمَه، وما وقَعَ على رَجُلٍ إلّا خَرَجَ مِنَ الجانِبِ الثّاني، وإنْ وقَعَ/ على رَأسِهِ خَرَجَ مِن دُبُره. قِيل: كانَ إذا غاصَ في [١٣٥ ب] دِماغ الرَّجُلِ ذَهَبَ مِنهُ السَّمْعُ والبَصَر؛ أو في جَوْفِهِ قَطَّعَ أمعاءَهُ، نَعُوذُ باللهِ مِن عَذابِهِ ومَقْتِه.

وأرسَلَ اللهُ على أبرَهةَ داءً في جَسَدِهِ فتساقَطَتْ أنامِلُه، وما ماتَ حَتَّى انشَقَّ صَدْرُهُ عَن قَلْبِه، وفي القَضِيَّةِ[1] طُول، نَشْرُهُ يُخرِجُ[2] عَنِ المَقصُود. وشَبَّهَهُم في هَرَبِهم ثانِياً بقَولِهِ: **أو عَسْكَرٌ بالحَصى**: صِغارٍ مِنَ الحَجَر صلْب. **مِن راحتَيهِ رُمِي**: وهُم الّذين، جاهَدَهُم ﷺ في حُنَين[3] وقَد حَشَدُوا لَهُ، فأخَذَ ﷺ كَفًّا مِن حَصًى فرَمَى بِهِ في وجْهِ ذلكَ الجَمْع، فلَم يَبقَ أحَدٌ مِنهُم إلّا أصابَهُ مِنهُ في عَينَيه، ووَلَّوا هارِبِينَ، وتَبِعَهم المُؤمِنُونَ يَقتلُونَهم ويَأسِرُونَهم.

وتَقدِيرُ البَيْت: كَأَنَّ الشَّياطِينَ حالَ فِرارِهم مِنَ الشُّهُب خَلفَهُم أبطالُ أبرَهةَ حِينَ ولَّوا هارِبِينَ مِن انقِضاضِ الحِجارةِ عَليهِم، **أو كَأَنَّهُم عَسْكَر**: إنْ رُفِعَ عَطفاً على **أبطال**، أو كأَنَّهُم أبطالُ عَسْكَرٍ إنْ جُرَّ عَطفاً على أبرَهة: حِينَ ولَّوا هارِبِينَ مِن رَمْيِ النَّبِيِّ ﷺ بالحَصى مِن راحَتَيه.

وإنَّما بُنِي رُمِي لِلمَفعُولِ تَنبِيهاً على أنَّ الرَّمْيَ وإنْ باشَرَتْهُ كَفّاهُ ﷺ فالرّامِي حَقِيقةً هو اللهُ تَعالى. قالَ تَعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

---

(١) س: القضية.

(٢) ج: ـ.

(٣) وادٍ بين مكة والطائف، شهد الوقعة التي حدثت بين المسلمين والبدو في السنة الثامنة الهجرية (٦٣٠م) بعد فتح مكة، فانهزم المسلمون أولاً ثم عادوا إلى القتال وكان النصر حليفهم وغنموا غنائم وافرة أربت على ٢٤ ألف جمل. (راجع: ابن هشام، السيرة النبوية ٤/ ٨٠-١٢٠؛ المنجد في الأدب والعلوم ١٦٨).

وبَـيَّنَ النّاظِمُ كَيفيَّتَهُ بِقَولِهِ:

[٧١. نَبْذاً بِـهِ بَعْـدَ تَسْـبيْحٍ بِبَطْنِهِمـا   نَبْـذَ المُسَـبِّحِ مِـنْ أَحْشـاءِ مُلْتَقِمِ]

نَبْذاً به: أي يَنبذُ نَبْذاً. أو كانَ نَبْذاً بالحَصى، **بَعدَ تَسْبِيحٍ**: لله تَعالى صادِرٍ مِنها حَقِيقةً. **بِبَطْنِهِما**؛ أيْ: راحَتَيهِ الشَّرِيفتَينِ ﷺ.

ويُسَمَّى هذا عِندَ أهلِ البَدِيعِ بالاستِتْباعِ[1]، وحَقِيقَتُهُ أنْ يُضَمَّنَ كَلامٌ سَبَقَ لمَعنًى آخَرَ كقَولِ ابنِ نباتة[2]:

ولا بُـدَّ لي مِن جَهْلَـةٍ في وِصالِهِ   فمَنْ لِي بِخِـلٍّ أُودِعُ الحِلْمَ عِندَهُ

ضَمَّنَ الغَزَلَ الفَخْرَ بكَونِهِ حَلِيماً، وضَمَّنَ الفَخْرَ بذلكَ تَغيُّـرَ الإخوانِ إذْ ليسَ مِنهُم مَن يَصلُحُ لإيداعِ الحِلْمِ، وفيهِ أنَّهُ لَم يَعزِمْ على تَركِ الحِلْمِ جُملة، إلّا إذا وجَدَ مَن يَرُدُّهُ إليهِ وإنْ/ أودَعَهُ إيّاه. [27 a]

---

(١) هو أن يستتبع المدحَ بشيءٍ، المدحَ بشيءٍ آخر، كقول المتنبي (٣٥٤هـ):

نهبت من الأعمار ما لو حويته   لهنِّئتِ الدُّنيا بأنك خالدُ

قد استتبع مدحه بالشجاعة وكثرة قتلاه، ومدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا حيث جعلها مهناة بخلوده. (انظر: مجدي وهبة ١٨؛ أحمد مطلوب ٦٣-٦٤).

(٢) س: بنانه.

- وابن نباتة هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي الأصل المصري (أبو الفضائل، أبو الفتح، أبو بكر، ابن نباتة) (٦٨٦-٧٦٨هـ/ ١٢٨٧-١٣٦٦م). أديب، ناثر، شاعر، مؤرخ أصله من ميافارقين وولد بالقاهرة في ربيع الأول، ونشأ بها، وسكن الشام، وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود، وتوفي بالقاهرة في ٨ صفر. من تصانيفه: سجع المطوق في التراجم، وديوان شعر، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ومطلع الفوائد في الأدب، وسلوك دول الملوك. (انظر: معجم المؤلفين ١١/ ٢٧٣-٢٧٤؛ الأعلام ٧/ ٣٨؛ المدائح النبوية لزكي مبارك ٢٤٥-٢٦٥).

وبَيانُهُ في كَلامِ المُصَنِّفِ أَنَّهُ في قَصْدِ تَشْبِيهِ الجِنِّ بالعَسكرينِ واستَتْبَعَ ذِكْرَ مُعجزةِ حُنَينٍ بمُعجِزةٍ أُخرى هي تَسبِيحُ الحَصى بكَفِّهِ ﷺ ومِن هُنا كانَ في قَولِهِ: نَبْذاً، استِتْباع. وهو المَدْحُ بِشَيءٍ على وجْهٍ يَستَتبِعُ المَدْحَ بآخَر. وأشارَ ما جاءَ عَن أنَسٍ قال: «أخَذَ رَسُولُ الله ﷺ كَفًّا مِن حَصًى فسَبَّحْنَ في يَدِهِ، ثُمَّ صَبَّهُنَّ في يَدِ أبي بَكْرٍ[1]، فسَبَّحْنَ. ثُمَّ في أيدِينا فما سَبَّحْنَ»[2].

[١٣٦ أ] وظاهِرُ عِبارةِ النَّظم/ أنَّ الأحجارَ الَّتي رَمَى بها القَوْمَ هي الَّتي سَبَّحَتْ في يَدِهِ وجَرى على ذلكَ العضدُ إلّا أنَّهُ لَم يُسنِدْهُ إلى مَخرج. قالَ في الأصل: ويُحتَمَلُ أنَّ النّاظِمَ اطَّلعَ على أنّها سَبَّحَت ثَمّة، فإنْ كانَ فلا إشكالَ وإلّا حُمِلَ

(١) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشيّ، أبو بكر (٥١ ق. هـ ـ ١٣هـ/ ٥٧٣-٦٣٤هـ) أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد عظماء العرب. ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة (١١هـ)، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة. وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق، واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح والعلاء بن الخضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة. وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة. له في كتب الحديث ١٤٣ حديثاً، قيل: كان لقبه «الصديق» في الجاهلية وقيل: في الإسلام لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء. وأخباره كثيرة، أفرد لها صاحب «أشهر مشاهير الإسلام» نحو مئة وخمسين صفحة. وأتى إبراهيم العبيدي في «عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق ـ ط» على كثير منها، ومما كتب في سيرته: «أبو بكر الصديق ـ ط» لمحمد حسين هيكل، و«أبو بكر الصديق ـ ط» للشيخ علي الطنطاوي. (الأعلام ٤/ ١٠٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، كما في شرح الشفاء لعليّ القاري ١/ ٦٢٧.

قَوْلُهُ بَعد على تَرتِيبِ الإخبار، كَما قالَ النُّحاةُ في «ثُمَّ» في قَولِهِ: «إنَّ مَن سادَ ثُمَّ سادَ أَبُوه». ومَعنى كَلامِهِ الإخبارُ بخَرْقِ العادةِ في كَوْنِ حَصَى الكَفَّينِ أحاطَ الجَمْعَ العَظِيم. ثُمَّ كَأَنَّهُ يَقُول: وهذا الإخبارُ الغَرِيبُ بَعد إخبارِي[١] عَن[٢] غَريب [آخَرَ خارِقٌ لَها][٣] لا تَسبِيح الحَصى في كَفِّهِ، واللهُ أعلَم.

والتَّسْبِيحُ: التَّنزِيه، وتَسبِيحُ الحَصى إنطاقُهُ بِهِ، وتَنوِينُهُ عِوَضٌ عَنِ المُضافِ إليهِ. قالَهُ العضد. وفيهِ نَظَر. بَل هو لِلتَّمْكِين. وضَمِيرُ التَّثنِيةِ لِلرّاحَتَين. والباءُ لِلظَّرفيَّةِ، مُتَعلِّقةٌ بـ تَسبِيح. نَبْذَ مَفعُولٌ مُطلَقٌ بحَذْفِ أداةِ التَّشْبِيه. وهو وحَرْفُ التَّشْبِيهِ المُقَدَّر صِفةُ نَبْذ الأوَّل. المُسَبِّح: يُونُسُ عَليهِ السَّلام. مِن أحشاء: جَمع حَشا: ما اشتَمَلَتْ عليهِ الضُّلُوع. والظَّرْفُ مُتَعلِّقٌ بـ نَبْذ. مُلتَقِم: وهو الحُوتُ لأنَّ يُونُسَ نُبِذَ مِن أحشاءِ الحُوتِ مِن قَعْرِ البَحْرِ سالِماً لَم تَطبُخْهُ حَرارةُ مَعِدةِ الحُوْت بَعد إقامةٍ في أحشائِهِ مُدَّةً يُطبخ[٤] فيها مَعِدة الحُوتِ ما يَحصُلُ فيها مِمّا هو أعظَم، وأكثَفَ مِنهُ[٥]. وهذا نَظِيرُ عُمُومِ قِلّةِ الحَصى لِلعَدَدِ الكَثِير. إذِ الكُلُّ مِن قُدرَتِهِ تَعالى، ولا استِبْعادَ في تَسخِيرِ الجَماداتِ لهُ مِنَ الحَصى وغَيرِه.

* * *

---

(١) س: إخبار.

(٢) ج: -.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «س».

(٤) ج: تطبخ.

(٥) ج: مما هو أكثف وزاد في الهامش: «أعظم».

[الفَصْل الخامس]

[في دعوة الرَّسُول الأكرم عليه الصَّلاة والسَّلام]

[٧٢. جاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأشْجارُ ساجِدةً تَمْشِي إلَيْهِ على ساقٍ بِلا قَدَمِ]

فقَد **جاءَتْ لِدَعوَتِهِ الأشجار**: حالَ كَونِها **ساجِدةً**؛ أيْ: خاضِعةً حِينَ دَعاها لِحاجةٍ بِها، ولِدُعائِهِ إيّاها إلى الإيمانِ بِه[1]. قالَ الرّاغِب: «المَجِيءُ: الإتيانُ إلّا أنَّهُ مَجِيءٌ بسُهولةٍ[2]. **واللّامُ** لِلتَّعليلِ. والدَّعوةُ مَصْدَرٌ، مُضافٌ لِفاعِلِه. والضَّميرُ يَعُودُ لِلنَّبيِّ ﷺ. **والأشجار**: ما نَبتَ لهُ ساق. وقَد تَنازَعَ قَولَهُ في **الأشجارِ** كُلٌّ مِنْ **جاءَ** ودَعْوة. وال فيهما لِلجِنْس، أو لِلعَهدِ. إذ لَم يَجِئْ جَمِيعُ الشَّجَرِ لَـه، على أنَّهُ لو أُرِيدَ العُمُومُ لَكانَ/ لهُ وجه. إذِ المُسَخِّرُ [27 b] لهُ ذلكَ قادِرٌ على تَسخِيرِ غَيرِهِ لهُ لاستِواءِ الكُلِّ في عَدَمِ الإدراكِ وفي الانفِعالِ لِلقُدْرة. وقَدَّمَ الظَّرْفَ على الفاعِلِ لاقتِرانِ العِلّةِ بالمَعلُولِ لَفظاً، كَما اقتَرنا حَقِيقةً مَع أنَّ فيهِ تَخييلَ أنَّ المَدعُوَّ بمُجَرَّدِ الفَهْمِ أنَّهُ أرادَ طَلَبها تَبادَرَتْ لِلامتِثالِ قَبلَ دَعوَتِهِ. **تَمشِي**: حالٌ مِن ضَمِيرِ **ساجِدة**، فتكُونُ مُتداخِلةً أو مِن **الأشجار**، فتكُونُ مُترادِفة، وجِيءَ بهِ بِصيغةِ المُضارِع حِكايةً لِلحالِ الماضِيةِ ولِـمُناسبةِ المَشْيِ الَّذي هو الانتِقالُ مِن مَكانٍ إلى آخَرَ على سَبيلِ التَّدرِيجِ لِلأزمِنةِ المُتجَدِّدة. والسُّجُودُ ليسَ كذلكَ، بل هو دَفعِيُّ الوُجودِ

---

(١) ج: ـ.

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ١٠٣.

مُمكِنُ/ الثُّبُوتِ والبَقاء، يُناسِبُ التَّعبيرَ عَنه بالاسْم. وتَنازَعَ **الظَّرْفَ والدَّعوةَ** [١٣٦ ب] **وساجِدةً** قَولُه: **إليهِ**. وقَولُه: **على ساقٍ**، مُتَعلِّقٌ بـ **جاءَت** أو **بتَمْشِي**. **بلا قَدَمٍ** تُعينها على المَشْي؛ بل هو خَرْقٌ لِلعادةِ وتَأييدٌ إلهيٌّ لا يَكُونُ إلّا لِمثلِهِ ﷺ.

وإطلاقُ السُّجودِ على الخُضُوع: قِيل: حَقِيقة؛ لأنَّهُ مُشترَك، وقِيل: مَجازٌ مِن الاستِعارة، عَلاقَتُهُ التَّشْبيه. وبَينَ **ساجِدة** و**تَمشِي** طِباق.

وأكَّدَ اعتِدالَها في مَشْيِها القَوِيمِ بِقَولِهِ:

[٧٣. كَأنَّما سَطَرَتْ سَطْراً لِما كَتَبَتْ فُرُوعُها مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ في اللَّقَمِ]

كَأنَّما سَطَرَت: بمَشْيِها إليهِ ﷺ، أو لِسُجودِها في الأرض. **سَطْراً لِما كَتَبَتْ فُرُوعُها**: فاعِلُ كَتَب. **مِن بَدِيعِ الخَطِّ في اللَّقَم** [بفَتحِ اللّامِ والقافِ][1] وسطِ الطَّريق؛ أيْ: كَأنَّما سَطَرَتْ فُروعُ تلكَ الأشجارِ حِينَ جاءَتْهُ سَطراً مِن بَديعِ الخَطِّ؛ أيْ: مِنَ الخَطِّ المُبدع. هي إمّا لِحُسنِهِ تَتميماً لِلاستِعارة، أو لأنَّهُ خَطٌّ لا يُعهَدُ مِثلُهُ مِن مِثْلِها. وجُملةُ **كَأنَّما سَطَرَتْ** حالٌ مِنَ **الأشجارِ** أو مُستأنَفة.

والجَمْعُ بينَ الكِتابةِ والسَّطْر والخَطِّ مُراعاةُ النَّظِير. وإسنادُ الكِتابةِ إلى «فُروع» مِنَ المَجازِ العَقْلِيّ. ويَجُوزُ أنْ يُعتَبَرَ في الأشْجارِ أو الفُروعِ استِعارةٌ مَكنِيّة قَرِينَتُها الكِتابة. وإثباتُ **سَطَرَتْ** تَرشِيح. ولَعلَّ الشَّجَرَ حالَ إجابَتِهِ جاءَ واضِعاً أغصانَهُ على الأرْضِ إظهاراً لِغايةِ الخُشُوع؛ فلِذا حَصَلَ أثَرُ مُرورِ الأغصانِ والفُروعِ على الأرض. وقَولُه: **في اللَّقَم** تَتْمِيم؛ أيْ: لَم تَنحَرِفْ بما كَتَبَتْهُ عَن وسطِ الطَّرِيق. شَبَّهَ تلكَ الآثارَ بكِتابةٍ أوقَعها على نِسبةٍ مَعلُومةٍ في أسطُرٍ مَنظُومة، وأشارَ بِهِ إلى حَدِيثِ ابنِ عُمَر. وفيهِ قَولُه: ﷺ لِلأعرابِيِّ/ الَّذي [28 a]

(١) ما بين القوسين ساقط من «س».

دَعاهُ لِلإيمان، لَـمّا قال: «مَن يَشهَدُ لكَ على ما تَقولُ؟» قال: «هَذهِ الشَّجَرةُ السَّمُرةُ وهي بشاطِئِ الوادِي، فادعُها فإنَّها تُجِيبُكَ»[١]. فدَعاها فأقبَلَتْ تَخدُّ الأرضَ حَتَّى قامَت. فاستَشْهَدَها، فشَهِدَتْ أنَّـهُ كَما قال. «ثُمَّ رَجَعَتْ إلى مَكانِها»[٢] وعِندَ ابنِ مَسعُودٍ مِثلُهُ لَكِن مَعَ الجِنّ. ويَنبغي لِـمَنْ عَقَلَ سُجودَ الأشجارِ لامتِثالِ أمرِهِ ﷺ أنْ لا يَغفُلَ عَن سُجُودِهِ لَديهِ لِيَنتَظِمَ في حِزْبِه، فإنَّ السُّجودَ مَكانُهُ مِنَ الدِّينِ عَظِيم. ولِذا قالَ ﷺ لِـمَنْ سَألَهُ مُرافَقَتَهُ في الجَنّة: «أعِنِّي على نَفْسِكَ بِكَثْرةِ السُّجُود»[٣]، فيَنبغِي لِلخائِفِ مِن رَبِّهِ تَعالى أنْ يُبادِرَ لامتِثالِ ما دَعاهُ إليهِ رَسُولُ الله ﷺ فيُلازِمَ السُّجُودَ ويَقُومَ على ساقِ العُبودِيّة، وإنْ لَم يَكُنْ لهُ قَدَمٌ كَما قامَت كذلكَ الشَّجَرة.

[٧٤. مِثْلَ الغَمامـةِ أنّى سـارَ سـائِرَةٌ   تَقِيـهِ حَرَّ وطِيسٍ لِلهَجِيرِ حَمِـي]

وهذهِ الآيةُ مِثْلَ آيةِ الغَمامة، وقَرَنَهُما لأنَّ الأشجارَ مِنَ الأرضِ والغَمامَ مِنَ/ السَّماءِ؛ أيْ: إطاعَتُهما وما فيهِما أنّى سارَ سائِرَةٌ: بالرَّفع، خَبَر مُبتَدأ مَحذُوف هو هِي. والجُملةُ مُستأنَفَةٌ لِبَيانِ حالِ الغَمام؛ وبالنَّصبِ حالٌ مِنَ الغَمام، لِكَونِها مَفعُولاً بِهِ في المَعنى؛ وبالجَرِّ صِفةُ الغَمام، ووُصِفَتْ بذلكَ؛ لأنَّ المُعرَّفَ بلامِ الجِنْسِ نكرة، فوَصْفُهُ بالنَّكِرةِ جائِز. وقَد أعرَبَ الكرمانِيُّ[٤] [١٣٧ أ]

---

(١) س: يجيبك.

(٢) أخرجه الدارمي والبيهقي والبزار، كما في شرح الشفاء لعلي القاري ١/ ٦١٥.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة ٢٢٥؛ وأبو داود في التطوع ٢٢؛ والنسائي ٧٩.

(٤) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني، ثم البغدادي (شمس الدين) (٧١٧-٧٨٦هـ/ ١٣١٧-١٣٨٤م). فقيه، أصولي، محدث، مفسر، متكلم، نحوي، بياني. ولد في ١٦ جمادى الآخرة وتوفي بطريق الحج في ١٦ المحرم، فنقل إلى بغداد. من تصانيفه: شرح الفوائد الغياثية في المعاني والبيان وسماه تحقيق الكواكب الدراري في شرح =

«غير» في قَولِهِ ﷺ في حَدِيثِ وفْدِ عَبدِ القَيْس: **«مَرحَباً بالوَفْدِ غَيرِ خَزايا»**[1]، بجَرِّ «غَير» على أنَّهُ صِفةُ «الوَفْد»؛ لأنَّ «ال» فيهِ جِنْسيّة. والسَّيْرُ المَشْيُ والمُضِيُّ في الأرض. فـ سارَ: إسنادُهُ حَقِيقة. **وسائِرة**: إسنادُهُ مِنَ المَجازِ العَقْلِيّ. **تَقِيهِ**: تَحفَظُهُ بتَظْلِيلِها. **حَرَّ وطِيسٍ**: تَنُّور. **لِلهَجِيرِ حَمِي**: بِسُكُونِ الياءِ وأصلُها الفَتْحُ فِعلٌ ماضٍ. ويَجُوزُ كَونُهُ اسمَ فاعِل، فيَكُونُ نَعتاً لِلهَجِير؛ لأنَّ ال فيهِ جِنْسيّة. وفاعِلُهُ يَعودُ لِلوَطِيس، واللّامُ لِلاختِصاصِ، أو التَّوقِيتِ. وفي نُسْخةٍ: **بالهَجِيرِ** بالباءِ الظَّرْفيّةِ بَدَلَ اللّام.

وجُملةُ **حَمي** في مَحَلِّ الحالِ بتَقدِيرِ «قَد»؛ أو في مَحَلِّ الصِّفةِ لـ **لوطِيس**. **ولِلهَجِير**: مُتعلِّقٌ بـ **حَمِي**. ومَحَلّ جُملةِ **تَقِيهِ** الرَّفعُ، خَبر مُبتَدأ مَحذُوفٍ هو هي! أو الجَرُّ صِفةٌ لـ **الغَمامة**، أو النَّصْبُ على الحالِ المُتداخِلة، أو المُترادِفة. ويُحتَمَلُ الاستِئنافُ البَيانِيُّ. وكَما سُخِّرَتْ لهُ[2] ﷺ الجَماداتُ الأرضِيّةُ مِنَ الأشجارِ وما فوقَ ذلكَ مِنَ السَّحابِ سُخِّرَ لَهُ الجَماداتُ السَّماوِيّةُ العُلوِيّة، فانشَقَّ لهُ القَمَر. كَما قال:

[٧٥. أقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسبةٌ مَبْرُورَةَ القَسَمِ]

[28 b] / **أقسَمْتُ**: جُملةٌ خَبَريّة لَفظاً، إنشائِيّةٌ مَعنًى؛ أيْ: حَلَفْتُ. **بالقَمَرِ المُنْشَقِّ**: لَهُ ﷺ آية. وهي اسمُ مَفعُولٍ مِن «شَقَقْتُهُ فانشَقَّ»: إذا قَسَمْتُه. وأتى بفِعْلِ القَسَمِ بصِيغةِ الماضِي إيماءً إلى تَحقيقِ وُقوعِ الأمرِ وأنَّ اعتِقادَهُ مَطويٌّ عليهِ مُذ عَقَل.

= صحيح البخاري، وحاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي في التفسير في أربع مجلدات، ورسالة في مسألة الكحل، وشرح المواقف للإيجي في علم الكلام. (معجم المؤلفين ١٢/ ١٢٩).

(١) أخرجه البخاري في أخبار الآحاد ٥؛ ومسلم في الإيمان ٦.

(٢) س: ـ.

وأشارَ بِهِ إلى ما جاءَ عَن أنسٍ وابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُم: «أنَّ أهلَ مَكّةَ سَألُوا رَسُولَ الله ﷺ آيةً فأراهُم انشِقاقَ القَمَرِ»[١]. وجاءَ ذلكَ مِن حَدِيثِ ابنِ مَسعُودٍ أيضاً. وأنزلَ الله تَعالى في ذلكَ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] الآيات.

وسُمِّيَ قَمَراً لِبَياضِه، أو لاستِنارَتِهِ[٢]، أو لِقمرةِ الأعيُنِ؛ أيْ: غَلبته عَليها بِنُورِهِ، ويُسَمَّى بذلكَ بَعدَ ثَلاثِ لَيالٍ إلى آخِرِ الشَّهرِ وفي «لُبابِ التَّفاسِير»[٣]: إنَّ سِعةَ القَمَرِ ألفُ فرسَخٍ في مِثْلها. وزَعَمَ أهلُ الهَيئةِ أنَّهُ ليسَ في سماءِ الدُّنيا مِنَ الكَواكِبِ السَّيّارةِ سِوى القَمَر.

ثُمَّ يُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ القَسَمُ بالقَمَرِ نَفْسِهِ على عادةِ الأُدباءِ[٤]، أو باعتِبارِ أنَّهُ مِن مُعجزاتِهِ ﷺ فإنَّهُ على تَقديرِ مُضافٍ؛ أيْ: برَبِّ القَمَر. وجَوابُهُ مُحتمِلٌ لِكَونِ[٥] قوله: بَعد أبياتٍ «ما سامَنِي الدَّهْر إلى آخِرِ البَيْتين. وما بَينَهُما/ اعتِراضٌ [١٣٧ ب] بجُمَلٍ مُتعَدِّدةٍ، ولِكَونِ[٦] قولِه: إنَّ لَهُ: لِلقَمَر. وعَليهِ فـ إنَّ: بالكَسر. وعلى الأوَّلِ فيَجُوزُ فيها الفَتْح، بتَقديرِ على الجارّة، فيَكُونُ مُقسَماً عَليه. ولَـه خَبَرٌ مُقَدَّم. مِنْ قَلبه: مُتعلِّقٌ بقَولِهِ نِسبة: وهو اسمُ إنَّ. ومِن: ابتِدائِيّة. والنِّسبةُ: المُشابَهةُ والمُشاكَلة. مَبرُورة: مَصدُوقة. ثُمَّ هو نَعتُ نِسبة. وقِيل: خَبَرُ مُبتَدأ مَحذُوف؛ أيْ: يَمِينٌ مَبرورةُ القَسَم. وقِيل: صِفةُ مَوصُوف مَحذُوفٍ. وعامِلُهُ أقسَمْتُ؛

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة القمر ١، ومسلم في المنافقين ٤٦.

(٢) س: لاستنار به.

(٣) للشيخ الإمام برهان الدين تاج القراء. (كشف الظنون ٢/ ١٥٤١).

(٤) س: الآباء.

(٥) س: لكونه.

(٦) ج، س: ولكونه.

أيْ: يَميناً مَبرُورة. فيَكُونُ مَنصُوباً. وحُذِفَ المَوصُوفُ لاختِصاصِ الصِّفةِ بـهِ **القَسَم**: بِفَتحِ القافِ والسِّينِ؛ أيْ: الحَلْف. ومِنهُ «يَمِينٌ بارّةٌ»؛ أيْ: صادِقة.

ونِسبةُ القَمَرِ مِن قَلبِهِ ﷺ أنَّ قَلبَهُ الشَّرِيفَ إنّما شُقَّ لتتمكَّنَ فيهِ مَعارِفُ النُّبوّةِ وصِفاتُها. ثُمَّ يَظهَر لِلنّاسِ بَعد. وكذا القَمَرُ شُقَّ لِيُظهِرَ النُّبوّةَ ويَتقَرَّرَ لِلمَكَلَّفين. وأيضاً فالقَمَرُ نُورُهُ يَتلألأ، وقَلبُهُ ﷺ أنوَرُ مِنهُ؛ ولِذا جَعَلَ النّاظِمُ النِّسبةَ لِلقَمَرِ مِن قَلبه، لا بالعَكْس. قالَ[1] في الأصل: وكذا شُقَّ القَمَرُ مَرَّتَينِ، وقَلبُهُ شُقَّ كذلكَ مَرّةً في صِباهُ لاستِخراجِ حَظِّ الشَّيطانِ مِنهُ شِبْهِ العَلَقةِ السَّوْداء، ومَرّةً عِندَ الإسراءِ بِهِ لِلوَحْي.

[29 a] قُلتُ لَم يُشَقَّ القَمَرُ إلّا مَرّةً واحِدةً. ورِوايةُ مَرَّتَينِ/ باعتِبارِ تَعدُّدِ جَرْيِ القَمَرِ عِندَ الشَّقِّ، وأمّا قَلبُهُ الشَّرِيفُ فشُرِحَ أربَعَ مَرّاتٍ بَل خَمْساً كَما بَيَّنْتُ ذلكَ في كِتاب «شَرْحِ صَدْرِ إخوانِ ذَوِي الصَّفا بِبَيانِ مَعرفةِ مَرّاتِ شَرْحِ صَدْرِ المُصطَفَى وما في كُلٍّ مِنَ الحِكَمِ والاصطِفا»، وكَما سُخِّرَتْ لهُ الجَماداتُ العُلويّةُ والسُّفليّة، كَما ذُكِرَ، سُخِّرَ لهُ الحَيواناتُ؛ فسُخِّرَ لهُ العَنكبُوتُ والحَمام، وهو لِكَونِهِ مُسَخَّراً في جَوِّ السَّماءِ كالأشياءِ بَينَ السَّماءِ والأرض. ويَلحَقُ بِهِ العَنْكَبُوتُ. فإنَّ غالِبَ سُكناهُ السَّقْفُ وما أشبَهَها. وقَد أشارَ لِذلكَ بِقَولِهِ:

[٧٦. وما حَوَى الغارُ مِنْ خَيرٍ ومِنْ كَرَمٍ   وكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفّارِ عَنْهُ عَمِي]

وما؛ أيْ: أقسَمْتُ بما **حَوى**: حازَ وجَمَع. **الغارُ**: الّذي هو كالكَهْفِ بِجَبَلِ ثَورٍ أسفَلَ مَكّةَ. وعائِدُ ما مَحذُوف. **واللّامُ في الغارِ** لِلعَهدِ. وما حَواهُ هو النَّبيُّ ﷺ وصَدِيقُهُ وصِدِّيقُهُ رَضِيَ اللهُ عَنهُ **مِن خَيرٍ**: بكَسْرِ المُعجَمةِ وسُكونِ التَّحتيّةِ الكَرَم، كَما قالَ الجَوهَرِيُّ. أو كَرَمُ النَّفْس. وعلى كُلٍّ ففيهِ تكرارٌ مَع

---

(١) ج: وال.

قَولِهِ ومِن كَرَم، إلّا أنَّ تَفسِيرَ خَيْر: بالأخْلاقِ الحَمِيدة وكَرَم: بالجُودِ فيَتغايَرانِ على الثّاني تَغايُرَ الأعَمِّ والأخَصِّ.

وفي جَعْلِ ذاتِهِ نَفْسَ الخَيْرِ والكَرَمِ مُبالَغة. وقِيلَ بِفَتحِ الخاءِ ضِدَّ الشَّرّ. وعَبَّرَ بـ ما، وهي لِغَيرِ العالم؛ لأنَّهُ لَـمّا جَعَلَهُ عِبارةً عَنِ الخَيرِ والكَرَمِ بدَلالةِ ما البَيانِيَّةِ صَحَّ ذلكَ باعتِبارِ الظّاهِر. وإنْ كانَ المَقصُودُ حَقِيقةً صاحِبهما[1]، مَع أنَّ لَفظَ ما قَد يُستَعمَلُ لِذَوي العِلْم، كَما في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥].

[١٣٨ أ] ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ مِن خَيرٍ ومِن كَرَم: مِن صِفاتِهِ صَلَّى اللهُ/ عَليهِ وسَلَّمَ وصِفاتِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. وتَكُون[2] ما واقِعةً على صِفاتِ مَن يَعقِلُ، مِثلُها في قَولِهِ تَعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]؛ أيْ: الطَّيِّب.

ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ الأوَّلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لأنَّ الخَيْرَ الَّذي هو كَرَمُ النَّفْسِ يَعُمُّ جَمِيعَ الصِّفاتِ الحَمِيدة. وكذا الخيرُ ضِدَّ الشَّرّ. والثّاني لأبي بَكرٍ؛ لأنَّهُ خَصَّصَهُ بالكَرَمِ وهو أظهَرُ في الجُودِ ووَصَفَهُ بِهِ؛ لأنَّهُ آثَرَ الرَّسُولَ بنَفْسِهِ ومالِهِ، ومِنهُ أنَّهما لَـمّا أتَيا الغارَ تَقدَّمَ أبو بَكرٍ في الدُّخُولِ مَخافةَ أنْ يَكُونَ فيهِ ما يُؤذِي النَّبِيَّ ﷺ فيَتلقّاهُ بِنَفْسِهِ، فلَم يَرَ شَيئاً فحَمَلَهُ وأدخَلَهُ الغارَ. وكانَ فيهِ خَرْقٌ فيهِ حَيّاتٌ وأفاعٍ[3] فخَشِيَ أبو بَكرٍ أنْ يَخرُجَ مِنهُ شَيْءٌ يُؤذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ [29 b] فألقَمَهُ قَدَمَهُ. فجَعَلَتِ الحَيّاتُ والأفاعِي/ يَضرِبْنَهُ ويَلسَعْنَهُ[4]. فجَعَلَتْ دُمُوعُهُ

---

(١) س: صاحبهما.

(٢) س: يكون.

(٣) س: أفاعي: ج: أفاعى.

(٤) ج: تضربنه وتلسعنه.

تَنحدِرُ[١] ورَسُولُ الله ﷺ يَقُول: يا أبا بَكْرٍ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠][٢]. وفي رِواية: فتَفَلَ عليهِ رَسُولُ الله ﷺ فذَهَبَ ما يَجِدُه. ثُمَّ انتَقضَ عَليهِ فكانَ سَبَبَ مَوتِه. ومَعنى قَولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ أيْ: بالنَّصْر[٣] والإعانة. وليسَ في قَولِهِ ﷺ لأبي بَكْرٍ «لا تَحزَن» غَضٌّ مِن أبي بَكْرٍ ولا ذَمٌّ له. فقَد قالَ اللهُ تَعالى مثلَ ذلكَ لأنبيائِهِ كقَولِ المَلائكة: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت: ٣٣] وقَولِهم لِلمُؤمِنينَ: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقَد أطالَ في بَيانِ ذلكَ السُّهَيليُّ في «رَوْضِه»[٤].

وكُلُّ طَرْفٍ؛ أيْ: نَظَرٍ عَبَّرَ بِهِ عَنهُ مَجازاً مُرسَلاً لِلُزومِ تَحريكِ الجَفْنِ الَّذي هو مَعناهُ أصالة لِلنَّظَر[٥]. والواوُ لِلحال. **مِن**: ابتِدائِيّة **الكُفّار**: **الظَّرْفُ** صِفةُ **طَرْف**. **عَنهُ** ﷺ **عَمِي** فلَم يُبصِرُوهُ مَع قُربِهِم مِنهُ[٦].

والجُملةُ الفِعلِيّة خَبَرُ كُلّ، والجُملةُ الاسمِيّةُ في مَحَلِّ الحال.

[٧٧. فالصِّدْقُ في الغارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا ... وَهُمْ يَقُولُونَ ما بالغارِ مِنْ أرَمِ]

فالصّدق: الفاءُ فيهِ لِلسَّبَبِيّةِ، مُطابقةُ القَولِ لِلواقِع. والمُرادُ النَّبيّ ﷺ فارتَقى النّاظِمُ ذروة البَلاغة؛ إذْ[٧] حَمَلَ عليهِ نَفْسَ الصِّدْقِ وجَعَلَهُ عَينَهُ[٨]

---

(١) س: ينحدر.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٣٠.

(٣) ج: بالبصر.

(٤) انظر: الروض الأنف للسهيلي ٢/ ٥٢.

(٥) ج: النظر.

(٦) ج: فلم تبصرها مع قربهم منه.

(٧) س: أو.

(٨) س: وجعل عينيه.

مُبالَغةً، كَأنَّهُ العِلْمُ فيه. وهذا أحسَـنُ مِن جَعْلِهِ على تَقدِيرِ مُضافٍ؛ أي: ذُو الصِّدْقِ **في الغار**. وأبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مَعهُ فيـه. **والصِّدِّيقُ** صِيغةُ مُبالَغـةٍ مِنَ الصِّدْق. قِيل: هو مَن لَم يُكَذِّبْ أبداً. وقِيل: مَن لا يَتأتَّى مِنهُ الكَذِبُ لاعتِيادِهِ الصِّدْقَ. **لَم يَرِما** بِفَتحٍ فكَسْرٍ؛ أيْ: لَم يَبرَحا مِنهُ لَيلاً. وقيل: لَم يَغضَبا مِمّا أصابَهُما؛ لأنَّهُ بقَضاءِ الله وقَدَرِه. ذلكَ مِن تَمكُّنِهما وصِدْقِ يَقِينِهما. وفي نُسْخةٍ «لَم يُريا» بصيغةِ المَجهُول مِنَ الرُّؤيةِ بالعَين. والجُملةُ في مَحَلِّ الحالِ مِنَ الضَّميرِ المُستَقِرِّ في الخَبَـر. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ الخَبَـرُ الجُملةَ والظَّرْف صِفةُ الصِّدْق، أوحالٌ مِن/ ضَمِير **يَرِما**. **وهم يَقُولون**؛ أيْ: وحالُ الكُفّارِ حِينَ [١٣٨ ب] نَظَرِهم إليهِ، وهُم فيه. قَولُهم: **ما بالغارِ مِن أرَم** بِفَتحِ الهَمْزةِ والرّاءِ؛ أي: أحَد. والباءُ بمَعنى «في». ومِن مَزِيدةٌ لِتأكِيدِ النَّفْي. والجُملةُ المَنفيّةُ مَقولُ القَول. وجُملةُ هُم يَقُولونَ في مَحَلٍّ مِن فاعِلِ **يُريا** أو **يَرِما**. وتَقدِيمُ **هُم** لتُقوِّي الحُكْمَ وتَأكِيدِ النِّسْبة. والإخبارُ عَنهُ بالمُضارعِ لإرادةِ حِكايةِ الحالِ الماضِية.

[٧٨. ظَنُّوا الحَمامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ على خَيْـرِ البَرِيَّـةِ لَمْ تَنْسُجْ ولَـمْ تَحُمِ]

ظَنُّوا: مِنَ الظَّنِّ:/ الذِّكْرِ النَّفْسِيِّ الَّذي يحتَملُ مُتعلِّقهُ النَّقِيضَ احتِمالاً [30 a] مَرجُوحاً؛ أيْ: ظَـنَّ الكُفّارُ لإعمـاءِ الله بَصائِرَهُم وأبصارَهُم [مَع صِحّةِ نَظَرِهم][(١)]. **الحَمام** بِفَتحِ أوَّلِهِ هو عِندَ العَرَبِ ذَواتُ الأطواقِ مِن نَحْوِ الفاخِتِ والقمريّ. يُطلَـقُ على الذَّكَرِ والأُنثى. ودُخُولُ الهاءِ في نَحْو «حَمامة» لِلدَّلالةِ علـى أنَّهُ واحِـدٌ مِن جِنسٍ لا لِلتَّأنيث. قالَهُ الجَوهَرِيُّ. **وظَنُّوا العَنكَبُوت**: النّاسِجةَ **على خَيرِ البَرِيّةِ**: نَبِيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ والظَّرْفُ مُتَعلِّقٌ بقَولِهِ: **لَم تَنسُجْ** بِفَتحِ التّاءِ وضَمِّ السِّينِ وكَسْرِها ويُقَدَّرُ مِثلُهُ لِقَولِه: **ولَم تَحُم**. وتَقدِيمُ النَّسْجِ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ج».

اهتِماماً بِبَيانِهِ، وظَنُّهم ذلكَ لِما عُلِمَ مِن تَوحُّشِ هَذينِ الحَيْوانَينِ وأَنَّهما لا يَألفانِ مَعمُوراً، فإن هُما أحسّا بِإنسانٍ(١) فرّا مِنهُ.

ثُمَّ في البَيْتِ لَفٌّ ونَشْرٌ غيرُ مُرتَّبٍ، إذِ النَّسْجُ لِلعَنكَبُوتِ والحَوْمُ لِلحَمام، والظَّنُّ مِنهُم ليسَ في أصلِ النَّسْجِ والحَوْمِ لِمشاهَدتِهم لَهما عِياناً. إنَّما هو يُقَيِّدُ كَونَهُ [على النَّبيِّ](٢) ﷺ. وتَكرارُ ظَنُّوا إشعاراً بأنَّ كُلاً مِنهُما أمرٌ مُستَقِلٌّ في إفادةِ ظَنِّ الكُفّارِ أنَّهُ ﷺ ليسَ في الغار، لا أنَّهُما مَعاً مُفيدانِ ذلكَ. فالظَّنّانِ في زَمانَين. أحَدِهما قبلَ الآخَرِ فلِذا كَرَّرَ لَفْظَ ظَنُّوا. وفي ذِكْرِ نَسِيجِ العَناكِبِ دَلالةٌ على غايةِ قُربِهم مِنَ الغار. إذْ لا يُرى نَسجُها إلّا حِينَئذٍ. ومَع ذلكَ فما أبصَرُوهُ وأشارَ بِهِ إلى ما جاءَ بِهِ مِن أنَّ اللهَ تَعالى أنبَتَ في وجْهِ الغارِ شَجَرةً وأمَرَ حَمامَتَينِ وحشِيَّتَينِ فوَقَعَتا على فمِ الغار، والعَنكَبُوتَ فنَسَجَ على الشَّجَرة، فأتى المُشرِكُونَ ودَنَوْا حَتَّى كانُوا على قَدْرِ أربَعِينَ ذِراعاً، تَقَدَّمَ واحِدٌ مِنهُم، فرَأى حَمامَتَينِ على فمِ الغار، فقالَ لأصحابِهِ: ليسَ في الغارِ شَيْء، رَأيتُ على فمِهِ حَمامَتَين، فعَرَفتُ أنْ لا أحَد. فقالَ بَعضُهُم: ادخُلُوا الغارَ. فقالَ أُمَيّةُ ابنُ خَلَف(٣): «وما أراكُم(٤) إليهِ إنَّ فيهِ لَعَنكَبُوتاً أقدَمَ مِن مِيلادِ مُحمَّدٍ» ﷺ.

وقَصَرَ النّاظِمُ الذِّكْرَ عليهِ ﷺ مَع أنَّ الصِّدِّيقَ مَعَه؛ لأنَّ المُعجِزةَ خاصّةٌ بِهِ ﷺ، وهذا الأمرُ الّذي ذَكَرَه:

---

(١) س: إحسان.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «س».

(٣) هو أمية بن خلف بن وهب (... ـ ٢هـ/ ... ـ ٦٢٤م)، من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم، أدرك الإسلام، ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداية ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله، فقتلوه. (الأعلام ٢/ ٢٢).

(٤) س: أريكم.

[٧٩. وِقايـةُ الله أغْنَـتْ عَـنْ مُضاعَفةٍ مِـنَ الـدُّرُوعِ وعَنْ عـالٍ مِـنَ الأُطُمِ]

[١٣٩ أ] **وِقايةُ الله**: حِفْظُهُ وصِيانَتُهُ لهُ عَمّا يُؤذِيهِ ويَضُرُّه./ وهو مَصْدَرٌ مُضافٌ لِفاعِلِه، والمَفعُولُ بـهِ مَحذُوفٌ اكتِفاءً بدَلالةِ المَقامِ عليه؛ أيْ: أنَّ ظَنَّهم المَذكُورَ حِفْظٌ مِنَ الله تَعالى لَه. **أغنَتْ**: كُلًّا مِن رَسُولِ الله ﷺ وصِدِّيقِهِ في التَّحصُّن. **عَن مُضاعَفةٍ مِنَ الدُّرُوع**: الحَدِيد. **والمُضاعَفةُ** الزِّيادةُ على أصلِ [30 b] الشَّيْءِ فيجعلَ مِثلَينِ وأكثَر. **ومُضاعَفةُ/ الدُّرُوع**: لبسُ واحِدٍ فوقَ واحِدٍ آخَر. وقِيل: كَونُها مَنسُوجةً حَلقَتينِ حَلقَتينِ. وصَوَّبَهُ الأصل[١] [أيْ: أصلُ هذا الشَّرْح]. ودِرْعُ الحَدِيدِ مُؤنَّثةٌ سَماعاً. **ومُضاعَفة**: اسمُ مَفعُول؛ أيْ: عَن دُرُوعٍ مُضاعَفة. **ومِن**: بَيانِيّة، أو ابتِدائِيّة، أو تَبعِيضِيّة، أو مَصدَرِيّة. **فمِنْ** ابتِدائِيّة. وأغنَتْهُما أيضاً **عَن عالٍ**: مُرتَفِعٍ **مِنَ الأُطُم** بضَمَّتَينِ: الحِصْن. وما سَلَكتُهُ كالأصلِ مِن جَعْلِ وِقاية خَبَرَ مُبتَدأ مَحذُوفٍ أحسَنَ مِن[٢] أنَّهُ مُبتَدأ خَبَرُهُ جُملةُ **أغنَت**. وإسنادُهُ لِلضَّمِير. ثُمَّ إسنادُ الجُملةِ فيهِ بقُربه. وقَولُه **أغنَت**: إمّا مِن بابِ حَذْفِ المَفعُولِ بهِ لِما تَقدَّمَ، أو مِن تَنزِيلِ المُتعَدِّي مَنزِلةَ اللّازِم. والفِعلُ مُطلَق. ولا يُلاحَظُ فيهِ خُصوصُ المَفعُولِ به. **ومِنَ الدُّرُوع**: صِفةُ مُضاعَفة. **ومِنَ الأُطُم**: نَعْتُ عالٍ.

وتَقدَّمَ احتِمالُ كَونِ جَوابِ القَسَمِ وهو ما حلف عليهِ بِقَولِهِ: **أقسَمْتُ**.

[٨٠. ما سامَنِي الدَّهرُ ضَيْماً واسْتَجَرْتُ بِهِ إلّا ونِلْـتُ جِـواراً مِـنْهُ لَـمْ يُضَمِ]

ما سامَني: أرادنِي. وفي نُسْخة: «ضامَني». **والضَّيْمُ** الظُّلْم. **الدَّهْرُ**:

---

(١) أي: صوّبه القسطلاني بقوله: «وفسر بعضهم المضاعفة من الدروع بأن يلبس درعاً فوق آخر. والصّواب أن المضاعفة هي الدّروع التي نسجت حلقتين حلقتين...». (راجع: مشارق الأنوار المُضيّة في شرح الكواكب الدرية ٢٤ ب).

(٢) ج، س: منه.

الزَّمان. والإسنادُ إليهِ مِنَ المَجاز العَقْلِيِّ. وقَرِينَتُهُ صُدورُهُ مِنَ المَؤمِن. قِيلَ: وأحسَنُ مِنهُ أنَّ المُرادَ ما سامَني أهلُ الدَّهر. وذلكَ لِما في كَلامِهِ مِن إسنادِ الظُّلْمِ إلى المُحدثِ عَنه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، أو يَكُونَ جَرى على عادةِ أهلِ الأدَبِ ومهيعِ كَلامِ العَرَب. ضَيْماً: مَفعُولٌ بِهِ على روايةِ سامَني، ومَفعُولٌ مُطلَقٌ على نُسْخةِ «ضامَني». وفي نُسْخة: يَوماً. والمُرادُ مِنهُ الوَقتُ المُطلَقُ، ظَرْفُ زَمانٍ واستَجَرْتُ: اللهُ مِن ذلكَ الضَّيْم. بِهِ بِسَبَبِهِ ﷺ، والظَّرْفُ مُتَعلِّقٌ بـ استَجَرْتُ[1] بتَضمِينِهِ مَعنى الاستِعانةِ ويُحتَمَلُ كَونُ الباءِ زائِدةً؛ أيْ: استَجَرْتُه[2] ﷺ إلّا وقَد نِلْتُ جِواراً: بكَسْرِ الجِيمِ أفصَحُ مِن ضَمِّها قُرْباً مِنهُ. ومَحَلُّ جُملةِ نِلْتُ النَّصْبُ على الحالِ إذْ هو استِثناءٌ مُفَرَّغٌ، مُستَثنًى مِن أعَمِّ الأحوال. والنَّيلُ الإصابةُ وتَنكِيرُ جِوار لِلتَّعظِيم. مِنهُ: مُتَعلِّقٌ بـ نِلْتُ، أو صِفةُ جِوار. والضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ. لَم يُضَم: الجِوار، وهو مَبنِيٌّ للمَجهُولِ؛ أي: لَم يُصَبْ صاحِبُهُ فحُذِفَ المُضافُ، فانقَلَبَ المَجرُورُ مَرفُوعاً مُستَتِراً.

وجُملة لَم يُضَم صِفة جِوار، وفي تَعقِيبِ البَيْتِ السّابِقِ بِهِ تَلويح[3] لِمناسَبةٍ مَعنَوِيّةٍ بَينَهُما. هي أنَّ إجارةَ الله أيضاً مُغنِيةٌ عَنِ الأغيار. فمَن شَمِلَتْهُ كُفيَ/ كَيدَ الأعداءِ، وفازَ بمآرِبِ الدّارَينِ، كَما أنَّ وِقايةَ الله مُغنِيةٌ غايةَ الغَناء، [١٣٩ ب] رافِعةٌ لِكُلِّ هَولٍ وبَلاء.

---

(١) س: استخرتُ [في الموضعين].

(٢) س: استخرت.

(٣) تحدث السكاكي عن التلويح في الكناية فقال: «متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت، كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً، وإذا لم تكن كذلك نظر فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكني عنها متباعدةً لتوسط لوازم كما في «كثير الرماد» وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً؛ لأنّ التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بُعدٍ. (انظر: أحمد مطلوب ٤١٥).

[٨١. ولا الْتَمَسْتُ غِنَى الدّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إلّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيرِ مُسْتَلَمِ]

[31 a] **ولا الْتَمَسْتُ** أيضاً. ولا: مَزيدةٌ لِتأكيدِ النَّفي. **غِنَى الدّارَين**: الدُّنيا/ والآخِرة. والالتِماسُ المُرادُ هُنا مُطلَقُ الطَّلَب. والسُّؤالُ لا يُقَيَّدُ كَونَهُ مِنَ المَساوئ. ولو سُلِّمَ أنَّهُ مُختَصٌّ بذلكَ لُغَةً كانَ ما نَحنُ فيهِ مِن بابِ التَّجريد، أو مِن استِعمالِ المُقيَّدِ في المُطلَق. **والغِنَى**: بالقَصْرِ كَثرةُ المالِ واليسار. وإضافةُ **غِنى** بمَعنى «في»، أو اللّام. **مِن يَدِهِ**: أي مِن جُودِهِ ﷺ مَجازاً مُرسَلاً مِن إطلاقِ المَلزُوم وإرادةِ اللّازِم. ويُحتَمَلُ أنْ يُرادَ مِنهُ «هو»، فيَكُونَ مِن إطلاقِ اسمِ الجُزْءِ مُراداً بِهِ الكُلَّ. والظَّرْفُ صِفةُ **غِنى**، أو لَغو، مُتعلِّقٌ بـ **استَلَمْت**. **إلا استَلَمْتُ**: استِثناءٌ مُفَرَّغٌ مِن أعَمِّ الأحوالِ ما[1] التَمَسْتُهُ أي في حالٍ مِنَ الأحوالِ إلاّ جازماً بحُصُولِ **النَّدَى** وهو مَأخُوذٌ[2] مِن استِلام الحَجَر: لَمْسُهُ باليَد، أو بالفَم. وقَد يُتجوَّزُ به. يُقال: «استَلَمْتُ مَعرُوفَه»؛ أي: تَناوَلْتُهُ باليَد. **النَّدى**: الجُودُ والكَرَم. وفيهِ إقامةُ الظّاهِرِ مَقامَ الضَّمِيرِ تَيمُّناً بصَرِيحِ أوصافِهِ، واستِلْذاذاً بذِكْرِ جَزِيلِ اصطِناعِهِ ﷺ. **مِن خَيرِ مُستَلَم**: بِفَتحِ اللّام؛ أيْ: مُقبل أو مَلمُوسة عِندَ أخذِ العَطاء. والظَّرْفُ لَغوٌ مُتعلِّقٌ بـ **استَلَمْت**، أو مُستَقِرٌّ صِفة نَدي. وفي قَولِهِ: **ما سامَني** إلى آخرِ البَيْتينِ بَراعةُ الطَّلَب[3]. وهو أنْ يَلُوحَ بِالطَّلَبِ بألفاظٍ عَذبةٍ خاليةٍ عَنِ الإلحاق، مُقتَرِنةٍ بتَعظِيمِ المَمدُوحِ تُشعِرُ بما في النَّفْسِ دونَ كَشْفِه. وهذهِ القُيودُ مَوجُودةٌ فيهما، فكَأنَّه أشارَ إلى ما قَصَدَهُ مِنَ التَّوسُّلِ بهذهِ القَصيدةِ إلى النَّبيِّ ﷺ في أنْ يَشفَعَ فيهِ لِرَبِّنا حَتّى يُشفَى مِن مَرَضِهِ الَّذي أعيا

---

(١) س: في.

(٢) ج: ما اخوذ.

(٣) قال الحلبي والنويري: هو أن تكون ألفاظ الطلب مقترنة بتعظيم الممدوح. (انظر: أحمد مطلوب ٢٣٣).

الأطِبّاء. وإخبارُهُ عَن حور(١) غِنى الدُّنيا بَيِّنٌ مُشاهَدٌ بالحِسِّ(٢)، أمّا عَن غِنى الآخِرةِ فمُشاهَدٌ لهُ أيضاً بِقُوّةِ يَقِينِ الإيمانِ بمَنزِلَتِهِ ﷺ عِندَ رَبِّه.

ولَـمّا ذَكَرَ خَوارِقَ مَولِدِهِ ﷺ وما يَتبَعُها بِحَسَبِ الاطِّرادِ أخَذَ في ذِكْرِ الوَحْيِ فقال:

[٨٢. لا تُنْكِـرِ الوَحْيَ مِـنْ رُؤْياهُ إنَّ لهُ   قَلْبـاً إذا نـامَـتِ العَيْنـانِ لَـمْ يَنَـمِ]

لا: ناهِية. **تُنكِرِ الوَحْيَ مِن**: ابتِدائِيّة. **رُؤياهُ**: ﷺ قالَ المازري(٣) حَقِيقَتُها على مَذهَبِ أهلِ السُّنّة، خَلق الله تَعالى في قَلْبِ/ النَّائِمِ اعتِقاداتٍ كخَلقِها في قَلْبِ اليَقْظان، وهو تَعالى يَفعَلُ ما يشاءُ. لا يَمنَعُهُ نومٌ ولا يَقَظة. وخَلْقُ هذهِ الاعتِقاداتِ في قَلْبِ النّائِمِ(٤) عِلْمُه(٥) على أمورٍ أُخرى(٦) يَلحَقُها في ثاني الحالِ، كالغَيْمِ عِلْماً على المَطَر. [١٤٠ أ]

والرُّؤْيا والرُّؤْيةُ بمَعنَى إلّا أنّها خُصَّتْ بما كانَ مَناماً، فلا جَرم. لَحِقَها ألِفُ التَّأْنيث. ومِن: ابتِدائِيّةٌ، أو بَيانِيّة. والظَّرْفُ مُستَقِرٌّ، حالٌ أو صِفةٌ لِلوَحْي.

---

(١) أي: النقص والهلاك.

(٢) ج: الحسن.

(٣) هو محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي، المازري (أبو عبد الله) (... - ٥٣٠هـ/ ... - ١١٣٦م)، متكلم، أصولي، صوفيّ، نزح إلى أفريقية، فأخذ بالقيروان الأصول عن أبي الطيب عبد المنعم وغيره، ثم رحل إلى الحجاز ومصر، واستقر أخيراً بالإسكندرية، وتوفي بها. من تصانيفه؛ البيان في شرح البرهان لأبي المعالي الجويني، والمهاد في شرح الإرشاد إلى تبيين قواعد الاعتقاد للجويني. (انظر: معجم المؤلفين ١٢/ ٢٢).

(٤) س: النام.

(٥) س: علم.

(٦) س: أخروي.

[31 b] والخِطابُ لِغَيرِ مُعَيَّنٍ **إنَّ لَهُ قَلْباً**: جُملةٌ مُستأنَفةٌ استِئنافاً/ بَيانِيًا. وقَدَّمَ الخَبرَ لإفادةِ الحَصْر، إنْ كانَ ذلكَ مِن خَصائِصِه؛ وإلّا فلِلاهتِمامِ. وتَنوينُ قَلْب لِلتَّفخِيمِ والتَّعظِيمِ ولِلتَّمَكُّنِ مِن وصْفِهِ بالجُملة. **إذا نامَتِ العَينان**: بِسَبَبِ تَصاعُدِ رُطوباتِ الأبخِرةِ إلى أعصابِ الدِّماغ فتحلُّها[1] فيَنام. و«ال» فيهِ عِوضٌ عَنِ المُضافِ إليهِ؛ أيْ: عَيناه. **لَم يَنَم**: لأنَّهُ قد شُقَّ وظَهَرَ مِنَ التَّعلُّقِ بغَيرِ الله ومُلِئَ حِكمةً وإيماناً، فاليَقَظةُ الدّائِمةُ صِفَتُه، فيَحسُنُ مِنهُ أنْ يُخاطَبَ ويَتلَقّى الوَحْي، لا كالقُلوبِ الَّتي تَنامُ حِينَ تَنامُ[2] أعيُنها. وأمّا نَومُهُ ﷺ عَنِ الصَّلاة[3] في سَفَرِهِ حَتّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ؛ فلأنَّ[4] مُشاهَدةَ طُلوعِها وظِيفةُ العَيْنِ وهي نائِمة.

ولَـمّا كانَ كَلامُهُ قَد يُوهِمُ سامِعَهُ أنَّ الوَحْيَ إليهِ ﷺ دائماً يَكُونُ في النَّوْمِ دَفَعَهُ بِقَولِهِ:

[٨٣. فذاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ فلَيْسَ يُنْكَرُ فيهِ حالُ مُحْتَلِمِ]

فذاكَ: الوَحْيُ حِينَ النَّومِ كانَ، أو ثَبتَ. **حِينَ بُلوغ**؛ أيْ: وُصُولٍ، **مِن نُبوَّتِه**: إليهِ ﷺ عليه. ومِن: ابتِدائِيّة، أو تَعلِيلِيّة. والظَّرْفُ لَغو، صِلةُ **بُلُوغٍ**، أو مُستَقرّ، خَبَر مُبتَدأ مَحذُوف. ويَحتَمِلُ التَّبعِيضَ؛ أيْ: بَعضَ آياتِ نُبوَّتِهِ، وتَنوينُ بُلوغٍ للتَّعظِيمِ. والفاءُ فَصِيحة في قَولِهِ: **فليسَ يُنكَرُ مِنهُ** ﷺ، وفي نُسْخة «فيه»؛ أيْ: في الزَّمانِ المَذكُورِ رُؤياهُ الوَحْي. **حالُ مُحتَلِم**: فإنَّ ذلكَ إنَّما كانَ في ابتداءِ النُّبوّةِ لِيأنَسَ بها وبِمُلاقاةِ المَلَك. إذْ لو فاجأهُ ابتداءً لأمكَنَ أنْ لا يُطيقَ مُلاقاتَه.

---

(١) ج: فيحلها.

(٢) س: ينام (في الموضعين).

(٣) ج: الصلاة.

(٤) س: ولأن.

فلَمّا أنِسَ وقَوِيَ حالُهُ أتاهُ في اليَقَظة، وضَمِيرُ يُنكر[١] النّائِبُ عَنِ الفاعِل، يَعودُ على الوَحْي. وحالَ: مَنصُوبٌ على الظَّرْف. ومُحتَلِم: على حَذْفِ مُضاف؛ أيْ: حالَ احتِلامِ مُحتَلِم. ومُحتَلِم: اسمُ فاعِل. ويُحتَمَلُ أنَّهُ مَصْدَرٌ مِيميٌّ، إنْ كانَ بِفَتحِ اللّام فلا تَقدِير.

ثُمَّ ذَكَرَ الاستِدلالَ على صِحّةِ الوَحْي في النَّوْمِ وصِحّةِ النَّبيِّ ﷺ فيما يُخبرُ بِهِ عَنِ الغَيبِ بِقَولِهِ:

[٨٤. تَبـارَكَ اللهُ مـا وحْيٌ بِمُكْتَسَـبٍ   وَلا نَبِـيٌّ عـلـى غَيْـبٍ بِـمُـتَّـهَـمِ]

تَبارَكَ اللهُ: تَكاثَـرَ خَيرُهُ وتَزايَدَ ودامَ. وهو فِعْلٌ لا يَتصَرَّف. وتَصدِيرُ الجُملَةِ بِهِ تَوطِئَةٌ لِتَعظِيمِ ما صُدِّرَت بِهِ، وإيماءً لِتَفخِيمِه. وإنَّهُ أمرٌ حَقّانيٌّ لا رَيبَ فيه. **ما وحْيٌ**: وإنْ قَلَّ، أو ما حَقِيقةُ وحْي **بِمُكتَسَبٍ**: لأحَدٍ بالسَّعْي فيهِ. بَل هو اختِصاصٌ/ إلهِيٌّ فلا يُنكرُ كَونُهُ في نَوْمٍ كَما لا يُنكرُ في يَقَظة، فإنَّ فِعْلَ [١٤٠ ب] الفاعِلِ المُختارِ لا يَتخَصَّصُ بِحالَةٍ دُونَ أُخرى على سَبيلِ الوُجُوب.

وزَعَمَ بَعضٌ أنَّها مُكتَسَبةٌ كُفرٌ صُراح، مَبنِيٌّ على أصلِ الفَلاسِفَةِ مِن أنَّ العِلّةَ تُوجِبُ[٢] مَعلُولَها إنْ وُجِدَ الشَّرْطُ وزالَ المانِع، وفيهِ إبطالُ/ قاعِدَةِ [32 a] الفاعِلِ المُختار، وتَبارَكَ اللهُ عَنِ اتِّهامِ أنبيائِهِ بالكَذِبِ فيما أخبَرُوا بِهِ عَنِ الغَيبِ لِتَصدِيقِهِ لَهُ بالمُعجزات، وهو لا يصدقُ مَن ليسَ بِصادِق، بَلِ الحَقُّ اليَقِينُ أنَّهُ **لا نَبِيَّ**: مِنَ الأنبياءِ عَليهِم السَّلامُ على إخبارِ **غَيبٍ بِمُتَّهَم**: عليهِ بِكَذِبٍ فيهِ، لِعِصمَتِهِ قالَ تَعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]؛ أيْ: عَنهُم.

والحَقُّ أنَّ الوَحْيَ والنُّبوّةَ مَحضُ عِنايَةٍ ومُجرَّدُ لُطفٍ، يَخُصُّ اللهُ بِهما

---

(١) س: تنكر.

(٢) س: يوجد.

مَن يَشاءُ، وتَعمِيمُ نَبِيّ، مَع أنَّ سَوْقَ الكَلامِ في مَدْحِ نَبِيِّنا ﷺ لأنَّهُ يَلزَمُ مِن [نَفْيِ][(١)] الاتِّهامِ عَن كُلٍّ مِنهُم نَفيُهُ عَنهُ بأبلَغِ وجْه، أو أنَّهُ أرادَ مِنَ العامِّ الخاصَّ كَأنَّهُ العِلْمُ في ذلكَ. والأنبِياءُ مَعصُومونَ مِن تَعمُّدِ الكَذِبِ في الأحكامِ والتَّبليغِ عَنِ اللهِ تَعالى إجماعاً ومِن جَميعِ الكَبائِرِ والصَّغائِرِ الخَسِيسة، وفي عِصْمَتِهِم مِن غَيرِ الخَسِيسةِ خِلاف: المُحَقِّقُونَ على عِصمَتِهِم مِنَ الجَميع. وما جاءَ مِن مُوهِم صُدُورُ ذَنْبٍ مِنهُم نَحو: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح: ٢]، إنَّما هو كِنايةٌ عَن تَعظِيمِهم وإعلاءِ دَرَجاتِهم؛ أو الذَّنبُ فيهِ مَحمُولٌ على تَرْكِ الأولى، كَما قِيل: «حَسَناتُ الأبرارِ سَيِّئاتُ المُقَرَّبين»[(٢)]، وتَركُ الأولى ليسَ بذَنْبٍ. لأنَّهُ[(٣)] وما يُقابِلُهُ مُشتَرِكانِ في إباحةِ الفِعْلِ وعِتابُهُ[(٤)] تَعالى لِلحَثِّ والتَّحضِيضِ على فِعْلِ الأولى.

ثُمَّ عَقَّبَ النّاظِمُ ما ذَكَرَهُ بذِكْرِ[(٥)] بَعضِ المُعجِزاتِ الدّالّةِ على صِدْقِهِ ﷺ:

[٨٥. كَمْ أبْـرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ راحَتُهُ ۞ وأطْلَقَتْ أرِبـاً مِـنْ رِبْقَـةِ اللَّمَـمِ]

كَم: كَثِيـراً مـا. أبـرَأتْ: شَـفَت. وصِباً: بكَسْـرِ الصّـادِ؛ أي: مَريضـاً. وقَدَّمَهُ اهتِماماً. باللَّمْسِ: الباءُ فيهِ لِلاستِعانةِ، أو السَّبَبيةِ[(٦)]، راحَتُه: الصّادِرُ مِنهُ بها لِلمَرِيضِ المَذكُورِ لَمس، وهي فاعِل. وأشارَ بهِ إلى نَحوِ ما رُوِيَ أنَّ

---

(١) س: ـ.

(٢) هو من كلام أبي سعيد الخراز، كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وهو من كبار الصوفية، مات في سنة مئتين وثمانين، وعدّه بعضهم حديثاً وليس كذلك. (كشف الخفاء ١/ ٤٢٨).

(٣) ج: ـ.

(٤) ج: وعنايته الله.

(٥) س: ـ.

(٦) س: التشبيه.

شُرَحبيلَ الجعفيَّ[١] كانَ بِكَفِّهِ سَلعةٌ[٢] تَمنَعُهُ[٣] القَبضَ على السَّيفِ وعِنانِ الدّابّة، فشَكاها لِلنَّبيِّ ﷺ فما زالَ يَطحَنُها بِكَفِّهِ حَتّى لَم يَبقَ لَها أثَر[٤] ثُمَّ كَم: مَنصُوبةٌ على المَصدَرِيّة؛ أيْ: كَم أبرَأ، أو الظَّرْفيّة؛ أيْ: كَم وقْتٍ ومَرّةٍ. وفي تَخصِيصِ لَفْظِ الرّاحةِ بالذِّكْرِ إيماءٌ لِوُصُولِ الرّاحةِ عِندَ لَمسِهِ بها لِزَوالِ الأسقامِ/ والأوصاب. [١٤١ أ]
وضَميرُ راحَته لِلنَّبيِّ ﷺ، وكَثيراً ما أُطلِقَتْ راحَتُه. أُرَباً بضَمِّ الهَمْزةِ وفَتحِ الرّاء؛ أيْ: عُقَداً كائِنةً. مِن رِبقَةٍ: هو في «الأصل» حَبلٌ فيهِ عِدّةُ عُرًى تُشَدُّ بِهِ البُهُم. وإضافَتُهُ إلى اللَّمَم: بالفَتحِ وهو طرفٌ مِنَ الجُنون، أو صِغار الذُّنوبِ، أو مُقارَبة المَعصيةِ مِن غَيرِ وُقوعٍ فيها، على مَعنى اللّام. وإذا قَصَدَ تَشبيهَ الجُنونِ بِقَيدٍ يَتقَيَّدُ بِهِ المَجنُونُ فيَمنَعُهُ مِنَ الدُّخُول/ في رِياضِ العَقْل، فالإضافةُ على مَعنى «من» [32 b] نَحو: «شَجَر الأراك»، وما في البَيْتِ على سَبيلِ الاستِعارةِ والتَّشْبيه؛ لأنَّ الجان لما كانَ يَخنُقُ الآدَمِيَّ ومَحلُّ الخَنْقِ العُنُقُ شَبَّهَ فِعلَهُ ذلكَ بالآدَمِيِّينَ بالحَبلِ الَّذي فيهِ عُرًى تدخلُ فيها أعناقُ الغَنَم لِئَلّا تذهَب. فمَن شَفاهُ الله مِنَ الجُنونِ بِبَرَكةِ لَمْسِهِ ﷺ إيّاهُ بِراحَتِهِ فقد أُطلِقَتْ عنهُ عُقَدُ الجان. وأشارَ بِهِ إلى نَحوِ ما رُوِيَ: «أنَّ امرَأةً جاءَتْ لهُ ﷺ بابنٍ لَها بِهِ جُنونٌ، فمَسَحَ بِيَدِهِ المُبارَكةِ صَدرَهُ فثَعَّ ثَعّةً؛ أيْ: قاءَ خَرَجَ مِن جَوفِهِ مِثلُ الجِرْوِ الأسوَد[٥]».

وإنْ فسّرَ اللَّمَم بالذُّنوبِ والمَعاصي فالمَعنى كَثيراً ما أطلَقَتْ راحَتُهُ عُقَداً مِن رِبقَةِ حَبْلِ الكُفْر. ثُمَّ أصبَحَ مِنها مَحلُولاً بِبَرَكةِ مَسِّهِ ﷺ، ويُحتَمَلُ أنْ

---

(١) هو شرحبيل بن مدرك الجعفي. (انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٦٥).
(٢) أي: الشق.
(٣) س: يمنعه.
(٤) راجع: مشارق الأنوار للقسطلاني ٢٧ ب.
(٥) راجع: مسند أحمد بن حنبل ١/ ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٦٨؛ ومشارق الأنوار ٢٧ ب.

يَكُون «أرباً» بِوَزْنِ فرح؛ أيْ: ذِي حاجةٍ وهي أعَمُّ مِنها إلى إعطاءٍ، أو شِفاء، أو تَخلُّصٍ مِنْ إثْمٍ، والمُحتاجُ إلى الشَّيْءِ قبلَ اتِّصالِهِ بِحاجَتِهِ كأنَّهُ مَجنُون، فإذا نالَها كأنَّهُ أُطلِقَ مِنهُ.

[٨٦. وأحْيَتِ السَّنةَ الشَّهْباءَ دَعْوتُهُ   حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً في الأعْصُرِ الدُّهُمِ]

ومِن مُعجِزاتِهِ ﷺ أنْ أحيَتْ؛ أيْ: أخصَبَت، السَّنةَ: العام. أصلُها «سنهة» بوَزْنِ جَبْهة. قالَ في «الصِّحاح»: غَلَبَ استِعمالُهُ في «حَوْل» يَكُونُ الغالِبُ فيهِ الجَدْبُ والشِّدّة. و«العام» فيما يَكُونُ فيها الخصْبُ والرَّخاء. الشَّهْباء: الَّتي لا مَطَرَ ولا نَباتَ فيها، سُمِّيَت بهِ لِغَلَبةِ بَياضِ الأرضِ فيها بعَدَمِ النَّبات، فهي بالنِّسبةِ إلى البَياضِ مَيْتةٌ أحيَتْها دَعوَتُه؛ أيْ: دُعاؤُهُ رَبَّهُ سُبحانَهُ أنْ يُحيِيَها بالمَطَر، فأجابَ دُعاءَه، ونَزَلَ المَطَر. وحَيِيَتِ السَّنةُ بتَبدِيلِ الجَدبِ فيها بحالِ الخصْب. حَتَّى حَكَتْ: شابَهَت. غُرّةً: بضَمِّ الغَينِ المُعجَمةِ[1] هو في الأصلِ بَياضٌ مُستَطِيلٌ في جَبْهةِ الفَرَس. ويُعَبَّرُ بهِ عَنِ الكَرَم. في الأعصُرِ: المُخصِبةِ الكَثِيرةِ الرَّتْع[2]. الدُّهم[3]: بضَمِّ الدّالِ وسُكونِ الهاءِ وبضَمِّهِما إتباعاً؛ أيْ: صارَت نِسبةُ تِلكَ السَّنةِ بما اشتَمَلَتْ عليهِ مِنَ الخصْبِ إلى سائِرِ العُصُرِ الدُّهْم، نِسبة الغُرّةِ مِن/ كُلِّ شَيْء، وهو الأفضَلُ مِنهُ. وإنَّما كانَت أزمِنةُ الخصْبِ دُهْماً لِشِدّةِ خُضرةِ النَّباتِ فيها. والسَّنة: مَفعُولٌ مُقدَّمٌ على الفاعِل. وهو دَعوَتُه. [١٤١ ب]

وإسنادُ أحيا إلى دَعوَتِهِ مَجازِيٌّ، وفي البَيْتِ التَّرشِيح، وهو أنْ يُذكَرَ في مَعنى المَدْحِ أو غَيرِهِ القِرانُ[4] لِقَصْدِ الكِنايةِ والتَّوْرية. وهو مِن كَلامِ النّاظِمِ في

---

(١) س: ـ.

(٢) ج: الربيع.

(٣) س: الدهم.

(٤) س: القرآن.

قَولِهِ: **السَّنةَ الشَّهباءَ**. إذْ هي كِنايةٌ عَنِ المُجدِبة. **والدُّهُم**: كِنايةٌ عَن سِنِيِّ الخصْب.

[٨٧. بِعارِضٍ جادَ أوْ خِلْتَ البِطاحَ بِها سَـيْباً مِـنَ اليَـمِّ أوْ سَـيْلاً مِـنَ العَرِمِ]

وهَذا[١] الإحياءُ الحاصِلُ بدَعوَتِهِ بـ سَبَبِ **عارِض**: سَحابٌ مُعتَرِضٌ في الأُفق. **جادَ**: كَثُرَ مَطَرُه. أو: إلى أنْ **خِلْت**: بكَسْرِ الخاءِ المُعجَمةِ[٢] ماءَ **البِطاح**؛ أيْ: ظَنَنْتَ مَسائِلَ/ الماءِ الواسِعة. **بِها**: مِن كَثرةِ ذلكَ المَطَر. **والبِطاح**: واحِدُهُ «أبطَح» على خِلافِ القِياسِ بِها[٣] **سَيْب**: مَصْدَرُ «سابَ الماء»: جَرَى. **مِنَ اليَمِّ**: البَحْر. **أو سَيْلٍ مِنَ العَرِمِ**: سَدُّ أهلِ اليَمَن، الَّذي بَنَتْهُ بِلقِيْسُ[٤] على ما ذَكَرَ أهلُ التَّفسِيرِ والتّاريخِ مِن عَظَمَتِهِ وكَيفيَّتِهِ وإحكامِ صَنعَتِه. وخُصَّ البَحْرُ [33 a]

(١) س: وهنا.

(٢) والجملة المعترضة وردت بعد كلمة «البطاح» في كلتا النسختين «ج» و«س».

(٣) س: ـ.

(٤) هي بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل، (... هـ/ ... م) من بني يعفر بن سكسك، من حمير: ملكة سبأ، يمانية من أهل مأرب، أشير إليها في القرآن الكريم ولم يسمّها. ولِيتْ بعهدٍ من أبيها (في مأرب) وطمع بها ذو الأذعار (عمرو بن أبرهة) صاحب غمدان، فزحف عليها، فانهزمت، ورحلت مستخفية بزي أعرابي إلى الأحقاف، فأدركها رجال «ذي الأذعار» فاستسلمت. وأصابت منه غرة في سكرٍ، فقتلته، ووليت أمر اليمن كله، وانقادتْ لها أقيال حمير، فزحفت بالجيوش إلى بابل وفارس، فخضع لها الناس، وعادتْ إلى اليمن فاتخذت مدينة «سبأ» قاعدة لها. وظهر سليمان بن داود، النبي الملك الحكَيم، بتدمر، وركب الرِّياح إلى الحجاز واليمن، وآمن اليمانيون بدعوته إلى الله، وكانوا يعبدون الشمس. ودخل مدينة «سبأ» فاستقبلته بلقيس بحاشية كبيرة، وتزوجها، وأقامت معه سبع سنين وأشهراً، وتوفيت فدفنها بتدمر. وانكشف تابوتها في عصر الوليد بن عبد الملك، وعليه كتابة تدل على أنها ماتت لإحدى وعشرين سنة خلت من ملك سليمان، ورفع غطاء التابوت فإذا هي غضةٌ، لم يتغير جسمها، فرفع ذلك إلى الوليد، فأمر بترك التابوت في مكانه وأن يبنى عليه بالصخر. (انظر: الأعلام ٢/ ٧٣ - ٧٤).

بالجَرْيِ؛ لأنَّهُ لِعُمُوم فيضِهِ يَجزي في الأرضِ المُسطَّحةِ وإلى فوقَ وأسفَل، وخُصَّ العَرِمُ بالسَّيْلِ؛ لأنَّهُ غالِباً[1] يصنَعُ في أعلى الأرض، تُسقَى بهِ أماكِنُ مُتعَدِّدة، فلا يَـجرِي إلّا سائِلاً. وقِيل: أو بمَعنى الواو، إلّا أنَّهُ أتى بها لِرعايةِ[2] الوَزْن، أو لإبهامِ أنَّ النّاظِرَ يَتشكَّكُ لِكَثرةِ الماءِ على سَطْحِ الأرضِ في اعتِقادِ أنَّهُ مِنَ العارِض، أو البَحْر، أو السَّدّ.

وفي قَولِـهِ جادَ: احتِراسٌ لأنَّ العارِضَ قَد يَكُونُ مُهلِكاً. وقَد يَكُونُ الاحتِراسُ في قَولِهِ: أحيَتْ. وأشارَ بِهِ إلى حَدِيثِ «الصَّحِيح» في مَجِيءِ الأعرابِيِّ والنَّبِيُّ ﷺ يَخطُبُ يَومَ الجُمُعة. فقال: يا رَسُولَ الله، هَلَكتِ المَواشِي، وتَقَطَّعَتِ السُّبُل. فادعُ اللهَ لَنا أنْ يَسقِيَنا. فرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَديهِ وما يُرى[3] في السَّماءِ قزعة. فثارَ السَّحابُ أمثالَ الجِبال. ثُمَّ لَم يَزَلْ على مِنبَرِهِ حَتَّى رُئِيَ المَطَرُ يَتحادَرُ على لِـحيَتِهِ»[4] الحَدِيث.

ووَقَعَ في بَعضِ النُّسَخِ هُنا تِسعةُ أبياتٍ. يُقال: إنَّها ألحقها بِها السَّيِّدُ أبو عَلِيٍّ ابنُ الجياب الأندَلُسِيُّ[5] شارِحُ «الخزرجِيّةِ في العَرُوض»، مِنها أنَّهُ لَـمّا استَسْقَى لَهم ﷺ دامَ المَطَرُ إلى الجُمُعةِ الأُخرى فاستَصْحَى لَهم، وأقلَعَ المَطَر. وأُلبِسَتِ الأرضُ حُلَلاً مِنَ السُّندُسِ الأخضَرِ وذَهَبَ الجَدْب، وفارَقَهُم القَحْطُ وأطلَقُوا الأيدِي بالعَطاءِ لِلسّائِل، وأضرَبَ عَن شَرْحِها «الأصل»، قالَ: لأنَّها ليسَتْ ثابِتةً في رِوايَتِه.

---

(١) س: غالباً.

(٢) س: لدعاية.

(٣) س: نرى.

(٤) أخرجه البخاري في الاستسقاء ١؛ ومسلم في الاستسقاء ١.

(٥) محمد بن أبي حبيش الأنصاري الأندلسي (... ـ ٤٥٩هـ/ ... ـ ١١٥٤م). عروضي، من آثاره: العروض الأندلسي. (معجم المؤلفين ٩/ ١٧٦).

[الفَصْلُ السّادِس]
[في شَرَفِ القُرآن]

وكانَ النّاظِمُ قَدَّرَ/ في نَفْسِهِ سَماعَ الكافِرِ مِنهُ لِتَعديدِ المُعجِزاتِ فقالَ لَـه: كُـفَّ عَنّا مِنَ الأخبارِ الَّتي لا نُسَلِّمُها، فأجابَهُ تَقدِيراً بأنْ قال: كيفَ بِكَ إنكارُ مِثلِ هذهِ الآياتِ فيا أيُّها الجاحِدُ لِلضَّرُورِيّاتِ: [١٤٢ أ]

[٨٨. دَعْنِي ووَصْفيَ آيـاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُـورَ نـارِ القِـرَى لَيْـلاً علـى عَلَمِ]

دَعني: اترُكنِي. **ووَصْفي**: مَفعُولٌ مَعَه، أو مَعطُوفٌ على مَفعُول. **آياتٍ**: عَلاماتٍ ظاهِرةً لِلنُّبوّة. وتَنكِيرُها لِلتَّعظِيمِ. **لَه**: في مَحَلِّ الصِّفة، أو الحالِ مِن فاعِلِ **ظَهَرَت**. والتَّقْدِيمُ لِلتَّخصِيص. ويَجُوزُ جَعلُهُ لَغواً مُتعلِّقاً به. والجُملةُ في مَحَلِّ صِفةِ آيات. **ظُهُور**: مَفعُولٌ مُطلَق، صِفةُ مَصْدَرٍ مَحذُوفٍ؛ أيْ: ظُهوراً مِثلَ **ظُهور نارِ القِرَى**: الضِّيافة، **لَيلاً على عَلَمٍ**؛ أيْ: جَبَلٍ مُرتَفِع. كانَ كِرامُ الحَيِّ يَأمُرُونَ بِوَقِيدِها[1]/ على المُرتَفِعِ مِنَ الجِبالِ الَّتي يُهتَدى بِهـا. ويَفعَلُونَ ذلكَ لِيَهتَدِيَ لِمَنازِلِهم الأضياف. وكَأنَّهُ يَقُول: إنَّما أصِفُ مِن آياتِهِ ﷺ ما لا يَسَعُ إنكارُهُ لِظُهورِهِ ظُهورَ النّارِ الكَثِيرةِ على مُرتَفِعِ الجِبال. وتَنكِير كُلٍّ مِن **لَيل** و**عَلَم** لِلنَّوعِيّة؛ أيْ: لَيلاً حالِكاً وجَبَلاً شامِخاً، أو لِلتَّعظِيم. [33 b]

وأجابَ عَن سُؤالٍ تَقدِيرُه: «إذا كانَتِ الآياتُ بهذا الظُّهورِ فما فائِدةُ وصفِكَ إيّاها؟» بِقَولِهِ:

---

(١) س: توقيدها.

[٨٩. فالدُّرُّ يَزْدادُ حُسْناً وهْوَ مُنْتَظِمٌ وليْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ]

فالدُّرُّ: كِبار اللُّؤلُؤ. وإنْ كانَ حَسَناً في نَفْسِهِ لَكِنَّهُ **يَزدادُ حُسْناً**: تمييزٌ مُحوَّلٌ عَنِ الفاعِلِ؛ أيْ: يَزدادُ حُسْنُه. **وهو مُنتَظِمٌ**: في السِّلْكِ لِما ثَبتَ لَهُ مِنَ التَّرتيبِ والتَّناسُب. والجُملةُ حالٌ مِن فاعِلِ يَزداد. وعَطَفَ على جُملةِ **يَزداد** جُملةَ **وليسَ يَنقُصُ**. والنَّقْصُ ضِدُّ الزِّيادةِ **قَدْراً**: تمييزٌ كذلكَ **غيرَ مُنتَظِم**: حالٌ مِن فاعِلِ **يَنقُصُ**[1]. نَعَمْ حُسْنُهُ الَّذي يَظهَرُ لِلعَينِ إذا نُظِمَ يَنقُصُ، وهذا بَيِّنٌ؛ لأنَّ ما يَزيدُ لِوَصْفٍ يَنقُصُ بِسَلْبِ ذلكَ الوَصْف. وكَذا ما يَحصُلُ مِن زِيادةِ الالتِذاذِ بسَماعِ الآياتِ مَنظُومةً يَنقُصُ مَعَ الإخبارِ بها نَثْراً. وقَدرُها مِنَ التَّعظِيمِ الحاصِلِ لَها في ذاتِها لا يَنقُص. وفائِدةُ قَولِهِ: **وليسَ يَنقُصُ** إلخ الاحتِراس، لِرَفْعِ ما يُتوَهَّمُ مِن أنَّ ازدِيادَ الحُسْنِ بالنَّظْمِ يُوجِبُ فواتُهُ نَقْصَ القَدْر.

[٩٠. فما تَطاوَلَ آمالُ المَديحِ إلى ما فيْهِ مِنْ كَرَمِ الأخْلاقِ والشِّيَمِ]

فما تطاولُ: امتَدَّ. والفِعْلُ مُحتَمِلٌ لِكَونِهِ ماضِياً أو مُضارِعاً بحَذْفِ إحدى التّاءَينِ تَخْفيفاً. ويَأتي فيهِ وجْهُ آخَر. **آمالُ**: بالمَدِّ. جَمْعُ أمَل. وهو الرَّجاءُ؛ أيْ: رَجاء. **المَديح**؛ أيْ: المَمدُوحِ به. وهو الثَّناءُ الحَسَن. ففي قَولِهِ: **آمالُ المَدِيح** استِعارةٌ مَكنِيَّةٌ وتَخييلِيّةٌ. وإثباتُ التَّطاوُلِ تَرشِيح. أو المُرادُ بالمَدِيحِ المادِح. **إلى ما فيهِ** ﷺ، وعَبَّرَ بهِ دُونَ «ما له» مُبالَغةً. إذْ جَعلَهُ ﷺ ظَرفاً لِلمَكانِ كَأنَّهُ مُحيطٌ/ بها إحاطةَ الظَّرْفِ بالمَظرُوف. [١٤٢ ب] **وما**: عامٌّ فيهِ إبهامٌ بَيَّنَهُ بِقَولِهِ: **مِن كَرَمِ الأخْلاق**: السَّجايا والفَضائِلِ الَّتي جُبِلَتْ عَليها الطَّبيعة. **وكَرَم الشِّيَم**: الطِّباعِ المرضية[2] الواصِلة ثَمَرَتُها لِلغَير، أو إنَّ ذِكرَهُ احتِراس؛

---

(١) س: + نعم حسنه الذي يظهر للعين إذا نظم ينقص، وهذا بين؛ لأن ما يزيد لوصف ينقص.

(٢) س: + إلى أصله.

أيْ: إنَّ كَرَمَ أخلاقِهِ مِن كَرَمِ طِباعِه، لا أنَّها بالاستِعْمال. ولَم يَكتَفِ بالثّاني لأنَّ الطَّبائِعَ[١] لا تَظهَرُ[٢] للوُجُود و[٣] إنَّما تَظهَرُ آياتُها. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِن عَطْفِ المُرادِفِ إطناباً، وهو سائِغٌ في المَدْح.

[وهذا البَيْتُ مِن ما يُمدَحُ به؛ لأنَّ العَجْزَ عَن إدراكِ الإدراك، ويُحتَمَلُ كَوْنُ ما نافيةً. والمَعنى أنَّ وصْفَ الآياتِ بالنَّظْمِ وإنْ كانَ يَزِيدُها حُسْناً فلا يُتوَهَّمُ إتيانُ أحَدٍ مِن ذلكَ/ بما لهُ نِسبةٌ إلى ما يَستَحِقُّهُ ﷺ وأنَّ آمالَ المَدِيحِ ما تَطاوَلَت؛ أيْ: ما مَدَّتْ عُنُقَها تلكَ الآمالُ لِتَنظُرَ مِن بَعيدٍ إلى تَمامِ ما فيهِ مِن كَرَمِ الأخْلاقِ والشِّيَم، و[يُحتَمَلُ] كَونُها استِفهامِيّةً. ويَكُونُ المَقصُودُ بِهِ الاستِعارة. أيْ: أي فائِدةٍ لِتطاوُلِ أعناقِ المَديحِ إلى تَمامِ ما فيهِ مِنَ الأخلاقِ والشِّيَم؟ وذلكَ مِـمّا لا يُدرَك، فالتَّشَوُّفُ لهُ عَناء، والنَّفْيُ أمدَح. فإنَّهُ نَفْيُ التَّطاوُلِ مِن أصلِهِ لِلإياسِ مِن إدراكِ ما يُتطاوَلُ إليهِ. وعلى النَّفْي: فـ تَطاول ماضٍ. وآمال: فاعِلُه. والمديحُ مُضافٌ إليهِ. وعلى الاستِفْهام: تَطاول: خَبَرُ ما الاستِفهامِيّة، مُضافٌ إلى آمال. والمديح: مَنصُوبٌ بِنَزعِ الخافِضِ. والفاءُ الدّاخِلةُ على فما عاطِفةٌ أو سَبَبِيّة، وتَعليلٌ لِلعُدولِ إلى مَدْحِ الآياتِ عَن مَدْحِ الذّات؛ لأنَّ أعناقَ المَديحِ لا تَمتَدُّ إلى تَمامِ مَدائِحِ ذاتِهِ لِغايةِ كَثرَتِها، أو لا يتطاولُ إدراكُ البُلَغاءِ إلى تَعدادِ تَمامِ صِفاتِهِ لِعَدَمِ حَصْرِها؛ ولِذا حُلِّي بـ ال الجِنْسيّة][٤].

[34 a]

ومِن مُعجِزاتِهِ ﷺ الَّتي جاءَ بها:

---

(١) س: الطباع.

(٢) س: يظهر.

(٣) س: ـ.

(٤) والعبارة بين القوسين من: «وهذا البيت» إلى «ولذا حلي بـ«ال» الجنسية»: زائدة في «ج».

[٩١. آيــاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمــنِ مُحْدَثَةٌ قَدِيمــةٌ صِفــةُ المَوْصُــوفِ بِالقِــدَمِ]

آياتُ حَقٍّ: جَمعُ «آية» جُملةٌ مِنَ القُرآنِ دالّةٌ على حُكْمٍ، سُورةً كانَت أو بَعضَها، ويَجُوزُ إعرابُهُ خَبَرَ مُبتَدأ مَحذُوف؛ أي: هي **آيات**. والجُملةُ تَفصِيلُ ما أجمَلَهُ أوّلاً. ويَجُوزُ نَصبُهُ بَدَلاً مِن **آيات** في[١] قَولِه: **دَعنِي ووَصْفيَ آياتٍ** بَدَلَ بَعْضٍ، إنْ أُرِيدَ بها ثَمّةَ كُلّ ما يَدُلُّ على صِدْقِ نُبوَّتِهِ مِنَ الخَوارِق[٢]، أو بَدَل، إنْ أُرِيدَ بها الآياتُ القُرآنِيّة. والـ **حَقُّ** مِن أسمائِهِ تَعالى، أو المُرادُ به ضِدُّ الباطِل. **مِنَ الرَّحمَن**: صِفةُ آيات، أو خَبَرٌ بَعدَ خَبَرٍ على تَقدِيرِ جَعْلِ **آيات** خَبَر مَحذُوف، وأوثِرَ بالذِّكرِ مِن سائِرِ الأسماءِ الحُسنَى؛ لأنَّ نُزولَ الآياتِ وبعثةِ الأنبِياءِ مِن مَظاهِرِ الرَّحمة. **والرَّحمَن**: صِفةٌ مُشَبَّهةٌ مِن مَصْدَر «رَحِمَ» بوَزْنِ «فَرِحَ» بعدَ نَقْلِهِ إلى بابِ «فَعُلَ» كـ«شَرُفَ»، أو تَنزِيله مَنزِلةَ اللّازِم. والرَّحمةُ صِفةٌ نَفْسانِيّةٌ تَستَدعِي[٣] الفَضْلَ على المَرحُوم. فأُرِيدَ مِنها في حَقِّهِ تَعالى غايَتُها المَذكُورةُ مَجازاً مُرسَلاً. قالَ العُلَماء: أسماءُ الله تَعالى لا تُؤخَذُ[٤] إلّا باعتِبارِ الغايات، دُونَ المَبادِئ. **مُحدَثَة**: باعتِبارِ الحُروفِ والأصوات، وهو مَناطُ الإعجاز. والمُعجِزةُ فِعلُ الله، ولا شَيْءَ مِنَ الفِعْلِ بِقَدِيم. **قَدِيمة**: باعتِبارِ مَدلولاتِها ومَعانِيها النَّفْسيّةِ القائِمةِ بذاتِهِ تَعالى **صِفةُ المَوصُوفِ بالقِدَم**: وهو مَولانا سُبحانَهُ. **وصِفة**: صِفةُ آيات، أو خَبَرٌ بَعدَ خَبَر. وهذا تَعلِيلٌ لِقِدَمِ الآيات؛ لأنَّها صِفةُ مَوصُوفٍ/ بالقِدَم، وصِفةُ القَدِيمِ قَدِيمةٌ **وبالقِدَمِ**: مُتعلِّقٌ بالمَوصُوف. [34 b]

وفي الجَمْعِ بينَ **مُحدَثة** و**قَدِيمة** طِباق.

---

(١) س: ـ.

(٢) س: الحق.

(٣) س: يستدعي.

(٤) س: لا يؤخذ.

[٩٢. لَـمْ تَقْتَـرِنْ بِزَمانٍ وهْـيَ تُخْبِرُنا عَـنِ المَعـادِ وعَـنْ عـادٍ وعَـنْ إرَمِ]

لَم تَقتَرِنْ: مَدلُولاتُها. ومَحَلُّ جُملةِ لَم تَقتَرِنْ رَفْعٌ، صِفةُ آياتٍ إنْ رُفِعَ، أو نَصْبٌ، صِفَتُهُ إنْ نُصِبَ. **بزَمانٍ**: لأنَّ القَدِيمَ لا أوّلَ لِوُجُوده، فليسَ بزَمانِيٍّ. إذِ الزَّمانِيُّ حادِث. **وهي**؛ أيْ: الآياتُ الَّتي هي ألفاظٌ دالّةٌ على مَدلُولٍ قَدِيم. **تُخبِرُنا عَنِ المَعاد**: الرُّجوعِ إلى الله تَعالى في الدّارِ الآخِرةِ بعدَ مَوتِنا. والجُملةُ الفِعلِيّةُ خَبَر، والجُملةُ الاسمِيّةُ في مَحَلِّ الحالِ مِن فاعِلِ تَقتَرِن. **وتُخبِرُ أيضاً عَن** قَبيلةِ **عادٍ** الَّتي بُعِثَ إليها هُود/ عليهِ السَّلام. سُمِّيَت باسْمِ الأبِ، وهو [١٤٣ أ] عادُ بنُ عوصَ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ عليهِ السَّلام كانَ عُمرُهُ ألفاً ومِئَتي سَنةٍ. ورَأى مِن صُلبِهِ أربَعةَ آلافٍ. وتَزوَّجَ ألفَ امرَأة. وكانَ [عاد] كافِراً يَعبُدُ[١] القَمَر. **وتُخبِرُنا أيضاً عَن** مَدِينةِ **إرَم** بكَسْرٍ ففَتْحٍ الَّتي بَناها شَدّادُ بنُ عادٍ لَـمّا سَمِعَ بذِكْرِ الجَنّةِ ما فيها[٢]، وقَد ولي المُلْكَ[٣] بعدَ أبِيه. فقالَ لأبنِينَّ مِثلَها، فبَنى إرَمَ في ثَلاثِمئةِ سَنة. وجَعَلَ قُصورَها مِنَ الذَّهَبِ والفِضّةِ، وأساطِينَها مِنَ الزَّبرجَدِ والياقُوت. وجَعَلَ فيها أنهاراً مُطَّرِدةً وأصنافاً مِنَ الشَّجَر. وعِندَ كَمالِها رَحَلَ إليها بأهلِ مَملَكَتِه. فلَمّا كانَ مِنها على مَسيرةِ يَومٍ ولَيلةٍ بَعثَ اللهُ عليهِ صَيْحةً مِنَ السَّماء.

هذا خُلاصةُ خَبَرِها الَّذي أطنَبَ فيهِ المُؤَرِّخُون[٤].

---

(١) س: تعبد.

(٢) س: جملة «لما سمع...» قبل جملة «وقد ولي...».

(٣) ج: -.

(٤) قيل: إن إرم ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد، باليمن بين حضرموت وصنعاء. (راجع: معجم البلدان ١/ ١٥٥-١٥٦؛ وتاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري ٣/ ١٢٥٦، ٣٣٠٦).

ويُحتَمَلُ أنْ يَعودَ فاعِلُ يَقترِن إلى الآيات؛ أيْ: ألفاظُها إلّا أنَّهُ لا يُرادُ بزَمَنِ العُمُومِ بَلِ الخُصُوص؛ أيْ: لَم تقترِنْ بزَمَنِ ما أخبرَت عَنه، لا في الماضي كالإخبارِ عَن عادٍ وإرَم، ولا في المُستَقبَلِ كالإخبارِ عَنِ المَعاد. فذلكَ دلِيلُ أنَّهُ مِن عِندَ الله تَعالى. وكَرَّرَ عَن إيذاناً باستِقلالِ كُلٍّ مِنَ الثّلاثِ المُخبَرِ عنهُ بإعجازِ الآيات، أو لأنَّ الأوَّلَ زَمان، والثّالثَ مَكان، والأوسَطَ فهو أنواعٌ مُختلِفةٌ لا يَحسُنُ جَمعُها (في واحِد)[1] لانفِرادِ كُلٍّ بما يَخُصُّهُ. وقِيلَ: تكرارُها حَشْوٌ لِلوَزْن. وحُسْنُهُ دُعاءُ[2] المَدْحِ إلى الإطناب. وهذِهِ الآياتُ المُعجِزةُ باقِيةٌ كَما قال:

[٩٣. دامَتْ لَدَيْنا ففاقَتْ كلَّ مُعْجِزةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جاءَتْ ولَمْ تَدُمِ]

دامَت: استَمَرَّتْ مِن غيرِ انقِطاع. والجُملةُ صِفة آيات، أو خَبَرٌ بعدَ خَبَر. والضَّميرُ يَعودُ إليها. لَدَينا: عِندَنا إلّا أنَّ عِندَ أعَمّ. والمُرادُ مِنَ الضَّميرِ سائرُ المُسلِمينَ لِقَرنيةِ المَقام. ففاقَت: الفاءُ فيهِ لِلتَّفريغ؛ أيْ: فبِسَبَبِ[3] ذلكَ فاقَت لِدَوامِها وشَرَفِها: كُلَّ مُعجِزةٍ: خارِق لِلعادة، مَقرُون بالتَّحدِّي. مِن: ابتِدائيّة. النَّبِيِّينَ: وذلكَ لأنَّ مُعجِزاتِهم انقَرضَتْ بانقِراضِهم. [35 a] / ولا تَظهَرُ[4] على أيدِيهِم إلّا مَرّةً واحِدةً في مُدّةِ حَياتِهم حِينَ التَّحدِّي، ثُمَّ لَم يَظهَرْ بَعد. كَما قال: إذْ جاءَتْ ولَم تَدُمِ: وهو مُقتَبَسٌ مِن مِشكاةِ قَولِهِ ﷺ: «ما مِنَ الأنبِياءِ إلّا وقَد أُوتِيَ ما مِثلُهُ آمَنَ عَليهِ البَشَر، وإنَّما كانَ الَّذي أُوتِيتُ وحْياً يُتلى وهو باقٍ على الدَّوام»[5].

---

(١) ما بين القوسين ناقص في «ج».

(٢) س: + «و».

(٣) ج: فنسبت.

(٤) س: يظهر.

(٥) أخرجه البخاري في الاعتصام ١؛ ومسلم في الإيمان ٢٣٩.

وذلكَ لأنَّهُ ﷺ لَـمّا كانَ خاتَمَ الأنبياءِ ناسَبَ دَوامُ استِمرارِ مُعجزَتِه.

وقَولُه: مِنَ النَّبِيِّينَ: [صِفةٌ لـ مُعجِزة. وتَنوينُها لِلاستِغراقِ كتَعريفِ النَّبِيِّينَ؛ أيْ: الآياتُ القُرآنِيّةُ فاقَت كُلَّ مُعجزةٍ مِنَ النَّبِيِّينَ ومِن نَبِيِّنا ﷺ][1] وإذ لِلتَّعليلِ مَعمُول لـ فاقَت. وجُملةُ ولَم تَدُم حالٌ مِن فاعِلِ جاءَت.

ووُجُوهُ إعجازِ القُرآنِ/ كَثيرةٌ استَوعَبَ جانِباً مِنها القاضي عِياض في [١٤٣ ب] «الشِّفاءِ»[2] فشَفى. وهذهِ الآياتُ القُرآنيّة:

[٩٤. مُحَكَّمـاتٌ فمـا يُبْقِينَ مِنْ شُـبَهٍ   لِـذِي شِـقاقٍ ومـا يَبْغِيـنَ مِـنْ حَكَمِ]

مُحَكَّماتٌ: بتَشديدِ الكافِ مِن حَكَّمْتُه: جَعَلتُ لَـهُ الحُكْم؛ أيْ: إنَّها تُستَفادُ[3] مِنها مَعَ إتقانِ نَظْمِها في البَلاغة، ونِهايةِ الرَّصْفِ مِـمّا[4] لا يَقدِرُ البَشَرُ على الإتيانِ بقَدْرِ أقصَرِ سُورةٍ مِن سُوَرِه، فدَلَّ على أنَّها مِن عِندَ الله [تعالى ـ][5].

قال ـ تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقَد كانَ العَرَبُ مالِكِي أزِمّةِ الفَصاحةِ وقِيادِ[6] البَلاغة، وقَد عَجَزُوا أجمَعَ عَن ذلكَ، قالَ تَعالى: ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولِـما فيها مِنَ الآياتِ المُزيحةِ لِلشُّكوكِ قالَ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ج».

(٢) شرح الشفا في حقوق المصطفى لعليّ القاري ١/ ٢١٧-٢٢٢.

(٣) ج: يستفاد.

(٤) س: ما.

(٥) س: ـ.

(٦) س: قياد.

النّاظِم: **فما يُبقِينَ**[١] تلكَ الآيات **مِن شُبَهٍ**: جَمعُ شُبْهة: الالتِباسِ وعَدَمِ تَميز الشَّيْءِ مِن غيرِهِ عَيناً كانَ أو غَيرَه. فالفاءُ تَفريعِيّةٌ لِلنَّتيجة. ونَفيُ[٢] الجَمْع مَع أنَّ نَفْيَ المُفرَدِ يَلزَمُهُ نَفيُ الجَمْع ولا عَكْسَ تَنبيهاً على تَعدُّدِ طُرُقِ الباطِلِ وأنَّ الحَقّ واحِد، فكَأنَّه يَقُول: آياتُ القُرآنِ لا تُبقِي شَيئاً مِن أنواعِ الشُّبَهِ المُتَعَدِّدة، ويَدفعُ الجَميعَ على اختِلافِ أنواعِه، وما مِن أحَدٍ تَعرِضُ لهُ شُبهةٌ إلّا ويَجِدُ شِفاءَها في القُرآنِ[٣]، فهوَ الشِّفاءُ لِكُلِّ داءٍ والنَّجاةُ عِندَ تَفرُّقِ الأدواء. **ومِن**: مَزيدةٌ لِلتَّنصِيصِ على العُمُومِ والاستِغراق، والإتيانُ بصِيغةِ المُضارعِ لإفادةِ الاستِمْرار. **لِذِي شِقاقٍ**: بكَسْرِ المُعجَمةِ وبالقافَينِ مُخالفة. وهو الكافِر؛ لأنَّهُ مُشاقٌّ لِلدِّينِ، إذْ هو في شِقٍّ، والإسلامُ في آخَر. وإنْ جَعَلْنا مُحكَّماتٍ بمَعنى «مُتقَنات» أو «ذواتِ حُكْم» فلا يُبقِينَ شُبَهاً لِذِي شِقاقٍ أنَّهُنَّ مِن عِندِ الله؛ لأنَّ تلكَ الفوائِدَ الَّتي يَضمَنَّها وإيقانُ[٤] الشَّكِّ الَّذي بها لا يُمكِنُ كَونُهُ مِن عِندِ غَيرِ[٥] الله.

ويَجُوزُ استِعمالُ **مُحكَّمات** في مَعانِيهِ كُلِّها عِندَ مَن يُجِيزُ استِعمالَ «المُشتَرك»[٦] في كُلِّ مَعانِيهِ دُفعة؛ ولذا كانَ يُسْلِمُ كَثيرٌ مِنَ الكَفَرةِ عِندَ سَماعِهِ ما يضمنهُ[٧] مِنَ المَعاني[٨] الكَثيرةِ مِن بَعضِ ألفاظِهِ القَليلة، كما كانَ يُسلِمُ/ كَثيرٌ [35 b]

---

(١) س: يبقين.

(٢) ج: بقي.

(٣) ج: فيه.

(٤) س: إتقان، ج: إيقان.

(٥) س: ـ.

(٦) «المشترك اللفظي: هو اللفظ الواحد الذي يدل على أكثر من معنى واحد. كالعين فإنها تطلق على الجارية والمبصرة كما يطلق مجازاً على الجاسوس». (مجدي وهبة ٢١١).

(٧) ج: تضمنه.

(٨) ج: المعالي.

مِنهُم عِندَ سَماعِ لَفظِهِ لمَزِيدِ فصاحَتِهِ وبَلاغَتِه. وهذهِ الآياتُ في الدَّلالةِ على كَونِها مِن عِندِ اللهِ [ما][1] **يَبغِينَ**[2]: يَحتَجْنَ، **مِن حَكَم بِفَتحِ أوَّلِيهِ؛ أيْ: مِن** حاكِمٍ زائِدٍ على ذاتِهِنَّ. قِيل: لَـمّا كانَتِ المُعجِزاتُ كالشُّهودِ لِلنَّبِيِّ، والدَّعوى [تَحتاجُ إلى الحَكَمِ في قَبولِ الشَّهادةِ أشارَ إلى أنَّ هذهِ الآياتِ بثُبُوتِ النُّبوّةِ لا][3] تَحتاجُ إلى حَكَمٍ لِقُوّةِ ظُهورِ صِدْقِها؛ كَما لو شَهِدَ لِـمُدَّعٍ بدَعواهُ عَدَدُ التَّواتُرِ لحصَلَ القَطْعُ بصِدْقِهم، وما احتِيجَ لِحَكَمٍ يَقبَلُها، ولا يَطْلُبُ في ذلكَ تَزكِيَةً، ورَدَّ بأنَّهُ إنَّما يَتِمُّ لو كانَ بَعضُ أنواعِ الشَّهادةِ يَثبُتُ بهِ الحُكْمُ مِن دُونِ نَظَرِ الحاكِمِ،/ وذلكَ لا يُوجَدُ، إذْ لا يَتِمُّ الحُكْمُ بشَهادةٍ دُونَ تَنفيذ. [١٤٤أ]

وفي الجَمْعِ بينَ يُبقِينَ ويَبغِينَ جِناس. وقَولُه: **لِذِي شِقاقٍ** ظَرفٌ مُستَقِرّ، صِفةُ شُبَه، أو لَغو، مُتَعلِّقٌ بـ يُبقِينَ. ونَفْيُ الشُّبَهِ إنَّما هو بِحَسَبِ الحَقِيقة، ونَفْسِ الأمرِ عِندَ التَّأمُّلِ بالنَّصفة. وأمّا ثُبوتُ المُخالِفِ على المُخالَفةِ فلِرُسوخِ الزَّيْغِ في قَلْبِه، فلَم يَتمَكَّنْ مِن الانحِرافِ عَنه.

[٩٥. ما حُورِبَتْ قَطُّ إلّا عادَ مِنْ حَرَبٍ   أعْـدَى الأعـادِي إلَيها مُلْقِيَ السَّلَمِ]

مـا حُورِبَت؛ أيْ: الآياتُ. والمُرادُ مـا حُورِبَ الآتي بالآيِ ﷺ. **قَطُّ**؛ أيْ: في زَمَنٍ مِنَ الأزمنةِ الخَلِيّةِ[4]. والإسنادُ إلى ضَمِيرِها إسنادٌ إلى ما بـهِ المُحارَبة. فهو مِنَ المَجازِ العَقْلِيِّ؛ أيْ: مـا حارَبَـهُ أحَدٌ[5] في مَعنى النُّبوّةِ وخاصَمَهُ فيها جَحْداً لَها، ثُمَّ حارَبَهُ ﷺ بالقُرآن، إلّا غَلَبَ ﷺ، **وعادَ**؛ أيْ:

---

(١) ج: في حاشية «ج»: لا، بعد أن كتبت «ما» في النص.

(٢) س: يبغين.

(٣) ما بين القوسين: + في «ج».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ج».

(٥) ج: ما جاء ربه أحداً.

صارَ مِن حَرَبِ أعدَى الأعادي: الَّذي قَصَدَ حَربَهُ مِن أجْلِ قيامِ الحُجّةِ عَليه. إلَيها؛ أيْ: الآيات. مُلقِيَ السَّلَم؛ أيْ: السِّلاح، وسَلَّمَ لَهُ ﷺ إمّا بدُخُولِه في الإسلام، وإمّا بالكَفافة[١] عَنها. فإنَّ قيامَ الحُجّةِ عليهِ سَلْبٌ لِحُجَّتِهِ الَّتي هي كسَلْبِ مالِه، بَل أقوى؛ لأنَّهُ يخافُ الافتِضاحَ عِندَ دَحْضِ حُجَّتِهِ كَما يخافُ على مالِه. فهو إذا أحسَّ بالحَرَبِ[٢] ألقَى السَّلمَ كَيلا يُفتَضَح. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ ما عارَضَ هذهِ الآياتِ[٣] وقَصْدُهُ[٤] الإتيانَ بمِثْلِها في ظَنِّهِ إلّا عادَ مِن تَبيُّنِ عَدَمِ وُصُولِهِ لمُرادِه. وإنْ كانَ أعدى الأعادِي مُلقِيَ السَّلم، والأصَحُّ أنَّ في قُدرَتِهم الإتيانُ بمِثلِهِ لأنَّهُ مِن جِنْسِ كَلامِهم، إلّا أنَّ اللهَ صَرَفَهُم عنهُ مُعجِزةً لِنَبيِّهِ ﷺ. والاستِثناءُ مُفرَّغٌ مِن أعَمِّ الأحوال؛ أيْ: إلّا حالَ رُجوعِ أعدَى الأعادِي مُسلماً. والجُملةُ مَنصُوبةُ المَحَلّ، حالاً بتَقدِيرِ «قَد». والغَرَضُ مِنها إفادةُ سُرعةِ الرُّجوعِ عَنِ المُحارَبةِ إلى الانقِياد، فكَأنَّه مُقارنٌ لَها. ومُلقِيَ السَّلَم: خَبَر عادَ، وتَنكِيرُ حَرَبٍ للتَّعظِيمِ، ومِن الدّاخِلةُ عليهِ ابتِدائيّة.

[36 a] ولَـمّا كانَت آياتُ القُرآنِ في أوجِ مَراتِبِ البَلاغةِ/ فَعجزَ الخَلْقُ عَن مُعارَضَتِها وعَن الإتيانِ بمِثْلِها، لا جَرَمَ:

[٩٦. رَدَّتْ بَلاغتُهـا دَعْـوَى مُعارِضِها   رَدَّ الغَيُـورِ يَـدَ الجانـي عَـنِ الحُـرَمِ]

رَدَّتْ؛ أيْ: صَرَفَتْ وأبطَلَتْ بَلاغَتُها: وأوَّلَـه «الأصل» بـ «فَصاحَتِها»، ولا حاجةَ إليهِ. قالَ العَضد: وإيثارُها على الفَصاحةِ الإشارةُ إلى أنَّ الرَّدَّ بِسَبَبِها. وهي أخَصُّ مِنها. فذَكَرُها مُغنٍ عَنِ الفَصاحة، ولا عَكس. دَعْوى:

---

(١) س: بانكفافه.

(٢) س: الحرب.

(٣) ج: الأبيات.

(٤) س: قصد.

هي في «الأصل»: طَلَبُ شَيْء يُظَنُّ أنَّـهُ حَقٌّ وغَلَبَ استِعمالُها في الباطِل. مُعارِضِها؛ أيْ: مُقابِلِها بِمِثْلِها ادِّعاءً. والضَّمِيرُ الأوَّلُ لِلآياتِ والثّاني لَها، أو لِبَلاغَتِها. وجُملةُ رَدَّتْ بَلاغَتُها لِبيانِ عِلّةِ/ مَضمُونِ البَيْتِ قَبلَه، أو استِئنافٍ، [١٤٤ ب] أو وصْفِ آيات. رَدّ: مَفعُولٌ مُطلَقٌ، مُضافٌ لِفاعِلِه. الغَيُور: عَن حَرَمِهِ يَدَ الجانِي عَن نِسـائِهِ الحُرَم: فإنَّ كَونَهُ غَيُوراً يَقتَضِي[١] أنْ لا يُسامِحَ[٢] في تَركِ الجُناةِ لالتِماسِ[٣] النِّسـاء، وإنْ لَم يَكُنْ مِن مَحارِمِه، بَل يَرُدُّ أيدِيَهُم عَنهُنَّ بِمُقتَضى طَبعِهِ، فكيفَ بِرَدِّهِ[٤] يَدَ الجانِي عَن حَرَمِهِ هو؟ وأشارَ بِهِ إلى مُسَيلَمَةَ الكَذّابِ[٥] حَيثُ عارَضَ القُرآنَ بزَعمِهِ عِندَ دَعواهُ النُّبوّةَ، مِمّا ادَّعى أنَّ جِبريلَ

---

(١) ج: يقضي.

(٢) ج: تسامح.

(٣) ج: للتماس.

(٤) ج: يرده.

(٥) هو مسيلمة بن ثمانة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمانة (... ـ ١٢هـ/ ... ـ ٦٣٣م). متنبىء، من المعمَّرين، وفي الأمثال «أكذب من مسيلمة» ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب «العيينة» بوادي حنيفة، في نجد. وتلقَّب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمن اليمامة. ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي ﷺ مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرِّحال، خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد، وذكروا للنبي ﷺ مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشركم مكاناً. ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي ﷺ: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد، فإنيَ قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون». فأجابه: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»، وذلك في أواخر سنة ١٠هـ كما في سيرة ابن هشام (٣: ٧٤)، وأكثر مسيلمة =

جاءَهُ بِهِ، فقالَ في مُعارَضةِ سُورةِ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ [النازعات: ١] «والطّاحِناتِ طَحناً، والعاجِناتِ عَجناً، والخابِزاتِ خَبزاً». فافتُضِحَ، لا بارَكَ اللهُ فيه.

ويَجُوزُ أن يقرأ حرم بضَمَّتَينِ جمع حرمة الرَّجُل؛ أيْ: أهله ومحرمه. وعن الحرم مُتعلِّقٌ بـ رد.

[٩٧. لَـها مَعانٍ كَمَـوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ وفَـوْقَ جَوْهَـرِهِ فـي الحُسْـنِ والقِيَمِ]

لَها؛ أيْ: الآياتُ مَعانٍ: وإعرابُـهُ مُقَدَّرٌ على الياءِ المَحذُوفـةِ لِلتَّنوينِ المُعَوَّضِ بِهِ[١] عَنِ الياءِ المَحذُوفةِ على الأصَحِّ مِنَ الخِلاف: أهو عِوَضٌ عَنِ الياء، أمْ عَنِ الضَّمّةِ، أمْ لِلصَّرْف؟ وهو مُبتَدَأ، خَبَرُهُ مُتعلِّقُ الظَّرْفِ قَبلَه. وقُدِّمَ لتَخصِيصِ المُبتَدأ النَّكِرةِ بتَقدُّمِ الحُكْم. والتَّنْوينُ لِلتَّعظِيمِ والتَّكبِير، كَما يَدُلُّ

= من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن. وتوفي النبي ﷺ قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر، انتدب له أعظم قواده «خالد بن الوليد» على رأس جيشٍ قويٍّ، هاجم ديار بني حنيفة، وصمد هؤلاء، فكانت عدة من استشهد من المسلمين على قلتهم في ذلك الحين ألفاً ومئتي رجلٍ، منهم أربعمئة وخمسون صحابياً. (كما في الشذرات) وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة ١٢هـ)، ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء، من الصحابة، ظاهرة في قرية «الجبيلة» حيث كانت الواقعة، وقد أكل السَّيل من أطرافها حتى إن الجالس في أسفل الوادي يرى على ارتفاع خمسة عشر متراً تقريباً، داخِل القبور ولحدها، ولا يزال في نجد وغيرها من ينتسب إلى بني حنيفة الذين تفرقوا في أنحاء الجزيرة، وكان مسيلمة ضئيل الجسم، قالوا في وصفه: «كان رويجلاً، أصيغر، أخينس». كما في كتاب البدء والتاريخ. وقيل: اسمه «هارون» ومسيلمة لقبه. كما في تاريخ الخميس.

ويقال: كان اسمه «مسلمة» وصغره المسلمون تحقيراً له، قال عمارة بن عقيل:

أكان مسلمة الكذاب قال لكم لن تدركوا المجد حتى تغضبوا مضرا

ولهشام الكلبي النسابة «كتاب مسيلمة». (انظر: الأعلام ٧/ ٢٢٦).

(١) ج: ـ.

عليهِ قَولُه: **كَمَوْجِ البَحْرِ في مَدَدٍ. والمَوجُ في البَحرِ** ما يَعلُو مِن غوارِبِ الماء. **والمَدَدُ** بِفَتحِ أوَّلَيهِ كالمِداد، ما يُمَدُّ بِهِ الشَّيْءُ كالحِبْرِ لِلدَّواة. ويَجُوزُ مِن المَدِّ المُقابِلِ لِجَزْرِ[١] البَحرِ؛ أيْ: ازدِياده. وحِينَئذٍ ففي الكَلامِ مُضافٌ؛ أيْ: في وقْتِ مَدِّه.

وقَد جَرَتِ العادةُ حِينَ قَصْدِ المُبالَغةِ في كَثرةِ الشَّيْءِ تَشبيهُهُ بمَوجِ البَحْرِ على تَقدِيرِ الوَقْت. **وهـو حالٌ، أو صِفةٌ للبَحْر. ويَجُوزُ إعرابُهُ حالاً** مِنَ المُشَبَّه به؛ أيْ: المَوجُ حاصِلاً في مَدَد، أو مُتَعلِّقاً بمَعنى الفِعْلِ المُستَنبطِ مِن أداةِ التَّشْبيهِ على أنْ يَكُونَ وجهُ الشَّبَهِ نحو: «زَيدٌ كالأسَدِ في الشَّجاعة». ويَجُوزُ كَونُ الكافِ اسْماً بمَعنى «المثل»، ويَكُونُ حِينَئذٍ صِفةَ **مَعانٍ**، وأشارَ بِهِ إلى نَحو ما رُوِيَ عَن عَلِيٍّ كَـرَّمَ اللهُ وجْهَه: «لو شِئْتُ لأوقَرْتُ سَبعِينَ بَعِيراً مِن سُـورةِ/ الفاتِحة». وما حُكِيَ عَن بَعضِهم: «لِكُلِّ آيةٍ سِـتُّونَ ألفَ [36 b] فَهْم. وما بَقِيَ مِن فهمِها أكثر»؛ وما قالَهُ آخَر: «أقلُّ ما قِيلَ في العُلومِ الَّتي في القُرآنِ مِن ظَواهِرِ المَعاني المَجمُوعةِ فيهِ أربَعةٌ وعِشرُونَ ألفَ عِلْمٍ وثَمانِمئةِ عِلْم». وبَيَّنَ صاحِبُ «الأصل»[٢] بَعْضاً[٣] مِـمّا يَتجلَّى[٤] بِهِ قَولُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. والحَقُّ أنَّهُ ليسَ طَرِيقُ ذلكَ إلّا التَّصدِيقَ والإيمانَ بعدَ مَعرِفةِ ما أوتِيه مِنَ العِلْمِ الإلهيِّ والسِّرِّ الرَّبّانِيِّ، وإلّا فالعِبارةُ تَضِيقُ عَن إيضاحِ طَرِيقِ هذهِ الإشارة.

و هذهِ المَعاني الَّتي أشارَ إليها النّاظِمُ **فوقَ جَوهَرِهِ في الحُسْنِ والقِيَم؛**

---

(١) س، ج: لزجر.

(٢) مشارق الأنوار للقسطلاني (٣٢ ب).

(٣) س: بعضاً.

(٤) ج: ينجلي.

[١٤٥ أ] أيْ:/ فائِقةٌ قَدْراً وشَرَفاً حُسْنَ جَوهَرِ البَحْر؛ أيْ: الدُّرِّ[١] المُستَخرَجِ مِنهُ.

وأطلَقَ القِيمةَ على القَدْرِ مَجازاً؛ لأنَّ القِيمةَ في المُقوَّمِ هي مِقدارُه. وفي البَيْتِ «الجَمْعُ» و«التَّفرِيق». وهو أنْ يَدخُلَ شَيئانِ في مَعنًى واحِدٍ ثُمَّ يُفَرَّقَ بينَ جِهَتَي الإدخال. وهو في البَيْتِ كَثرةُ مَعاني القُرآنِ، وحُسْنُها وقَدْرُها بالبَحْرِ وفَرْقٌ بينَ جِهَتَي التَّشْبيهِ[٢]. فأمّا[٣] الكَثرةُ فتَشبيهُ[٤] مَوْجِهِ في المَدَدِ. وأمّا الحُسْنُ والقَدْرُ فيَزيدانِ على حُسْنِ جَوهَرِهِ وقِيمَتِه. وفَوْق: مَعطُوفٌ على كمَوْج. وقَولُه: **في الحُسْن**: مُتَعلِّقٌ بما يَفهَمُهُ قَولُه: **فوقَ جَوهَرِهِ**: أيْ: الزِّيادة.

[٩٨. فمـا تُعَـدُّ ولا تُحصَـى عَجائِبُها ولا تُسـامُ علـى الإكْثـارِ بِالسَّـأمِ]

وإذا كانَت مَعاني الآياتِ كَموجِ البَحْرِ **فلا تُعَدُّ**: مِنَ العَدِّ، ضَمُّ الأعدادِ بَعضِها إلى بَعْض. والفاءُ فَصِيحة. **ولا تُحصى**: مِنَ الإحصاء: التَّعْيينِ بالعَدِّ، مَأخُوذٍ مِنَ الحَصى. إذِ العَرَبُ كانُوا يَعتمِدُونَهُ فيهِ كَما تُعتَمَدُ[٥] الأصابعُ فيه. والفِعلانِ، مَبنِيّانِ لِلمَجهُول، تَنازَعا قَولَه: **عَجائِبُها**: غَرائِبُها الرّائِعةُ ولِطائِفُها الفائِقةُ ونكاتُها المُبهِجةُ لِعَدَمِ تَناهِيها. **ولا تُسامُ**: مِنَ السَّوْمِ: الرَّعْي. والمُرادُ مِنهُ لازِمُ مَعناهُ. وهو المَلَلُ النّاشِئُ عَنِ السَّوْم؛ أيْ: لا تملّ[٦] هي. أو ما جاءَتْ بِهِ مِنَ المَعاني، أو ما ورَدَ فيها مِنَ التَّكرارِ سِيَّما القَصَص. وشَأنُ ما كَثُرَ تَردادُهُ مِن غَيرِها أنْ يُمِلَّ ولو بَلَغَ الغايَةَ في الحُسْنِ والبَلاغةِ بِخِلافِ

---

(١) س: الدرر.

(٢) ج: الشبه.

(٣) ج: وأما.

(٤) ج: فتسبه.

(٥) س: يعتمد.

(٦) س: يمل.

القُرآن. كَما ورَدَ في الحَدِيث: «فقارِئُهُ لا يَمَلُّهُ وسامِعُهُ لا يَمُجُّهُ، الإكبابُ على تِلاوَتِهِ يَزِيدُهُ حَلاوةً، وتَرديدُهُ يُوجِبُ لهُ مَحبّةً وطُلاوةً»(١). [على: مَع الإكثار: بالمُثلَّثةِ مِن تَردادِها. **بالسَّأم**: لَغو يَتعلَّقُ بالفِعْل. وذلكَ لِكَمالِ حُسْنِ مَوقِعها مِنَ القُلوبِ فشَأْنُها كَما قِيلَ بالنِّسْبةِ لِعَينِ القَلْبِ يَزِيدُكَ وجْهُهُ حُسناً إذا ما ردَّ بِهِ نَظَراً](٢).

[٩٩. قَرَّتْ بهـا عَيْنُ قارِيهـا فقُلْتُ لهُ   لقـد ظَفِـرتَ بِحَبْـلِ الله فاعْتَصِـمِ]

قَرَّتْ بِها؛ أيْ: حَصَلَ بالآياتِ قَرار. **عَين قارِيها**؛ أيْ: سُرُوره. كَأَنَّ عَينَ الحَزينِ مُضطَرِبةٌ وعَينَ المَسرُورِ(٣) ساكِنة. وقِيل: مِنَ القُرِّ بضَمِّ القافِ: البَرْد؛ أيْ: بَرَدَتْ بدَمعةِ الفَرَح. ولَم تَسخُنْ بدَمعةِ الحُزنِ عَينُ تالِيها. ويَجُوزُ أنْ يُرادَ بـ **قارِيها**: تابعها أو قاصِدِها «مِن قَررتُ إليهِ»: قَصَدْتُه، إلّا أنَّهُ إنْ كانَ المُرادُ القارِئَ تَرجَّحَ عَودُ ما أُضِيفَ إليهِ على الآياتِ/ الَّتي هي الألفاظُ وإنْ [37 a] كانَ المُرادُ المُتَّبِعُ تَرجَّحَ عَودُهُ على المَعاني. **والفاءُ** في **فقُلْتُ لَـه**: سَبَبِيّةٌ، أو فصِيحة. **واللّام** لِلاختِصاصِ مُتَعلِّقٌ بـ **قُـلْتُ**، وهي لامُ التَّبلِيغ، ووَقْتُ القَولِ مَحذُوفٌ؛ أيْ: حِينَئِذٍ. **واللّام** في **لَقد ظَفِرْتَ**(٤) جَوابُ القَسَمِ المُقَدَّر. والظَّفَرُ الفَوزُ بالمَقصُودِ مَع وِجدانِ الخَير. **بحَبْلِ الله**: مُتَعلِّقٌ بـ **ظَفِرْتَ**؛ أيْ: بعَهدِهِ الَّذي بَينَهُ وبينَ خَلْقِه، والمُتَعلِّقُ بِقَولِهِ **فاعتَصِم** مَحذُوف؛ أيْ: بِـه. **والفاء** فصِيحة؛ أيْ: لَمّا/ ظَفِرْتَ بِـه فاعتَصِم، أو عاطِفةٌ للأمرِ على الماضَوِيّة. [١٤٥ ب]

---

(١) مشارق الأنوار للقسطلاني (٣٣ ب).

(٢) ما بين القوسين: + في «س». وفي حاشية «ج»: «على الإكثار بالسأم».

(٣) س، ج: السرور.

(٤) ج: + لام.

والعَطْفُ بالفاءِ لا يَشتَرِطُ تَناسُبَ المَعطُوفين؛ لأنَّ الفاءَ لَها مَعنًى مَخصوصٌ إذا وُجِدَ حُسْنُ العَطْف، والجُملةُ مِن مَقُولِ القَول.

وفي البَيْتِ استِعارةٌ مُصرَّحة. شَبَّهَ الآياتِ بحَبلٍ يُتمَسَّكُ بـه، ثُمَّ ذَكَرَ اسمَ المُشَبَّهِ به، والقَرينةُ إضافَتُهُ إلى الله تَعالى. وقَـد يُقالُ استِعارةُ الحَبْلِ لآياتِ الله تَجرِيدِيّة؛ لأنَّ الاعتِصامَ يُناسِبُ المُستَعارَ لَه، إذْ هو الامتِناعُ بِبَرَكَتِهِ مِنَ العَذابِ باتِّباعِ الأوامِرِ واجتِنابِ النَّواهِي، وأمّا: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فاستِعارةُ العُروةِ لِلإيمانِ تَرشِيحِيّة؛ لأنَّ الاستِمْساكَ يُلائِمُ المُستَعار. ووَجْهُ استِعارةِ الحَبْلِ لِلعَهدِ أنَّ الحَبْلَ سَبَبٌ يُتوَصَّلُ بهِ إلى الأشياء، وكذا عَهْدُ الله تعالى يُتوَصَّلُ بهِ إلى ثَوابه.

ثُمَّ خاطَبَ القارِئَ الَّذي دَعا لهُ بقَرارِ العَينِ بقَولِه:

[١٠٠. إنْ تَتْلُهـا خِيفةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظًى   أطْفَأْتَ نـارَ لَظًى مِـنْ وِرْدِها الشَّـبِمِ]

إنْ تَتلُها؛ أيْ: الآيات. خِيفةً: مَفعُولٌ لهُ مِنَ «الخَوْف». قُلِبَتْ واوُهُ ياءً لِسُكونِها إثْرَ كَسْـرة. مِن تَعليليّة. ألم حَرِّ نارِ لَظًى: دَرَكةٍ مِن دَرَكاتِ النّار. أطْفَأْتَ: مِنَ الإسنادِ المَجازِيّ. وهو حَقيقةٌ لله تَعالى، نـارَ لَظًى: مِن إضافةِ الأعَمِّ إلى الأخَصِّ نَحو: «شَجَرِ الأراكِ». والإطفاءُ مِن: تَعليليّة؛ أيْ: لأجلِ وِرْدِها الشَّبِمِ بِفَتحِ المُعجَمةِ وكَسرِ المُوحَّدةِ: البارِد.

واستِعارةُ الوِرْدِ للآياتِ تَرشِيحِيّة؛ لأنَّ الشَّبِم مِـمّا يُلائِمُ المُستَعارَ مِنهُ. ووَجْهُ التَّشْبيهِ أنَّ وِرْدَ الماءِ يُطفِئُ حَرارةَ العَطَشِ، ووِرْدُ الآياتِ يُطفِئُ[1] حَرارةَ جَهنَّم، أعاذَنا اللهُ مِنها.

---

(١) ج: تطفئ.

وآياتُ القُرآنِ المَذكُورة:

[١٠١. كَأَنَّها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ مِـنَ العُصـاةِ وقَـدْ جـاؤُوهُ كالحُمَمِ]

كَأَنَّها الحَوضُ تبيَضُّ: بِتَشديدِ الضّاد. **الوُجُوه**؛ أيْ: ذَوُوها. إمّا على تَقدِيرِ المُضاف، أو مِن إطلاقِ اسمِ الجُزءِ وإرادةِ الكُلِّ. **بِهِ**: مُتَعلِّقٌ(١) بـ **تبَيَضُّ**. **والباءُ** للسَّببِيّةِ. **والضَّمِيرُ** لـ **لحوضِ**. **مِن**: بَيانِيّة **للوُجُوه**. **العُصاة**: الّذينَ يَخرُجونَ مِنَ النّار بشَفاعَتِهِ ﷺ./ والحالُ **أنَّهم قَد جاؤُوه**: مِنَ العَذاب. [37 b]
كالحُمَم: الفَحم. ووَجْهُ الشَّبَـهِ أنَّ آياتِ القُرآنِ لَـما كانَت تشفعُ في تالِيها، وقَد جاءَ مُسوَدَّ الوَجْهِ مِنَ المَعاصِي فيَبيَضُّ(٢) وجهُهُ بشَفاعَتِهِ كَأَنَّهُ الحَوضُ الَّذي يَغتَسِلُ فيهِ العُصاة، وقَدِ احتَرَقُوا حَتَّى صارُوا حُمماً، فيَعودونَ بِيضاً كالقَراطِيس، ثُمَّ يَدخُلونَ الجَنّة، ومُرادُهُ مِنَ الحَوضِ نَهرُ الحَياة؛ لأنَّ هذِهِ صِفَتُهُ، أو حَوضُـهُ ﷺ. ويَجُـوزُ أنْ يَكُونَ نَهـرُ الحَياةِ أوَّلَ مَرتَبتِهِ ومُنتَهاهُ الحَوْض. فـ **أل** فيهِ لِلعَهدِ الذِّهنِيِّ./ وجُملةُ **تَبيَضُّ الوُجوهُ** حالٌ مِن اسمِ [١٤٦ أ] كانَ، أو استِئنافٌ لِبَيانِ الوَجْه. **ومِنَ العُصاة**؛ أيْ: عُصاةِ المُسلِمينَ فـ أل: فيهِ عَهدِيّةٌ، حالٌ مِنَ **الوُجُوه**، أو صِفةٌ لَها. وقَولُه: **وقَد جاؤُوا** محلُّهُ الحالُ مِنَ **العُصاة**. وهي فاعِلُ مَعنى إذْ خُلاصةُ الكَلام أنَّ العُصاةَ يَبيَضُّونَ(٣)؛ ولِذا صُدِّرَ بـ **قَد**؛ لأنَّ الماضَوِيّةَ إذا وقَعَتْ حالاً فلا بُدَّ مِن قد لَفظاً، أو تَقْدِيراً. وقَولُه: **كالحُمَم** حالٌ مِن فاعِلِ **جاءَ**. وضَمِيرُ **جاؤُوهُ** المَفعُولُ به، لـ **لحوض** [أيْ: عائِد لِلحَوْض].

---

(١) س: يتعلق.

(٢) س: تبيض.

(٣) س: تبيضون.

وفي البَيْتِ التّلميحُ؛ لأنّهُ أشارَ إلى ما ورَدَ مِن اغتِسالِ الجَهَنَّمِيِّينَ في بَحرِ الحَياة.

[١٠٢. وكالصِّراطِ وكالمِيزانِ مَعْدِلةً فالقِسْطُ مِنْ غَيْرِها في النّاسِ لَمْ يَقُمِ]

وهذهِ الآياتُ أيضاً **كالصِّراط**: ويُقالُ بالسِّينِ وبالزّاي: الطَّرِيق؛ أيْ: مِن حَيثُ الاستِقامة. وهو دِينُ الحَقِّ، لا اعوِجاجَ فيه، أو مُرادُهُ الصِّراط، وهو جِسْرٌ على ظَهْرِ جَهنَّمَ أدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ يَسِيرُ عَليهِ النّاسُ إلى الجَنّةِ على قَدْرِ أعمالِهِم. وهو خَطٌّ مُستَقيمٌ لا اعوِجاجَ فيهِ بِقَرِينةِ ذِكْرِهِ مَعَ الحَوْض. وهُما مُتلازِمان، إذْ لا يَسِيرُ على مَتْنِهِ سَيراً مِن غيرِ عِوَجٍ إلّا مَن كانَ على طَرِيقِ الاستِقامةِ في الدُّنيا، فعلى الثّاني اللّامُ لِلعَهدِ، وعلى الأوّلِ لِلجِنْس.

وهذهِ الآياتُ **كالمِيزانِ مَعْدِلةً**: بالنَّصْبِ على التَّمييز؛ أيْ: عَدلاً وحُذِفَ تَمييزُ الصِّراطِ وهو استِقامةً لِدَلالةِ المَعنى عليه. ووَجْهُ شَبَهِ الآياتِ بِكُلٍّ مِنهُما أنّها ذاتُ عَدْلٍ واستِقامةٍ كاستِقامةِ الطَّرِيقِ والمِيزان. **فالقِسْطُ** بكَسْرِ القافِ العَدْلُ **مِن غيرِها**: وغير ما يرجِعُ إليها مِن نَحوِ السُّنّةِ **في النّاسِ لَم يَقُم**؛ أيْ: الخُصوص مِنهُم، وهم الأُمّةُ المُحمَّدِيّة. ووَجْهُ تَكرِيرِ الكافِ في المُتعاطِفاتِ الإشعارُ باستِقلالِ كُلٍّ في وجْهِ الشَّبَه. إذْ حُصُولُ النَّصفيّة[١] ورِعايةِ المَعدلةِ تامّةٌ في كُلٍّ مِنهُما. وضَمِيرُ **غيرِها** يَرجِعُ لِلآيات. **وفي النّاس**: مُتعلِّقٌ بِـ**لَم يَقُم** بِفَتحٍ فضَمٍّ مِنَ القِيام بمَعنى الثُّبُوت، أو بالعَكْسِ مِنَ «الإقامة».

وأشارَ جَواباً[٢] عَن سُؤالٍ تَقدِيرُه: إذا كانَتِ الآياتُ بهذهِ المَنزِلةِ فكيفَ صَحَّ مِن كَثيرٍ مِنَ الكَفَرةِ إنكارُ كَونِها مِن عِندِ الله/ ودَلالَتُها على صِحّةِ نُبوّةِ الآتِي بِها بِقَولِهِ: [38 a]

---

(١) س: التصفية.

(٢) ج: أجواباً.

[١٠٣. لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ راحَ يُنْكِرُها تَجاهُلاً وهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ]

لا تَعْجَبَنْ: صِيغةُ نَهيٍ مُؤَكَّدةٌ بالنُّونِ الخَفيفة. والعجبُ حالةٌ تعرِضُ لِلإنسانِ عِندَ الجَهْلِ بِسَبَبِ الشَّيْءِ **لِحَسُودٍ**: الحَسَدُ تَمنِّي زَوالِ نِعمةٍ مِن مُستَحِقٍّ لَها. ورُبَّما كانَ مَع ذلكَ سَعيٌ في إزالَتِها عنه. وقَد يُطلَقُ الحَسُودُ على العَدُوِّ المُعانِد. **راحَ**: ولَّى مُنكِراً. وأصلُهُ السَّيرُ بالعَشِيِّ ضِدَّ الغُدُوِّ، السَّيرُ مِنَ الزَّوالِ إلى اللَّيل. **يُنكِرُها**: مَع وُضُوحِ دَلالَتِها وتَبيَّنَ عُلُوُّ مَرتَبتِها كَما تَتبيَّنُ[1] المُدركةُ بحاسّةِ البَصَرِ في نِصْفِ النَّهارِ الَّذي هو أوَّلُ وقْتِ/ الرَّواح. **تَجاهُلاً**؛ [١٤٦ ب] أيْ: لا حَقيقةً، لِكَونِه أظهَرَ كصُورةِ الجَهْلِ فإنكارُهُ ليسَ لِجَهلٍ مِنهُ؛ لأنَّ ما تَجاهَلَهُ في الوُضُوحِ كالنَّهارِ لا يجهلُ، لَكِنَّهُ أظهَرَهُ حَسَداً، وكيفَ يَكُونُ جهلًا. **وهو عَينُ الحاذِقِ الفَهِمِ**: الماهِرِ في الأشياءِ بحَيثُ لا يَخفى عليهِ الحَقُّ مِنَ الباطِل. وحَذْقُهُ كذلكَ ناشِئٌ عَن كَونِهِ فاهِماً بالأصالة، فـ **الحاذِقُ والفَهِمُ**: وصْفانِ مُتغايِرانِ. وفي إيثارِ صِيغةِ الصِّفةِ المُشَبَّهةِ في **الفَهِمَ** على اسمِ الفاعِلِ مُبالَغةٌ في ثُبُوتِ الفَهْم؛ لأنَّها بمَعنى الثُّبُوت. وجُملةُ **وهو عَينُ الحاذِق** في مَحلِّ الحال، والخِطابُ بِقَولِهِ: **لا تَعجَبَنْ** لغَيرِ مُعَيَّن.

ثُمَّ استدل على ما ادعاه بِقَولِهِ:

[١٠٤. قَدْتُنْكِرُالعَيْنُ ضَوْءَالشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ويُنْكِرُالفَمُّ طَعْمَ الماءِمِنْ سَقَمٍ]

قَدْ تُنكِرُ[2] **العَينُ ضَوْءَ الشَّمْس**: مِن أجلِ ما قامَ بها مِن مانِعٍ **مِن رَمَدٍ**: عارِضٍ على الإدراكِ الَّذي فيها: يَمنَعُها مِنهُ مَع قِيامِهِ بها. والضَّوْءُ لِما كانَ بالذّاتِ والنُّورُ لِما كانَ بالعَرَض. قالَ تَعالى: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً

---

(١) س: يتبين.

(٢) س: ينكر.

وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥] **وقد يُنكِرُ الفَمُّ طَعْمَ الماء؛** أيْ: ما يُدرِكُهُ مِنهُ بحاسّةِ الذَّوْقِ المُنبَثّةِ في العَصَبِ المَفرُوشِ على جِرْمِ اللِّسان. **مِن:** أجْلِ **سَقَمٍ:** قائمٍ به. وليسَ هو إلّا نُفورٌ مَحضٌ مِن استِعمالِهِ مَعَ العِلْمِ بما هو عليهِ مِن حَقِيقةِ الطَّعْمِ المَخصُوصِ في نَفْسِ الأمْر، فكذا الكافِرُ يَنفُرُ مِنَ الآياتِ ويُنكِرُ كَمالَها تَجاهُلاً مَع عِلْمِهِ بعُلُوِّها قَدْراً في نَفْسِ الأمْر.

قِيل: والبَيْتُ تَذيِيلٌ لِلبَيتِ قَبلَه؛ أيْ: لِـمَضمُونِهِ بالفَحْوى، جارٍ مَجرى الأمثالِ في الاستِقلالِ، وفُشُوِّ الاستِعْمال، ثُمَّ لَـمّا تَواتَرَتْ أوصافُ مَدحِهِ ﷺ وصارَ بها كالحاضِرِ[1] عِندَهُ خاطَبَهُ بِقَولِهِ:

* * *

(١) ج: الخاطر.

[الفَصْل السّابع]

[في بيانِ مِعراجِ النَّبيِّ ﷺ]

[١٠٥. يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العافُونَ ساحَتَهُ   سَعْياً وفَوْقَ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ]

يا خَيرَ: يُحتَمَلُ أنْ يَكُونَ أفعلَ تَفضِيلِ خُفِّفَ، وأنْ يَكُونَ اسْماً؛ أيْ: ما يَرغَبُ فيهِ الكُلُّ. **مَنْ**: اسمٌ مَوصُول، أو نَكِرةٌ مَوصُوفة. وعُمُومُ المَوصُولِ/ ظاهِر، [38 b] والمَوصُوفةُ[١] باعتِبارِ الشُّيوعِ الإبهامِيِّ. والحَمْلُ على بَعضٍ دُونَ آخَرَ تَرجِيحٌ بلا مُرَجِّح، فحَمْلٌ على الكُلِّ في المَقامِ الخطابِيِّ. **يَمَّمَ**: قَصَد. **العافُونَ**: طالِبُو المَعرُوف. مِنَ العَفْو: القَصْدِ لِتناوُلِ الشَّيْء. **ساحَتَهُ**: ساحةُ الدّارِ فضاؤُها الَّذي يَكُونُ عِندَ الباب. **سَعْياً**: سَيراً سَريعاً دُونَ الجِدِّ، حالٌ مِن فاعِلِ **يَمَّمَ**، أو يُحتَمَلُ أنَّ مَعناهُ مُجدِّينَ مُجتَهِدينَ في ذلكَ استِعجالاً[٢] لتحقِيقِ ما يَفُوزُوا مِنهُ مِنَ الظَّفَرِ بالمَطلُوبِ وأمْنِ الخَيْبة، وحالَ كَونِهم راكِبينَ **فوقَ** مُتونِ **الأينُقِ**: بتَقدِيمِ التَّحتِيّةِ على النُّونِ **الرُّسُم**؛ أيْ: فوقَ ظُهورِ النُّوقِ الشَّدِيدةِ الوَطْءِ لِقُوَّتِها حَتَّى أنَّها تَرسُمُ في الأرضِ بمَشْيِها آثاراً ظاهِرة. كُلُّ ذلكَ لِحُصولِ البُغيةِ سَريعاً والرُّجوعِ بالحاجةِ في أسرَعِ وقْت.

ثُمَّ أنيُق: أصلُه «أنوُق» جَمع «ناقة»./ فاستُثقِلَتْ ضَمّةُ الواوِ فحُذِفَتْ [١٤٧ أ] وقُدِّمَتِ الواو، ثُمَّ عَوَّضُوها ياءً. فقالوا: «أينُق». ويُجمَعُ على «أيانِق».

---

(١) ج: الموصوف.

(٢) ج: استعمالاً.

[١٠٦. وَمَنْ هُـوَ الآيةُ الكُبْرَى لِـمُعْتَبِرٍ وَمَـنْ هُـوَ النِّعْمَـةُ العُظْمَـى لِـمُغْتَنِمِ]

ويا مَن هُو الآيـةُ الكُبرى: الدّالّةُ على عَظَمةِ الله وجَزيلِ مِنّتِه. إذْ لَم يُكافِئْهُ أحَدٌ مِنَ المُمكِناتِ في شَيْءٍ مِن كَمالِهِ الشّاهِدِ بما ذكرَ لِـمُعتَبِرٍ: مُتأمِّلٍ ومُتذَكِّر، فإنَّهُ بأوَّلِ نَظَرٍ مَع تَوفيقِ الله تَعالى له، يَعلَمُ أنّهُ خَيرُ خَلْقِ الله، وأنَّهُ أكرَمُ مِنّةٍ مَنَّ اللهُ بها على خَلقِهِ كَما قالَ تَعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وتَخصيصُهم بالذِّكْرِ لِكَمالِ انتِفاعِهم به، وإلّا فالمِنّةُ بِهِ على الكَونِ أجمَع. قالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولِذا قالَ ويا مَن هُو النِّعمةُ لِـمُغتَنِم: ما عِندَ الله مِنَ السّعادةِ الأبدِيّة، وما سَلَكْتُهُ كـ«الأصل» مِن جَعْلِهِ عَطفاً على خَيرِ أولى مِن إعرابِ بَعضِهم لَهُ عَطفاً على مَن في قَولِهِ: خير مَن، لا يَلزَمُ عليهِ أنْ يَكُونَ مِن مُتعدِّدٍ مَوصُوفٍ بذلكَ. هو خيرُهم، وعلى ما سَلَكناهُ يَكُونُ مُفرداً بذلكَ عَن كُلٍّ.

ويُستَفادُ[١] مِن كَلامِ النَّظمِ تَفضِيلُهُ ﷺ على المَلائِكة، كَما هو مُختارُ أهلِ السُّنّةِ مِن تَفضِيلِ الأنبياءِ عَليهِم.

[١٠٧. سَـرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إلَى حَرَمِ كَما سَـرَى البَـدْرُ في داجٍ مِـنَ الظُّلَمِ]

سَرَيْتَ مِن حَرَمٍ؛ أيْ: حَرَمِ مَكّةَ. لَيلاً: نَكِرةٌ لِلتَّقليلِ؛ أيْ: في[٢] جُزْءٍ مِنهُ. وأتى بِهِ تأكِيداً، وإلّا فالسُّرى سَيرُ اللَّيلِ فقط، ولو لَم يَذكُرْهُ كذلك لاحتَمَلَ كَونُ سَيرِهِ في اللَّيلِ كُلِّهِ وليسَ كذلكَ، بَل قَطَعَ مَسافةَ ثَمانينَ لَيلةً في بَعضِ اللَّيل. وكانَ بَقِيّةَ اللَّيلِ لِعُروجِهِ إلى السَّبعِ العُلى/ ولِتَلقِّيهِ مِن العَلِيِّ الأعلى الأحكامَ التَّكلِيفيّةَ. ويَشهَدُ لذلكَ قِراءةُ ابنِ مَسعُودٍ وحُذَيفةَ[٣] في آيةِ

[39 a]

(١) س: تستفاد.

(٢) س: ـ.

(٣) هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله (... ـ ٣٦هـ/ ... ـ ٦٥٦م) واليمان=

الإسـراء: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] من الليل؛ أيْ: **بَعضِهِ إلى حَرَمٍ**: هو بَيتُ المَقدِس. وكانَ الإسـراءُ بِهِ لَيلاً لِجَبرِهِ بما لَحِقَهُ مِن محو الله[1] لَه. قِيل: افتَخَرَ النَّهارُ، فقِيلَ له: لا تَفخَرْ إنْ طَلَعَتْ فيكَ شَمْسُ الدُّنيا فسَتَعرُجُ[2] شَمسُ الوُجُودِ في اللَّيلِ إلى السَّماء. وقِيل: لأنَّهُ سِراج، وإنَّما يُوقَدُ لَيلاً. وقِيل: لأنَّهُ سُمِّيَ بَدراً في قَولِهِ: «طَه». إذِ الطَّاءُ بِتِسعةٍ والهاءُ بخَمْسةٍ. فذلكَ أربَعةَ عَشَرَ[3]. فكَأنَّه قال: يا بَدْرَ أربعةَ عَشَر. ولِذا قال: **كَما سَرَى البَدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَم**. ولله دَرُّ مَن قال:

قُلتُ يا سَـيِّدي ولِـمْ تُوثِـرِ اللَّيـ ... ـلَ علـى بَهجـةِ النَّهـارِ المُنيرِ

= لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. ولما ولي عمر سأله: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم، واحد. قال: من هو؟ قال: لا أذكره. وحدث حذيفة بهذا الحديث بعد حين فقال: وقد عزله عمر كأنما دل عليه. وكان عمر إذا مات ميت سأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلّى عليه عمر، وإلا لم يصل عليه. وولاه عمر على المدائن (بفارس)، وكانت عادته إذا استعمل عاملاً كتب في عهده: «و قد بعثت فلاناً وأمرته بكذا» «فلما استعمل حذيفة كتب في عهده: «إسمعوا له وأطيعوه، وأعطوه ما سألكم»، فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين، فقرأ عهده فقالوا: سلنا ما شئت، فطلب ما يكفيه من القوت، وأقام بينهم فأصلح بلادهم. وهاجم نهاوند (سنة ٢٢هـ) فصالحه صاحبها على مال يؤدِّيه كل سنة. وغزا الدِّينور، وماه سندان، فافتتحهما عنوةً (وكان سعد بن أبي وقاص قد فتحهما ونقضتا العهد)، ثم غزا همذان والري، فافتتحهما عنوةً. واستقدمه عمر إلى المدينة، فلما قرب وصوله اعترضه عمر في ظاهرها، فرآه على الحال التي خرج بها، فعانقه وسر بعفته. ثم أعاده إلى المدائن، فتوفي فيها. له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثاً. (انظر: الأعلام ٢/ ١٨٠-١٨١).

(١) ج: + آيته.

(٢) س: فستعرج.

(٣) ي: في الحساب الأبجدي.

قـال: لا أسـتَطِيعُ تَغيِيرَ رَسْمِي هَكذا الرَّسْمُ في طُلـوعِ البُدُورِ

إنَّمـا زُرتُ فـي الظَّـلامِ لِكَيْمـا يُشْـرِقَ اللَّيـلُ مِـن أشِـعّةِ نُورِي

ووجْهُ الشَّبهِ أنَّهُ ﷺ نورٌ مُبينٌ كالبَدْرِ وأعظَمُ دائِم، قَطَعَ مَسافةً عَظِيمةً في بَعضِ لَيل، كسُرَى البَدْرِ في لَيلٍ مُظلِم. والكافُ صِفةُ مَصْدَرٍ مَحذُوف. ولَم يَذكُرِ المَسرِيَّ عَليه، وهو البُراق، إمّا اكتِفاءً، بدَلالةِ المَقام، بِقُوَّتِهِ عَليه، أو لأنَّ الغَرَضَ غيرُ مُتعلّقٍ بِه./ [١٤٧ ب] وعَطَفَ على سَرَيْتَ قَولَه:

[١٠٨. وبِـتَّ تَرَقَى إلَـى أنْ نِلتَ مَنْزِلَةً مِنْ قابِ قَوسَـيْنِ لَمْ تُـدْرَكْ ولَمْ تُـرَمِ]

وبِتَّ: لَيلةَ إسرائِكَ إلى الأقصَى. **ترقَى: إلى أنْ** بَلَغْتَ سَماءَ الدُّنيا. وهكذا إلى السَّماءِ السّابِعة. **إلى أنْ نِلْتَ**: وبَلَغْتَ **منزِلةً**: شَرِيفةً مَحَلُّها مِنَ المَكانِ الَّذي شَرَّفَهُ اللهُ تَعالى كالعَرْشِ وغَيرِهِ مِـمّا لَم يُقَدَّرْ لِبَشَرٍ سِواهُ الوُصُولُ إليه. **مِن** نَحْوِ **قابَ قَوسَينِ**: أيْ: مِقدارهما، وهو كِنايةٌ عَن غايةِ القُرْب. وهو هُنا مَعنَوِيٌّ، لاستِحالةِ الحِسِّيّ. وقابُ قَوسٍ قَدْرُ طُولِها وبمَعناهُ «قَيب» و«قاد». وقِيل: المُرادُ بـ القَوسَينِ قَوسا الحاجِبِ وجُملةُ **لَم تُدرَكْ ولَم تُـرَم** في مَحَلِّ الحالِ مِنَ المَنزِلةِ أو الصِّفةِ لَها؛ وذلكَ لأنَّهُ لا يَطلُبُ إلّا ما يُمكِنُ إدراكُه. وتلكَ المَنزِلةُ لَم تُقدَّرْ لِغَيرِه، فلا يُدرِكُها ولا يَرُومُها. ويَجُوزُ جَعْلُ الجُملةِ حالاً مِن فاعِلِ **نِلْتَ**: أيْ: حالَ كَونِكَ غَيرَ مُدرَكٍ، ولا يَطلبُ[1] الإدراكُ لكَ أحَد. ففيهِ تَرَقٍّ.

[١٠٩. وقَدَّمَتْـكَ جَمِيـعُ الأنْبيـاءِ بِها والرُّسْـلِ تَقْدِيـمَ مَخْدُومٍ علـى خَدَمِ]

وقَدَّمَتْكَ: عَطفٌ على جُملةِ لَم تُدرَك؛ أيْ: صَيَّرَتكَ مُقدَّماً بينَ يَدَيها.

---

(١) س: تطلب.

وألحق/ تاءَ التّأنِيث؛ لأنَّ فاعِلَهُ وهو جَميعُ في مَعنى الجَماعة، أو لإضافَتِهِ [39 b] إلى جَمعِ التّكسِيرِ الّذي يُرَجِّحُ[1] تأنِيثَه، وإذا جازَ: «قَطَعْتَ بَعضَ أصابِعِكَ» لإضافَتِهِ إلى مُؤَنَّثٍ مَع أنَّهُ ليسَ في مَعنى المُضافِ إليهِ، فهاهُنا أحرَى؛ لأنَّهُ في مَعناهُ، إذ جَمِيع و[2] **الأنبياءِ** المُضافُ إليهِ المُرادُ بِهما واحِد. **بِها**: أيْ: بِسَبَبِ المَنزِلة، أو لَيلةِ الإسراءِ... بُقعة بَيتِ المَقدِس، بِقَرِينةِ السِّياق، وعلى الأخِيرَينِ[3] فالباءُ ظَرفيّة. وإسنادُهُ إلى الأنبِياءِ باعتِبارِ رِضاهُم به، فكَأنَّهُم قَدَّمُوهُ. **والرُّسْلِ**: بالجَرّ. عَطفَ على الأنبِياءِ عَطْفَ خاصٍّ على عامٍّ. مِن بابِ التَّرقِّي مِنَ الأدنى إلى الأعلى، لِشَرَفِ الرُّسُلِ على الأنبِياء، فإذا قَدَّمَهُ الأشرَفُ فغَيرُهم أولى بذلكَ، أو بالرَّفعِ عَطفاً على جَمِيع، وعلى الأوّلِ فهو صَرِيحٌ في العُمُوم، وعلى الثّاني ظاهِرٌ فيه. **تَقدِيم** مَفعُولٌ مُطلَقٌ. مَصْدَرٌ مُشَبَّهٌ بِه؛ أيْ: تَقدِيماً مِثلَ تَقدِيمِ **مَخدُوم**: وهو الرَّئِيس. وتَنكِيرُهُ للتَّعظِيمِ. **على خَدَم**: أتباعِ الرَّجُل. وتَنكِيرُهُ لِلتَّكثِير.

ويُحتَمَلُ أنْ يُرادَ تَقدِيمُهم لَه ﷺ في الصَّلاةِ بِهم إماماً ليلةَ الإسراءِ كَما[4] جاءَ في الحَدِيث، ولَفْظُ الحَدِيثِ صالِحٌ لِلعُمُوم، ولا بُعدَ فيه. فإنَّ تِلكَ الحالةَ خارِقةٌ لِلعادة، ثُمَّ دَعوى إمامَتِهِ بِهم أجمَعِينَ يَتوَقَّفُ على دَلِيلٍ ظاهِرٍ مِنَ السُّنّة؛ لأنَّهُ لَم يُصرَّحْ في الأحادِيثِ إلّا بِلِقاءِ أنبياءَ مَخصُوصِينَ، لَكِنْ في السَّماواتِ، وصَلاتُهُ بِهم إنَّما كانَت في الأرضِ فلا بُعدَ في العُمُوم.

---

(١) ج: ترجح.

(٢) س: ـ.

(٣) س: الآخرين.

(٤) س: ما.

[١١٠. وأنْتَ تَختَرِقُ السَّبْعَ الطِّباقَ بِهِمْ   في مَوْكِبٍ كُنْـتَ فيهِ صاحِبَ العَلَمِ]

[١٤٨ أ] **وأنتَ تَختَرِقُ**؛ أيْ: تَقطَعُ السَّماواتِ **السَّبْعَ الطِّباقَ** الَّتي/ بَعضُها فوقَ بَعضٍ طَبَقةً فوقَ أُخرى. والجُملةُ حالٌ مِن ضَميرِ **وقَدَّمَتْكَ جَميعُ الأنبياء**، أو مِنْ فاعِلِه. ويَتعَلَّقُ بـ **تَختَرِق** قَولُه: **بِهِم**: أيْ: الأنبياء، وجعله[١] «الأصل» مُستَقِرًّا حالاً مِنَ الكافِ[٢]. **في مَوكِبٍ**: أصلُهُ القَوْمُ الرُّكُوبُ على الإبِلِ لِلزِّينة. ثُمَّ يُستعمَلُ في كُلِّ جَماعةٍ وكَثْرة. والمُرادُ هُنا طائِفةٌ مِنَ المَلائِكةِ مَع أرواحِ الأنبِياء. والظَّرْفُ مُستَقِرٌّ، حالٌ مِن فاعِلِ **تَختَرِق**. ووَصَفَ المَوكِبَ بجُملةِ قَولِه: **كُنْتَ فيهِ صاحِبَ العَلَمِ**: الرّاية، وقالَ ذلكَ على عادةِ العَرَبِ في إعطاءِ الرّايةِ لِزَعيمِ القَوْمِ ورَئيسِهم الَّذي بِثُبُوتِهِ يَثبُتُونَ وبانهِزامِهِ يَنهَزِمُون. وإذا كانَ صاحِبُ رايةِ المَلائكةِ فهو أفضَلُ مِنهُم. ويُحتَمَلُ أنْ يُرادَ مَن صَحِبْتَها لَه أنَّها

[40 a] تابعة لَه، مُتحَرِّكة بِحرَكَتِه. لا إمساكَ لَها باليَد./ إذْ هذهِ الحالةُ أشرَفُ وصْفٍ لِلإنسـان. وقَولُ العَـرَب: صاحِبُ اللِّـواء[٣] هي مُرادُهُـم المَعنى الأوَّل؛ لأنَّ صاحِبَها مُمسِكُها، ولا يَمنَعُهُ ذلكَ مِنَ القِتالِ بها، بَل يُقاتِلُ بها مُمسِكَها أشَدَّ قِتال؛ ولِذا لا يَليقُ بإمساكِها كُلُّ أحَدٍ بَل مِثلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ القائِلِ ﷺ في حَقِّهِ: «لأُعطِيَنَّ الرّايةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُه»[٤]. وأنتَ تَعلَمُ ثَباتَ مَن لهُ هذهِ المَنزِلةُ مِنَ المَحبّة. ولِذا قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَفتَحُ اللهُ على يَدَيهِ».

---

(١) س: جعل.

(٢) في مشارق الأنوار المُضيّة للقسطلاني (٣٥ ب): «والحال أيضاً أنك...».

(٣) س: اللواهي.

(٤) أخرجه البخاري في الجهاد ١٠٢؛ والترمذي في المناقب ٢٠.

[١١١. حَتَّى إذا لَم تَدَعْ شَأواً لِـمُستَبِقٍ مِـنَ الدُّنـوِّ ولا مَرْقًـى لِـمُسْتَـنِمِ]

حَتَّى: غايةٌ لِقَولِهِ ترقَى. إذا: ظَرفيّة، جَوابُها مَحذُوفٌ اكتِفاءً بما قَبلَهُ عَنهُ أو الجَواب خَفَضْتَ، [أيْ: في البَيْتِ الآتي]، أو هي لِـمَحْضِ الظَّرْفيّةِ مِن غيرِ مَعنى الشَّرْطِيّة، مُضافةٌ لِقَولِهِ: لَم تَدَعْ: في صُعودِكَ، شَأْواً: سَبْقاً، لِمُستَبِقٍ: في مَحلِّ الصِّفةِ لـ شَأْو. مِنَ الدُّنُوِّ: مِن: سَبَبِيّةٌ. والظَّرْفُ مُتَعلِّقٌ بـ تَدَعْ، أو بَيانِيّة. والظَّرْفُ بَيانُ شَأو، والدُّنُوُّ: هُنا مَعنَوِيٌّ؛ أيْ: مِنَ الرِّفعةِ إلى مَقامٍ لَم[١] يَصِلْهُ ولا يَطلُبُهُ غَيرُك. ولا مَرقًى: اسمُ مَكانٍ مِنَ الرُّقِيِّ ولا: مَزِيدةٌ لِلتَّأكِيدِ. لِمُستَنِم: طالِبِ الرِّفْعةِ في الأمكِنة. وتَردَّدَ ابنُ جَماعةَ أبينَ مُستَبِقٍ ومُستَنِمٍ جِناسٌ، يَكُونُ مُحرَّفاً لاحِقاً، أمْ لا؟

[١١٢. خَفَضْـتَ كُلَّ مَقامٍ بالإضافةِ إذْ نُودِيـتَ بِالرَّفْـعِ مِثْـلَ المُفْـرَدِ العَلَمِ]

خَفَضْتَ: استِئنافٌ على كَوْنِ إذا: ظَرفيّة، أو مُضَمَّنةً مَعنى الشَّرْط، وحَذَفَ جَوابَها اكتِفاءً بِما قَبلَها عَنه، أو جَوابَهُ على الاحتِمالِ الثّالِثِ السّابق. وعليهِ اقتَصَرَ «الأصل»[٢]، وعلى كُلٍّ فلا مَحَلَّ لَها مِنَ الإعراب.

وليسَ هو مِنَ التَّضمِينِ المُقَدَّرِ عِندَ عُلَماءِ القافيةِ على الوَجْهِ الأخِير، كَما وهِمَ فيهِ ابنُ جَماعة، بَل ذلكَ مَخصُوصٌ بتَعليقِ آخِرِ البَيْتِ بأوَّلِ البَيْتِ بَعدَه، أمّا تَعليقُ أوَّلِ البَيْتِ بأوَّلِ البَيْتِ بَعدَهُ فليسَ مُعَيَّناً، بَل هو مِنَ المُحَسِّناتِ البَدِيعِيّةِ[٣]، والخَفْضُ ضِدُّ الرَّفْع.

---

(١) ج: له.

(٢) مشارق ٣٦أ.

(٣) هي في علم البديع العربي، الاطراد، والقول بالموجب، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجدّ، والإدماج، والاستتباع، وتأكيد المدح بما يشبه الذّم وعكسه، والتفريع، =

كُلَّ مَقامٍ: لِغَيرِكَ مِنَ الأنبياء، بالإضافة: بالنِّسبةِ النَّظريّةِ بينَ مَقامِكَ المُرتَفِعِ عَن مَقامِ كُلِّ مَخْلُوقٍ ومَقاماتِهِم. وإنْ كانَت كذلكَ في نَفْسِها إلّا أنَّها مُنخَفِضةٌ بالنِّسْبةِ إلى مَقامِكَ/ الكَرِيم. وكانَ ذلكَ الخَفْضُ مِنكَ لَها. **إذْ نُودِيتَ بالرَّفْعِ:** إلى مَقامِ قابَ قَوْسَينِ، نِداءً مُصاحِباً لِرَفْعِ شَأنِكَ. **مِثْلَ** مُصاحَبةِ الرَّفْعِ **نِداءَ الاسْمِ المُفرَدِ العَلَم.** وذلكَ لأنَّ أنواعَ المُنادَى وإنِ اشتَرَكَتْ في النِّداءِ إلّا أنَّ المُفرَدَ العَلَمَ مِنها كـ يا زَيدا، وما في مَعناهُ مِنَ النَّكِرةِ المَقصُودةِ بالنِّداءِ مَخصُوصٌ بالرَّفْعِ عَن باقِيها مِنَ المُضافِ وشِبهِه، والنَّكِرةِ غَيرِ المَقصُودةِ وإنْ شارَكَتْهُ في أصلِ النِّداء، فكَذا نَبِيُّنا/ ﷺ وإنِ اشتَرَكَ هو والأنبِياءُ في أصْلِ النُّبوّةِ إلّا أنَّهُ امتازَ عَليهِم بِنداءِ رَفعِهُ لِذلكَ المَقامِ ما ارتَفَعَتْ بِهِ مَنزِلَتُهُ على مُشارِكِيهِ[١] مِنَ الأنبِياء والرُّسُل، فانفَرَدَ عَنهُم برِفْعةِ مَنزِلَتِهِ وخَفْضِ مَنازِلِهِم بالنِّسْبةِ لِـمَنزِلَتِه. فأشبَهَ المُنادَى المُفرَدَ العَلَمَ في انفِرادِهِ بالرَّفْعِ ونَصْبِ غَيرِهِ مِن أقسامِ المُنادَى.

[١٤٨ ب] [40 b]

والمُرادُ مِنَ الرَّفعِ في المُنادَى المُفرَدِ حَرَكَتُهُ وإلّا فهو مَبنِيٌّ. والرَّفْعُ مِن ألقابِ الإعراب، ومِنَ المُفرَدِ المَعرِفةِ إطلاقاً مَجازيًا مِن إطلاقِ الخاصِّ وإرادةِ العامِّ. ثُمَّ التَّشْبِيهُ بالمُفرَدِ العَلَمِ في الرَّفْعِ فقَط، ثُمَّ بينَ العَلَمِ هذا والعَلَمِ المَذكُورِ قَرِيباً في قَولِهِ: **صاحِبَ العَلَمِ** جِناسٌ تامٌّ مُتسَوِّفٌ[٢] فلا إبطاءَ[٣].

= وحسن التعليل، والمذهب الكلامي، والمبالغة، والتجريد، والتقسيم، والتفريق، والجمع، واللف والنشر، والتورية، والرجوع، والعكس، والمزاوجة، والمشاكلة، والإرصاد، وإيهام التناسب، وتشابه الأطراف، ومراعات النظير، والمقابلة، والطباق. (انظر: مجدي وهبة ٣٤١).

(١) ج: مشاركته.

(٢) س: مستوفى.

(٣) من وطئ الشعر: كرر القافية فيه لفظاً ومعنًى.

[١١٣. كَيْمـا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أيِّ مُسْـتَتِرٍ عَـنِ العُـيُـونِ وسِـرٍّ أيِّ مُكْـتَـتِـمِ]

كَيْما تَفُوزَ: تَظْفَرَ. بوَصْلٍ مَعنويٍّ مِنهُ تَعالى. وهو المَقامُ الَّذي رَفَعَكَ إليهِ والمَنْزِلةُ الَّتي أحلَّكَها[1]، ودَعاكَ لِصُعُودِها. وذلكَ الوَصْلُ مُستَتِرٌ عَنِ العُيونِ، أيَّ مُستَتِرٍ عَنِ العُيون: فـ أيّ صِفةُ وصْلِ المَحذُوف. وهو وصِفَتُهُ صِفةُ المَذكُورِ لِلتَّفخِيمِ. وسِرٌّ: بالخَفْض، عَطْفٌ على وصْلٍ: أيْ: وتَظْفَرَ بسِرٍّ[2] مِن أسرارِ إلَهِكَ أوحاهُ إليكَ في ذلكَ المَقام. مُكتَتِم؛ أي: مُكتَتم: فـ أيّ صِفةُ مُكتتم المُقدَّرِ أي مُكتَتِمٍ عَنِ الآذانِ والأسماع. أمّا استِتارُ الوَصْلِ عَن أعيُنِ مُعاصِرِيهِ[3]؛ فلأنَّهُ كانَ لَيلًا. وقَد نامَتِ العُيونُ وهَدَأتِ[4] الأصواتُ، وعَن سائِرِ الأنبِياءِ والرُّسُلِ والمَلائِكةِ؛ فلأنَّهُ مَقامٌ لا يَنبغِي لِغَيرِهِ الوُصُولُ إليهِ. ولَعَلَّ السِّرَّ المَكتُومَ لَم يُبَيِّنهُ ﷺ إذْ لا يُطِيقُ حَمْلَهُ غَيرُه. رَوى ابنُ عَبّاسٍ عَنهُ ﷺ قال: «عَلَّمَنِي رَبِّي لَيلةَ الإسراءِ عُلوماً شَتَّى، فعِلْمٌ أخَذَ عَلَيَّ كِتمانَهُ، وعِلْمٌ خَيَّرَنِي فيه، وعِلْمٌ أمَرَنِي بتَبلِيغِهِ»[5].

قالَ في الأصل: «وهذا البَيْتُ مِنَ التَّضمِينِ لِتعَلُّقِ كَي فيهِ بما قبلَه. ويَصلُحُ تَعلُّقُها بـ خَفَضْتَ أو نُودِيتَ، أو بالرَّفع؛ أيْ: رَفَعْناكَ، كَيما تَفُوزَ. وما مَصدَرِيّة. هي وصِلَتُها في تأوِيلِ مَصْدَرٍ مَجرُورٍ بـ كي. وتَفُوز مَرفُوعٌ أو مَنصُوبٌ بـ أنْ مُقدَّرةٍ». انتهى[6]، وفيهِ نَظَر. إذِ التَّضمِينُ إخراجُ آخِرِ البَيْتِ

---

(١) س: أحلكها.

(٢) س: لسر.

(٣) س: معاصرته.

(٤) ج: هداة.

(٥) راجع: مشارق الأنوار للقسطلاني ٣٦ ب.

(٦) راجع المصدر السابق ٣٦ ب.

لأوَّلِ ما بَعدَهُ، كذِكْرِ المَوصُولِ آخِر...[١] الأوَّل، والصِّلةُ أوَّلُ الثّاني لا كَوْنُ أوَّلِ الثّاني مُتعلّقاً بالأوّل.

[١١٤. فحُزْتَ كُلَّ فخارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ وَجُزْتَ كُلَّ مَقامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ]

[١٤٩ أ] والفاءُ في قَوْلِهِ: فحُزْتَ: عاطِفةٌ على/ خَفَضْتَ سَبَبِيّةٌ تَفريعِيّةٌ؛ أيْ: بِسَبَبِ ارتقائِكَ أعلى الكَمالِ حُزْتَ كُلَّ فخارٍ: وتَعظِيمٍ لِلمُمكِن، غَيْرَ مُشْتَرَكٍ بَيْنَكَ وبينَ غيرِكَ مِنهُم. وجُزْتَ: مِنَ الجَوازِ؛ أيْ: قَطَعْتَ، أو تَجاوَزْتَ. كُلَّ مَقامٍ: مِن مَقاماتِ كَمالِ المُمكِناتِ./ غَيرَ مُزدَحَمٍ: فيه. وكُلٌّ مِن مُشتَرَكٍ [41 a] ومُزدَحَم مُحتمِلٌ لِكَونه مَصْدَراً مِيمِيًّا واسمَ مَفعُولٍ. وغَير: يَجُوزُ فيهِ نَصبُهُ صِفةَ كُلَّ، وخَفْضُهُ صِفةَ مَقام. ومِثلُهُ فيهما كُلُّ السّابِق. وجُزْتَ: مَعطُوف على حُزْتَ، أو على ما عُطِفَ عَليهِ؛ أيْ: خَفَضْتَ فحُزْتَ[٢] وفي البَيْتِ المُوازَنةُ[٣] بالزّاي والنُّونِ، والجِناسُ اللّاحِقُ أو المُضارِع[٤].

---

(١) س: الجزء.

(٢) ج: + أو المضارع.

(٣) هي المقابلة بين فكرتين أو أثرين أو مدرستين أو شخصين في مبحث طويل أو فصل من مبحث. والموازنة في البديع العربي هي أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن لا في التقفية. كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥]، أو هي: أن تكون الألفاظ أوزانها متعادلة وأجزاؤها متوالية، كقول امرئ القيس (١٣ٰ-٨٠ ق. هـ):

سليمُ الشَّظى عبلُ الشَّوى شنجُ النَّسا ... له حجباتٌ مشرفاتٌ على الغالي

انظر: مجدي وهبة (٣٩٥).

(٤) المضارع هو أحد البحور الخمسة عشر التي أوردها الخليل بن أحمد (١٠٠-١٧٤هـ). وتفاعيله: (مفاعيلن، فاعلاتن، مفاعيلن)، ولم يرد مجزوءاً، ومثاله قول الشاعر:

فنفسي لها حنينٌ ... وقلبي له انكسارُ

وصدري له غليلٌ ... ودمعي له انحدارُ

(مجدي وهبة ٣٦٩).

[١١٥. وجَلَّ مِقْدارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ وعَزَّ إدْراكُ ما أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ]

وجَلَّ: عَظُمَ. **مِقدارُ ما وُلِّيتَ**: العائِدُ مَحذُوفٌ؛ أيْ: وُلِّيتَهُ. **مِن رُتَبٍ**: شَرِيفةٍ. فالتَّنْوينُ لِلتَّعظِيمِ. **وعَزَّ**: غَلَبَ أو قَلَّ. **إدراكُ ما**: الَّذي. **أُولِيتَ**: أُعطِيْتَ. والفِعْلُ فيهِما مَبنِيٌّ لِلمَجهُول. **مِنْ نِعَمٍ**: مَقاماتٍ عَلِيّة. والجُمْلتانِ مَسُوقَتانِ لِلتَّعجُّبِ، ولا يَختَصُّ بالصِّيغَتينِ المَعرِفَتينِ لهُ في النَّحْو. قالَ ابنُ جَماعة: «ويَظهَرُ لي أنَّ بينَ وُلِّيْتَ وأُولِيْتَ جِناسٌ ناقِصٌ ومُحَرَّفٌ».

ولَـمّا ذَكَرَ كَمالَ المَوئِلِ[1] وعُلُوَّ قَدْرِهِ وشَرَفَ فخْرِه، عادَ مُخاطِباً لَنا مَعشَرَ اللّائِذِينَ بهِ بقَولِهِ:

[١١٦. بُشْرَى لَنا مَعْشَرَ الإسْلامِ أنَّ لَنا مِنَ العِنايةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ]

بُشْرَى: مَصدَرِيّة. بَشَّرْتُهُ كَذا وبِكَذا بُشْرَى. **والبِشارةُ**: بالكَسْرِ والضَّمِّ اسمُ مَصْدَر. **لَنا مَعْشَرَ**: بالنَّصْبِ على الاختِصاصِ؛ أيْ: جَماعةَ **الإسلام**: الدِّينِ الحَنيفيِّ. وهو وضْعٌ إلهِيٌّ سائِقٌ لِذَوي العُقولِ باختِيارِهم المَحمُودِ إلى ما فيهِ نَفعُهُم بالذّاتِ دِيْناً ودُنيا. سُمِّيَ «إسلاماً» لاستِسْلامِ النّاسِ لَه؛ و«دِيناً» لأنَّهم يَدِينُونَهُ؛ أيْ: يَنقادُونَ. ويُسَمَّى «شَريعةً» لاجتِماعِهم عَليهِ كشَرِيعةِ الماء، و«مِلّةً» لأنَّهُ[2] يُملى. وعَلَّلَ ذلكَ على طَرِيقِ الاستِئنافِ البَيانِيّ بقَولِهِ: **أنَّ لَنا مِنَ العِنايةِ** بجَعْلِنا مِن أتباعِهِ ﷺ **رُكْناً**: تَنوينُهُ لِلتَّعظِيمِ؛ أيْ: قَوِيَّ الأساسِ والبِناء. **غَيْرَ مُنهَدِمٍ**: لا يُهانُ مَن لاذَ بِهِ ولا يُضام. فإنَّهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وعِزٌّ مَكِينٌ، أماتَنا اللهُ على سُنَّتِهِ واتِّباعِ مِلَّتِهِ، بمَنِّهِ وفَضْلِهِ ورَحمَتِهِ، ومِنَ البُشْرَى لَنا مَعشَرَ الإسلامِ ما ورَدَ في بَعْضِ أخبارِ الإسْراءِ أنَّهُ ﷺ لَـمّا كانَ بمَقامِ قابَ قوسَينِ، قال:

---

(١) الموئل: الملجأ.

(٢) س: لأنها.

«اللَّهُمَّ، إنَّكَ عَذَّبْتَ الأُمَمَ بَعضَهُم بالحِجارة، وبَعضَهُم بالخَسْف، وبَعضَهُم بالمَسْخِ، فما أنتَ فاعِلٌ بأُمَّتي؟ قال: أُنزِلُ عَليهِم الرَّحمةَ وأُبَدِّلُ سَيِّئاتِهِم حَسَناتٍ. ومَن دَعاني مِنهُم لَبَّيتُهُ، ومَن سَألَني أعطَيْتُهُ، ومَن تَوكَّلَ عَلَيَّ كَفَيتُهُ، وفي الدُّنيا أستُرُ على العُصاة، وفي الآخِرةِ أُشَفِّعُكَ فيهم، ولَولا أنَّ الحَبيبَ [١٤٩ ب] يُعاتِبُ[1] حَبيبَهُ لَـما حاسَبْتُ/ أُمَّتَكَ. ولَـمّا أرادَ ﷺ الانصِرافَ، قال: يا رَبِّ، لِكُلِّ قادِمٍ مِن سَفَرٍ تُحفةٌ فما تُحفةُ أُمَّتي؟ قالَ اللهُ تَعالى: إنّا لَهم ما عاشُوا، وإنّا لَهم إذا ماتُوا، وإنّا لَهُم في القُبُور، وإنّا لَهُم في النُّشُور»[2]. فرُكْنُنا غَيرُ مُنهَدِمٍ: [في] حَياتِنا/ ولا [في] مَماتِنا، ولا في بُيوتِنا، ولا في قُبورِنا، ولا في سُكُونِنا، ولا في نُشُورِنا، بِفَضْلِ رَبِّنا. [41 b]

ويَجُوزُ إعرابُ بُشرَى خَبَرَ مُبتَدأ مَحذُوف؛ أيْ: هذهِ المَناقِبُ المَنشُورةُ لَهُ ﷺ بُشرَى لَنا؛ أو مُبتَدأ. وساغَ الابتِداءُ بِهِ على مَذهَبِ مَن يُجِيزُهُ لِحُصولِ الفائِدة.

ولَـمّا كانَ في قَولِهِ مِنَ العِنايةِ إيهاماً ما، أو دَعوَى مِن غَيرِ دَليلٍ فسَّرَ ذلكَ، أو ذَكَرَ دَليلَهُ بِقَولِهِ:

[١١٧. لَـمّـا دَعـا اللهُ داعِيَنـا لِطاعَتِـهِ   بِأكْـرَمِ الرُّسْـلِ كُنّـا أكْـرَمَ الأُمَـمِ]

لَـمّا دَعا: سَمَّى. اللهُ: فاعِل. داعِيْنا: مَفعُولُ دَعا. وسُكِّنَتْ ياؤُهُ تَخْفيفاً. قالَ أبو حاتِم[3]: إسكانُ المَنقُوصِ في النَّصْبِ أحسَنُ الضَّرُورات. لِطاعَتِهِ:

---

(١) وفي مشارق الأنوار للقسطلاني [٣٨ أ]: «... ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت...».

(٢) مشارق الأنوار للقسطلاني ٣٨ أ.

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي، السجستاني، البصري (أبو حاتم) (١٧٢-=

مُتعلّقٌ بـ دَعا. والضَّمِيرُ فيهِ عائِدٌ إلى الله تَعالى، أو إلى النَّبيِّ ﷺ؛ إذْ طاعَتُهُ طاعَتُهُ، قالَ تَعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]؛ أيْ: مُستَلزِمةٌ لَها لأنّها مَأمُورٌ بِها. **بِأكرَمِ الرُّسْلِ**: ثانِي مَفعُولَي دَعا؛ لأَنَّهُ يَتعدَّى إليهِ تارةً بحَرْفِ الجَرِّ، وأُخرَى بِنَفْسِهِ؛ أيْ: سَمّاهُ أكرَمَهُم عِندَه. **كُنّا**: نَحنُ الَّذينَ هُم أُمَّتُه. **أكرَمَ الأُمَم**: عِندَه تَعالى؛ لأنَّ أكرَمَ الرُّسُلِ لا يُبعَثُ إلّا إلى أكرَمِ الأُمَم، فجَمِيعُ مَن بُعِثَ إلَيهِم ﷺ خَيرُ الأُمَم، مُؤمِنُهم خَيرُ المُؤمِنينَ وكافِرُهم خَيرُ أُمَمِ الكافِرينَ. قالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ ولِذا ارتَفَعَ عَنهُم المَسْخُ والخَسْفُ وغَيرُهما مِمّا حَلَّ بالأُمَمِ قَبلَهم. ويُجابُ عَن قَولِهِ تَعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ [القمر: ٤٣]، فإنَّهُ على سَبيلِ الإنكار، يَرِدُ كَوْنُ كُفّارِ هذهِ الأُمّةِ خَيْراً مِن كُفّارِ غَيرِها. فإنَّ المُرادَ كُفّارُ قُرَيشٍ خاصّة. لِزيادةِ طُغيانِهم، أو المُرادُ أنْ يَكُونُوا خَيراً مِنهُم في القُوّة. وأعرَبَ بَعضُهم الله: مَفعُولٌ مُقدَّم، وداعِيْنا: فاعِلٌ على أنَّ دَعا بمَعنى «تَضَرَّعَ وسَأَلَ» واستَبعَدَهُ ابنُ جَماعة.

* * *

= ٢٥٥هـ/ ٧٨٨-٨٦٩م). نحوي، لغوي، عروضي، مقرئ. روى عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي، وأخذ عنه المبرد وابن دريد، وتوفي بالبصرة. من تصانيفه: اختلاف المصاحف، وإعراب القرآن، وما يلحن فيه العامة، والقراءات، والمقصور والممدود، وله شعر. (معجم المؤلفين ٤/ ٢٨٥).

[الفَصْل الثّامِن]

[في جِهادِ النَّبيِّ ﷺ]

[١١٨. راعَتْ قُلُوبَ العِدى أنباءُ بِعْثَتِهِ   كَنَبْأةٍ أجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ]

راعَتْ: فزَّعَتْ **قُلوبَ العِدى**: بكَسْرٍ ففتْحٍ جَمعُ عَدُوٍّ. **أنباءُ** جَمع نَبأ: أخبار. **بِعثَتِهِ**: بكَسْرِ المُوَحَّدة؛ أيْ: أخبارُ إرسالِهِ ﷺ الّتي صَدَرَتْ مِنَ الكُهّانِ والمُنَجِّمينَ قبلَ مَبعَثِهِ ﷺ، وبَعدَهُ، لَـمّا كانُوا يَسمَعُونَ أنَّ دِينَهُ سَيَظهَرُ على كُلِّ دِينٍ ويُذِلُّ كُلَّ جَبّارٍ عَنيد. وقَد جَمَعَ الكَثِيرَ مِن ذلكَ ابنُ ظفر المَكِّيِّ(١) في كِتابِهِ «خيرُ البِشْرِ بخَيرِ البَشَر»، وابنُ القَيِّمِ(٢) في كِتابِ «هِداية الحَيارَى

---

(١) هو محمد بن أبي القاسم بن علي القرشي، المالكي، المعروف بابن ظفر المكي (أبو عبد الله) (... ـ ٥٩٨هـ/ ... ـ ١٢٠٢م)، نحوي، ميقاتي، مشارك في بعض العلوم. من آثاره: سلوان المطاع في عدوان الطباع، وبيان الصور في الميقات. (معجم المؤلفين ١١/ ١٤١).

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي، الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية (شمس الدين، أبو عبد الله) (٦٩١-٧٥١هـ/ ١٢٩٢-١٣٥٠م). فقيه أصولي، مجتهد، مفسر، متكلِّم، نحوي، محدث، مشارك في غير ذلك. ولد بدمشق، وتفقه، وأفتى، ولازم ابن تيمية، وسجن معه في قلعة دمشق، وتوفي في ١٣ رجب، ودفن في سفح قاسيون بدمشق. من تصانيفه الكثيرة: «روضة المحبِّين ونزهة المشتاقين»، و«زاد المعاد في هدي خير العباد»، و«إعلام الموقعين عن رب العالمين»، و«تهذيب سنن أبي داود»، و«الجيوش الإسلامية على حرب المعطِّلة والجهمية». وله نظم. (معجم المؤلفين ٩/ ١٠٦ - ١٠٧).

عَن أجوبةِ أسئِلةِ اليَهُودِ والنَّصارَى». كَنَبْأة: صَرخة، **أجفَلَتْ**: بالجِيْم هَزَمَتْ. **غفْلًا**: جَمعَ أغفَل. وهو في اللُّغةِ مَن لَم يُجَرِّبِ الأُمور. / ففي العِبارةِ استِعارةٌ [١٥٠ أ] مُصَرَّحةٌ. **مِنَ الغنَم**: لِكَونِها راتِعةً في رَبِيعها، مُشتَغِلةً في أكلِها، وشَهَواتِها، فأجفَلَها ذلكَ الصَّوتُ وأفرَقَها. وإسنادُ الرَّوْعِ إلى القُلوبِ يُحتَمَلُ أنَّهُ مِن مَجازِ الحَذْف؛ أيْ: أصحابها، وأنَّهُ مِن تَسْمِيةِ الكُلِّ باسْمِ البَعْض، مَجازاً مُرسَلاً في الوَجْهَين. كذا في «الأصل»[١]. وفي كَوْنِ مَجازِ الحَذْفِ مِنَ/ المَجازِ المُرسَلِ ما لا يَخفَى. سُمِّيَتِ الذَّواتُ باسْمِ القُلوبِ؛ لأنَّها مَحَلُّ [42 a] المَعنى المُسنَدِ إليها. وإسنادُ **راعَت إلى أنباء** مَجازٌ عَقْلِيٌّ، مِنَ الإسنادِ إلى السَّبَب. **إذْ** خالِقُ الرَّوْعِ فيها اللهُ تَعالى. وهَمْزةُ **أجفَلَتْ** لِلتَّعدِية. **ومِنَ الغنَم**: في مَحَلِّ صِفةِ **غفْلاً**. **ومِن**: فيهِ لِلبَيانِ. شَبَّهَ النّاظِمُ **قُلوبَ العِدى** بطائفةٍ **مِنَ الغنَم**، وخَبَرَ رِسالَتِهِ ﷺ بِصَيحةٍ مُفزِعةٍ في إرعابِ شَيْءٍ بوُصُولِ صَوْت. وفي جَعْلِ المُشَبَّهِ بِهِ طائِفةً **مِنَ الغنَمِ** مُبالَغةٌ في ضَعْفِ العِدى، وعَجْزِها، إذِ الغَنَمُ أضعَفُ الحَيوانِ وأعجَزُه.

وفي البَيْتِ جِناسُ الاشتِقاقِ بينَ **أنباء** و**نَبْأة**. قالَهُ ابنُ الصّائِغ[٢]. وبَحَثَ فيهِ ابنُ جَماعة وتَوقَّفَ: أهو مِنَ الجِناسِ النّاقِصِ باعتِبارِ الطَّرَفَين، أمْ لا؟

---

(١) أي: بالتصرف. (راجع: مشارق الأنوار للقسطلاني ٣٧ ب).

(٢) س: الصانع. وابن الصائغ هو: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردي، الحنفي، المعروف بابن الصائغ (شمس الدين، أبو عبد الله) (٧٠٨-٧٧٦هـ/ ١٣٠٨-١٣٧٤م) أديب، ناثر، ناظم، لغوي، نحوي، نقيه، محدث. من تصانيفه الكثيرة: «الثمر الجني في الأدب السني»، و«مجمع الفرائد ومنبع الفوائد» في تسعة عشر مجلداً، و«شرح مشارق الأنوار النبوية» في الحديث في ستة مجلدات، و«شرح الألفية» لابن مالك في النحو، و«المباني» في المعاني. (معجم المؤلفين ١٠/ ١٤٤).

[١١٩. ما زالَ يَلْقاهُم في كُلِّ مُعْتَرَكٍ   حَتّى حَكَوْا بالقَنا لَحْماً على وَضَمِ]

ما زالَ ﷺ يلقاهُم؛ أيْ: العِدى فيُطاعِنُهم فيطعَنُهم في كُلِّ مُعتَرَكٍ: وقعَ بَينَهُ وبَينَهُم. وذلكَ بنَفْسِهِ تارةً وبخَيلِهِ ورَجْلِهِ من بعوثه أُخرى حَتَّى: غايةِ الطَّعْنِ المُقدَّرِ، أو اللِّقاء. حَكَوْا بالقَنا: مِن كَثرةِ إصابَتِهم مِنهُ. لَحماً: مَطرُوحاً. على وضَم: كُلُّ ما وُضِعَ عَليهِ اللَّحمُ مِن خَشَبةٍ ونَحوِها لِيَقِيَهُ الأرضَ. ويُقالُ لِلحَقِيرِ الذَّلِيلِ على طَرِيقِ الاستِعارة: «لَحْمٌ على وَضَم». ولَعلَّهُ مُرادُهُ هُنا، كَما يُحتَمَلُ أنَّهُ أرادَ الحَقِيقة؛ أيْ: أنَّهُ ﷺ جاهَدَهُم حَتَّى تَركَهُم مُعَدِّينَ لأنْ يَأكُلَ السِّباعُ والطُّيورُ لُحومَهُم[(١)].

والغَرَضُ مِنَ التَّشْبيهِ بَيانُ كَمالِ ضَعْفِ العِدى. وهو أنَّهُم:

[١٢٠. وَدُّوا الفِرارَ فَكادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ   أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ والرَّخَمِ]

وَدُّوا: أحَبُّوا الفِرارَ بكَسْرِ الفاءِ؛ أيْ: الهَرَبَ مِنهُ ﷺ؛ أيْ: تَمنَّوْا ما لا يَتمَنَّى غيرُهم. مِن أقبَحِ الخِصالِ عِندَ العَرَبِ وأذَمِّها الفِرارُ مِنَ الزَّحْف. إذْ هو شَأنُ اللِّئام الجُبَناءِ. وما كانُوا يَرضَوْنَ بِهِ فضلاً عَن تَمنِّيهِ. فكادُوا: مِن أفعالِ المُقارَبة. وزَعَمَ بَعضٌ: أنَّها إذا أُثبِتَتْ تَصِيرُ لِلنَّفْيِ، وبالعَكْسِ حَتَّى ألغَزَ عَنهُ بِقَولِهِ:

أَنَحْوِيَّ هذا العَصْرِ! ما هِيَ كِلْمَةٌ   جَرَتْ في لِسانَي جُرهُمٍ وثَمُودِ

إذا ما أَتَتْ في صُورةِ النَّفْيِ أثْبَتَتْ   وإنْ أُثبِتَتْ قامَتْ مَقامَ جُحودِ

مَردُودٌ على/ أنَّ بَعضَهُم أجابَ بحَمْلِهِ[(٢)] على غيرِ «كادَ» بِقَولِهِ: [١٥٠ ب]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ج».

(٢) س: بجملة.

تسـمَّعْ هـداكَ اللهُ مـا هِـي كِلْمـةٌ أتَـتْ فـي لِسـانَي جُرهُـمٍ وثَمُـودِ
ألا إنَّ هـذا اللُّغْزَ فـي «زالَ» وحدَهُ وإلّا ولـو بَـل كادَ[1] غَيـرُ بَعيـدِ
إذا قُلـتُ: مـا كادُوا يَـرَونَ فما رَأوْا فخُـذْهُ وصُنْـهُ عَـن عِنـادِ عَنيـدِ
وإنْ قُلتُ: قَـد كادُوا يَرونَ فما رَأوْا ولا كانَ هـذا بَعـدَ جُهْـدِ جَهيـدِ

أيْ: فتَسَبَّبَ عَن تَمنّيهِم المَذكُورِ أنَّهُم كادُوا يَغبِطُونَ بِهِ أشْلاء: جَمع شِلْو: بوَزْنِ «قِنْو» وهو العُضوُ مِنَ اللَّحْم. والغِبْطةُ تَمنّي مِثلَ ما لِلغَيْر. **شالَت: ارتَفعَتْ في الجَوِّ مَع العُقبانِ والرَّخَم:**/ **لِرَفعِها إيّاها؛ أيْ:** تَمنَّوا لأنفُسِهم ما لَها مِن الارتِفاعِ في الجَوّ. وغَبطُوها دُونَ العِقابِ والرَّخَمِ لِما حَصَلَ بَينَهُم وبينَ الأعضاءِ مِنَ المُشابَهةِ بِسَبَبِ طَعنِ القَنا وغَيرِه. فحالَتُهم حالةُ أعضاءِ اللَّحْمِ لا حَراكَ لَها إلّا بحَمْلِ غَيرِها. ولو شَبَّهَهُم بالعُقابِ والرَّخَم لأوهَمَ أنَّهُم على أوَّلِ أمرِهِم مِنَ الشِّدّةِ والقُوّة. وخَصَّ هَذينِ الطَّيرَينِ لإبعادِهما في الارتِفاعِ ولِشِدّةِ ما عَرا قُلوبَهُم مِن رَوْعِ ذلكَ وفَزَعِهِ وخامَرَ بَواطِنَهم. [42 b]

[١٢١. تَمْضِي اللَّيالِي ولا يَدْرُونَ عِدَّتَها ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالِي الأشْهُرِ الحُرُمِ]

تَمضِي: تَمُرُّ عَليهِم. **اللَّيالي:** جَمعُ لَيلـةٍ على غيرِ قِياس. وكـذا تَمُرُّ أيّامُها. **ولا يَدرُونَ:** يَعرِفُونَ **عِدَّتَها** لِكَربِهم الَّذي نَزَلَ بِهِم. **ما:** مَصدَرِيّة ظَرفيّة **لَم تكُنْ:** تِلكَ اللَّيالي بأيّامها، **مِن لَيالي الأشهُرِ الحُرُم.** فإنَّهُم يَدرُونَ ذلكَ مِنها لأمنِهم فيها مِن طَلَبِ المُؤمِنينَ إيّاهُم فيفيقُونَ مِن سَكرةِ الخَوفِ وتَرجِعُ إلَيهِم عُقولُهم، ويَعودُ مَيزُهم فيَدرُونَ عِدّةَ الماضِيات. وهذا عَمّا كانَ قبلَ إباحةِ القِتال في الحُرُم، عِندَ مَن يَرى إباحَتَهُ فيها، وهو المُختار، خِلافاً

---

(١) ج: كان.

لِعطاءٍ[١] في قولِهِ: لا يَنبغِي القِتالُ فيها ولَم يُنسَخ بآية: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] الآية. وقولُهُ ضَعِيف.

[١٢٢. كأنّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ   بِكُلِّ قَرْمٍ إلَى لَحْمِ العِدى قَرِمِ]

كَأَنَّما الدِّينُ: دِينُ الإسلامِ ضَيْفٌ: مَعرُوفٌ يُطلَقُ على المُذكَّرِ والواحِدِ وضِدِّهِما بلَفْظٍ واحِدٍ لِكَونِهِ مَصْدَراً. وقَد يُجمَعُ على «أضيافٍ» و«ضُيوفٍ» و«ضِيْفان». والتَّنوينُ للتَّعظِيمِ. حَلَّ: نَزَلَ: ساحَتَهم؛ أي: حريم أهلِ الإسلامِ المُتديِّنينَ به. بِكُلِّ قَرْم: الباءُ فيهِ لِلاستِعانة، أو لِلمُصاحَبة، حالٌ؛ أيْ: مَصحُوباً؛ أو لِلتَّعديةِ، مُتَعلِّقٌ بـ حَلَّ. والقَرْمُ بفَتحِ القافِ وسُكونِ الرّاءِ في الأصل: البَعِيرُ الَّذي لَم يُذلَّلْ لِغايةِ عِزَّتِهِ ونَجابَتِه. ثُمَّ استُعِيرَ لِلسَّيِّد. والمُرادُ مِنهُ هُنا أصحابُ رَسُولِ الله ﷺ، والتَّنوينُ لِلتَّفخِيمِ/ والتَّعظِيم. إلى لَحْمِ العِدى: لِلإسلام. [١٥١ أ] والعِدى جَمعٌ لا نَظِيرَ لَـه. والجارُّ والمَجرُورُ مُتعلِّقٌ بِقولِهِ: قَرِم بكَسرِ الرّاءِ صِفةٌ مُشَبَّهةٌ مِنَ القَرَمِ بِفَتحِ أوَّلَيهِ شِدّةِ شَهوةِ اللَّحم، أو صِيغةُ مُبالَغة. وقَدَّمَ الظَّرْفَ اهتماماً، أو لِرعايةِ القافيةِ إليهِ، ولا شُبْهةَ في سَعْيِ الكِرامِ في تَحصِيلِ شَهوةِ الضَّيفِ ولو بحَتْفِ مُهَجِهم، فكَأنَّهُم مِن شِدّةِ ما حَلَّ بهم مِنَ القَتلِ جُزرٌ نُحِرَت[٢] وقُطِّعتْ أعضاءً لِتُطبَخَ لِلضِّيفانِ الَّذين اشتَهَوا لَـحْمَها. وهذا الضَّيْفُ المُشَبَّهُ بِهِ سَيِّدٌ مِنَ السّادات؛ ولِذا نَزَلَ مَع أمثالِه. ومِن شَأنِ مَن كانَ كذلكَ، أنَّهُ:

---

(١) هوعطاء بن مسلم بن ميسرة الخراساني، نزيل بيت المقدس: (٥٠-١٣٥هـ/ ٦٧٠-٧٥٢م) مفسر. كان يغزو، ويكثر من التهجد في الليل. من تصانيفه: «التفسير. خ» أوراق منه، و«الناسخ والمنسوخ» جزء منه، كلاهما في الظاهرية. (انظر: الأعلام ٤/ ٢٣٥).

(٢) س: سخرت.

[١٢٣. يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فوْقَ سـابِحَةٍ يَرْمِـي بِمَـوجٍ مِـنَ الأبْطـالِ مُلْتَطِـمِ]

يَجُرُّ بَحْرَ فيهِ جِناسُ التَّصحِيف؛ أيْ: يَستَتبِعُ جَيشاً كالبَحْرِ في تَموُّجِهِ وهَلاكِه. وقَولُه: **خَمِيسٍ**: تَجريدٌ؛ لأنَّهُ مِن أوصافِ الجَيشِ المُستَعارِ لهُ اسمُ البَحْرِ استِعارةً مُصرَّحةً لِما ذُكِرَ، وسُمِّيَ **خَمِيساً**؛ لأنَّهُ خَمسةُ أجزاء: مُقَدِّمةٌ، وقَلْبٌ، ومَيمَنةٌ، ومَيسَرةٌ وساقة. **فوقَ**: خَيلٍ/ **سابِحةٍ يَرمِي**: ذلكَ الجَيشَ **بمَوجٍ مِنَ الأبطالِ مُلتَطِم**: بَعضِهِ بِبَعضٍ لِهيَجانِه. والمُرادُ بِهِ الأفعالُ الواصِلةُ لِلكُفّارِ بآلاتِ الحَرْب، مِن طَعنٍ، وقَتلٍ، وغَيرِهما. [43 a]

ثُمَّ إضافةُ **بَحرٍ** إلى **خَميسٍ** مِن إضافةِ المُشَبَّهِ إلى المُشَبَّهِ بهِ إضافةً بَيانِيّة. و**فوقَ** ظَرْفٌ مُستَقِرّ، صِفةُ **بَحْر**، أو حالٌ مِنَ الفاعِل، أو المَفعُول، أو مِنهُما. و**سابِحةٍ** صِفةُ مَحذُوفٍ كَما قَدَّرتُهُ؛ أيْ: فرَسٍ حَسَنةِ الجَريِ لا تُتعِبُ[1] راكِبَها، كَأنَّها تَجري في الماء.

[١٢٤. مِـنْ كُلِّ مُنْتَـدَبٍ لله مُحْتَسِـبٍ يَسْـطُو بِمُسْـتَأْصِلٍ لِلْكُفْـرِ مُصْطَلِـمِ]

مِن: بَيانِيّةٌ لِلأبطال. **كُلِّ مُنتَدَبٍ**: بفَتحِ الدّال: مَدعُوٍّ **لله**: مُجيبٍ لِدُعائِهِ ولِدُعاءِ رَسُولِهِ ﷺ إلى قِتالِ الكُفّار **مُحتَسِبٍ**: أجرُهُ فيما يَنالُهُ مِن مَوتٍ أو دُونَهُ على الله تَعالى. وقَولُه: **لله**: مُحتَمِلٌ لِلتَّعلُّقِ بما قَبلَهُ وبما بَعدَهُ والاحتِسابُ صُدورُ العَمَلِ خالِصاً لله تَعالى. **يَسطُو**: يَقهَرُ. جُملةٌ حالِيّةٌ مِن فاعِلِ **مُنتَدَب**، أو صِفةٌ لـ **مُنتَدَب** أو مُستأنَفة. وضَميرُهُ يَعودُ إليهِ. ويُحتَمَلُ عَودُهُ لِلنَّبيِّ ﷺ. **بمُستَأصِلٍ لِلكُفْر**: قاطِعٍ لهُ مِن أصلِه. فلا يُوجَدُ بَعدَه. وقَولُه: **مُصطَلِم**: تَأكِيد لـ **مُستَأصِل**. صِفَتانِ لِلآلةِ الّتي يُقاتَلُ بها.

---

(١) س: يتعب.

فيهِ تَعرُّضٌ لذِكرِ آلةِ حَربِهم كَما تَعرّضَ أوّلاً لذِكرِ خَيلِهم. وما زالَ يَسطُو بـ مُستأصِلٍ لأهلِ الكُفْر.

[١٢٥. حَتّى غَدَتْ مِلّةُ الإسْلامِ وهْيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصُولةَ الرَّحِمِ]

[١٥١ ب] **حَتَّى غَدَت**: صارَت. **مِلّةُ الإسْلام**: مِن أمللْتُ الكِتاب:/ أملَيتُه، سُمِّيَ بها الدِّينُ الحَنيفيُّ لأنَّها[1] تُملى مِنَ السَّماء. ولا يُضافُ إلا شَخصٌ يُسنَدُ إليهِ، مِثلَ مِلةِ إبراهيمَ وهي؛ أيْ: المِلّةُ **بِهِم**؛ أيْ: بالصَّحابةِ الأبطال. **مِن بَعدِ غُربَتِها مَوصُولةَ الرَّحِم**: بكَثرةِ المُنتمِي إليها الدّاخِلِ فيها. فوَصَلَتْ بذِي رَحِمِها، تَشبيهاً لِكَثرةِ القِيامِ بحَقِّها، بوَصْلِ رَحِمٍ ذاتِ رَحِم. **الباءُ لِلسَّبَبيّة**. والظَّرْفُ مُتعلِّقٌ بـ **مَوصُولة**. وضَمِيرُهُ يَعودُ إلى **الصَّحابةِ** والجُملةُ الاسمِيّةُ حالٌ، سَدَّتْ مَسَدَّ خبَر. **غَدَت**: لإغنائِها عَنه. ويَجُوزُ جَعْلُ الظَّرْفِ خَبراً؛ أيْ: مَصحُوبة بِهم، و**مَوصُولة**: خَبرٌ بَعدَ خَبَر، أو حالاً مِنَ المُستَتِرِ في مَوصُولة. هذا على رَفْعِها. وإنْ نُصِبَتْ فلا حاجةَ إلى جَعْلِ الحالِ قائِمةً مَقامَ الخَبَر، بَل هو خَبَرُ **غَدَت**.

والمَعنى حَتَّى صارَتْ مِلّةُ الإسْلامِ مَعَهم مَوصُولةَ الرَّحِم. فانتَقَلَتْ مِنَ الذُّلِّ إلى العِزِّ، ومِن بَعدِ **غُربَتِها**؛ أيْ: المِلّة. مُتعلِّقٌ بـ **مَوصُولة**. والمُرادُ مِنَ الغُربةِ لازِمُها وهُو الذُّلُّ. ومِنَ الصِّلةِ غايَتُها وهو العِزُّ.

[١٢٦. مَكْفُولةً أبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أبٍ وخَيْرِ بَعْلٍ فلَمْ تَيْتَمْ ولَمْ تَئِمِ]

مَكفُولةً: إعرابُهُ إعرابُ مَوصُولةً المَذكُورُ قَبلَه. ويَجُوزُ رَفعُهُ خَبرَ مُبتَدأ مَحذُوف؛ أيْ: هِي؛ أيْ: مَحفُوظة. **أبداً**: بحِمايةِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

---

(١) ج: ـ.

مِنهُم؛ أيْ: الصَّحابةِ لِقيامِهم بحَقِّها ونُصرَتِها. ومِن: ابتِدائِيّة أو سَبَبِيّة. وفي نُسْخة: [مِنهُ][١] فالضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ أو البَحْر في قَولِهِ: **بَحْر خَمِيس**. والظَّرْفُ مُتعلِّقٌ بـ **مَكفُولة**، أو حالٌ مِن قَولِه: **خَيرِ أبٍ** فتَكُونُ مِن تجرِيدِيّة. **بخَيرِ أبٍ**: الظَّرْفُ صِلةُ **مَكفُولة**. **وخَيرِ بَعْلٍ فلَم تَيْتَم**: لوُجُودِ أبيها الَّذي/ كانَ سَبَباً في [43 b] إيجادِها وإصلاحِها، وهو النَّبِيُّ ﷺ، فإنَّ الدِّينَ مِنهُ نَشَأ وبِهِ ارتَفَع. **ولَم تَئِم**؛ أيْ: لَم تَصِرْ أيِّماً، وهي الَّتي لا زَوْجَ لَها، لوُجُودِ بَعلِها، والمُرادُ هو ﷺ، إذْ هو القائِمُ بأمرِها، المُعتنِي بصَلاحِها، المُجتَهِدُ في تَقوِيَتِها، قالَهُ العَضد.

وفي «الأصل»: كَأنَّ الَّذي يَنزِلُ مِنَ المِلَّةِ مَنزِلةَ الأبِ هو الَّذي يَدعُو النّاسَ إليها ويُبَيِّنُها كالنَّبِيِّ ﷺ ومَن يَنزِلُ مَنزِلَتَهُ مِنَ الخُلَفاءِ الرّاشِدينَ والعُلَماء، فإنَّهُم يَدعُونَ النّاسَ إلى دِينِ الله تَعالى. والَّذي يَنزِلُ مَنزِلةَ البَعْلِ هو الَّذي يُدعى إلى الدُّخُولِ فيها فيَستَجِيبُ ولا يَستَبعِدُ ما ذَكَرَهُ، ما صارَتْ[٢] بِهِ المِلَّةُ الحَنيفيّةُ في القُوّةِ، فأولِياؤُها:

[١٢٧. هُمُ الجِبالُ فسَلْ عَنْهُمْ مُصادِمَهُمْ ... ماذا رَأى مِنْهُمُ في كُلِّ مُصْطَدَمِ]

هُم الجِبالُ: أنفُسُهم. أو كالجِبال/ الَّتي أرسَى اللهُ بها الأرضَ مِن بعدِ ما [١٥٢ أ] كانَتْ تَمِيدُ[٣] وتكفا. فخُلِقَتِ الجِبالُ فيها فأُرسِيَتْ وتَمكَّنَ النّاسُ مِن الانتِفاعِ بها. وهذا مِنَ التَّشْبِيهِ البَلِيغِ، لا الاستِعارةِ لِذِكْرِ كُلٍّ مِنَ المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ به. فالصَّحابةُ ومَنْ بَعدَهُم مِن عُلَماءِ الإسلامِ والصّالِحينَ مِن أولياءِ الله الكِرام جِبالُ أرضِ مِلّةِ الإسلام. بِهِم سَكَنَتْ بعدَ تَزَلزُلِها واطمَأنَّتْ بعدَ تَقلقُلِها. **فسَلْ**

(١) س: ـ.

(٢) راجع: مشارق الأنوار للقسطلاني (٣٩ ب).

(٣) س: تميل.

عَنهُم مُصادِمَهُم: اسمُ فاعِلٍ مِنَ المُصادَمة؛ أيْ. مَن صادَمَهُم مِن أعدائِهم. وفي نُسْخةٍ: بِفَتحِ المِيمِ جَمعُ «مَصدم» اسمُ مَكان، أو زَمان، أو مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ. **ماذا**: ما الَّذي **رَأى** صِلةُ ذا. وحُذِفَ العائِدُ مِنهُم. فـ ما مُبتَدأ، خَبَرُهُ ذا. والجُملةُ مَنصُوبةُ المَحَلِّ بإضْمارِ القَول؛ أيْ: قائلاً ما الَّذي رَآهُ مِنهُم. ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ ماذا بمَعنى أيّ شَيْء، مُبتَدأ، وجُملةُ رَأى خَبَر. ويَجوزُ إبدالُ ماذا رَأوْا مِنَ الضَّميرِ المَجرُورِ بـ عَن. **في كُلِّ مُصطَدَم**: وقَعَ بَهم[1] أو حَضَرُوه. والمُرادُ بِهِ الأماكِنُ الَّتي التَقَوْا فيها مَعَ الأعداء. والاصطِدامُ اصطِكاكُ الصَّفَّين. ولَعلَّ مُرادَهُ فَسَلْ مُؤرِّخَ أخبارِ مُصادِمِهم، وإلّا فبينَ زَمَنِ مَن صادَمَهُم وزَمَنِهِ [مِئُون][2] مِنَ السِّنِين. وكيفَ يُتَصوَّرُ سُؤالُ مَن عادَ رُفاتاً؟ كذا قالَ في «الأصل»[3]. ولا مانعَ مِن ذلكَ بأنْ يُدعى تَسلسُلُ هذا الخَبَرِ لِعَظَمَتِهِ في الأزمانِ على تَعاقُبِها، فكأنَّهُ لَقِيَ زَمَنَهُ الأصلِيَّ. واللهُ أعلَم.

وبينَ مُصادِمِ ومُصطَدَمِ جِناسُ الاشتِقاق، وهو مِن رَدِّ الصُّدورِ على الأعجازِ. وعَطَفَ على فَسَلْ قولَه:

[١٢٨. وسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وسَلْ أُحُداً فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أدْهَى مِنَ الوَخَمِ]

وسَلْ حُنَيناً[4]: وادٍ بينَ مَكّةَ والطّائف[5]. كانَ سَنةَ ثَمانٍ. وفيهِ التَقى

---

(١) س: لهم.

(٢) س، ج: مئين. والصواب ما كتبناه.

(٣) راجع مشارق الأنوار للقسطلاني ٤٩ ب.

(٤) وهو قريب من مكة. وقيل: هو واد قبل الطائف. وقيل: واد بجنب ذي المجاز. وجاء ذكره في الآية الكريمة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]. (معجم البلدان ٢/ ٣١٣).

(٥) مدينة في الحجاز جنوبي شرقي مكة. فيها العنب العذب. يضرب المثل بزبيبها. (معجم البلدان ٤/ ٩).

النَّبيُّ ﷺ مَعَ المُشرِكينَ مِن هَوازِنَ[١] وثَقِيف[٢]. وسَلْ بَدْراً: اسمُ ماءٍ[٣] بَينَهُ وبينَ المَدِينةِ ثَمانيةٌ وعِشرُونَ فرسَخاً على طَرِيقِ مَكّةَ. كانَت وقْعةُ بَدْرٍ الكُبرى عِندَه، وقُتِلَ فيها مِن صَنادِيدِ قُرَيشٍ سَبعُونَ، وأُسِرَ مِنهُم سَبعُون، وكانَ عَدَدُهم نَحوَ الألفِ وعَدَدُ المُسلِمينَ/ نَحوَ ثلاثمئة، ولَم تُقاتِلِ المَلائِكةُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ [44 a] إلّا يَومَئِذٍ ويَومَ حُنينٍ، قالَهُ ابنُ عَبّاسٍ.

وسَلْ أُحُداً[٤]: بضَمَّتَينِ الجَبَلَ المَعروفَ بالمَدِينة. كانَت غَزوَتُهُ سَنةَ ثلاثٍ وقِيل: أربَع. واستُشهِدَ فيها مِنَ المُسلِمينَ سَبعُونَ، مِنهُم حَمزةُ[٥] رَضِيَ اللهُ

---

(١) بطن من قيس عيلان من العدنانية، كانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن ومن أوديتهم حنين. (راجع معجم قبائل العرب ٣/ ١٢٣١).

(٢) هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن علان، وقيل: إن اسم ثقيف قسي، نزلوا الطائف وانتشروا في البلاد في الإسلام، واشتهر بالنسبة إليهم من العلماء أبو محمد عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم ابن أبي العاص بن بشر الثقفي البصري، (اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٢٤٠-٢٤١؛ ومعجم قبائل العرب ١/ ١٤٨).

(٣) وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة (٦٢٤م). (معجم البلدان ١/ ٣٥٧؛ وسيرة ابن هشام ٢/ ٦، ٤١٧؛ «بدر» لمصطفى فايده، الموسوعة الإسلامية لوقف رئاسة الشؤون الدينية التركية، ٥/ ٣٢٥ DIA).

(٤) وهو جبل واقع في نحو ٤ كم شمالي المدينة المنورة. وعنده كانت الواقعة الفظيعة التي قتل فيها حمزة عمّ النبي ﷺ وكسرت رباعية النبي ﷺ وشج وجهه الشريف وكلمت شفته. وذلك في سنة ثلاث من الهجرة (٦٢٥م). (معجم البلدان ١/ ١٠٩؛ والمنجد في الأدب والعلوم ٧).

(٥) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، (٥٤ ق. هـ - ٣هـ/ ٥٥٦-٦٢٥م) من قريش: عم النبي ﷺ وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والإسلام، ولد ونشأ =

عَنهُ وعَنهُم. والمُرادُ سَل أزمِنةَ كُلٍّ مِنها؛ ولِذا كَرَّرَ الأمرَ بعدَ العاطِفِ لِيُؤذِنَ باستِقلالِ كُلٍّ في المُراد. **فُصُولَ حَتْفٍ لَهم**؛ أيْ: أزمِنةُ مَوتٍ لِلكُفّار. **أدهَى**: عَليهِم لِـما يُصِيبُهم فيه. **مِنَ الوَخَم**: فإنَّ[1] ما يَموتُ مِنهُم في زَمَنِ الوَباءِ مَع تَطاوُلِهِ لهُ لا يَبلُغُ كَثرةً فيهم مِنهُ زَمَنَ مُقاتَلتِهم المُؤمِنينَ/ في السّاعةِ الواحِدةِ مِنهُ. [١٥٢ ب] وهذا التَّفسِيرُ أولى وأقرَب؛ لأنَّ قَولَه **فُصُولَ حَتْفٍ**: بَدلٌ مِن حُنَين. وما عُطِفَ عَليهِ بَدَلٌ مُجمَلٌ مِن مُفَصَّل. و**الفُصُول**: جَمعُ فصْل. ويُحتَمَلُ أنْ يُريد: وسَلْ أهلَ تلكَ الوَقائعِ أو مُؤَرِّخِيها.

ولَـمّا وصَفَ النّاظِمُ بما تَقدَّمَ أردَفَهُ بِقَولِهِ:

[١٢٩. المُصْدِرِي البِيضَ حُمْراً بَعْدَما وَرَدَتْ ... مِنَ العِدى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ]

المُصْدِري البِيضَ: بالإضافة. والمُضافُ مَنصُوبٌ بإضمارِ «أمدَحُ»، أو «أذكُرُ»، أو مَجرُورٌ بَدَلاً مِنَ الضَّمِير في قَولِهِ: **سَلْ عَنهُم**. و**البِيض** جَمعُ «أبيَض». وهو السَّيْفُ اللّامِع. ويَجُوزُ نَصبُ **البِيض** مَفعُول[2] الوَصْف. وحُذِفَتْ نَونُهُ تَخْفيفاً كَما في قِراءةِ ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: ٣٥] بالنَّصب.

= بمكة، وكان أعز قريش وأشدها شكيمةً ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي ﷺ ونال منه، فقصده حمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزة سيمنعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبي ﷺ إلى المدينة، وحضر وقعة بدر وغيرها. قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله ﷺ كان لحمزة، وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الأفاعيل. وقتل يوم أحد فدفنه المسلمون في المدينة، وانقرض عقبه. (انظر: الأعلام ٢/ ٢٧٨).

(١) ج: وإن.

(٢) في كلتا النسختين وردت «مفعولا».

حُمْراً: حالٌ مِنَ المَفعُول؛ أيْ: بالدِّماء. **بَعدَما ورَدَتْ**: **تِلكَ الصَّفائِحُ مِنَ العِدى كُلَّ مُسوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ**: شَبَّهَ السُّيوفَ بإبِلٍ بِيضٍ أوردَتْ يَنبُوعاً أسوَدَ يَجري بماءٍ أحمَرَ ثُمَّ أصدَرَتْ وقَد عادَت بَعدَ بَياضِها حُمْراً مِن تَلبُّسِها بذلكَ الماءِ الَّذي ورَدَتْهُ[1]. وقَولُهُ: **كُلَّ مُسوَدٍّ** دليلُ شَجاعةِ الصَّحابةِ وارتِفاعِ هِمَّتِهم، إذْ لَم يُوَجِّهُوا سُيوفَهُم إلّا إلى سُودِ اللّمَم، وهُم الشُّبّانُ غالِباً. وقَولُهُ: **مِنَ اللِّمَمِ** بَيانُ **مُسوَدٍّ**.

[١٣٠. والكاتِبينَ بِسُمْرِ الخَطِّ ما تَرَكَتْ أقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ]

والكاتِبينَ: الطّاعِنينَ **بِسُمْرِ الخَطِّ**[2]، المُشَبَّهةِ بأقلامِ الكُتّاب. وهي الرِّماحُ الخَطِّيّةُ. **وخَط**: بالمُعجَمةِ فالمُهمَلةِ مَوضِعٌ باليَمامةِ[3]. وهو خَطُّ هجر[4]، تَنتَسِبُ إليهِ الرِّماحُ الخَطِّيَّةُ يحملُ مِنَ الهند، ويقومُ فيه. **ما تَرَكَت**: خَلت. **أقلامُهُم حَرْفَ**: طَرَف **جِسْمٍ**: مِن أجسامِ الكُفّار. **غَيرَ مُنعَجِم**: بَل طَعَنَتْهُ. وغَيرَ حالٌ مِن فاعِلِ **الكاتِبين**.

وفي البَيْتِ لَطائِف: تَشبيهُهُم بـ الكُتّابِ والسُّمْرِ بـ الأقلام. وذلكَ دليلُ

---

(١) س: وردنه.

(٢) الخطّ بفتح أوله وتشديد الخاء في كتاب العين: الخطّ أرض تنسب إليها الرماح الخطية. وهو خطّ عمان. ومن قرى الخط: القطيف والعقين وقطر. قلت أنا: وجميع هذا في سيف البحرين وعمان. وهي مواضع كانت تجلب إليها الرماح القنا من الهند فتقوم فيه وتباع على العرب. (معجم البلدان ٢/ ٣٧٨).

(٣) اليمامة: بلاد في أواسط الجزيرة العربية، حدودها غير معينة، كثيراً ما جاء ذكرها في أخبار العرب. سكنها بنو جديس في الجاهلية وكان لهم فيها حصن في وادي عرض. (معجم البلدان ٥/ ٤٤١؛ والمنجد في الأدب والعلوم ٥٧٥).

(٤) هجر: بفتح أوله وثانيه مدينة، وهي قاعدة البحرين. وربما قيل: الهجري بالألف واللاّم. وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. (معجم البلدان ٥/ ٣٩٣).

غايةِ إحكامِهم لِلطَّعْنِ بها حَتّى صارَتْ في أيدِيهم كالأقلامِ لِلكاتِبِ[١] لا كَبيرَ[٢] مَشَقّةٍ عَليهِم في التَّصرُّفِ بها. وإنَّهُم لا يَطعَنُونَ إلاّ في مَحَلِّ الطَّعْنِ كَما لا يُنقطُ حَرْفٌ إلّا بما يَستَحِقُّ. وإنَّهُم أعجَمُوا حُروفَ جِسْمِ العَدُوِّ؛ أيْ: أزالُوا عُجمَتَهُ بالنَّقْطِ المُمَيِّز، لِتُميِّـزَ المُؤمِنَ مِنَ الكافِرِ بنُقطةٍ لِلكافِرِ وسَلامةِ المُؤمِنِ مِنها.

[44 b] وفي البَيْتِ استِعارةٌ مَكنِيّة وتَخييليّة. فتَشبيهُ السُّمْرِ بـ الأقلام/ مَكنِيّة، وإثباتُ الكِتابةِ تخييلية، وذِكْرُ الحَرْفِ والانعِجامِ تَرشِيح.

[إنْ قـامَ في جامِـعِ الهَيجـاءِ خاطِبُهم   تَصامَمَـتْ عَنـهُ أُذنا صِمّـةِ الصِّمِمِ][٣]

إنْ قامَ في جامِعِ الهَيجاءِ خاطِبُهم؛ أيْ: المُؤمِنينَ تَصامَمتْ عَنهُ أُذنا صِمّة بكَسرِ الصّادِ وتَشدِيدِ المِيمِ الصِّمِمِ؛ أيْ: [الأصم][٤]؛ أيْ: أشَدِّهم شَجاعةً.

وهذا البَيْتُ كَما قالَ ابنُ مَرزُوقٍ لَم يَثبُتْ في رِوايَتِه. إنَّما هو في نُسخة. [١٥٣ أ] والظّاهِرُ أنَّهُ ليسَ مِنها. ولِذا اضطَرَبَ/ في تَفسِيرِه. ومِن سِرِّ إخلاصِ النّاظِمِ بَيانُ ما أدرَجَهُ بَعضٌ في نَظْمِهِ مِمّا ليسَ مِنهُ. ويَدُلُّ على كَونِهِ دَخِيلاً قَولُه:

[١٣١. شاكِي السِّلاحِ لَـهُمْ سِيما تُمَيِّزُهُم   والـوَرْدُ يَـمْتـازُ بِالسِّـيما عَنِ السَّـلَمِ]

شاكِي السِّلاحِ لِظُهورِ اتِّصالِهِ بقَولِهِ المُصْدِري البِيْضَ، فإنَّهُ لَـمّا أخبرَهُم بِقُوّةِ عَزِيمَتِهِم أخبَرَ عَن قُوّةِ شَكِيمَتِهِم بِقَولِهِ شاكِي السِّلاح: تامّية أو حادّية. لَهُم سِيما تُمَيِّزُهم: عَن غَيرِهم. وتِلكَ السِّيما إمّا كَونُهم رُكَّعاً سُجَّداً ﴿سِيمَاهُمْ

---

(١) س: للكاتب.

(٢) س: كثير.

(٣) وهذا البيت ليس من قصيدة البوصيري، كما سيبيّنه ابن علان في السطور الآتية.

(٤) س: ـ.

﴿فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] أو غَيرَهُ مِن حَميدِ صِفاتِهم. وأشارَ إلى جَوابِ أنَّ هذهِ العَلامة خَفيّةٌ لا يَفطنُ لَها إلّا الأذكِياء، فلا يَحسُنُ جَعلُهُ سِيماءَ لِكُلِّ أحَدٍ بِقَولِهِ: **والوَرْدُ يَمتازُ بالسِّيما**: العَلامةِ الخاصّةِ بهِ مِن طِيْبِ العَرْف، وحُسْنِ الوَصْف. **مِنَ السَّلَم**: المُشارِكِ لهُ في كَونِ كُلٍّ مُورِقاً ذا شَوْكٍ إلّا أنّهُ يُفَرِّقُ بَينَهُما بما ذُكِرَ في الوَرْد، وبأنَّ الوَرْدَ مُمتَنِعٌ على خَسِيسِ الحَيوانِ كامتِناعِ الشُّجاعِ مِنَ الأعداءِ الأنذال، وبأنَّهُ سَهلُ التَّناوُلِ على الأحِبّاء، طَيِّبُ الرّائِحةِ، وشَرَفِ المَنزِلةِ وبهاءِ المَنظَر، فكَما لا يَخفى امتِيازُ الوَرْدِ بسِيماهُ مِنَ السَّلَمِ لا يَخفى امتِيازُ الصَّحابَةِ بسِيماهُم مِن غَيرِهم مِمَّن هو شاكِي السِّلاحِ أيضاً، ثُمَّ شاكِي أصلُهُ شائِك، فقُلِبَتْ لامُهُ وحَلَّتْ مَحَلَّ عَينِه، وهو هاهُنا جَمْع. والنُّونُ حُذِفَتْ مِنهُ لِلإضافة. وجُملةُ **لَهم سِيما** مُستأنَفة.

وتَقدِيمُ الخَبَرِ الظَّرْفي لِتَخصِيصِهم بهذا الوَصْفِ عَن مُعارِضِهم، وهذا اقتِباسٌ مِن قَولِهِ تَعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩] الآية. وجُملةُ **تُميِّزُهم** صِفةُ **سِيما**، والعائِدُ مَحذُوف؛ أيْ: بِها. وضَمِيرُهُ البارِزُ يَعودُ إلى **شاكي السِّلاح**. وجُملةُ **الوَرْدُ يَمتازُ** في مَحَلّ الحالِ مِن مَفعُولِ **تُمَيِّزُهم**، أو مُعتَرِضة، آخِرَ الكَلامِ لِتَوكيدِ المَعنى السّابِق. وهو **لَهُم سِيما**. والواوُ اعتِراضِيّة.

وفي الجُملةِ تَشبِيهان: تَشبِيهُ الصَّحابَةِ بـ **الوَردِ** في طِيْبِ الرّائِحة، وحُسْنِ المَنظَر، وطَلاقةِ الوَجْهِ والنَّظافةِ واللَّطافة؛ والكُفّارِ بـ **السَّلَمِ** في ضِدِّ ذلكَ.

[١٣٢. تُهْدِي إلَيْكَ رِياحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ في الأكْمامِ كُلَّ كَمِي]

تُهدِي: تُرسِل **إلَيكَ رِياحُ النَّصْر**: الغَلَبةُ على العَدُوّ، وقَد تُستَعمَلُ الرِّياحُ بهذا المَعنى. كَما في قَولِهِ: إذا هَبَّتْ رِياحُكَ فاغتَنِمْها. **نَشْرَهُم**: رائِحةَ الطِّيبِ الَّذي يَمتازُونَ بِهِ كامتِيازِ الوَرْدِ برائِحَتِهِ عَنِ السَّلَم. **فتَحسَبُ الزَّهْرَ**: حالَ كَونِهِ

[45 a] **في الأكمام كُلَّ كَمِي**: وإسنادُ الإهداءِ إلى/ الرّياحِ مَجازٌ عَقْلِيٌّ، و**رِياحُ النَّصْر**: استِعارةٌ تَخييليّةٌ لِلتَّشبيهِ المُضمَرِ في النَّفْس. ويَجُوزُ أنْ يُرادَ الرِّياحُ الَّتي لِلنَّصْر. فالإضافةُ لامِيّةٌ أو بَيانِيّة؛ أيْ: رِياحٌ هي النَّصْر. وجُملةُ **تُهدِي** حالٌ مِن مَفعُولِ **تُميِّزُهم**:/ حِكايةٌ لِلحالِ الماضِية. والمُخاطَبُ بـ **إلَيكَ** و**تَحسَبُ** عامٌّ [١٥٣ ب] أيْ: تَحسَبُ الزَّهرَ في كُمِّهِ كُلَّ شُجاعٍ مُكتَنِفٍ في سِلاحِهِ كالزَّهْرِ في كُمِّهِ؛ أيْ: غِلافِهِ الَّذي يَكُونُ فيه. شَبَّـهَ أجسادَهُم الطَّيِّبةَ الطّاهِرةَ حالَ تَقنُّعِهم في السِّلاحِ بالزَّهْرِ في كُمِّهِ قبلَ تَفتُّقِهِ عنهُ فهُم مَن لَم يُمَيِّزْهُم بِسِيماهُم الطّاهِرةِ الَّتي كسِيماءِ الوَرْدِ في المَنظَرِ وحُسْنِ المَخبَر، وذلكَ لِـمَنْ شافَهَهُم، فإنَّهُ يُمَيِّزُهُم بما يُوصِلُ إليهِ رِياحَ النَّصْرِ مِن طِيبِ الثَّناءِ عَليهِم وصِدْقِ الخَبَرِ عَنهُم؛ لِتواتُرِهِ بأنَّهُم المَنصُورُونَ. وأصلُ كَمِي «كَمِيّ» بِتَشديدِ الميمِ بوَزْنِ فعِيل، حُذِفَتِ الياءُ السّاكِنةُ وسُكِّنَتِ المُتحرِّكةُ لِنَقْلِ الكَسْرةِ عَليها. ثُمَّ شَبَّهَهُم تَشبيهاً مُطلَقاً فقال:

[١٣٣. كَأَنَّهمْ في ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُباً   مِـنْ شِـدّةِ الحَـزْمِ لا مِنْ شَـدّةِ الحُزُمِ]

كَأَنَّهُم: حالَ كَونِهم **في ظُهورِ الخَيل**: الفُرسان، **نَبتُ**: هو ما خَرَجَ مِنَ الأرضِ ولا ساقَ له. **رُباً**: بضَمِّ الرّاء وبالمُوحَّدةِ ما انتَفَخَ وارتَفَعَ وطابَ مِنَ الأرضِ، والتَّشْبيهُ بذلكَ في بَهاءِ المَنظَرِ، وحُسْنِ المَخبَر، والثَّباتِ والاستِقرار، وأنَّهُم إنْ تَحرَّكُوا عَليها لَم يَتحرَّكُوا بما يَقلَعُهم مِن أصلِ ظُهورِها بَل لِلطَّعْنِ والاتِّقاءِ مَع ثُبُوتِ أصلِهم، كتَحرُّكِ زَهْرِ الرُّبا. **مِن**: تَعلِيلِيّة. **شِدّة الحَزْم**: الَّذي أُوتوهُ بِفَتحِ المُهمَلةِ وسُكونِ الزّاي. **لا مِن شَدّةِ الحُزُم**: بضَمِّ المُهمَلةِ والزّاي سُروجِ الخَيلِ أو غَيرِها مِـمّا يُشَدُّ بـهِ على ظَهْرِ الدّابّة، ولا مِـن أجْلِ شَدِّهِم أنفُسَهم عَليها بحزم. شَبَّهَهُم بنَبْتِ الرُّبى دُونَ الشَّجَر؛ لأنَّها تُشبَّهُ بها الكِبارُ

مِنَ الكُفّار. والنَّبْتُ لِكَونه تُفيِّئُهُ الرِّيحُ يَميناً وشِمالاً، صِفةُ المُؤمِنِ في المِحَنِ الدُّنيويّة، وخَصَّصَ نَبتَ الرُّبى؛ لأنَّهُ أحسَنُ النَّباتِ لأخْذِهِ حَظَّهُ مِنَ الماء. ثُمَّ يَسِيلُ عنهُ وأخْذِهِ حَظَّهُ مِنَ الشَّمْسِ والرِّياحِ على اختِلافِ أنواعِها فتَجِدُهُ أخضَرَ يانِعاً غَضًّا نَضراً، ولا كذلكَ نَبتُ المُنخَفِضِ مِنهُ فقَد يَستَقِرُّ فيهِ قَليلُ الماءِ فيَقتُلُهُ ويَصفَرُّ لَونُه، ولأنَّ التِّلالَ المُحِيطةَ تَمنَعُ[1] مِنهُ الشَّمْسَ والرِّياح. وتَأمَّلْ قَولَهُ ﷺ: كـ«الحَبّةِ في حَمِيلِ السَّيْل»[2].

وفي قَولِهِ مِنْ شِدّة الحَزْم: احتِراس. وبينَ **الحَزْمِ** بالفَتْحِ والسُّكُون **والحُزْم** بضَمَّتَينِ جِناسٌ مُصَحَّف. وفي **في ظُهورِ الخَيلِ** ظَرفيّة، أو بمَعنى على، كَما قِيلَ بِهِما في قَولِهِ تَعالى: ﴿فِي جُذُوعِ﴾ [طه: ٧١][3].

[١٣٤. طارَتْ قُلُوبُ العِدى مِنْ بَأْسِهِمْ فرَقاً ... فَمـا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهَمِ]

طارَتْ: انزَعَجَتْ. **قُلُوب**: جَمعٌ مُفيدٌ لِلاستِغراقِ لإضافَتِهِ إلى **العِدى**، **مِن**: تَعليلِيّة. **بَأسِهِم**: شِدَّتِهم./ **فرَقاً**:/ مَفعُولٌ لَه، أو حالٌ مِن فاعِلِ **طارَت**. [45 b] [٤٥١ أ]

وفي قَولِهِ: **طارَتْ قُلوبُ العِدى**: الثَّناءُ عَليهِم بالشَّجاعة. وهي الثَّباتُ عِندَ لِقاءِ العَدُو. وقَولُه: **مِن بَأسِهِم** مُتَعلِّقٌ بـ **طارَت**. و**مِن** تَعلِيلِيّة. ويَجُوزُ تَعلِيقُهُ بـ **فرَقاً**. و**مِن** حِينَئذٍ صِلَـتُه. **فما**: **الفاءُ** سَبَبِيّةٌ داخِلةٌ على المُسبَّب. **تُفَرِّقُ**: مِنَ التَّفريقِ. وبَينَهُ وبَينَ **فرَقاً**: صِيغةُ اشتِقاق. **بينَ البَهْم**: بِفَتحِ الباءِ وسُكونِ الهاءِ أولادِ الضَّأنِ. وبينَ **البُهُم** بضَمَّتَينِ الشُّجاعُ الفارِس.

---

(١) س: يمنع.

(٢) س: جميل؛ ج: خميل. وحميل السيل ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه محمول السيل. والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته.

(٣) س: ـ من سورة طه ٢٠/ ٧١.

وفي الجَمْعِ بَينَهُ وبينَ ما قَبلَهُ جِناسٌ مُحَرَّف، وعَدَمُ تَفريقِهم مِن شِدّة ما حَلَّ بِهم مِنَ الدَّهش، وجُملةُ طارَتْ قُلوبُ العِدى مُستأنَفة. جَوابُ ما: حالُ العِدى مَع كَمال هَيبَتِهم وقُوّةِ صَولَتِهم. ونُصرةُ الصَّحابةِ إنَّما هي بِرَسُولِ الله ﷺ.

[١٣٥. ومَـنْ تكُنْ بِرَسُـولِ الله نُصْرَتُهُ ... إنْ تَلْقَـهُ الأُسْـدُ فـي آجامِهـا تَجِـمِ]

ومَنْ تَـكُنْ[١] **بِرَسُولِ الله**: خَبَرُ كانَ مُقَدَّم. **نُصرَتُه**: اسمُها. وهو مَصْدَرٌ لِمَفعُولِـهِ؛ أيْ: مَنصُورِيَّته؛ على تَقديرِ أنَّهُ مَصْدَرُ المَجهُول. وتَقدِيمُ الخَبَرِ للاهتِمام، أو لأنَّهُ السَّبَبُ فيها. إذِ النّاصِرُ حَقِيقةً هو اللهُ تَعالى لإكرامِه. وتَقدِيمُ السَّبَبِ أولى، أو لأنَّ ذِكْرَهُ لِلتَّلذُّذِ أحَقُّ بالاهتِمام. ويَجُوزُ كَوْنُ **تكُنْ** تامّةً **والباءُ**: سَبَبِيّة. **والنُّصْرة**: العَونُ التّامُّ، وأنْ يَكُونَ كِنايةً عَن دُخُولِهِ مَداخِلَ الحَرْب. ففي الحَدِيث: «كُنّا نَـتَّقِي بِرَسُولِ الله ﷺ إذا اشتَدَّ الحَرْب»[٢]، وعليهِ فالمَصْدَرُ مَبنِيٌّ لِلفاعِل، مُضاف؛ أيْ: نُصرَتُـهُ الدِّينَ. والباءُ لِلاستِعانةِ حِينَئِذٍ. ووَجْـهُ التَّقْدِيمِ ظاهِر. **إنْ تَلقَهُ**: ضَمِيرُ المَفعُولِ راجِعٌ لـ مِن. **الأُسْد**: بضَمٍّ فسُكونٍ جَمعُ أسَدٍ بِفَتحَتينِ الحَيوانُ المَعرُوف. **في آجامِها**: بالمَدِّ جَمعُ أجَمةٍ بفَتحِ أوَّلَيهِ الأشجارُ المُلتَفّةُ والقُضبُ المُزدَحِمة، مَأوى الأسَـد. وذُكِرَتْ لِلمُبالَغة. فإنَّهُ في عَرِينِهِ أشجَعُ وأدفَعُ لِـمَنْ يُعرِّضُهُ لاستِيلاءِ الغِيرةِ عليهِ في الذَّبِّ عَن مَسكَنِهِ، وأمنَعُ لاستِعلاءِ الحَمِيّةِ في الدَّفْعِ عَن ساحَتِهِ وأحمَى ذِمار[٣]. وإذا كانَ الأسَدُ في مَسكَنِهِ هذا حالُهُ مَع كَمالِ هَيبَتِهِ فكيفَ يَكُونُ حالُهُ في غَيرِه؟ ومَعنى

---

(١) س: يكن.

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد ٧٩؛ وأحمد في مسنده ١/ ١٥٣.

(٣) ج: ذمار.

الكَلامِ أنَّها لا يَدخُلُ[1] عَليها أحَدٌ فيهِ لامتِناعِها ثَمّة؛ لأنَّها إذا زَأرَتْ على الدّاخِلِ فيهِ فرَقَ، ولو كانَ مَعَهُ مَن كانَ، خَوْفاً مِن هَيبةِ صَوتِهِ، لَكِنْ إنْ لَقِيَتْ المُنتَصِرَ بِرَسُولِ الله ﷺ انعَكَسَ الحالُ. وصارَتِ الأُسْدُ إنْ أحسَّتْ بِهِ **تَجِم**: مِن هَيبَتِهِ؛ أيْ: تَسكُتُ. ولا يُسمَعُ لَها صَوتٌ خَوْفَ أنْ يَكُونَ دالًّا على مَكانِهِ، فيَقصِدُهُ المُنتَصِرُ برَسُول/ الله ﷺ فيَقبِضُ عَليه. ويُحتَمَلُ أنْ يُريدَ بـ **الأُسْد**: [١٥٤ ب] الشُّجْعان، وبـ **الآجام**: الحُصُون. ويُناسِبُ حَمْلُ الأُسْدِ على الحَقِيقةِ/ قِصّةُ [46 a] «سَفينة» مَولى رَسُولِ الله ﷺ مَعَ الأسَدِ وتَركِهِ، مَع ما قَدَّرتُهُ مِن قَولي ونُصرةُ الصَّحابةِ إنَّما هي برَسُولِ الله ﷺ لِلعِلْمِ بِه[2].

وفي قَولِهِ: **إنْ تَلقَهُ الأُسْد**، إذْ أتى بـ **إنْ**، إيماءً إلى أنَّ مَن كانَتْ نُصرَتُهُ بهِ ﷺ لا يَتمَكَّنُ الأسَدُ مِن لِقائِهِ إلّا على سَبيلِ الفَرضِ والتَّقدِير. والجُملةُ الشَّرْطِيّةُ جَوابُ **ومَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ الله نُصرَتُه**. إذْ مَن مُتضَمِّنةٌ مَعنى الشَّرْط.

[١٣٦. ولَنْ تَرَى مِنْ ولِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِـهِ ولا مِـنْ عَـدُوٍّ غَيْـرَ مُنْقَصِمِ]

ولَنْ تَرى مِن ولِيٍّ: مِن أولِيائِهِ ﷺ، وهو كُلُّ مَن آمنَ بِهِ واتَّبعَ سُنَّتهُ وطَرِيقَتَه. **غَيرَ مُنتَصِرٍ بِه**: على عَدُوِّه. **ولا تَرى مِن عَدُوٍّ** لهُ مِنَ الكُفّار **غَيرَ مُنقَصِم**؛ أيْ: بِه. ففيهِ الحَذْفُ مِنَ الأوائِلِ لِدَلالةِ الأوائِل. ومُنقَصِم: بالقاف. وفي نُسْخةٍ بالفاء. والأوَّلُ أبلَغ. ولا يَلزَمُ مِن نَصْرِ الوَلِيِّ انقِصامُ العَدُوِّ بَل عَدَمُ نَصْرِهِ الأعَمُّ مِن

---

(١) س: تدخل.

(٢) سفينة مولى رسول الله ﷺ قيل: اسمه مهران وقيل طهمان (...) وكان أصله من فارس فاشترته أم سلمة ثم أعتقته، واشترطت عليه أن يخدم النبي ﷺ، وقد روى عن النبي ﷺ وعن أم سلمة وعلي وعنه ولداه عبد الرحمن وعمر وسالم بن عبد الله بن عمر وأبو ريحانة وغيرهم. (الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ١٠٩).

الانقِصامِ وعَدَمُهُ لِجوازِ أنْ يَغلبَ بالهَزيمةِ ويَسلَمَ مِن الانقِصام.

ويَفرِضُ لُزومَ دَلالةِ نَصْرِ أولِيائِهِ على انقِصامِ أعدائِهِ فهي دَلالةُ لُزوم، فأتى في الشَّطْرِ الأخيرِ بما يَدُلُّ على ذلكَ بالمُطابَقة.

[١٣٧. أحَلَّ أُمَّتَهُ في حِرْزِ مِلَّتِهِ كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأشْبالِ في أُجَمِ]

أحَلَّ: ﷺ أيْ: أنزَلَ **أُمَّتَهُ**: أُمَّةَ الإجابة. **في حِرْزِ مِلَّتِهِ** وشَرِيعَتِهِ الّتي هي كأعظَمِ الحُصونِ عِزَّةً ومَنَعةً، فلا يَدخُلُها غيرُ أهلِها. و**الحِرْزُ** مَوضِعٌ حَصِينٌ يُحفَظُ بِهِ الشَّيْء. **كاللَّيْثِ**: الأسَد. **حَلَّ**: نَزَلَ. **مَعَ الأشْبال**: جَمْعُ شِبْلٍ بكَسْرِ المُعجَمةِ ولَدِ الأسَد. **في أُجَم**: عَرِينِ الأسَد، فإنَّ الأسَدَ كذلكَ لا يَستَطِيعُ الوُصُولَ إليهِ ثَمّةَ إلّا مَن هو مِن أشبالِهِ وأبناءِ جِنْسِه، فهو ﷺ بمَثابةِ اللَّيْث، وأُمَّتُهُ بمَثابةِ الأشْبال. ودِينُ الإسلامِ بمَثابةِ الأُجَم. وال في **اللَّيث** جِنسِيّة. وجُملةُ **حَلَّ** صِفة.

وهذا التَّشْبيهُ مِن الاستِعارةِ التَّمثِيلِيّة، شَبَّهَ ﷺ المنزلَ أُمَّتَهُ في مِلَّتِهِ الَّتي هي أمنَعُ حِرْزٍ بـ لَيثٍ حالٌّ مَع أولادِهِ في أُجَم. ووَجْهُ الشَّبَهِ إنزالُ جَمعٍ في شَيْءٍ حَصِينٍ بسَبَبِ حِمايةِ صاحِبِ كَمالٍ في غايةِ الشَّجاعةِ وقُوّةِ السَّلْطَنة. وفي تَشْبيهِ الأُمّةِ بالأشْبالِ إيماءٌ إلى شَجاعَتِهم. وفي التَّشْبيهِ[١] بالأشْبالِ إيماءٌ إلى أنَّهُ ﷺ كالأسَدِ لأولادِه؛ لأنَّ كُلَّ نَبِيٍّ كالأبِ لأُمَّتِه. والتَّشْبيهُ مُحتَمِلٌ لِكَونِه في تَهوينِ بَذْلِ أنفُسِهم في ذاتِ الله تَعالى لِما داخَلَهم مِنَ اليَقينِ بصِحّةِ الإيمانِ في قُلوبِهم/ فصارَ مَوتُهم في الله تَعالى أشهَى عِندَهم مِنَ الحَياة. وهذا هو الحِصْن. ولِكَونِهِ[٢] صانَ مَن وُصُولِ شَيْءٍ/ مِنَ الشَّكوى[٣] [١٥٥ أ] [46 b]

---

(١) س: التشبيه.

(٢) ولكونه ما ضان.

(٣) س: الشكوى.

والرِّيَبِ إلى قُلوبِهم في ذلكَ فكانَتِ القُلُوبُ في حِصْنٍ حَصِين.

ولَمّا أنهى الكَلامَ على النَّصْرِ مِنهُ لَهم بالبَنانِ، أخَذَ في بَيانِ نَصْرِهِ لَهم بالبَيان.

فقال:

[١٣٨. كَمْ جَدَّلَتْ كَلِماتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ فيْهِ وكَمْ خَصَمَ البُرْهانُ مِنْ خَصِمِ]

كَمْ جَدَّلَت؛ أيْ: صَرَعَت. ويَجُوزُ بتَخفيفِ الدّالِ، إلّا أنَّهُ يُفَوِّتُ التَّكثيرَ المَدلُولَ لِلتَّشديد. وقِيلَ مَعناهُ: قَطَّعَت. وكَم: خَبَرِيَّةٌ لِلتَّكثِير. كَلِماتُ الله: أيْ: القُرآن. مِن: بَيانِيّة جَدِلٍ بكَسرِ الدّالِ اسمُ فاعِلٍ مِن «جَدلَ جَدَلاً» أحكَمَ الخُصُومة. فـ الجَدِلُ: شَدِيدُ الخُصومة[1]. ومِن جَدِلٍ تَمييزُ كَم. فيه؛ أيْ: أمرِ النَّبِيِّ ﷺ أو دِينِه. وكَم: وكَثيراً. خَصَمَ البُرهانُ؛ أيْ: الْحَقَ بأدِلَّتِهِ القاطِعةِ وبَراهِينِهِ السّاطِعة. مِنْ خَصِم: بفَتحٍ فكَسْرٍ؛ أيْ: شَدِيدِ الخُصُومةِ فيه. ففيهِ الحَذْفُ في الأواخِرِ لِدَلالةِ الأوائِلِ عَليه. وخَصِم وإنْ كانَ نَكِرةً في سِياقِ الإثباتِ إلّا أنَّهُ مُفيدٌ لِلعُمُوم على نَحْو: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤]. بقَرينةِ التَّكثِيرِ وزِيادةِ مِن ومَقامِ المَدْحِ لِلكَلِمات.

[١٣٩. كَفاكَ بالعِلْمِ في الأُمِيِّ مُعْجِزَةً في الجاهِليّةِ والتَّأْدِيبِ في اليُتُمِ]

كَفاكَ: أيُّها الصّالِحُ لِلخِطاب، بالعِلْمِ: فاعِل كَفى. والباءُ مَزيدةٌ فيهِ نَحْو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٣]. في الشَّخْصِ الأُمِّيِّ: وهو الَّذي لا يَكتُبُ ولا يتعلَّمُ[2] مِن مُعَلِّم. ووَصَفَهُ بالأُمِّيّةِ مَع كَمالِ عِلْمِهِ وغايةِ مَعرِفَتِهِ إيماءً إلى أنَّهُ أبلَغُ مُعجِزاتِه. فإنَّ الأُمِّيّةَ تُنافي العِلْمَ عادةً وعُرْفاً. وبانضِمامِ زَمَنِ الجاهِلِيّةِ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ج».

(٢) س: يعلم.

والفُتوّةِ يَتأكَّدُ التَّنافرُ. والشَّيْءُ إذا حَصَلَ على أبلَغِ وُجوهِهِ مَع قِيامِ مانِعِهِ كانَ أغرَبَ وأقوَى وأبلَغ. **واللّامُ في الأُمّيِّ** لِلعَهدِ. ومَحَلّ في الأُمّيِّ النَّصْب، حالٌ مِنَ العِلْم، أو كُلٌّ مِنَ الرَّفْعِ والجرِّ صِفةٌ له فيَتبَعُهُ على مَحَلِهِ أو لَفْظِه. **مُعجِزةً**: تَميِيزٌ لِدَلالةِ ذلكَ على صِدْقِهِ فيما جاءَ بِه. **في زَمَنِ الجاهِلِيّةِ**: المُدّةِ المَنسُوبةِ إلى الجَهْلِ ما قَبلَ أيّامِ نُبوّتِهِ ﷺ. والياءُ فيها المُبالَغةُ في الجَهْل، إذْ لا هادٍ **بِهِ يَهتَدِي ولا كَرِيم بِهِ يَقتَدِي. وكَفاكَ أيضاً ما فيهِ مِنَ التَّأدِيب: بالجَرِّ عَطفاً على لَفْظِ العِلْم، وبالرَّفْعِ على مَحَلِّهِ. والتَّأدِيب: تَهذِيبُ الظّاهِرِ والباطِن، ولا يَكُونُ إلّا بتَكامُلِ مَكارِمِ الأخْلاق. وقِيل: هي الإتيانُ بالمُستَحْسَناتِ، والانتِهاءُ عَنِ المُستَقْبَحات، وتَأدِيبُهُ ﷺ أعلى الآداب. قالَ ﷺ: «أدَّبَني رَبِّي فأحسَنَ تَأدِيبي»**[1]. والتَّقيِيدُ على وجْهِ الحالِ أو الصِّفةِ لـ **التَّأدِيبِ أو العِلْمِ** [١٥٥ ب] **المُحَلّى بـ ال الجِنْسيّة**/ في قَوْلِهِ **في اليُتْمِ** بضَمِّ الياءِ إتباعاً لِضَرُورةِ الوَزْنِ [47 a] لِزيادةِ الإعراب. واليَتِيمُ في النّاسِ [مَن]/ فقَدَ الأَب. وهو ﷺ ماتَ أبُوهُ. وهو حِمْلٌ في بَطْنِ أُمِّهِ. وشَأنُ اليَتِيمِ غالِباً أنْ لا يَكُونَ فيهِ مِنَ الآدابِ ما يَكُونُ في ذِي الأَبِ لاهتِبالِ الأَبِ بذلكَ مِنَ الوَلَدِ وسَعيِهِ في تَكمِيلِهِ بالأخْلاقِ والعُلُوم. وغَيرِ [ذِي] الأَبِ لا يَكُونُ مِنهُ ذلكَ. فلَمّا وُجِدَ فيهِ ﷺ مِنَ العِلْمِ ما لا يَبلُغُ شَأْوَهُ مَن تَصَدّى لهُ فكيفَ مَن لَم يَتَصَدَّ؟

ومِنَ الآدابِ ما لا يُنالُ بإرشادِ مَن لهُ مُؤَدِّب، فكيفَ بمَنْ عَدِمَه؟ دَلَّ ذلكَ على أنّهُ رَسُولُ الله ﷺ حَقًّا.

---

(١) رواه العسكري عن علي رضي الله عنه وسنده ضعيف جداً. واقتصر الحافظ ابن حجر على الحكم عليه بالغرابة. وقال السيوطي في «اللآلي»: معناه صحيح، ولكن لم يأت من طريق صحيح. وذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية فقال: لا يصح. (انظر: المقاصد الحسنة ٢٩؛ كشف الخفاء ١/ ٧٢).

[الفَصْل التّاسِع]

[في بيانِ المُناجاةِ وطَلَبِ المَغفِرةِ مِنَ الله سُبْحانَهُ وتَعالى]

[١٤٠. خَدَمْتُـهُ بِمَديـحٍ أسْتَقِيلُ بِـهِ ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشِّعْرِ والخِدَمِ]

خَدَمْتُهُ ﷺ بمَدِيح. وهو هذا وغيرُهُ مِن قَصائِدِهِ فيهِ ﷺ كالهَمزيّةِ واللّامِيّة(١). وكأنَّهُ يُخاطِبُ مولانا سُبْحانَهُ ويَقُول: أيْ رَبِّ، خَدَمْتُ رَسُولَكَ ﷺ بمَدِيحٍ. وأنا أقُول: خَدَمْتُ هذا المَدِيحَ بشَرْحٍ أستَقِيلُ مِمّا استَقالَ مِنهُ النّاظِم، وأسألُ ما سَألَ، وأتوسَّلُ بهِ إلى المَمدُوحِ في حَوْزِ ذلكَ. أستَقِيلُ: أطلُبُ مِنك إقالَتي. بِهِ: سَبَبِيّة ذُنوبَ عُمْرٍ مَضَى في نَظْمِ الشِّعْر: مَدحاً في النّاس. والخِدَم: بكَسْرٍ ففَتْحٍ جَمعُ خِدْمة؛ أيْ: خَدمتُهُم مِمّا ليسَ في طاعةِ الله تَعالى. وهو وإنْ كانَ مُباحاً إلّا أنَّ «حَسَناتِ الأبرارِ سَيِّئاتُ المُقَرَّبين».

[١٤١. إذْ قَلَّدانِـيَ مـا تُخْشَـى عَواقِبُهُ كَـأنّنـي بِـهِمـا هَـدْيٌ مِـنَ النَّعَـمِ]

إذْ: تَعلِيلِيّة. قَلَّداني؛ أيْ: الشِّعْرُ والخِدَمُ لِمَنْ ذَكَر أيْ: جَعَلا في عُنُقي مِنَ الآثامِ ما هو كالقِلادة. والإسنادُ إليهما مَجازٌ عَقْلِيٌّ. ما تُخشَى عَواقِبُه: أواخِرُه. وضَمِيرُهُ لـ ما؛ أيْ: أواخِرها إنْ لَم تُغفَرْ مُؤَدٍّ إلى الهَلاكِ الدُّنيَوِيِّ والخُسرانِ الأُخرَوِيِّ. وفي الكَلامِ استِعارةٌ مَكنيّة تَتبَعُها(٢) استِعارةٌ تَخيِيلِيّة. كَأنّني بِهِما؛ أيْ: بالتَّقلِيدِ بِهِما المُشعِرِ بما يَلِيقُ به. هَدْيٌ: ما يُساقُ إلى البَيْتِ

(١) راجع: ديوان البوصيري ١-٢٩، ١٢٧-٢٠٨.

(٢) ج: يتبعها.

الحَرامِ تَعظِيماً له ويُقَلَّدُ ويُشعر. ووَصْفُهُ بِقَولِهِ: **مِنَ النَّعَم**: بِفَتحِ أَوَّلَيهِ الإبلِ والبَقرِ والغَنَم. سُمِّيَت بهِ لِعَظِيمِ الإنعامِ بها. والتَّشْبيهُ في شِدَّةِ الظُّهور. فكَما لا تَخفى[1] النِّعَم المُقلَّدةُ على الرّائي لَها أَنَّها هَدْيٌ، فكذا لا يَخفى استِحقاقِي العِقابَ بما مَدَحتُهُ غيرَهُ ﷺ مِن أهلِ الدُّنيا.

وخَدَمتُهم إمّا لِما تَقدَّم، أو لِما قَد يَنشأُ عَنهُما مِنَ الحَرام.

والظَّرْفُ تَعليلٌ لِلاستِقالةِ في البَيْتِ قَبلَه، والجُملةُ المُصَدَّرةُ بـ كَأَنَّ حالٌ أو استِئناف، والضَّمِيرُ المُثَنّى/ المَجرُورُ بَعدَهُما لِلمَدحِ والخِدَم، وتَنوينُ هَديٌ لِلتَّعظِيم. [47 b]

[١٤٢. أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبافي الحالَتَينِ وما حَصَلْتُ إلّا على الآثامِ والنَّدَمِ]

[١٥٦ أ] **أَطَعْتُ**: جُملةٌ استِئنافيّة. **غَيَّ**؛ أيْ: انقَدْتُ لِضَلالِ/ **زَمَنِ الصِّبا**؛ أيْ: اللَّعِب. وقِيل: الغَيُّ الجَهلُ عَنِ اعتِقادٍ فاسِد. وفيهِ استِعارةٌ مَكنيّة قَرينَتُها إثباتُ الطّاعةِ في قَولِهِ: **أَطَعْتُ**. **في الحالَتَينِ**: حالةِ مَدحِي لِغَيرِهِ وخِدمَتِي لَه. **وما حَصَلْتُ**: مِنهُما على حالٍ مِنَ الأَحوال. **إلّا على الآثام**: جَمع «إِثْم»: الذَّنب. **والنَّدَمِ**: النَّدامةِ على ما صَدَرَ مِنِّي. ولو صَحِبَني التَّوفيقُ مِن أَوَّلِ العُمْرِ لما صَدَرَ مِنِّي شِعْرٌ ولا خِدمةٌ إلّا لِجَنابِهِ ﷺ لَكِنَّ التَّوفيقَ بِيَدِ الله. والجُملةُ حالِيّة. وأفردَ النَّدَم؛ لأَنَّهُ مَصْدَرٌ فلَم يَحتَجْ لِلجَمْع. قالَهُ العَضد. ولا يُقالُ الإثمُ مِثله؛ لأنّا نَقولُ: ليسَ هو مَصْدَراً بَل اسمُ مَصْدَرٍ كَما في «المِصْباحِ»[2] وغَيرِه.

وفَرَّعَ على ذلكَ بالفاءِ قَولَه:

[١٤٣. فيا خَسارةَ نَفْسٍ في تِجارَتِها لَمْ تَشْتَرِ الدِّيْنَ بِالدُّنيا ولَمْ تَسُمِ]

---

(١) س: يخفى.

(٢) يعني «المصباح المنير» لأحمد بن محمّد الفيّومي (ت٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م).

فَيا خَسارةَ نَفْسٍ ويُحتَمَلُ أنَّها الفاءُ الفَصِيحة. قِيل: والمُنادَى مَحذُوف أيْ: أيا قَوْم! **وخَسارة**: مَفعُولُ فِعلٍ مَحذُوف؛ أيْ: انظُروا. وقِيل لا. والنِّداءُ ليسَ على حَقِيقَتِه حَتَّى يَعتبرَ صَلاحِيَّةَ المُنادى لِلخِطابِ بَل لِلتَّعجُّبِ والتَّعجِيب. والخُسْـر[١] والخُسْرانُ نُقصانُ رَأسِ المال **في تِجارَتِها**: ظَرفُ لَغو، مُتَعلِّقٌ بالمَصْدَر. **والتِّجارةُ** تَقلِيبُ المالِ طَلَباً لِلرِّبْح. **لَم تَشتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَم تَسُم** فما أعدلَ خَسارةَ مَن عَدَلَ عَنِ العَظِيمِ القَدْرِ الباقِي إلى الحَقِيرِ الخَسِيسِ الفانِي. **والجُملةُ مُستأنَفةٌ** استِئناف بَيان، تَعلِيلُ[٢] ما قَبلها، أو **دُعاءٌ على نَفْسِهِ**، أو حالٌ، أو صِفةُ **نَفْسِي**، **والمُرادُ** مِن الاشتِراءِ الاختِيارُ.

ففي العِبارةِ استِعارةٌ مُصَرَّحةٌ تَبعِيّة، وذِكْرُ التِّجارةِ تَرشِيحٌ، والدِّينُ المُرادُ بِهِ الكامِلُ الَّذي يَدورُ عليه كَمالُ النَّجاةِ والسَّعادةِ في الدّارَين، مِمّا جاءَ بهِ سَيِّدُنا رَسُولُ الله ﷺ، والدُّنيا ما شَغَلَكَ عَنِ المَوْلى. وسامَ المُشتَرِي واستامَ قاولَ في المُبايَعة؛ أيْ: **لَم يَشتَرِ الدِّينَ بالدُّنيا ولَم يُعادِل**[٣] في ذلكَ مَع تَمكُّنِهِ مِن ذلكَ.

ففيهِ مُبالَغة. والباءُ في **بالدُّنيا** دَخَلَتْ على المَأخُوذِ إنْ كانَ الكَلامُ دُعاءً على النَّفْسِ في إعطائِها الدِّينَ وأخذِها الدُّنيا وعلى المَترُوك؛ أيْ: يا خَسارةَ نَفسِي احضُري، فإنَّ نَفسِي تَمكَّنَتْ مِن أخذِها الدِّينَ وإعطائِها الدُّنيا، فما اشتَرَتِ الدِّينَ بالدُّنيا وما بالَغَتْ في المُبايَعةِ/ والمُساوَمة. [١٥٦ ب]

[١٤٤. ومَـنْ يَبِـعْ آجِـلاً مِنْـهُ بِعاجِلِهِ يَبِـنْ لَـهُ الغَبْـنُ فـي بَيْـعٍ وفي سَـلَمِ]

ومَنْ يَبِعْ:/ يُعْطِ. **آجِلاً**: نَعِيمَ الآخِرةِ الباقي أبداً سَرمَداً. وتَنوِينُهُ للتَّعظِيمِ. [48 a]

---

(١) س: الخسر.

(٢) ج: تقليل.

(٣) س: تعادل.

مِنهُ: صِفَته. والضَّميرُ لـ مَنْ الشَّرْطيّةِ أو لِلدِّينِ المَذكُورِ فيما قبلَه. **بعاجِلِه**: مَتاعِ الدُّنيا الفاني. وجَوابُ الشَّرْطِ يَبِن: **يَظهَر لهُ الغَبْنُ**: أَنَّهُ خُدِعَ **في بَيعٍ** عاجِلٍ، **وفي سَلَم**: بَيعِهِ الآجِل. ويُحتَمَلُ أنْ يَكُون مُرادُهُ مَنْ يَبِعْ آجِلاً مِن مَتاعِ الآخِرةِ بعاجِلِهِ مِن مَتاعِ الدُّنيا، أو يَشتَرِ عاجِلَهُ مِن مَتاعِها بآجِلِهِ مِن مَتاعِ الآخِرةِ يَبِنْ لهُ الغَبْنُ في بَيْعٍ، وهو الحالةُ الأُولى المُصرَّحُ بها في النَّظْمِ وفي سَلَم: وهي الحالةُ المُقدَّرة.

والبَيْتُ تَذييلٌ لِلبَيتِ قَبلَه، مُشتَمِلٌ على مَعناه، مُؤَكِّدٌ له.

[١٤٥. **إنْ آتِ ذَنْباً فما عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النَّبِيِّ ولا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ**]

إنْ: أتى بها إيماءً إلى إقلاعِهِ مِنَ الذَّنْبِ رَأساً. وإنَّ صُدورَهُ مِنهُ على سَبيلِ الفَرضِ. ولِذا جاءَ بالشَّرْطِ مُضارِعاً في قَولِهِ: **آتِ**: أُباشِرْ **ذَنْباً**: بعدَ ما تَقدَّمَ مِنَ التَّوبةِ بالنَّوبةِ[1] على الشِّعْرِ والخِدَمِ بأنْ عُدتُ إليهِما. وقِيل: «لا دَلالةَ لـ **إنْ** الشَّرْطِيّةِ على عَدَمِ الجَزْم، فلا يشكلُ بأنَّ الذَّنْبَ شَأنُ كُلِّ إنسانٍ على أنَّهُ صَدَرَ مِنهُ الإقرارُ به، أو لا، وعلى تَسلِيمِ دَلالَتِها عَليه، فوَجهُهُ الإشارةُ إلى أنَّ الإقدامَ على المآثِمِ والجَرائِمِ مِـمّا[2] لا يَنبغِي أنْ يَقعَ ويَصدُرَ إلاّ فرضاً وتَقدِيراً». انتهى. وتَنكِيرُ **ذَنْب** لِلتَّحقيرِ والتَّقليلِ أو للتَّعظِيمِ والتَّكثِير. **فما عَهدِي**: في «الكَشّاف»:[3] هو المَوثِقُ وكَذا في البَيضاوِيِّ[4]. وزادَ: ووَضْعُهُ لِما مِن شَأنِهِ

---

(١) ج: التوبة.

(٢) س: ما.

(٣) أي: كشاف الزمخشري.

(٤) يعني أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦هـ) الشيرازي الشافعيّ (ناصر الدين، أبو سعيد)، هو قاضٍ، عالم بالفقه والتفسير والأصلين والعربيّة والمنطق والحديث. ابن قاضي قضاة فارس. ولي القضاء=

أنْ يُراعى ويُتعَهَّد. وأُطلِقَ على الوَعْدِ بِجامِعِ أنَّ في كُـلٍّ طَرفاً مِنَ المَعنى الآخَر. فعَبَّـرَ بِهِ هنا عَنِ الوَعدِ تأكِيداً وإشعاراً بأنَّهُ لِكَونِهِ عاهَدَ عليهِ اللهُ تَعالى ورَسُولَـهُ مِنَ المَواعِيدِ الَّتي لا يَطرُقُها خُلْف. والمَصْدَرُ مُضافٌ لِفاعِلِه، أو مُضافٌ لمَفعُولِه. وهو النَّبيُّ ﷺ؛ أيْ: وعدُهُ لِـمَنْ تَسَمَّى باسْمِهِ، كَما سَيأتي. وما: حِجازِيّة. ويَجُوزُ كَونُها تَمِيميَّة[1] لِجوازِ إدخالِ الباءِ الزّائِدةِ في خَبَرِ كُلٍّ مِنهُما. وهو هُنا في قَولِهِ بِمُنتَقِضٍ: لِلتَّأكِيدِ. **الفاء**: قِيلَ رابِطةٌ لِلجَوابِ بِالشَّرْط. والجَوابُ ما بَعدَها. وقِيلَ: الجَوابُ مَحذُوفٌ أُقِيمَ ما بَعدَها مَقامَه. والتَّقدِير: إنْ آتِ ذَنْباً رَجَوتُ غَفرَه. فإنَّ عَهدِي ليسَ بِمُنتَقِضٍ/ مِنَ النَّبِيِّ. إذْ نَقضُ التَّوبةِ [١٥٧ أ]

= في شيراز، توفّي في تبريز. وله مكانة عظيمة عند أهل السنة. ومن تصانيفه أيضاً: منهاج الوصول إلى علم الأصول، وشرح المطالع في المنطق، والغاية القصوى في دراية الفتوى في فروع الفقه الشافعي، وشرح مصابيح السنّة للبغوي سمّاه تحفة الأبرار، وطوالع الأنوار من مطالع الأفكار. (انظر: معجم المؤلفين ٦/ ٩٧-٩٨).

(١) اعلم أنّ «ما» في كلام العرب لفظ مشترك يقع تارة اسماً وتارة حرفاً، وذلك بحسب عود الضمير عليه وعدم عوده وقرينة الكلام. وحظّنا من القسمين الحرفيّة، وهي التي يكون معناها في غيرها ولها في الكلام ثلاثة مواضع:
الموضع الأول: أن تكون حرف نفي، وتنقسم لهذا المعنى قسمين: قسم يدخل على المبتدأ والخبر، وقسم لا يدخل عليهما، فالقسم الذي يدخل على المبتدأ والخبر للعرب فيه مذهبان: مذهب أهل الحجاز ونجد، أن يجروها مجرى ليس فيرفعون بها المبتدأ اسماً لها، وينصبون خبره خبراً لها فيقولون: ما زيد قائماً، وما عبد الله راكباً. وذلك تشبيهاً لها بليس، إذ هي للنفي مثلها، وداخلة على المبتدأ والخبر مثلها، ونفي الحال. (...) ومذهب بني تميم وغير أهل الحجاز ونجد: أن يرفعوا بعدها المبتدأ والخبر على الأصل وهو القياس، ولا يراعون تشبيهاً، وإنّما ذلك لعدم اختصاصها بالأسماء والأفعال، وما لا يختصّ بل يدخل على النوعين لا عمل له بحكم الأصل. وهذا أصل يجب اتباعه في باب عمل الحروف وعدم عملها فإنّه ينتفع به في العربيّة، فاعلمه. (رصف المباني ٣٧٧-٣٨٠).

بارتِكابِ الذَّنْبِ لا يَنتَقِضُ الإيمان. والانتِقاضُ: الانفِساخُ. وفي «الكَشّاف» إنَّما شاعَ استِعمالُ النَّقْضِ في إبطالِ العَهْدِ لِتَسْمِيَتِهم العَهدَ بالحَبْل، لِما فيهِ مِن الوُصْلَةِ بينَ المُتعاهِدَين. ففي تَشبيهِهِ بِهِ استِعارةٌ مَكنيّة وإثباتُ النَّقضِ تَخييليّة. وعَلَّقَ بِقَولِهِ: **بِمُنتَقِضٍ** أو عَهدي قَولُه: **مِنَ النَّبيِّ مُحمَّدٍ** ﷺ لِكَمالِ/ كَرَمِهِ وعَدَمِ تَطرُّقِ الخُلْفِ لِوَعدِه. **ولا حَبْلي**: الوَسائِلُ بَينَهُ وبَينَ النَّبيِّ ﷺ. وهو استِعارةٌ مُصَرَّحةٌ. **بِمُنصَرِمٍ**: مِنهُ؛ أي: ذَنْبه[1]؛ لأنَّ مُعاوَدةَ الذَّنْبِ غَيرُ مُؤثِّرٍ في الإيمان، ولا عائِدٌ بالدّاخِلِ[2] على وعدِهِ لِلمُسمَّينَ باسْمِهِ الإحسان. وسِياقُ البَيْتِ لِلاستِعْطافِ والاشتِياقِ بوَعدِهِ الَّذي لا شَكَّ في صِدْقِه. ولا يَطرُقُهُ خُلفٌ أبَداً. [48 b]

[١٤٦. فإنَّ لِي ذِمَّـةً مِنْهُ بِتَسْـمِيَتي مُحَمَّـداً وهْـوَ أوْفَـى الخَلْـقِ بِالذِّمَمِ]

فإنَّ لي ذِمَّـةً: أماناً وعَهداً. والتَّنوينُ لِلتَّعظِيم. **مِنهُ**: في مَحَلِّ الصِّفة. والضَّميرُ لِلنَّبيِّ ﷺ **بتَسْمِيَتي مُحمَّداً** كتَسْمِيتِهِ ﷺ بذلكَ، فتَشريفي بالتَّحلِيةِ بهذا الاسمِ دليلُ العِناية. والمَصْدَرُ بمَعنى المَفعُولِيّةِ ونَصبَ **مُحمَّداً** إمّا على نَزْعِ الخافِضِ أو أنَّهُ ثاني مَفعُولَي المَصدَرِ وهُو يَصِلُ إليهِ تارةً بِنَفْسِهِ وتارةً بحَرفِ الجَرّ. والباءُ في قَولِهِ: بتَسْمِيتي لِلسَّبَبِيَّة. وإذْ شَرفتُ بهذهِ الخلْعةِ فلا أخافُ وكيفَ أخافُ؟! وهو: ﷺ **أوفى الخَلْقِ بالذِّمَم**: العُهود؛ لأنَّهُ قادِرٌ على تَخلِيصِي بالشَّفاعةِ الَّتي أُذِنَ له أنْ يَشفَعَ بِها في مُحِبِّيهِ المُؤمنينَ، وفي كَلامِهِ تَرغِيبٌ في التَّسْمِيةِ باسْمِهِ ﷺ. وقَد جاءَ في ذلكَ أحادِيثُ أفرَدها الكلاباذي[3]

---

(١) س: دينه.

(٢) ج: الدخل.

(٣) هو محمّد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذيّ، البخاري، الحنفي (تاج الإسلام، أبو بكر) (... ـ ٣٨٤هـ/ ... ـ ٩٩٤م). محدّث، صوفي، مشارك في بعض العلوم. من آثاره: «الأربعون في الحديث»، و«أمال في الحديث»، و«التعرّف لمذهب التصوّف»، و«فصل الخطاب» و«بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار». (معجم المؤلفين ٨/ ٢٢٢).

في جُزْء، وعَزَمتُ على تَلخِيصِهِ وتَذييلهِ بفَوائِدَ مُتعلّقةٍ بهِ وباسمِ «أحمَد»، واللهُ يَمُنُّ بهِ.

وأسألُ اللهَ تَعالى كَما مَنَّ عَلَيَّ أيضاً بتَسْمِيتي بـ «مُحمَّد» أنْ يَنظمَني في سِلْكِ مُحبّيهِ ووَرَثَتِهِ بِمَنِّهِ وذَوي فضلِهِ ورَحمَتِه. ووَصْفُ «مُحمَّد»[1] بـ «عَلِي» في اسمِي غَيرُ مُخرِجٍ لي عَنِ التَّسْمِيةِ باسْمِهِ الشَّرِيف.

[١٤٧. إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي   فَضْلاً وإلّا فقُلْ يا زَلّةَ القَدَمِ]

إنْ لَم يَكُنْ: ﷺ **في مَعادِي: مَرجِعِي آخِذاً:** خَبَر يَكُنْ. واسمُهُ يَعودُ إلى النَّبيِّ ﷺ. **بيَدِي فضْلاً:** مِنهُ لا لِسابقةٍ مِنّي أستَحِقُّ بها أخذَهُ بِيَدي بَل بَدءُ الفَضْلِ وتَمامُهُ مِنهُ وإليهِ ﷺ. وهو/ تَمييز، أوْ مَفعُولٌ لـه، أو مُطلَق. وفِعْلُهُ [١٥٧ ب] مُقَدَّرٌ قَبلَه. وإلّا، بالتّنوينِ؛ أيْ: عَهداً وفَضْلاً، فقُل أيُّها الصّالِحُ لِلخِطاب **يا زَلَّةَ القَدَم.** في تِلكَ المَداحِض. ويُقرأ (وإنْ لا) على أنَّهُ مُرَكَّبٌ مِن إنْ الشَّرطِيّةِ ولا النّافية، وشَرطُها مَحذُوف، واستُشكِل، بأنَّ مَعناها «إنْ لا يَكُنْ ما ذُكِر»: أيْ: بأنْ كانَ خِلافُهُ وهو يُحقّقُ الأخذَ باليَدِ، فكيفَ يُجابُ بِقَولِهِ: **فقُلْ يا زَلّةَ القَدَم**؟. لأنّهُ يَصيرُ مَعناهُ: وإنْ كانَ آخِذاً بِيَدِي **فقُلْ يا زَلّةَ القَدَم!** وهذا لا يَشُكُّ في استِحالَتِهِ أحَد. فقِيل: الرِّواية: فإنْ يَكُنْ في مَعادِي آخِذاً بِيَدِي فقُلْ يا زَلّةَ بيدي فضلاً. وعلى هذا فلا إشكالَ. وجَوابُ الشَّرْطِ الأوّلُ مَحذُوف. والأحسَنُ أنَّ قَولَه: **فقُلْ يا زَلّةَ القَدَمِ:** جَوابُ قَولِهِ:/ إنْ لَم يَكُنْ، وأمّا إنْ لا [49 a] فحَذفُ جَوابِها كشَرْطِها. وتَقدِيرُه: وإنْ لا يَكُنْ كذلكَ بأنْ كانَ آخِذاً بِيَدي فقُلْ يا ثُبُوتَ قَدَمِي، أو فلا بَأسَ عَلَيَّ، والواوُ اعتِراضِيّة، وهذا أحسَنُ مِن جَوابِ ابنِ جَماعة: إنْ وإلّا تَأكِيدٌ لِلشَّرْطِ الأوّل. وإنَّ فقُلْ جَوابُهما، لِما

---

(١) س: ـ.

عَلِمْتَ مِن تَخالُفِ الشَّرْطَينِ بالنَّفْيِ والإثبات، ومِثْلُ ذلكَ لا يُؤَكِّدُ أحَدُهُما بالآخَر، وجاءَ في الشَّرْطِ الأوَّل بـ إنْ دُونَ إذا إيماءً إلى أنَّ هذا إنَّما هو مِنَ الأُمورِ المُحتَمَلةِ فرضاً، وإلّا فبَحْرُ كَرَمِهِ يَأبى مِن تَحقُّقِ شَيْءٍ مِن ذلكَ، وجاءَ بها في الشَّرْطِ الثّاني لِلمُناسَبةِ والمُشاكَلة؛ ولِذا نَزَّهَهُ عَمّا قد يُوهِمُهُ ذلكَ الشَّرْطُ بِقَولِهِ:

[١٤٨. حاشاهُ أنْ يَحرِمَ الرّاجِي مَكارِمَهُ   أوْ يَرْجِعَ الجارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحتَرَمِ]

حاشاهُ: الضَّميرُ لِلنَّبيِّ ﷺ. وهو مَجرُورٌ إنْ جُعِلَتْ حاشا اسماً مُضافاً له. وكذا إنْ جُعِلَتْ حَرْفَ جَرٍّ. ومَنصُوبٌ إنْ قَدَّرْتَ فِعلاً؛ أيْ: أُنزِّهُهُ. وعلى كَونِهِ اسماً فهو واقِعٌ مَوقِعَ المَصْدَرِ؛ أيْ: أُحاشِيهِ حاشاه. مِن أنْ يَحرِمَ الرّاجِي فيهِ مَكارِمَه؛ أيْ: شَيئاً مِنها. وهذا على جَعْلِها اسماً. وحَذْفُ الجارِّ مَع «أنَّ» و«أنْ» و«كَي» المَصْدَريّاتِ قِياسيٌّ. ومَحَلُّهُ بعدَ حَذفِها نَصْب. وقِيلَ: جَرٌّ. فإنْ قَدَّرْتَها فِعلاً كانَ أنْ يَحرِمَ فاعِلًا والرّاجي مَفعُولَ يَحرِم، إنْ بُنِيَ لِلفاعِلِ[1]. وسُكِّنَ ياؤُهُ لِلضَّرُورة.

وفاعِلُهُ ضَميرٌ يَعودُ إلى النَّبِيِّ ﷺ، ونائِبُ فاعِلِهِ إنْ بُنِيَ لِلمَفعُول، وفاعِلُهُ حَقِيقةً هو اللهُ تَعالى.

ويَجُوزُ جَرُّ مَكارِمِه بإضافةِ الوَصْفِ إليهِ، ونَصْبِهِ بِه. أو يَرْجِعَ الجارُ: النَّزيلُ مِنهُ: مِن:/ فيهِ لِلابتِداء. غَيرَ مُحتَرَم: بالنَّصْب، حالٌ مِنَ المَجرُور. [١٥٨ أ]

[١٤٩. ومُنذُ ألزَمْتُ أفكارِي مَدائِحَهُ   وَجَدْتُهُ لِخَلاصِي خَيرَ مُلْتَزِمِ]

ومُنذُ: زَمان. ألزَمْتُ ذاتَ أفكارِي مَدائِحَهُ: في الدُّنيا مُتَوسِّلاً بها في مَطالِبي العَظِيمةِ كطَلَبي الخَلاصَ مِنَ الدّاءِ الَّذي لا يَقدِرُ على دَفعِهِ إلّا اللهُ

---

(١) ج: + ونائب فاعله ياؤه، وسكن للضرورة.

تَعالى بِبَركةِ مُحمَّدٍ ﷺ. وجَدْتُهُ ﷺ. لِـخَلاصِي مِنَ الشَّدائِدِ خَيرَ مُلتَزِمٍ بكَسرِ الزّاي مَفعُولٌ ثانٍ لـ وجَد إنْ كانَت قَلبيَّة. وحالٌ مِنَ الضَّميرِ المَنصُوبِ بها إنْ لَم يَكُنْ كذلكَ.

وهذا الدّاءُ الَّذي أُشِيرُ إليهِ هو سَبَبُ إنشائِهِ لهذِهِ القَصيدة، أنَّهُ فُلِجَ فبَطلَ نِصْفُهُ، فعَمِلَ هذهِ القَصيدة، واستَشفَعَ بها، ثُمَّ رَآهُ ﷺ مَناماً، فمَسَحَ بِيَدِهِ الشَّرِيفةِ عليه، فشُفِيَ، فلَمّا استَيقَظَ قالَ لهُ بَعضُ الصّالِحينَ: أسمِعْنِي القَصيدةَ الَّتي أوَّلُها: أمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ.... فلَقَد سَمِعتُها تُنشَدُ بينَ يَديهِ ﷺ وهو يَتمايَلُ كالقَضِيب. وفي قَولِهِ: ألزَمْتُ أفكارِي: مُضافٌ كَما قَدَّرتُهُ، والمُرادُ مِن ذاتِ أفكارِي نَفْسِي. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مِن مَجازِ الاستِعارةِ المَكنِيّة لا مِن مَجازِ البَعْض. وفيهِ مُبالَغة؛ أيْ: أنَّ جَميعَ أفكارِهِ مَصرُوفةٌ إلى نَظْمِ/ مَدائِحِهِ ﷺ [49 b] على وجْهِ اللُّزوم. ولا تَجُرُّ مُنذُ الحَرفيّةُ إلّا اسمَ زَمانٍ نَحو: ما رَأيتُهُ مُنذُ يَوْمِنا. فإنْ كانَتِ اسماً رُفِعَ ما بَعدَها على التّارِيخ نَحو: ما رَأيتُهُ مُنذُ يَوْمُ الجُمُعة؛ أيْ: أوَّلُ انقِطاعِها يَوْمئذٍ، أو على التَّوقِيت. نَحو: ما رَأيتُهُ مُنذُ سَنة؛ أيْ: أمَدُ ذلكَ سَنة. ولا تَقولُ: مُنذُ سَنةِ كَذا؛ لأنَّ مَجرُورَها لا يَقَعُ إلّا نكِرة. ففي قَولِهِ: ومُنذُ ألزَمْتُ أفكارِي حَذْفُ اسمِ زَمانٍ مُضافٍ إلى الجُملةِ الفِعلِيّةِ كَما عُلِمَ مِـمّا قَدَّرتُه. والعامِلُ في مُنذُ، وجَـدْتُ. فهو مُؤَخَّرٌ مِن تَقدِيم؛ أيْ: وجَدتُهُ لِخلاصِي خَيرَ مُلتَزِمٍ مُنذُ زَمانِ ألزَمْتُ أفكارِي مَدائِحَهُ. وهي لابتداءِ الغاية؛ لأنَّها مَعَ الزَّمَنِ المُعيَّنِ غيرِ المَعدُودِ تكُون كذلكَ. فإنْ قَدَّرْتَ مُنذُ حَرْفَ جَرٍّ فاسمُ الزَّمانِ المُقَدَّرُ مَخفُوضٌ بِهِ. وهي مُتَعلِّقةٌ بـ وجَدْتُ، وإنْ قَدَّرتَهُ اسماً كانَ مُبتَدأ خَبَرُهُ اسمُ الزَّمانِ المَحذُوف.

[١٥٠. ولَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنهُ يَداً تَرِبَتْ   إنَّ الحَيـا يُنبِـتُ الأزهـارَ فـي الأُكَمِ]

ولَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنهُ يَداً: الفَوتُ زَوالُ الشَّيْءِ عَنِ الإنسانِ بحَيثُ يَتعذَّرُ

[١٥٨ ب] إدراكه. **والغِنى**: بالقَصْر، ضِدُّ الفَقْر. والمُرادُ مِنهُ هُنا/ الظَّفَرُ بالمَطْلُوبِ والخَلاصُ مِنَ المَكرُوه. والظَّرْفُ بَعدَهُ مُستَقِرٌّ، حالٌ أو صِفةٌ له؛ أيْ: مِن جِهَتِهِ أو بِبَرَكَتِهِ. **ويَداً**: مَنصُوبٌ بِنَزعِ الخافِضِ؛ أيْ: عَن يَدٍ. وأرادَ بها الشَّخْصَ مِن إطلاقِ الجُزْءِ وإرادةِ الكُلِّ. وتَخصِيصُها بالذِّكْرِ؛ لأنَّ بها الأخْذَ والعَطاءَ المُستلزِمَينِ الغِنى عُرْفاً. فإنَّهُ إنَّما يَظهَرُ مِنها بِحَسَبِ العادة. ولَـمّا نَسَبَ الغِنى إليها نَسَبَ إلَيها[١] الفَقْرَ أيضاً في قَولِهِ: **تَرِبَتْ**؛ أيْ: افتَقَرَت. وقِيل: خَسِرَت؛ لأنَّهُما مِنَ الأُمورِ المُتعاقِبةِ على مَحَلٍّ واحِد. والمُرادُ افتِقارُها مِنَ المالِ في الدُّنيا أو الثَّوابِ في العُقبَى لارتِكابِها المَعصِيةَ. فهو يَشفَعُ فيهِ ويُدخِلُهُ الجَنّة. وعَلَّلَ ما تَضمَّنَهُ ذلكَ بِقَولِهِ، على سَبِيلِ الاستِئنافِ البَيانِيِّ. **إنَّ الحَيا**: المَطَرَ الَّذي يُحيِي الأرضَ. **يُنبِتُ الأزهارَ**: جَمعُ زَهر. وهو النَّوْر، **حَتَّى في الأُكَمِ الَّتي** يُقال: إنَّها لا تَقبَلُ استِقرارَ الماءِ لارتِفاعِها وسُرعةِ انحِدارِهِ مِنها، وكَما أنَّ الحَيا يُنبِتُها في مَحَلٍّ لا يُظَنُّ نَبتُها فيهِ كالأُكَم لِعُمُومِ بَرَكَتِه. فكَذا هو ﷺ لِعُلُوِّ مَنزِلَتِهِ وشَرَفِ قَدْرِهِ عِندَ رَبِّه. يُنِيلُ الغِنى مَن لا يَظُنُّ أنَّهُ يَستَغنِي لِشِدّةِ فقرِهِ وفاقَتِه. وهذا التَّشْبِيهُ إنَّما هو تَقرِيبٌ لِلأفهام. ويَجُوزُ كَونُهُ مِنَ الاستِعارةِ التَّمثِيليّة. شَبَّهَ أَلطافَهُ ﷺ الجَسِيمةَ العَمِيمةَ بالمَطَرِ المُبارَكِ والعامِّ، وما يَفِيضُ عَلَيهِم مِن لَحظاتِهِ الدُّنيوِيّةِ والأُخرَوِيّةِ بِنَباتِ النَّوْرِ والمُذنِبُ[٢] الَّذي يَبعُدُ نَيلُهُ مَطلُوبَهُ لولاهُ كَمالُ وساطَتِهِ ﷺ بالأُكَم الَّذي يَبعُدُ فيهِ عادةً إنباتُ النَّوْر.

[١٥١. ولَمْ أُرِدْ زَهْرةَ الدُّنيا الَّتي اقتَطَفَتْ   يَدا زُهَيـرٍ بِـمـا أثْنَـى عـلى هَرِمِ]

[50 a] **ولَم أُرِدْ**: بذلكَ المَدحِ **زَهْرةَ الدُّنيا**: نضارَتَها/ مِنَ المالِ وغَيرِهِ. **الَّتي**

---

(١) س: إليهِ.

(٢) ج: الذنب.

اقتَطَفَتْ يَدا زُهَيرٍ[١]: لا يَخفى حُسْنُ ما اشتَمَلَ عليهِ مِن الاستِعارةِ المَكنِيّة والتَّخييليّة. وزُهَيرٌ هو ابنُ أبي سُلمى بضَمِّ السِّينِ[٢] الشّاعِرُ المَشهُور. والِدُ كَعْبٍ[٣] صاحِبِ (بانَتْ سُعاد). بما: الباءُ تَعليلِيّة. وما موصولةٌ، أو

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني (... ـ ١٣ق. هـ/ ... ـ ٦٠٩م) من مضر: حكيم الشّعراء في الجاهليّة. وفي أئمّة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافّة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكنْ لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة. ولد في بلاد «مزينة» بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، واستمرّ بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذّبها في سنة، فكانت قصائده تسمّى «الحوليات». أشهر شعره معلّقته التي مطلعها:

أمِـن أمّ أوفـى دمنة لـم تكلم

ويقال: إنّ أبياته التي في آخر هذه القصيدة تشبه كلام الأنبياء. له «ديوان ـ ط» ترجم كثير منه إلى الألمانية. وللمستشرق الألماني ديروف (DYROFF) كتاب في «زهير بن أبي سلمى ـ ط» ومثله لحنّا نمر، وللدكتور إحسان النص. (انظر: الأعلام ٣/ ٥٢).

(٢) س: نصرالدين.

(٣) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرّب (... ـ ٢٦هـ/ ... ـ ٦٤٥م): شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. له: «ديوان شعر ـ ط» كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبيّ ﷺ وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبيّ دمه، فجاءه «كعب» مستأمناً، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها:

بانت سـعاد فقلبي اليـوم متبولُ

فعفا عنه النبيّ ﷺ وخلع عليه بردته. وهو من أعرق النّاس في الشّـعر. أبوه: زهير بن أبي سُلمى، وأخوه بُجير، وابنهُ عُقبة وحفيدهُ العوّام، كلُّهم شعراء. وقد كثر مخمّسو لاميته ومشطّروها ومعارضوها وشراحها. وترجمت إلى الإيطاليّة، وعني بها المستشرق رينيه به (RENE BASSET) فنشرها مترجمة إلى الفرنسية، ومشروحة شرحاً جيّداً، صدّره بترجمة كعب. وللإمام أبي سعيد السكّري «شرح ديوان كعب بن زهير ـ ط»، ولفؤاد البستاني «كعب ابن زهير ـ ط» (انظر الأعلام ٥/ ٢٢٦).

مَصدَرِيّة. أثنى على هَرِم وعلى الأوّلِ فالعائِدُ مَحذُوف. وهو والفِعْلُ في تأوِيلِ مَصْدَرٍ على الثّاني. وهَرِمٌ: أَحَدُ أجوادِ العَرَبِ وهو أبو سِنانِ بنُ أبي حارِثةَ المُرّيُّ[1]. وكانَ يَصِلُ زُهَيراً بالصِّلاتِ الجَزيلةِ الخارِجةِ عَنِ العادات.

* * *

---

(١) هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري (... ـ ١٥ق. هـ/ ... ـ نحو ٦٠٨م) من مرّة بن عوف ابن سعد بن ذبيان، من أجواد العرب في الجاهلية. يضرب به المثل. وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى. اشتهر هو وابن عمّه «الحارث بن عوف بن أبي حارثة» بدخولهما في الإصلاح بين عبس وذبيان. قال الحارث بن عوف: في قصة أوردها الأصفهاني: «... فخرجنا حتى أتينا القوم، فمشينا بينهم بالصّلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الدّيات، فكانت ثلاثة آلاف بعير، في ثلاث سنين»، وقال فيهما «زهير» قصيدته التي أوّلها:

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدرّاج فالمتثلّم

ومات هرم قبل الإسلام، في أرض لبني أسد يقال لها: «رزاد» وهو متوجّه إلى النّعمان. ووفدت بنته على عمر بن الخطاب في خلافته. فقال لها: ما الذي أعطى أبوك زهيراً حتى قابله من المديح بما قد سار فيه؟ فقالت: ما أعطى هرم زهيراً قد نسي. قال: ولكن ما أعطاكم زهير لا ينسى. (انظر: الأعلام ٨/ ٨٢، السيرة النبويّة ١/ ١٠٥).

[الفَصْل العاشِر]

[في الصَّلاةِ على النَّبيِّ المُختارِ ﷺ]

ولَـمّا أكثَرَ مِنَ المَمادِحِ وصارَ ﷺ كالحاضِرِ الشّـاهِدِ بمَرأى المادِحِ، قال: إيّاكَ أعنِي وأرَدْتُ.

[١٥٢. يا أكْرَمَ الخَلْقِ ما لِي مَنْ ألُوذُ بِهِ سِـواكَ عِنْدَ حُلُـولِ الحـادِثِ العَمِمِ]

يا أكرَمَ الخَلْق: ففيهِ التِفاتٌ مِنَ الغَيبةِ إلى الخِطاب./ وأتى بهذا الوَصْفِ [١٥٩أ] إيماءً إلى أنَّ مَطلُوبَهُ المَكرُمة. ومَعنى **أكرَمَ الخَلْق**: أكرَمَهُم في بَذْلِ المَعرُوف، وأفضَلَهم في الشَّمائِلِ والخَصائِلِ وأكمَلَهُم في الفَواضِلِ والفَضائِل. **والخَلْقُ** مَصْدَرٌ بمَعنى المَفعُول. وفي نُسْخة: **يا أكرَمَ النّاس**، والمُرادُ بهم الرُّسلُ والأنبياءُ أو العُمُوم، والأوَّلُ أولى؛ لأنَّهُ يَلزَمُ مِنهُ ذلكَ بطَريق الأولى. **ما**: نافيةٌ حِجازيّة. لَكِنْ مَنَعَ مِن عَمَلِها تَقدُّمُ خَبَرِها الظَّرْفيِّ وهو لي على اسمِها، وهو: **مَنْ ألُوذ**؛ أيْ: أعتَصِمُ به: مُتَعلِّقٌ بالفِعْل. ولا حاجةَ لِتقدِير مُضاف. بَل بَقاؤُهُ على عُمُومِهِ أتَمُّ. **سِواكَ**: غيرُكَ **عِندَ حُلولِ**: نُزولِ **الحادِثِ** الَّذي يَحدُثُ مِنَ النَّوازل **العَمِم** بكَسرِ المِيمِ الأُولى وفَتْحِها التامِّ الشّامِل؛ أيْ: الطَّويلِ كَربُهُ الشَّدِيدِ خَطْبُهُ ومَشَقَّتُهُ، والعامِلُ في كُلٍّ مِن سِوى وعِندَ هو **ألُوذُ**. والمُرادُ مِنَ **الحادِثِ** فيهِ هَولُ القِيامةِ ونَوائِبُها.

[١٥٣. ولَنْ يَضِيقَ رَسُولَ الله جاهُكَ بِي إذا الكَرِيـمُ تَـحَلَّـى بِـاسْـمِ مُنْتَقِمِ]

ولَنْ يَضِيقَ يا **رَسُولَ الله**، وكُرِّرَ نِداؤُهُ بصِيغةٍ غَيرِ الَّتي ناداهُ بها أوَّلاً

استِلْذاذاً بذِكْرِ أسمائِهِ وتيمُّناً بتَكرارِ ألقابِه. وخَصَّ هذا المَقامَ بالوَصْفِ الثّاني؛ لأنَّ سُؤالَ الشَّفاعةِ وطَلَبَ المَعُونةِ مِـمَّنِ اتَّصَفَ بكَونِهِ رَسُولَ الله أبلَغُ لِلقَبولِ وأنجَحُ في حُصُولِ المَأمُول. **جاهُكَ**: الجاهُ القَدْرُ والمَنزِلةُ الرَّفيعة، وزنُهُ «عفل»؛ لأنَّ أصلَهُ جَوَه بِفَتحِين مَقلُوبُ «وَجه». **بي**: مُتَعلِّقٌ بالفِعْل؛ أيْ: بالشَّفاعةِ لي وإمدادِي في الخَلاص. أو الباءُ بمَعنى «عَن»، أو هي سَبَبِيّة. **إذا الكَرِيمُ** سُبحانَهُ **وإذا** لِـمَحْضِ الظَّرْفيّة. والعامِلُ فيه: **يَضِيقُ** ويَجُوزُ كَونُها مُضَمَّنةً مَعنى الشَّرْط. فالجَوابُ مَحذُوفٌ لِدَلالةِ المَقامِ عليه. وهو العامِلُ في **إذا**. **والكَرِيمُ** مَرفُوعٌ بِفِعْلٍ يُفَسِّرُهُ قَولُه: **تَحلّى** بالمُهمَلةِ؛ أيْ: اتَّصَف. **وإذا** مُضافةٌ إلى الجُملة. وصُدِّرَت/ بصِيغةِ الماضي لِلدَّلالةِ على تَحقُّقِ الوُقوعِ جَزْماً. والمُرادُ [50 b] مِنهُ الاستِقبالُ لِكَونِه شَرْطَ إذا. **باسْم**؛ أيْ: بمُسَمَّى **مُنتَقِم**: وذلكَ حينَ الانتِقامِ مِنَ العُصاة. ويَستَشفِعُ إلى الرُّسُل. فكُلٌّ يَقُول: «نَفْسِي! نَفْسِي!» وأنَّهُ ﷺ يَقُول: «أُمَّتِي! أُمَّتِي!»[١].

ثُمَّ اعلَمْ أنَّ الأفعالَ المَذكُورةَ في أوصافِهِ تَعالى غَيرُ مُلاحَظٍ فيها[٢] خُصوصُ الزَّمانِ المَدلولِ لَها. فلا يُقال: إنَّ عِبارَتَهُ تُوهِمُ أنَّ تَحلِيتَهُ بوَصْفِ مُنتَقِم/ يَحدُثُ في المُستقبَلِ مَع أنَّ أوصافَهُ تَعالى قَدِيمة، لَم تَزَلْ، ولا تَزال. [١٥٩ ب] قِيل: وفي عِبارَتِهِ قَلَق؛ لأنَّ المُرادَ مِن كُلٍّ مِنَ الكَرِيمِ والاسم ومُنتَقِمِ المُسَمَّى. فيَكُونُ المَعنى إذا اتَّصَفَ المُسَمَّى، وهو الكَرِيمُ بمُسَمَّى الَّذي هو الاسمُ المُسَمَّى الَّذي هو مُنتَقِم[٣]، ولأنَّهُ يُؤذِنُ باجتِماعِ صِفَتَي الفِعْلِ المُتضادَّتَينِ في وقْتٍ واحِدٍ. إذِ المُرادُ بـ الكَرَمِ التَّجاوُزُ، أو ما يَتضَمَّنُهُ، وبـ الانتِقامِ المُؤاخَذة

---

(١) ج: وأنتَ صلّى الله عليك تقول: «أمتي، أمتي!».

(٢) س: فيهما.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ج».

بالذَّنب. ولا يَتأتَّى اجتِماعُهُما في آنٍ واحِدٍ بمَحَلٍّ واحِد. وإنْ أُجيبَ عَنِ الأخيرِ بأنَّ كُلًّا مِنَ الصِّفَتينِ مِن صِفاتِ الأفعال، والصِّفةُ الفِعليّةُ لا تَرجِعُ[1] مِن مَعناها إلى الفاعِلِ مَعنى قائم بِهِ على الصَّحِيحِ مِن مَذهَبِ أهلِ السُّنّة. وهو مَذهَبُ الأشعَرِيِّ[2]؛ ولِذا قالَ أئِمَّتُنا: لا يَتَّصِفُ البارِئُ بكَونِهِ خالِقاً في الأزَلِ إلاّ مَجازاً. قالَ الشَّيْخُ أبو الحَسَنِ[3]: ومِنْ أسمائِهِ ما يُقالُ إنَّهُ غَيرُه. وهو كُلّما دَلَّتِ التَّسمِيةُ بِهِ على فِعْلٍ كالخالِق. وطَرِيقُ الشَّيْخِ هي المَرضِيّة. وعَليها فلا إشكالَ في كَلامِ النّاظِم. نَعَم يشكلُ قَولُه: **تَحلَّى**. فإنَّ مَعناهُ يَتَّصِفُ، وتَقَرَّرَ[4] أنَّهُ لا يَرجِعُ مِنَ الصِّفةِ الفِعليّةِ مَعنًى إلى الفاعِلِ فيَكُونُ ضَمَّنَ **تَحلَّى** مَعنى دُعِيَ؛ أيْ: يُدعى ثَمّةَ بـ اسمِ **مُنتَقِم**. ويَزولُ القَلَقُ بتَضمِينِ **تَحلَّى** مَعنى دُعِي. وبالجُملةِ فلو أبدَلَ هذهِ الألفاظَ بِغَيرِها لَكانَ أولى، فإنَّ المقامَ ضَيِّق.

ويُحتَمَلُ أنْ يُرادَ بـ **الكَرِيمِ** و**المُنتَقِمِ** جِنْسُ مَنِ اتّصَفَ مِـمَّنْ شَأنُهُ الكَرَمُ والتَّجاوُزُ عَنِ الهَفَواتِ بمَدلُولِ اسمِ **مُنتَقِم**؛ أيْ: تَتبَدَّلُ صِفاتُهُ مِنَ الكَرَمِ إلى الانتِقامِ والأخْذِ بالجَرائِم. وذلكَ لِما يُرى مِن أهلِ المَوقِف، فكُلُّ أحَدٍ في

---

(١) س: لا يرجع.

(٢) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري (٢٧٠-٣٣٠هـ/ ٨٨٣-٩٤٧م) اليماني البصري (أبو الحسن) متكلّم، مشارك في بعض العلوم، تنسب إليه الطائفة الأشعرية. ولد بالبصرة، وسكن بغداد. وورد على الملحدة والمعتزلة والشيعة والجهميّة والخوارج وغيرها. وتوفي ببغداد سنة نيف وثلاثين وثلاثمئة. من تصانيفه الكثيرة: الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملّة، وخلق الأعمال، والرد على المجسمة، والرد على ابن الرّاوندي في الصفات والقرآن، والتبيين عن أصول الدين. (معجم المؤلفين ٧/ ٣٥).

(٣) يعني الإمام أبا الحسن الأشعري المذكور أعلاه.

(٤) ج: يقرر.

ذلكَ اليَوْمِ يَشتَهِي أنْ يَدورَ لهُ الحَقُّ، ولو على أبيهِ وابنِهِ وأقرَبِ النّاسِ إليهِ لِيَستَكثِرَ بهِ مِنَ الثّوابِ ودَفْعِ العِقاب، وعلى هذا فيَندَفِعُ الاعتِراضُ المَذكُورُ في قَولي: «نَعم يشكلُ إلى آخرِهِ....».

[١٥٤ . فإنَّ مِنْ جُـودِكَ الدُّنْيا وضَرَّتَها   وَمِـنْ عُلُومِـكَ عِلْـمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ]

فإنَّ مِن بعضِ **جُودِكَ الدُّنيا**. وكَذا **ضَرَّتَها**: وهي الآخِرة. إذْ لَولاهُ ﷺ لما ظَهَرا لِلوُجود، كَما تَقَدَّمَ في قَولِهِ:

[51 a] وكيـفَ تَدعُو إلـى الدُّنيا/ ضَرورةُ مَن   لَولاهُ لَـم تَخـرُجِ الدُّنيا مِـنَ العَدَمِ[1]

ولَعَلَّ هذا أحسَنُ مِن قَولِ «الأصل»: «والمُرادُ نَعيمُها»[2] **وَمِن** بَعضِ **عُلُومِكَ عِلْمَ** مَعطُوفٌ على الدُّنيا. فيَكُونُ مَنصُوباً. والظَّرْفُ مَعطُوفٌ على الظَّرْفِ عَطْفَ خَبَرٍ على خَبَر. ففيهِ عَطفُ مَعمُولَينِ على مَعمُولَي عامِلٍ واحِد. وهو جائِزٌ اتِّفاقاً. أو مُبتَدأ خَبَرُهُ الظَّرْف، والجُملةُ مَعطُوفةٌ على مِثْلِها، فيَكُونُ في مَحَلِّ نَصْب. **اللَّوْحِ**: المَحفُوظِ **والقَلَمِ**.

[١٦٠ أ] والخَمْسُ الَّتي استأثَرَ اللهُ تَعالى/ بعِلْمِها ليسَتْ بمَكتُوبةٍ في اللَّوْحِ المَحفُوظِ، إذْ لو كانَ ما كُتِبَ فيهِ لاطَّلَعَ عليهِ بَعضُ المَلائِكةِ الَّذينَ هُم مِن شَأنِهِم الاطِّلاعُ على ما فيه. وقَد جاءَ في وصْفِهِنَّ: «لا يَعلَمُهُنَّ إلّا اللهُ». وحِينَئِذٍ فلا يشكلُ على قَولِ النّاظِمِ **ومِن عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ** ما جاءَ في الصَّحيحِ مِن قَولِهِ ﷺ: «خَمسٌ لا يَعلَمُهُنَّ إلّا اللهُ»[3]، ....

---

(١) من أبيات البردة ورقم البيت ٣٣.

(٢) راجع: مشارق الأنوار للقسطلاني ٤٧ب.

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنعام ١، وسورة الرعد١، وسورة لقمان٢، ومسلم في الإيمان٥، والنسائي٦.

وبفَرضِ ثُبُوتِها فيهِ فيُرادُ[1]، وبَعض عُلومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ الَّذي يَطَّلِعُ عليهِ المَخْلُوق.

هذا وقَد أقبَلَ النّاظِمُ على نَفْسِهِ باللَّوْمِ على ما بِها والأمر بتَحقِيقِ الرَّجاءِ في الكَرَمِ وحُسْنِ الظَّنِّ لِئَلّا يَؤُولَ بِهما الأمرُ إلى القُنوطِ مِنَ الرَّحمةِ فيَقعَ في الخَسارةِ، فقال:

[١٥٥. يا نَفْسِ لا تَقْنِطِي مِنْ زَلّةٍ عَظُمَتْ إنَّ الكَبائِرَ في الغُفْرانِ كاللَّمَمِ]

يا نَفْسِ: بكَسْرِ السِّينِ وحُذِفَتِ الياءُ تَخفيفاً. **لا تَقْنِطي**: بكَسْرِ النُّونِ **مِن عَفوِ زَلّةٍ**: والتَّنوينُ لِلتَّعميمِ، أو لِلتَّعظِيمِ. كما يَدُلُّ لهُ قَولُهُ **عَظُمَتْ**: فحلمُهُ عَظِيم، وفَيضُهُ عَميم. وعَلَّلَ النَّهيَ لَها عَن ذلكَ بِقَولِهِ على سَبيلِ الاستِئنافِ البَيانِيِّ: **إنَّ الكَبائِرَ** العِظامَ مِنَ المَعاصِي كالَّذي ارتكَبتِهِ أيَّتُها النَّفس! **في** جانِبِ **الغفرانِ** مِنهُ سُبْحانَهُ وتَعالى **كاللَّمَم**: صَغائرِ الذُّنوبِ، فإنَّهُ تَعالى يَعفُو عَنِ الصَّغائرِ باجْتِنابِ الكَبائِرِ، فكذا يَعفُو عَنِ الكَبائِرِ إنْ شاءَ بفَضْلِهِ وشَفاعةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وجَوازُ العَفْوِ عَنها كاللَّمَمِ مَذهَبُ أهلِ الحَقِّ. وهو ما دَلَّ عليهِ الكِتابُ والسُّنّة، والدَّلِيلُ العَقْلِيُّ؛ إذْ لا يَجِبُ عليهِ تَعالى ثَواب، ولا يَتحَتَّمُ عليهِ عِقاب، بَلِ الثَّوابُ مِنهُ فضْلٌ، والعِقابُ مِنهُ عَدْل: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وأجابَ قَولاً مُقدِّراً صُدورَهُ عَنِ النَّفْسِ عِندَ نَهيِهِ[2] لَها عَنِ القُنوطِ مِن قَولِها: أنا لا أقنطُ مِن رَحمَتِه. فالقُنوطُ كُفْرٌ. ولَكِن أخشَى أنْ يَكُونَ حَظِّي الَّذي أُعطاهُ مِنَ الرَّحمةِ لا يَفي بتَبِعاتِ ذَنْبي لِعِظَمِها، بِقَولِهِ:

---

(١) س: فيراد.

(٢) س: تهيئه.

[١٥٦. لَعَلَّ رَحْمةَ رَبِّي حِيْنَ يَقْسِمُها   تَأْتِي على حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَمِ]

لَعَلَّ رَحمةَ رَبِّي: المُعدّة لِستر ذُنوبِ العُصاة. **حِينَ يَقسِمُها**: إذا وُزِّعَت عَليهِم. **تأتي**: أقسامُها في العِظَمِ والصِّغر. **على حَسَبِ**: قَدْرِ **العِصْيان**: الصّادِرِ مِنِّي **في القِسَم**. فمَنْ حَمَلَ مِنَ المعاصِي كَثيراً كانَ ما يَنالُهُ مِن أقسامِ الرَّحمةِ السّاتِر/ لِلمَعاصِي كثيراً. [51 b]

هذا، وهذهِ القَصِيدةُ مُشتَمِلةٌ على أنواع: التَّغزُّل، تَوبيخ النَّفْسِ، الوَعْظ، مَدْحِهِ ﷺ، ذِكْر بَعضِ المُعجزاتِ على اختلافِ أنواعِها، مَدْح القُرآنِ العَظِيم، مَدْح الصَّحابة، ذَمِّ الكُفّار، تَوبيخِ النَّفسِ/ أيضاً، الإقرارِ بالذَّنْبِ، ذِكْرِ مُعتصمِهِ في الخَلاصِ مِنَ الآثام. [١٦٠ ب]

وختَمَها بالدُّعاءِ، ثُمَّ بالصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ. فقال:

[١٥٧. يارَبِّ واجْعَلْ رَجائِي غَيرَ مُنْعَكِسٍ   لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسابِي غَيرَ مُنْخَرِمِ]

يا رَبِّ: حَقِّقْ ظَنِّي، واسمَعْ دُعائي، **واجعَلْ رَجائِي**: في العَفْوِ والفَضْلِ **غَيرَ مُنعَكِسٍ لَدَيكَ**: عِندَكَ يَوْمَ القِيامة، حَيثُ الثَّوابُ والعِقاب. **واجعَلْ حِسابي**؛ أيْ: ظَنِّي الجَميلَ فيكَ مِن عَفْوِ الزَّلّاتِ، وإنالةِ المَثُوباتِ مِمّا أَمَّلْتُهُ مِن بَحْرِ الكَرَم، وسَألْتُ بالنَّبيِّ ﷺ أنْ تُكرِمَنِي بِه. **غَيرَ مُنخَرِمٍ**: ذلكَ الظَّنُّ؛ أيْ: غيرَ ناقِصٍ لِذلكَ بَل أجِدُهُ على حَسَبِ التَّقدِيرِ الَّذي حَسِبْتُه. ويَكُونُ حالي كَما قالَ مَن قال:

وإنِّي لأرجُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّنِي   أرى بجَمِيلِ اللُّطْفِ ما اللهُ صانِعُ

[١٥٨. والْطُفْ بِعَبْدِكَ في الدّارَيْنِ إنَّ لَهُ   صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوالُ يَنْهَزِمِ]

والْطُفْ بعَبْدِكَ في الدّارَين: الدُّنيا والآخِرة. **إنَّ لَه**: أيْ: لِعَبدِكَ يَعني نَفْسَهُ **صَبْراً**: والتَّنْوينُ لِلتَّقلِيلِ، أو لِلتَّحقيرِ، كَما يُومِئُ إليهِ وَصْفُهُ بِقَولِهِ: مَتَى

تَدْعُهُ الأهوالُ: وتَحلُّ بساحَتِهِ وتَطلُبُ[١] مِنهُ الثَّباتَ لِلُقيِّها. يَنهَزِم؛ أيْ: يُوَلِّي[٢] ويَذْهَب ولا يَبقَى مِنهُ بَقِيّة.

ففيهِ استِعارةٌ مَكنِيّةٌ تَتبَعُها[٣] استِعارةٌ تَخييليّة شَبَّهَ الصَّبْرَ بجَبانٍ لا يَثْبُتُ عِندَ الحُرُوب، فالتَّشْبِيهُ المُضمَرُ مَكنِيّة، وإثباتُ الانهِزامِ تخييليّة.

[١٥٩. وائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ مِنكَ دائِمةٍ على النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ]

وائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاةٍ: مِن إضافةِ الصِّفةِ لمَوصُوفِها، ووَصَفَها بِقَولِهِ: مِنْكَ: لِتَعظِيمِها وعَظَّمَها، إذْ لا يَصدُرُ مِنَ العَظيمِ إلّا ما كانَ عَظِيماً. دائِمةٍ: بالجرّ صِفة صَلاة، ويُقدَّرُ «وسَلام»: لِكراهةِ إفرادِ أحَدِهما عَنِ الآخر، كَما قالَهُ النَّوَويُّ في شَرحِ مُسْلِم. وإنْ نازَعَهُ فيهِ ابنُ الجَزري[٤]. على النَّبِيِّ: مُحمَّدٍ ﷺ بمُنْهَلٍّ؛ أيْ: مُرها أنْ تُمطِرَ بنَوعِ مُنهَلٍّ مِنَ الصَّلَواتِ؛ أيْ: تَنصَبّ. ومُنسَجِم: أيْ: سائِل. وشَبَّهَ الصَّلاةَ عَليهِ ﷺ بالمَطَر؛ لأنَّها مِنهُ تَعالى على نَبِيِّهِ رَحْمة. والمَطَرُ رَحْمة.

وأدخَلَ بَعضُهم هُنا بَيتاً حَسَناً لا بَأسَ بِهِ هو:

وآلِهِ الغُرِّ والصَّحْبِ الَّذينَ عَلَوْا أهْلَ الصَّفا والوَفا والجُوْدِ والكَرَمِ

[١٦٠. ما رَنَّحتْ عَذَباتِ البانِ رِيْحُ صَباً وأطْرَبَ العِيْسَ حادِي العِيْسِ بِالنَّغَمِ]

ما رَنَّحَت: أمالَت. وما مَصدَرِيّة، ظَرفيّة. عَذَباتِ: أطرافَ شَجَرِ البانِ رِيحُ صَباً[٥]: وهي الرِّيحُ الشَّرقِيّة. سُمِّيَت بِهِ؛ لأنَّها تُقابِلُ بِهُبوبِها بابَ الكَعْبة.

---

(١) س: يطلب.

(٢) س: تولى.

(٣) س: يتبعها.

(٤) هو محمد بن محمّد الجزري (ت٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م). راجع للتفصيل في حياته وآثاره:
Yuksel, Ali Osman, ibn Cezerive Tayyibetu› nnesr,Istanbul,1996.

(٥) وعند هذه الكلمة تنتهي النسخة «ج».

فكَأَنَّها تَصبُو إِلَيها. **وأَطْرَبَ العِيْسَ** بكَسْرِ العَينِ الإبلِ البِيضِ يُخالِطُ بَياضَها شَيْءٌ مِنَ الصُّفْرة. قالَـهُ الجَوهَرِيُّ(١). وخَصَّها والبانَ بالذِّكْرِ؛ لأنَّهما مِن مَألُوفاتِ الأحِبّة. وهُم العَرَب. وتَخصِيصُ **رِيحِ الصَّبا: أظهَرُ في ذلكَ** لِـهُبوبِها إلى بابِ الكَعْبةِ أعظَمِ مكانٍ في البَلَدِ الَّذي هو مَسقطُ رَأسِ حَبِيبِهِ وحَبِيبِ كُلِّ مُؤمِنٍ ﷺ. كَما خَصَّ بالذِّكْرِ في أوَّلِ القَصِيدةِ جَبَلَ الأحِبَّةِ لِيَتطابَقَ حُسْنُ الابتِداءِ وحُسْنُ الخِتام، في الدَّلالةِ/ على أنَّ القَلْبَ مَعمُورٌ بذِكْرِ الأحِبّةِ أوّلاً [١٦١ أ] وآخِراً، ووَسَطاً. **حادِي العِيْس**: أظهَرَ في مَحَلِّ الإضمارِ لِلتَّلذُّذِ بذِكْرِ عِيسِ المَحبُوب. **بالنَّغَم**: أيْ: ائذَنْ يا رَبِّ لِهذِهِ الصَّلاةِ وأدِمْها، أوصَلِّ عليهِ مُدّةَ إبقائِكَ الرِّيحَ الشَّرقِيّةَ تَهُبُّ، فتَمِيلُ أغصانُ شَجَرِ البانِ عِندَ هُبوبِها، ومُدّةَ إبقاءِ الإبِلِ تُساقُ، فيَحدُوها الحادِي، فتَطْرَبُ بِحُدائِه، ومَعلُومٌ أنَّ هَذينِ الأمرَينِ لا يَنقَطِعانِ ما بَقِيَتِ الدُّنيا.

وفي هذا أحسَنُ إيماءٍ إلى حُسْنِ الاستِماع، فإنَّ لِلإبِلِ خاصِّيّةً عَظِيمةً في حُصولِ الطَّرَبِ لَها عِندَ سَماعِ صَوتِ الحادِي. وذلكَ مَعلومٌ بالأخبار، مُشاهَدٌ بالأبصار. وكُلَّما كانَ الصَّوْتُ أحسَنَ كانَ طَرَبُها أكثَر، حَتّى إنَّها لَتَقطَعُ المَسافةَ الكَثِيرةَ في الزَّمَنِ القَلِيلِ بِسَبَبِ النَّشاطِ الحاصِلِ لَها عِندَ سَماعِ الصَّوْتِ الحَسَنِ، حِكمةُ العَزِيزِ القادِر.

وفي هذا البَيْتِ وما قَبلَهُ «بَراعةُ الخِتام» وسَمّاهُ بَعضُهم «حُسْنَ القَطْع»، وآخَرُ «حُسْـنَ الخاتِمة». وهو في الشِّـعْرِ خَتْمُ القَصِيدةِ بأجوَدِ بَيتٍ يَحسُنُ السُّكوتُ عَليه؛ لأنَّهُ آخِرُ ما يَبقى في السَّمْع، ورُبَّما حُفِظَ دُونَ غَيرِهِ لِقُرْبِ عَهدِه، فإنْ كانَ مُختاراً جَبَرَ ما عَسى يَكُونُ قَبلَهُ مِنَ التَّقصِير، والأعمالُ بخَواتِيمِها،

---

(١) راجع صحاح الجوهري ٢/ ٤٦٥.

وبِيَدِ الله المَقادِير، فأسْألُ اللهَ تَعالى بجاهِ نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ أنْ يُحسِنَ الخاتمةَ لي ولِوالِدَيَّ ولِـمَشايخي، ولأولادِي، ولأحِبَّائي، ولِلمُسلِمِينَ، وأستَودِعُهُ دِينِي ونَفْسِي وخَواتِيمَ عَمَلِي وما أنعَمَ بِهِ عَلَيَّ والمِسلِمينَ؛ فإنَّهُ لا يُضَيِّعُ ودائِعَهُ، وهو نِعْمَ الحَفيظُ.

وأسألُهُ أنْ يَجعَلَ هذا الشَّرْحَ مَقبُولاً، وبالقَبولِ مَشمُولاً مِنَ الَّذي كَتَبَ أُحبُولةً على فضْلِهِ، ووَسِيلةً إلى كَرَمِهِ سَيِّدِنا ونَبِيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ، وأنْ يَمُنَّ عَلَيَّ وعلى والِدَيَّ وأولادِي وأحِبّائي بالاندِراجِ في حِزْبِه، وحَوْزِ قُرْبِهِ في الدّارَين. إنَّهُ الرَّبُّ المالِك، وهو وليُّ ذلك، لا رَبَّ سِواهُ، ولا مَطلُوبَ غَيرُهُ، وغَيرُ عَطاه، والحَمْدُ لله أوَّلاً وآخِراً، باطِناً وظاهِراً.

وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ. آمِين.

بَدَأتُ في تَأليفِهِ يَوْمَ الأربِعاءِ ١٣ ذِي القِعدةِ سَنةَ [١٠٤٣][١]، وأتْـمَمْتُهُ يَوْمَ السَّبْتِ آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ المَذكُورِ مَع أشغالٍ كَثِيرةٍ وأُمورٍ غَيرِ يَسِيرة.

والمَأمُولُ مِن بَحْرِ كَرَمِ سَيِّدِنا رَسُولِ الله ﷺ القَبُولُ والجائِزةُ بالشَّفاعةِ وبِنَيلِ خَيرِ الدّارَينِ لي، ولأولادِي، ولأحِبَّائي، ولِلمُسلِمِينَ. وكانَ ذلكَ بسَكَنِي مِن جَبَلِ أبي قُبَيس[٢].

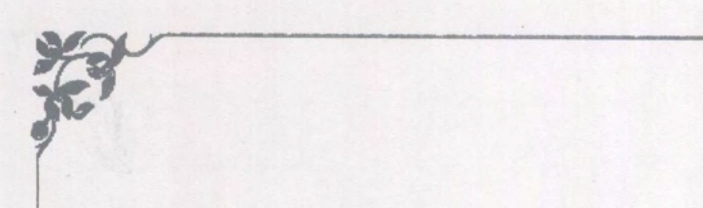
تَقَبَّلَـهُ اللهُ بِمَنِّـهِ. تَـمَّ.

* * *

---

(١) س: «١٠٠٤٣». ولعلّه من ذهول القلم.

(٢) وهو اسم الجبل المشرف على مكة. وجهه إلى قعيقعان. ومكة بينهما، أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها. ويروى أنّ بلالاً الحبشي أذّن في أعلاه عند فتح مكة من قبل الرّسول ﷺ. وفي زماننا هذا أصبح مأهولاً بالفنادق الكبيرة والمباني السكنية.



نسخة البردة

بخطّ

الحافظ عثمان

عميد الخطّ العربي



نُسخة البُردة

بخطِّ الحافظ عثمان عميد الخطِّ العربي

نضعُ بين يدي القارئ الكريم نُسخةً نفيسةً من قصيدة البُردة، المسمّاة: «الكواكب الدُّرِّية في مدح خير البريّة»، بخطِّ الإمام والخطّاط الكبير، وصاحب القلم الذّهبي، الحافظ عثمان بن علي المعروف بحافظ القرآن (ت١١١٠هـ)، وهو من أشهر الخطّاطين الأتراك، وأغزرهم إنتاجاً، إذْ وصلنا من إبداعاته خمسة وعشرون مصحفاً، وطُبِع مصحفهُ في سائر البلاد الإسلاميّة مئات المرّات، وخاصّة في دمشق، حيث تبنّتْ طباعتهُ أعرق دارين لنشر المصاحف، وهُما: دار الملّاح، والمطبعة الهاشمية(١).

وصفُ النُّسخة الخطيّة:

هي من مقتنيات مكتبة عبد الرّحمن نافذ باشا بتركيّا، برقم: (٩٩٧)، ضمن المكتبة السليمانيّة، وتقع في أربعٍ وثلاثين ورقة، اشتملتْ الورقة الأولى على عنوان المخطوطة بخط صغير جداً: «قصيدة بردة (كذا)»، وفي أسفل منها خاتم المكتبة ورقم المخطوطة فقط، وتمتدُّ القصيدة من الصفحة (٢/ أ) إلى الصّفحة (٣٤/ ب)، وتبدأ بقوله: «بسم الله الرّحمن الرّحيم:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ ✻ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ»

---

(١) رحلة الخط العربي: ص١١٧ - ١١٨.

وتنتهي بقوله:

«مـا رَنَّحَـتْ عَذَبـاتِ البـانِ رِيـحُ صَبـاً　　　وأطْـرَبَ العِيْسَ حادِي العِيْـسِ بِالنَّغَمِ

تمّتِ القصيدةُ المُباركةُ، كتبهُ مَنْ لا قَدْرَ لهُ ولا قِدْر[1]، ولا نخلٌ بوادِيه ولا سِدْرة، أضعفُ الكُتّابِ عُثمان، المعروف بحافظ القُرآن، غفرَ الله ذُنوبَه، وسترَ عُيوبَه، سنةَ ثلاثٍ وثمانين وألف، عنْ مُحرّم الحرام في نوشته شد في محميّة أدرنة. ١٦١ بيت».

وقد خطّها الحافظ عثمان بخطّ الثُّلث المشكول والمضبوط بناءً وإعراباً، وضمّتِ الصّفحةُ الواحدة خمسةَ أسطر، عدا الصّفحة الأولى لابتدائها بالزخرفة، وحرصَ أنْ يشتملَ السّطر الواحد على صدرٍ كاملٍ أوْ عجز، دون الحرص على اكتمال البيت في الصفحة نفسِها، فقد يأتي في آخر الصفحة صدرٌ ويأتي عجزه في بداية الصفحة التي تليها، مع العناية بإثبات التعقيبة في ذيل الصّفحة.

واشتملَ متنُ القصيدة على مئة وواحد وستِّين بيتاً، والبيت الزّائد في هذه الرواية عن الروايات الأخرى هو:

مثـلُ الغمامـةِ أنّـى سـارَ سـائرةٌ　　　تقيـهِ حـرَّ وطيسٍ للهجيـرِ حَمِيْ

وجاءَ في هذه الرواية قوله:

والآلِ والصّحـبِ ثمّ التّابعينَ لهُمْ　　　أهلِ التُّقى والنّقى والحِلمِ والكرَمِ

بدلاً من قوله في بعض الروايات:

وآلـهِ الغُرِّ والصّحـبِ الذين علَوْا　　　أهل الوفا والصّفا والفضلِ والكرمِ

* * *

---

(١) كذا في الأصل، والسجع يستدعي لفظة قُدرة، ولعله سهوٌ من الناسخ، والله أعلم.

ترجمة الحافظ عُثمان[1]

هو عثمان بن علي، المعروف بالحافظ الحنفي القسطنطيني، الكاتب المشهور، أحد أفراد الدَّهر، كان والده مؤذِّناً بأحد جوامع القسطنطينية، ووُلِدَ عثمان في حدود سنة اثنتين وخمسين وألف، ونشأ وأخذ الخط وأنواعه عن درويش الكاتب الرومي (ت١٠٨٤هـ).

وبرع ومهر بالخطوط وأنواعها، وأعطاه الله الشهرة التامة، والتفوُّق على أهل عصره، واشتهر اشتهار الشمس وتنافس الناس في خطِّه وبيع بالثمن الغالي، ورغبت فيه الناس وفاقت شهرتُه على خطِّ ياقوت المستعصمي.

وانتسب في أوائل أمره للوزير مصطفى باشا الكبري كوبريلي الصدر الشهيد، وفي سنة ستٍّ ومئة وألف صار معلِّماً للسلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان، وأعطيَ قضاء ديار بكر، وبعد عزله أعطي قضاء آخر على وجه التأييد كما هو دأب الدولة العثمانية، وأحبه السلطان المذكور.

وأخذ عنه الخط النسخي والثلث وغيرهما أناسٌ كثيرون، وقبل وفاته بثلاث سنوات عَطلَ بداء الفالج وكان مع هذه الشهرة صاحب ملاطفة وتودُّد، ويغلُبُ عليه الصلاح والديانة.

وكتب بخطِّه المرغوب الحسن خمساً وعشرين مصحفاً شريفاً تغالى الناس بها، وحصلتْ له الشهرة التامة، وكانت وفاته بالقسطنطينية سنة عشرة ومئة وألف رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر ترجمته في: سلك الدرر: ٣/ ١٦٣ - ١٦٤.



بسم الله الرحمن الرحيم

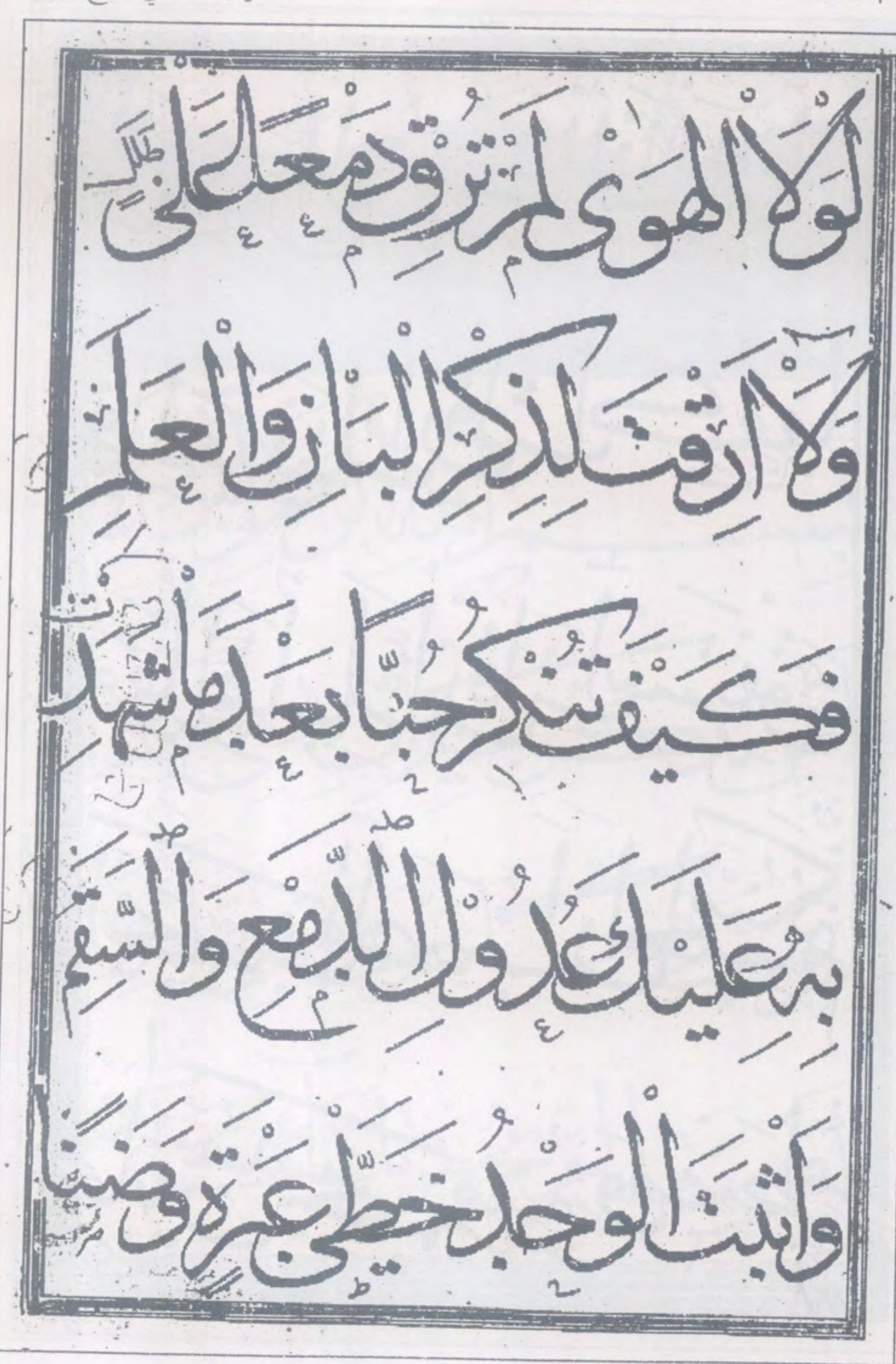
أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

[٢/ب]


وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهم
أيحسب الصب أن الحب منكتم
ما بين منسجم منه ومضطرم



لولا الهوى لم ترق دمعاً على طللِ
ولا أرقت لذكر البان والعلم
فكيف تنكر حباً بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقم
وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى

[٣/ب]

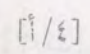

مثل البهار على خديك والعنم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني

والحب يعترض اللذات بالألم

يا لائمي في الهوى العذري معذرة

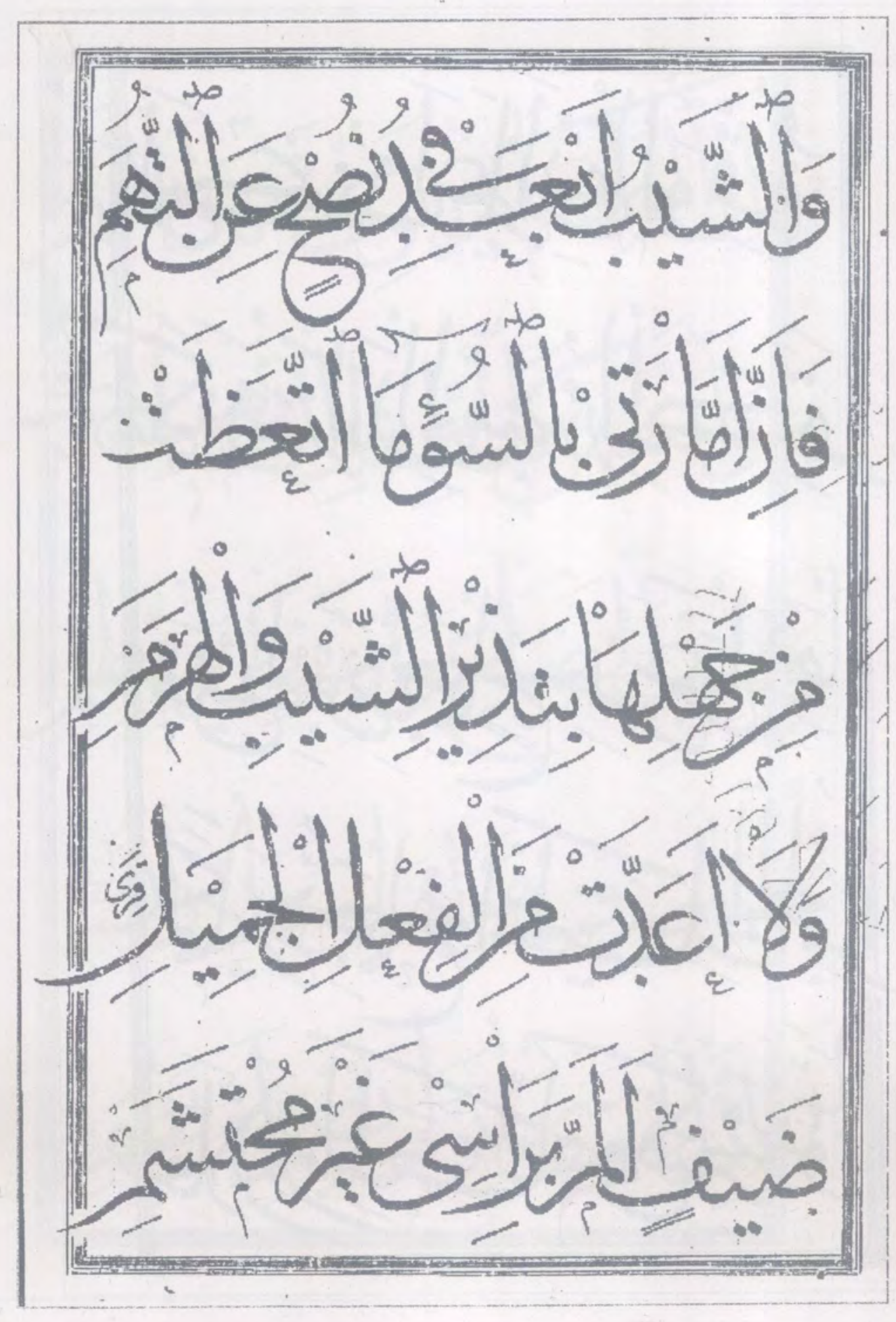
مني إليك ولو أنصفت لم تلم


[٤/أ]

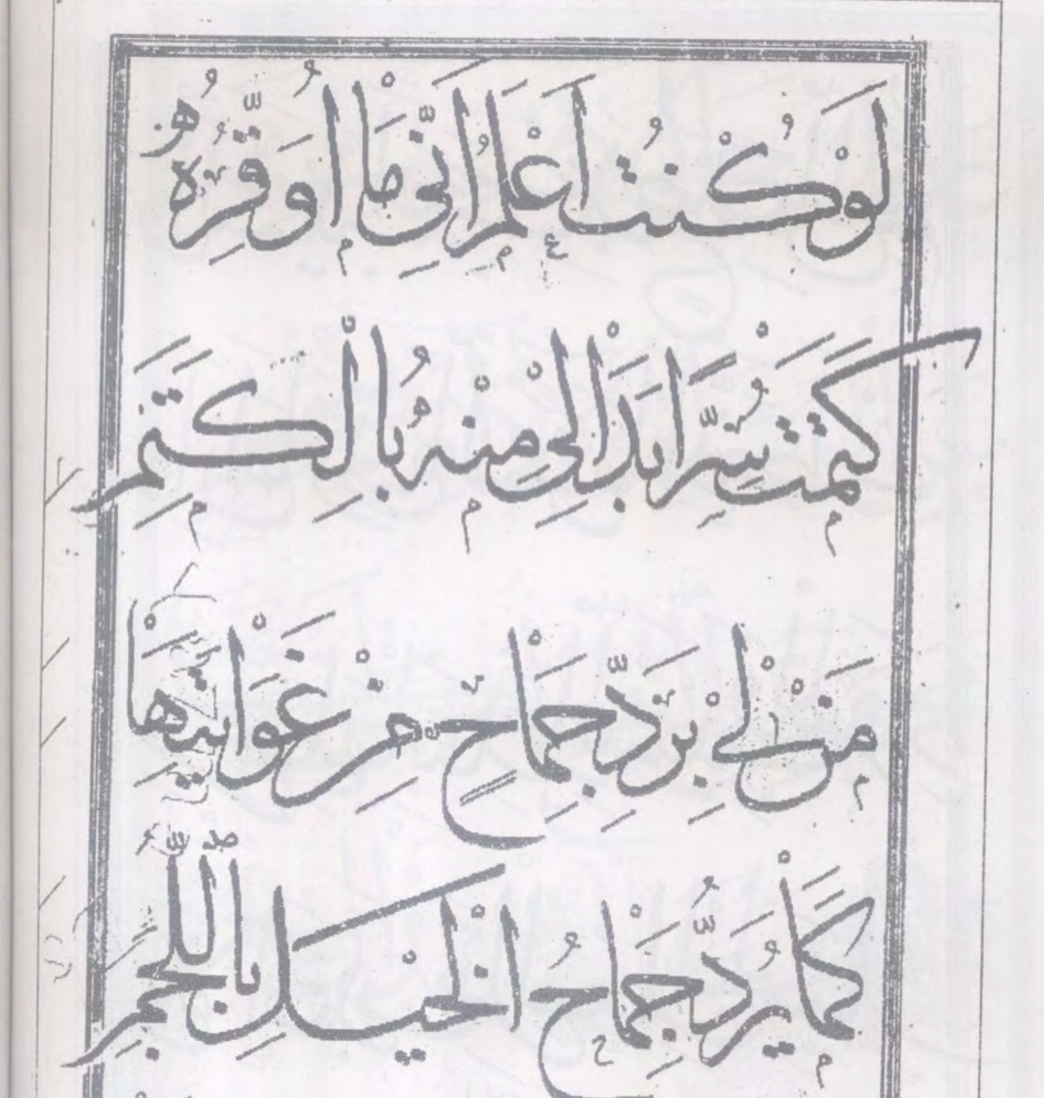
عَدَتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ
مَحَضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ
إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَ

والشيب

[٤/ب]


والشيب أبعد في نصح عن التهم
فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت
من جهلها بنذير الشيب والهرم
ولا أعدت من الفعل الجميل قرى
ضيف ألم برأسي غير محتشم

[٥/أ]



لو كنتُ أعلمُ أنّي ما أوقّرهُ

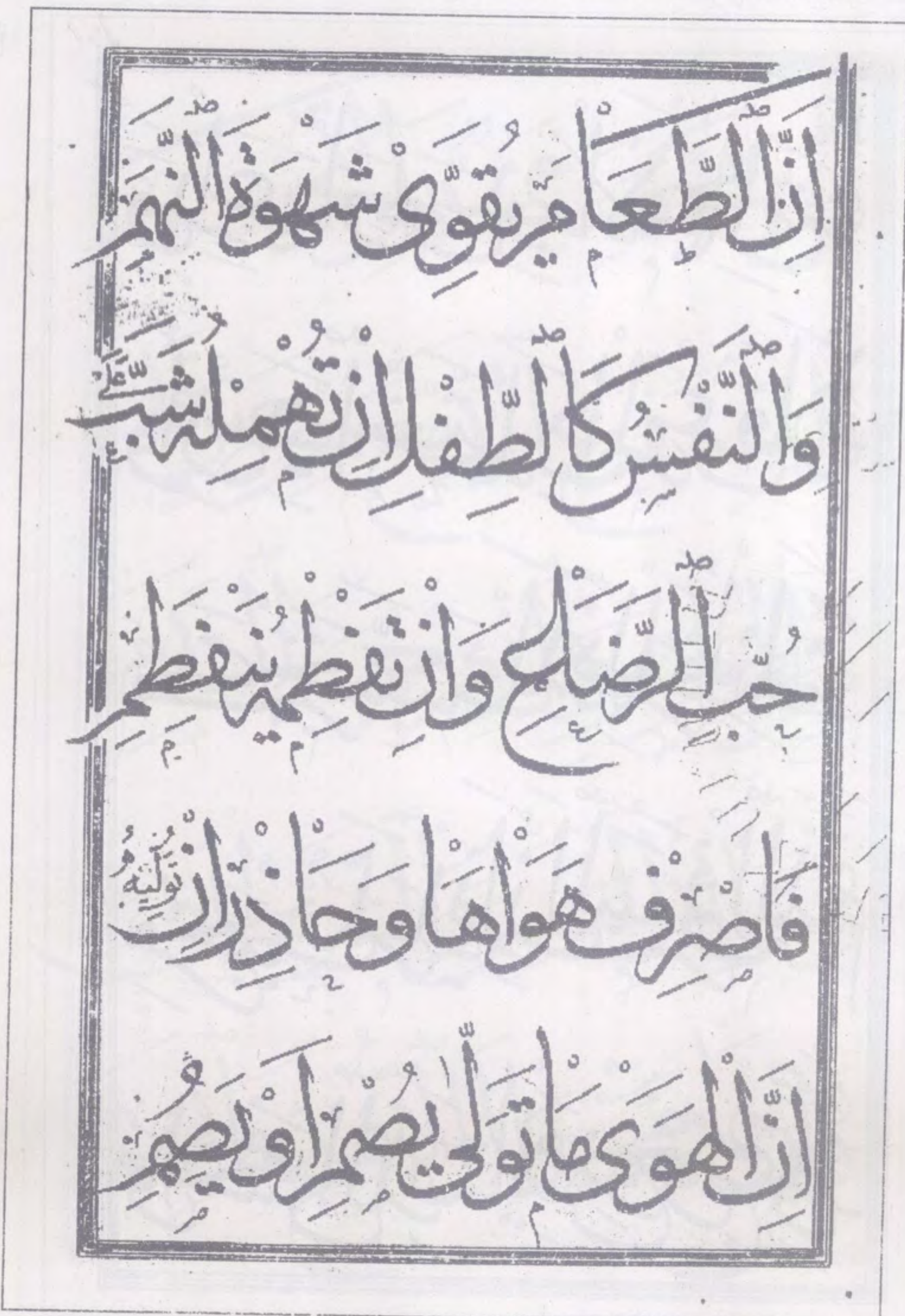
كتمتُ سرًّا بدا لي منهُ بالكتمِ

من لي بردِّ جماحٍ من غوايتها

كما يُردُّ جماحُ الخيلِ باللُّجُمِ

فلا ترُمْ بالمعاصي كسرَ شهوتها

[٦/ب]



إنّ الطعامَ يقوّي شهوةَ النهمِ

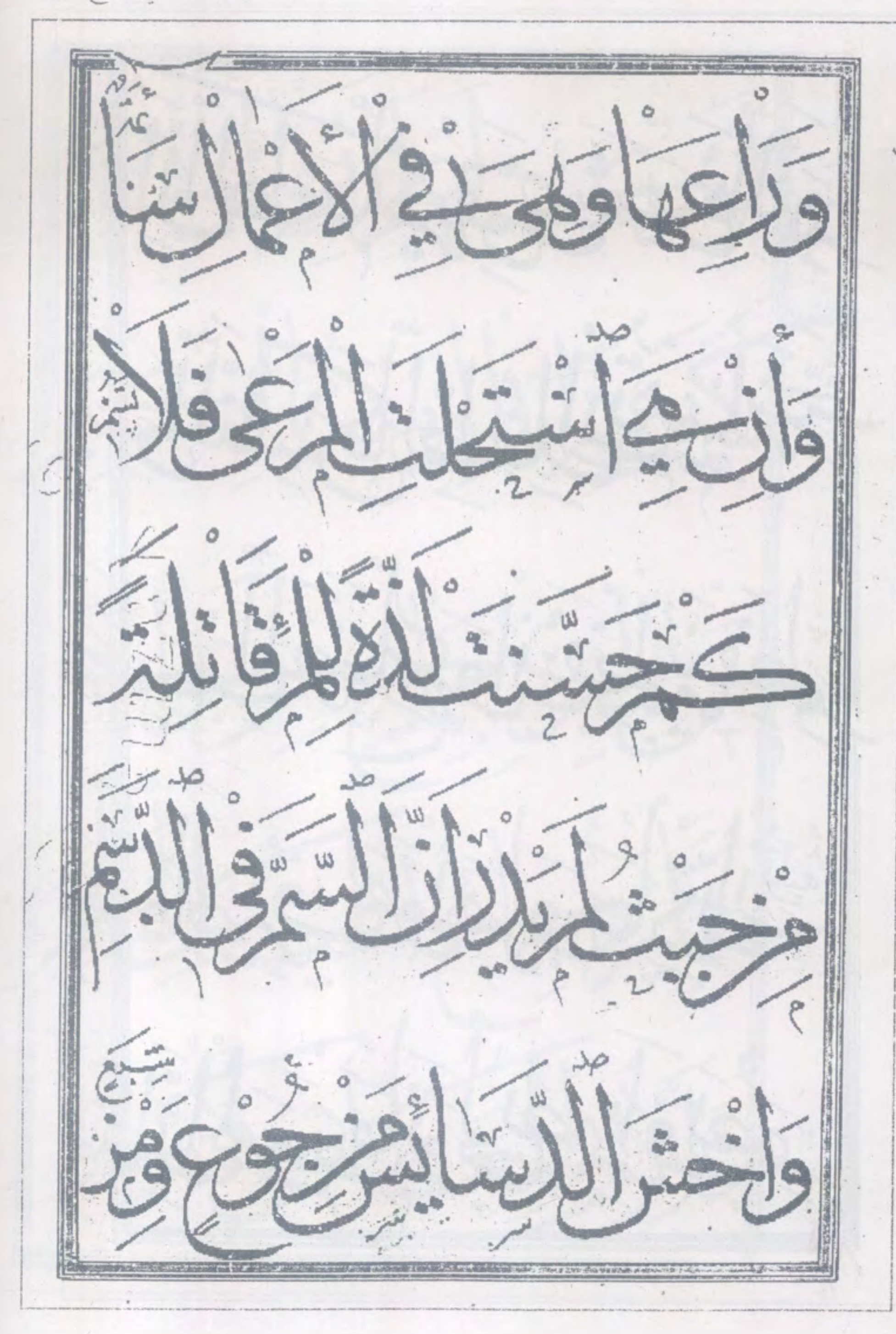
والنفسُ كالطفلِ إن تُهملهُ شبّ على

حُبِّ الرضاعِ وإن تفطمهُ ينفطمِ

فاصرف هواها وحاذر أن تولّيَهُ

إنّ الهوى ما تولّى يُصمِ أو يَصِمِ

[٦/أ]



وراعها وهي في الأعمال سائمة

وإن هي استحلت المرعى فلا تُسِم

كم حسّنت لذةً للمرء قاتلةً

من حيث لم يدر أن السم في الدسم

واخش الدسائس من جوع ومن شبع

[٦/ب]



فرب مخمصة شر من التخم

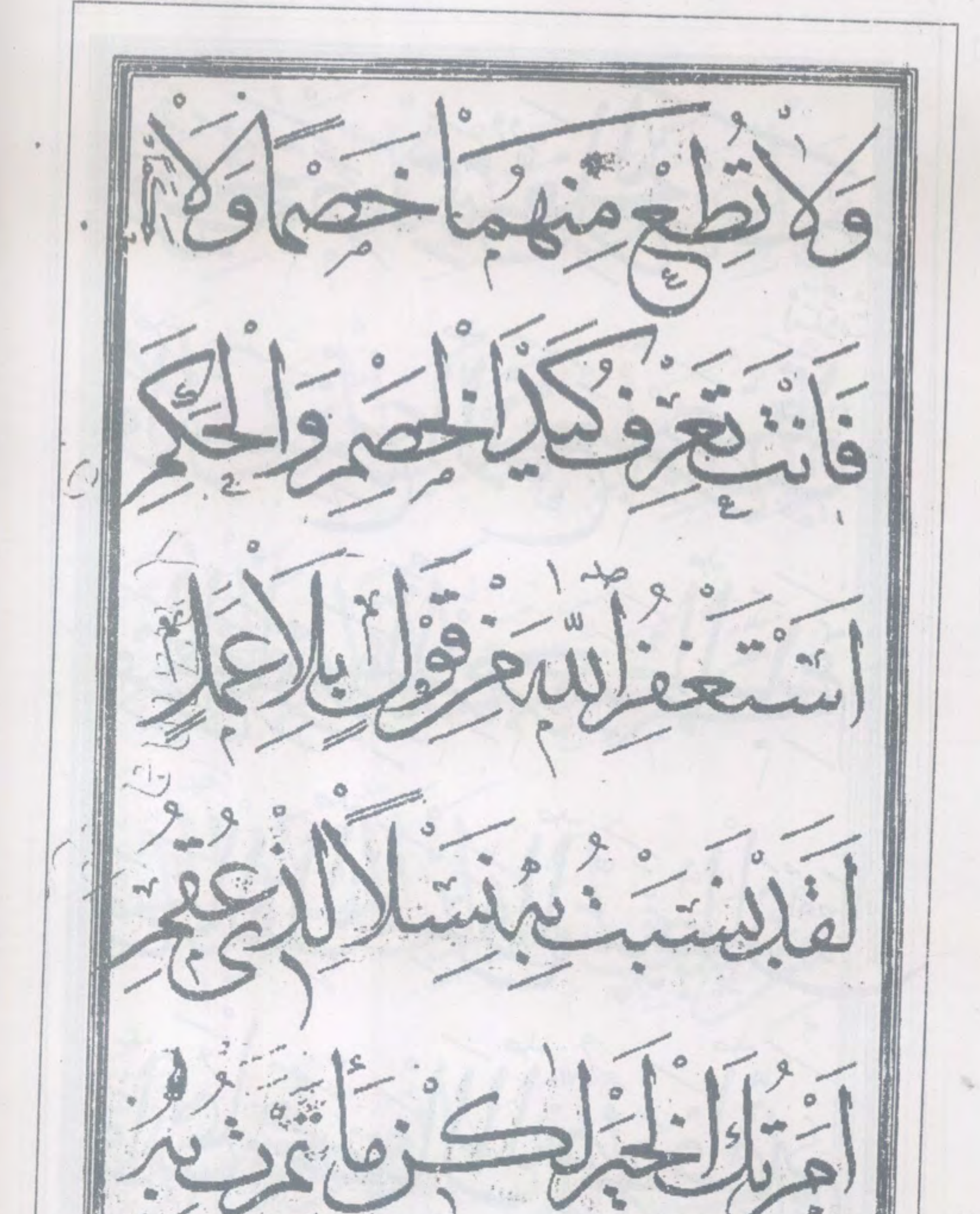
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت

من المحارم والزم حمية الندم

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وإن هما محضاك النصح فاتهم

[٧/أ]



وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًا وَلَا حَكَمًا

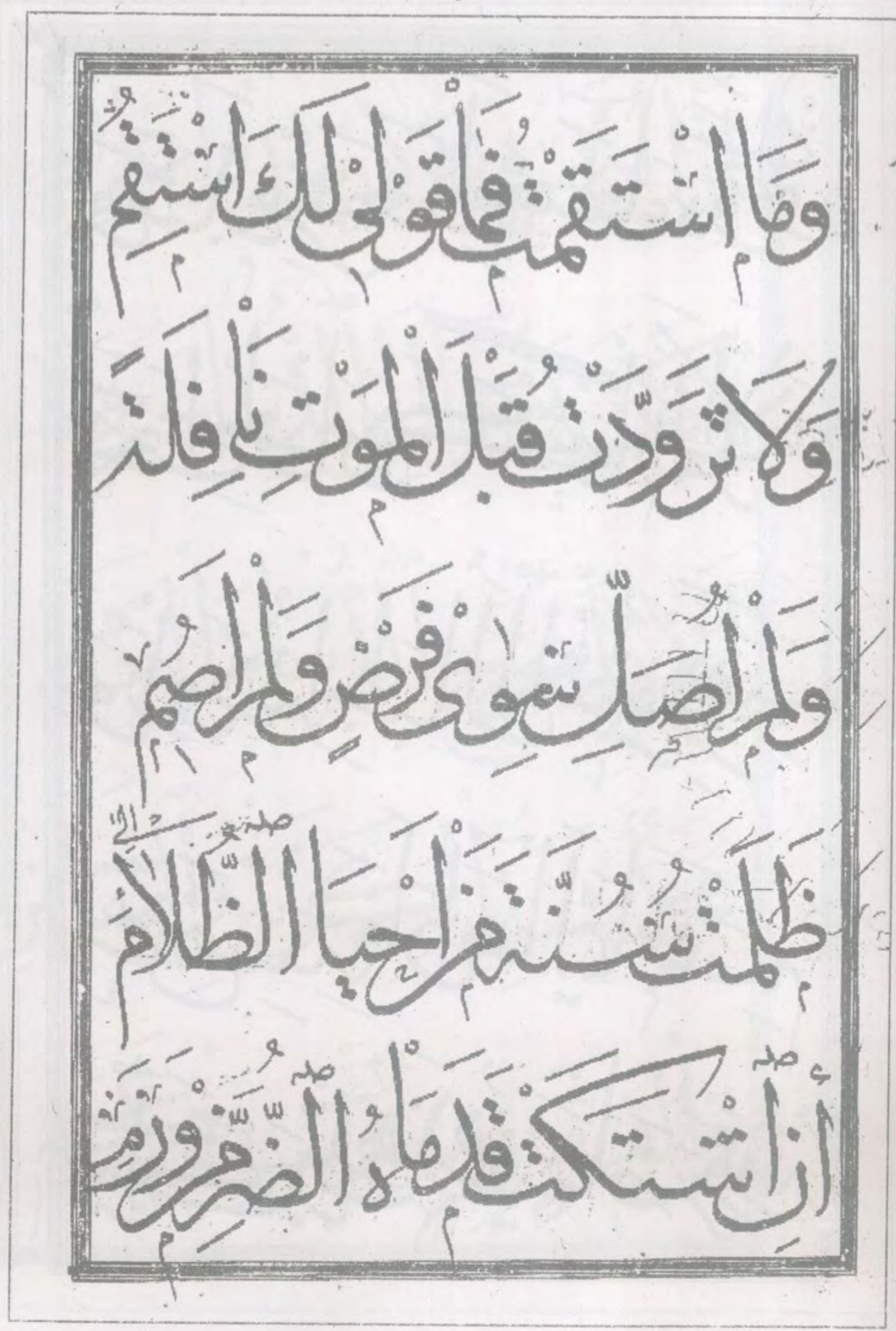
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلٍ

لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِذِي عُقُمِ

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ

[٧/ ب]



وما استقمت فما قولي لك استقم

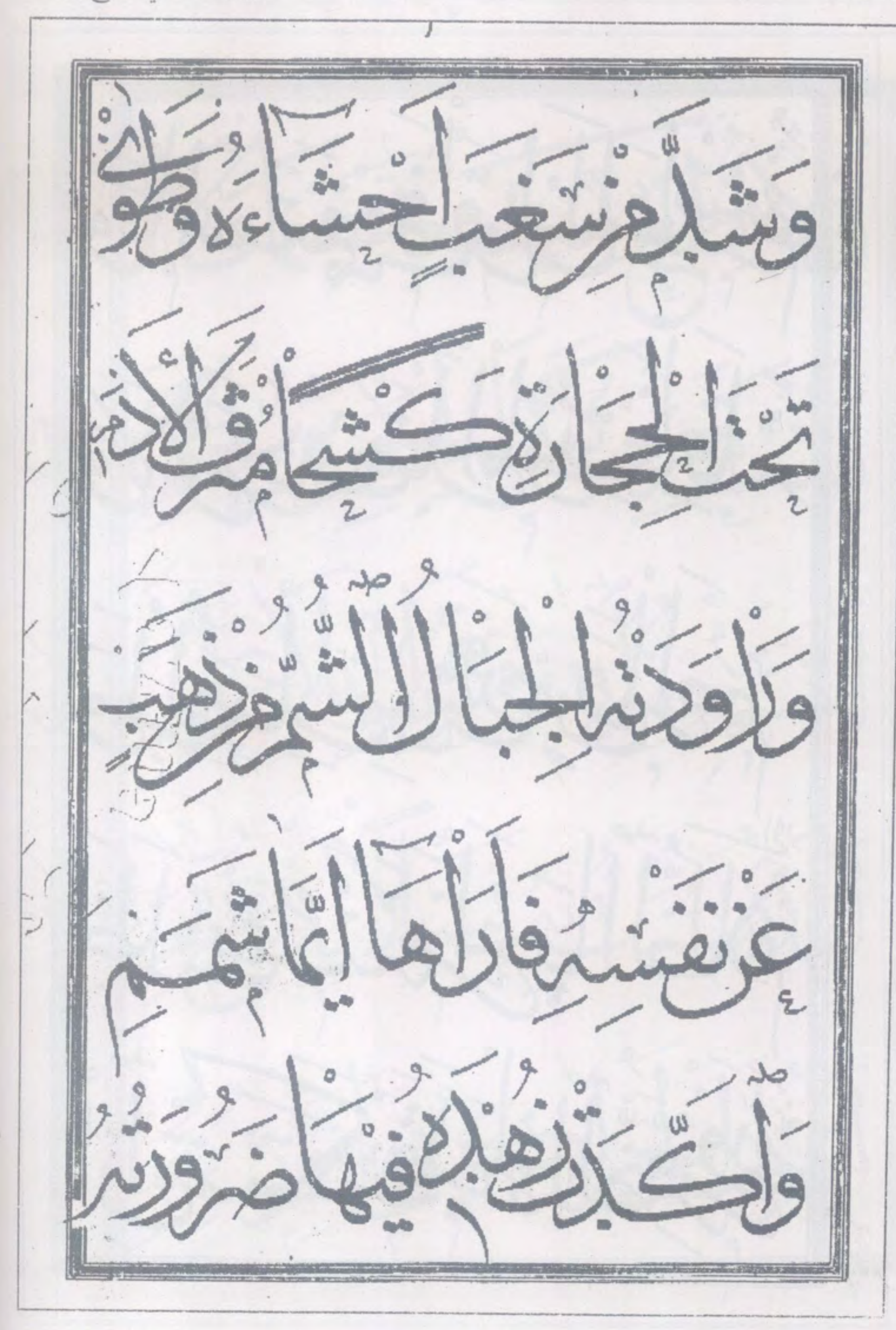
ولا تزودت قبل الموت نافلة

ولم أصل سوى فرض ولم أصم

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى

أن اشتكت قدماه الضر من ورم

[٨/أ]



وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى

تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ

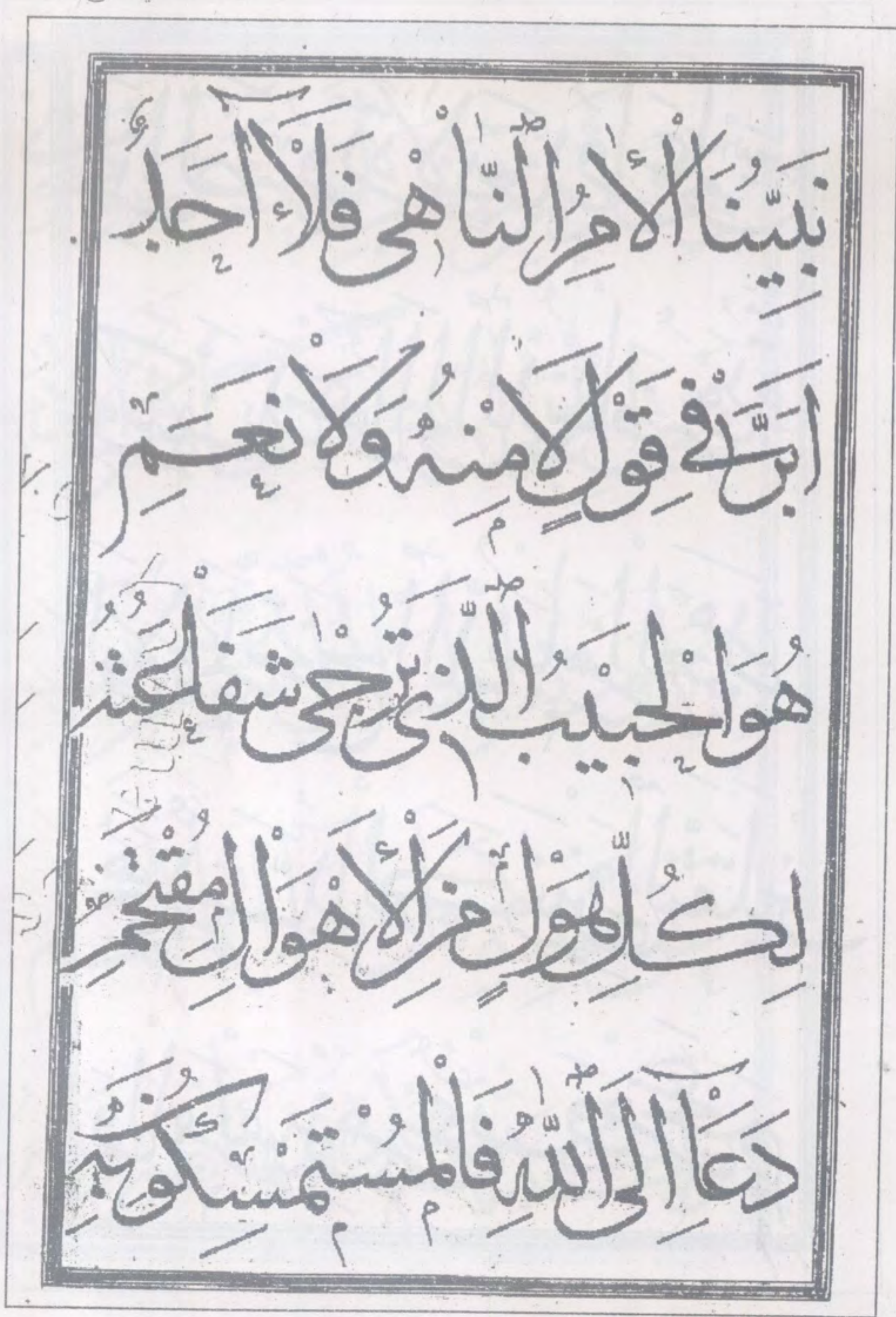
وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

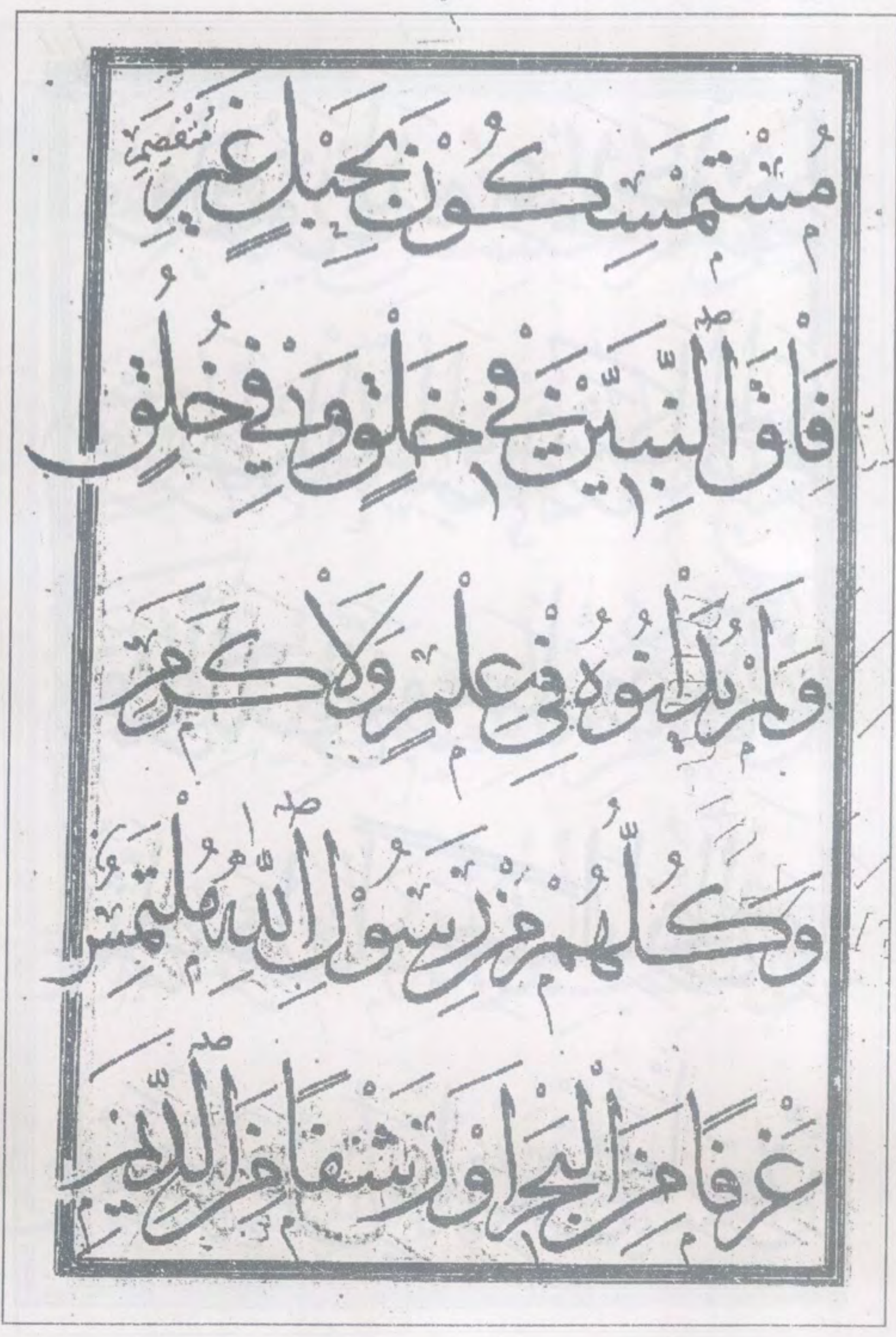
وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ

[٨/ ب]


إنّ الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
محمد سيد الكونين والثقلين
والفريقين من عرب ومن عجم


نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
أَبَرَّ فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ
هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ
دَعَا إِلَى اللهِ فَالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ

[٩/ب]



مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

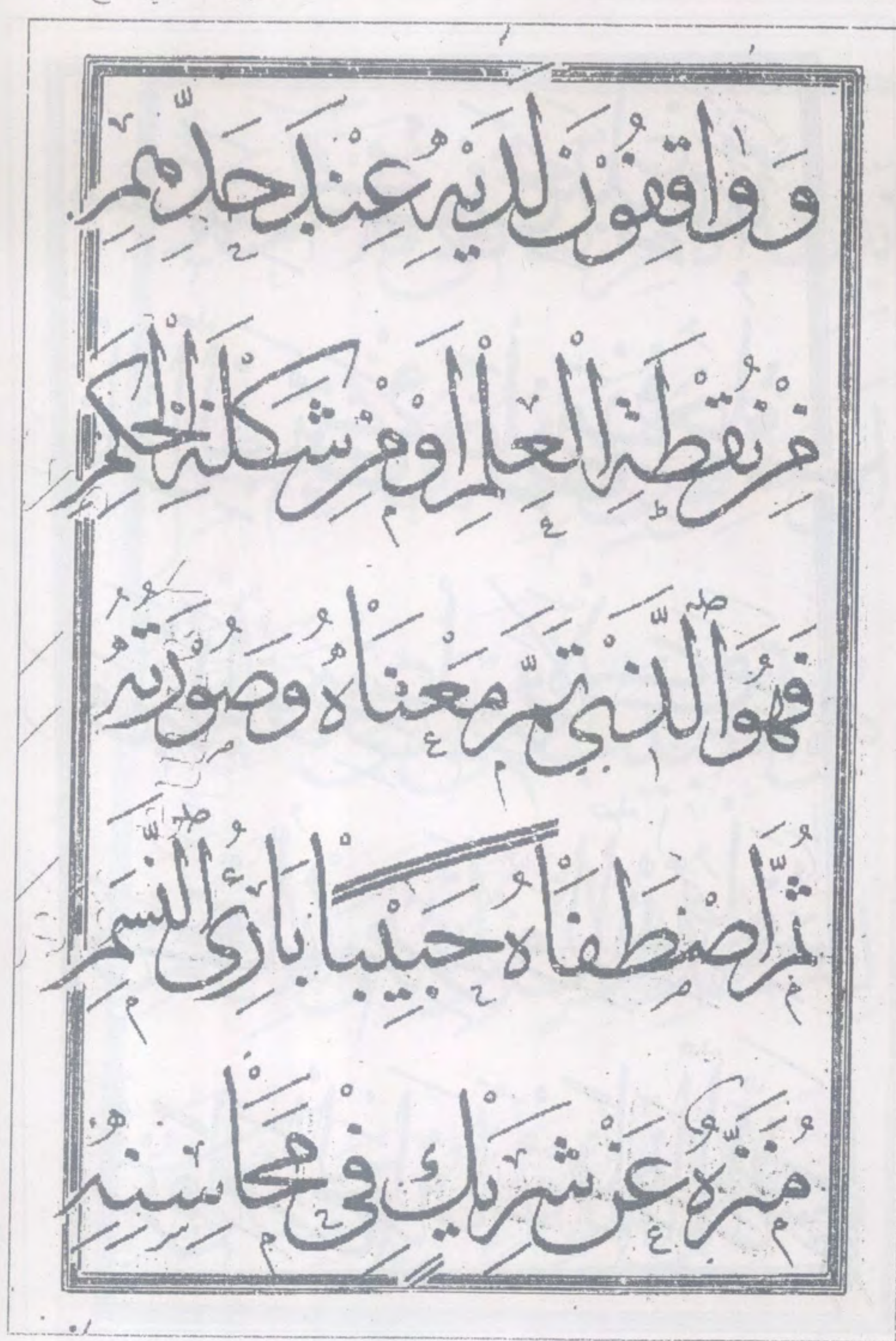
فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ

وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ

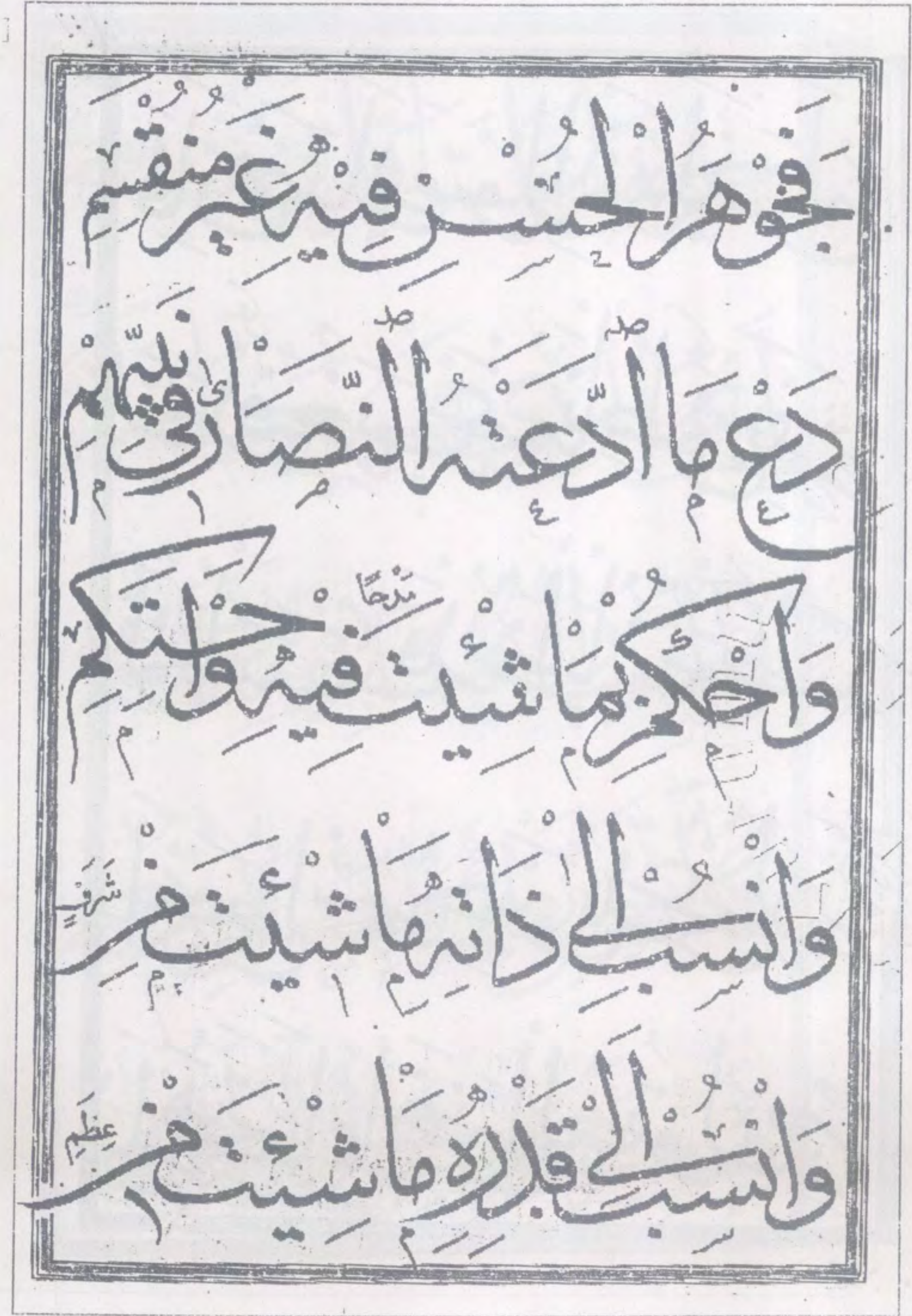
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ مُلْتَمِسٌ

غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

[١٠/أ]


وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ
فَهْوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ

[١٠/ب]



فجوهر الحسن فيه غير منقسم

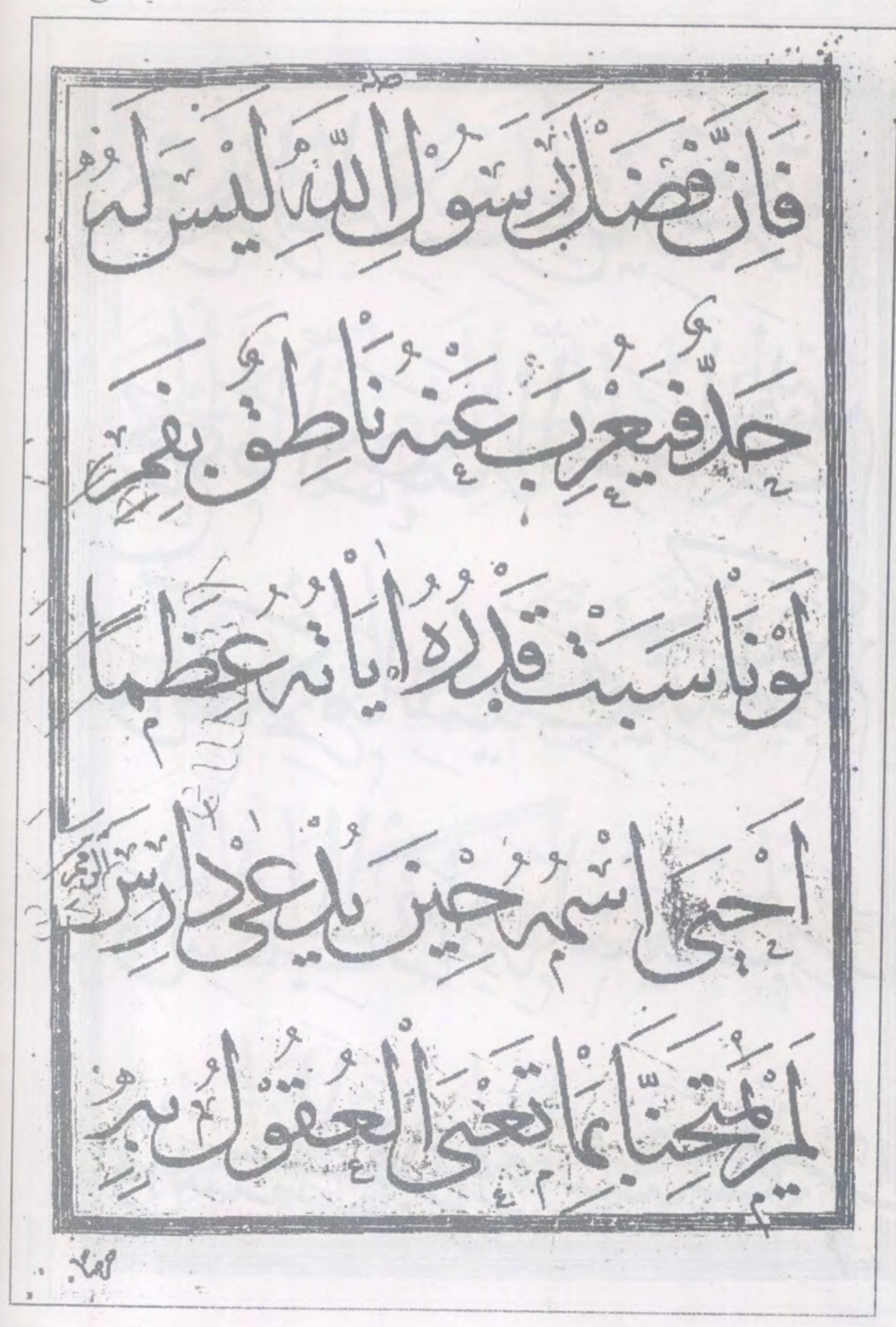
دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف

وانسب الى قدره ما شئت من عظم

[١١/أ]



فإنَّ فضلَ رسولِ اللهِ ليس له

حدٌّ فيُعرِبَ عنه ناطقٌ بفمِ

لو ناسبت قدرَه آياتُه عِظَماً

أحيى اسمُه حين يُدعى دارسَ الرِّمَمِ

لم يمتحنّا بما تعيى العقولُ به

[١١/ب]



حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

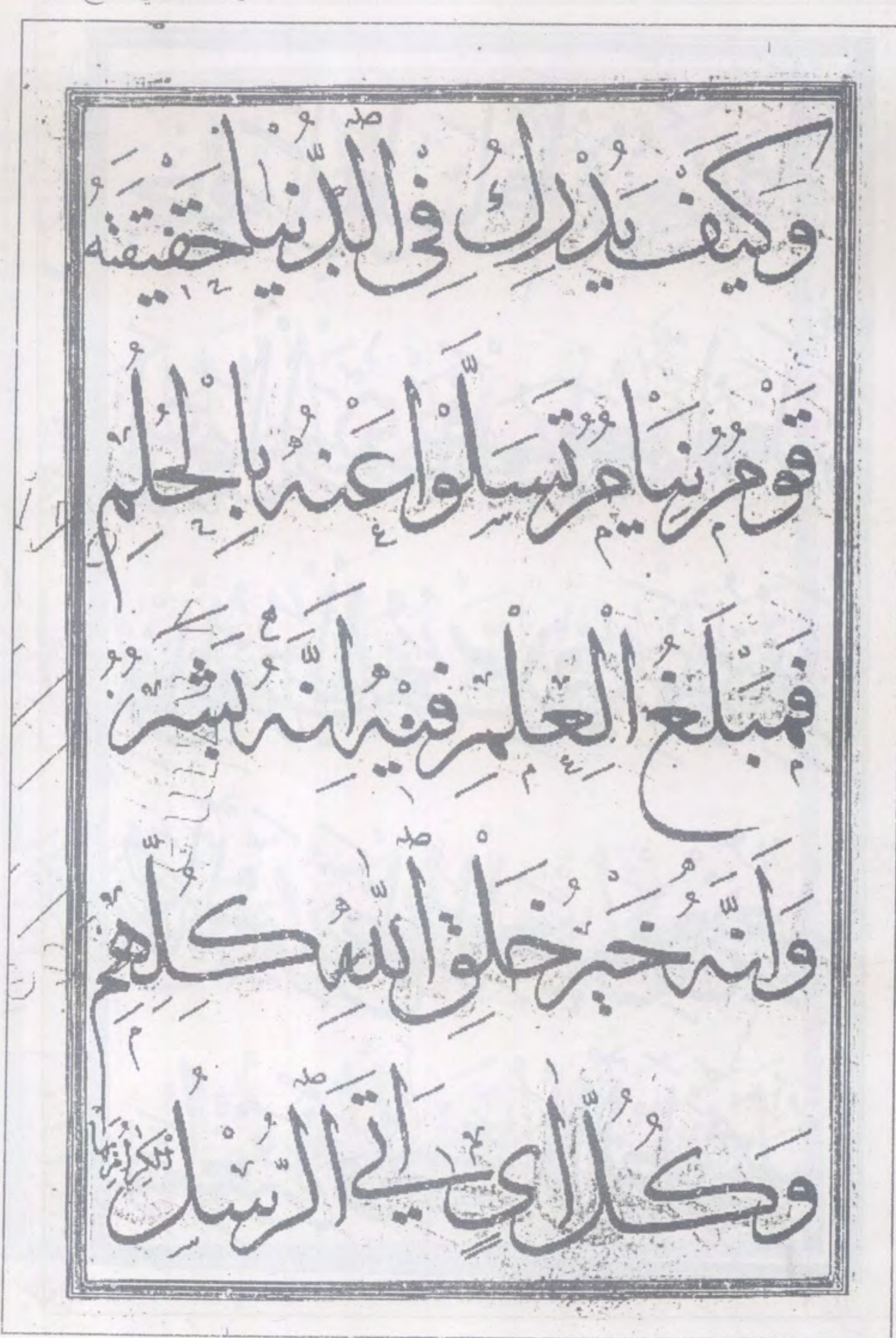
أعيى الورى فهم معناه فليس يرى

في القرب والبعد فيه غير منفحم

كالشمس تظهر للعينين من بعد

صغيرة وتكل الطرف من أمم

[١٢/أ]



وكيف يدرك في الدنيا حقيقته

قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر

وأنه خير خلق الله كلهم

وكل آي أتى الرسل الكرام بها

[١٢/ب]



فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها

يظهرن أنوارها للناس في الظلم

أكرم بخلق نبي زانه خلق

بالحسن مشتمل بالبشر متسم

[١٣/أ]



كالزهر في ترف والبدر في شرف

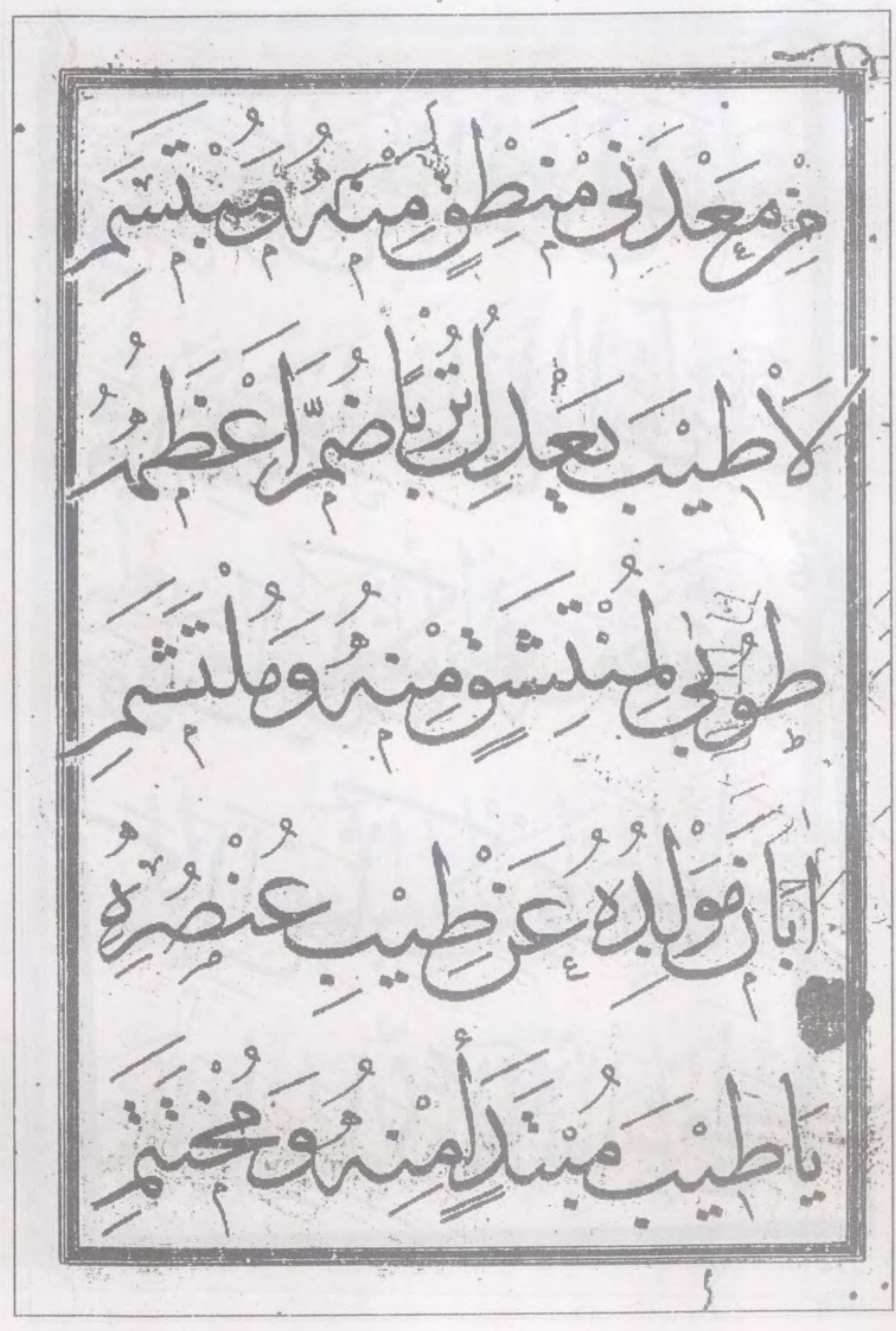
والبحر في كرم والدهر في همم

كأنه وهو فرد في جلالته

في عسكر حين تلقاه وفي حشم

كأنما اللؤلؤ المكنون في

[١٣/ ب]


مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

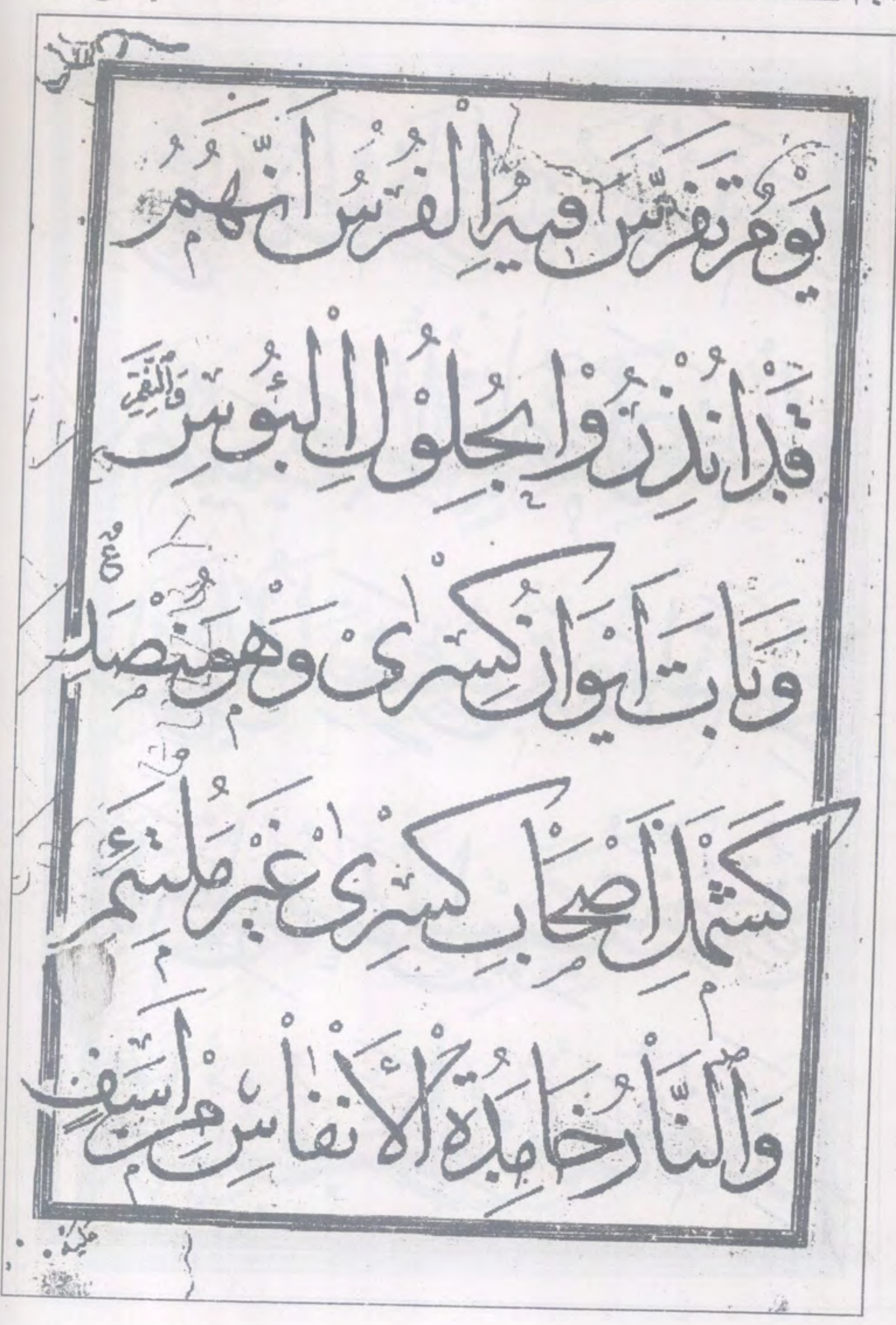
لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظُمَهُ

طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ

يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

[١٤/أ]


يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيهِ الفُرْسُ أَنَّهُمُ

قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ البُؤْسِ وَالنِّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ

كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ

عليه

[١٤/ب]



عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمِ

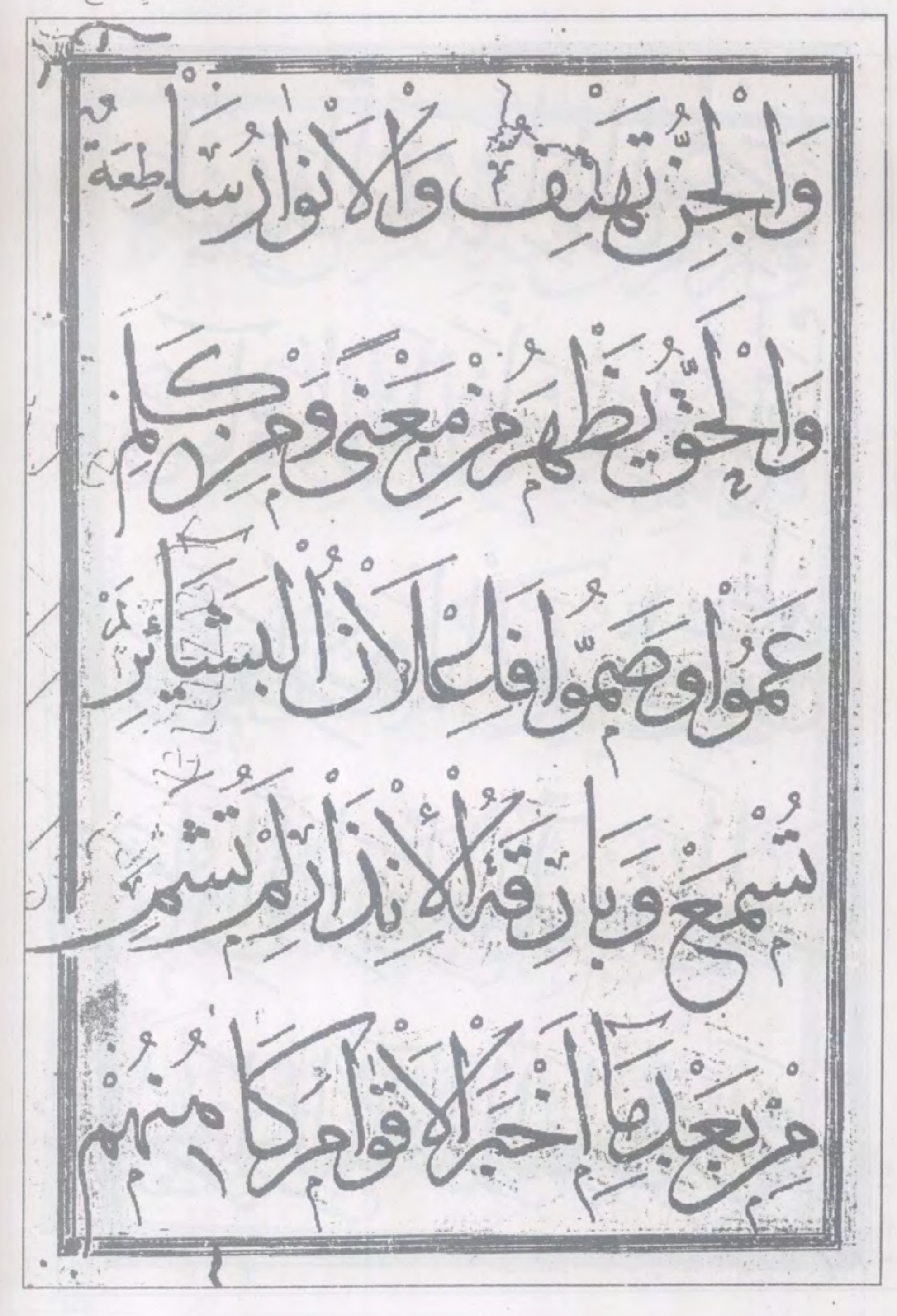
وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا

وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ

حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

[١٨/أ]



وَالجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ

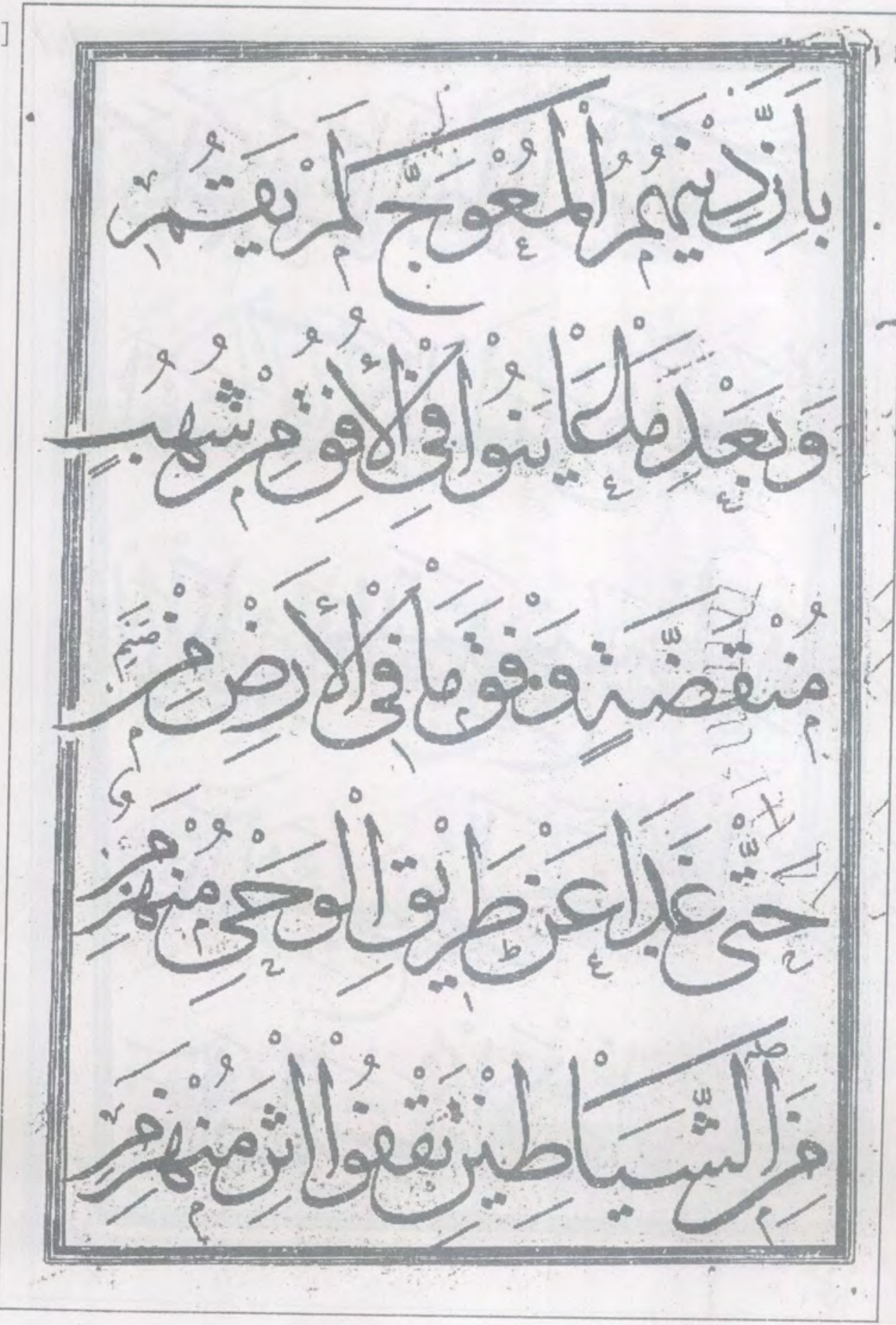
وَالحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلَانُ البَشَائِرِ

تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ

[١٥/ب]



بأنَّ دينهمُ المعوجَّ لم يقمِ

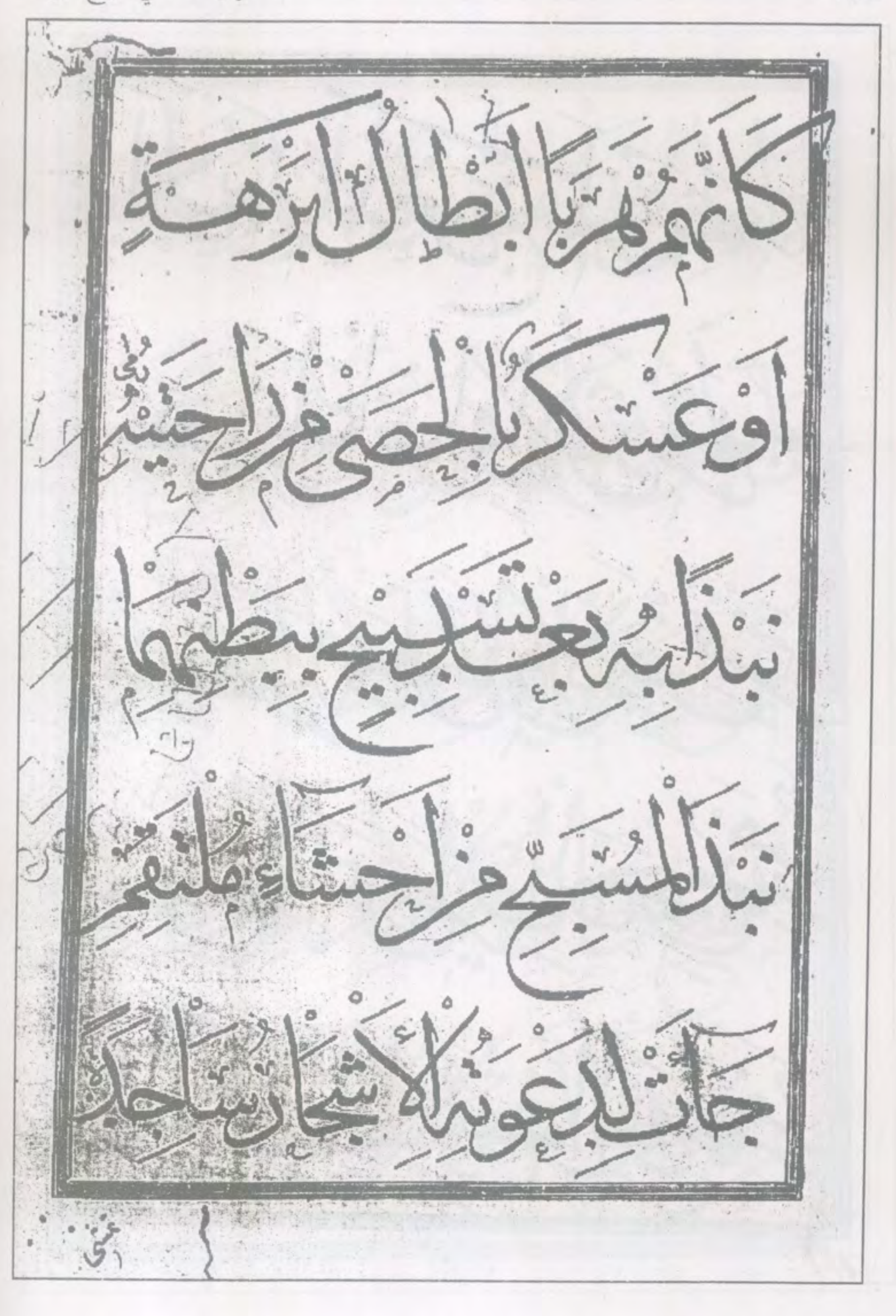
وبعدَ ما عاينوا في الأفقِ من شهبٍ

منقضَّةٍ وفقَ ما في الأرضِ من صنمِ

حتَّى غدا عن طريقِ الوحيِ منهزمٌ

من الشَّياطينِ يقفو إثرَ منهزمِ

[١٦/أ]



كأنّهم هربًا أبطالُ أبرهةٍ

أو عسكرٌ بالحصى من راحتيه رُمي

نبذًا به بعد تسبيحٍ ببطنهما

نبذَ المسبِّحِ من أحشاءِ ملتقمِ

جاءت لدعوته الأشجارُ ساجدةً

تمشي

[١٦/ب]



تمشي إليه على ساقٍ بلا قدمِ

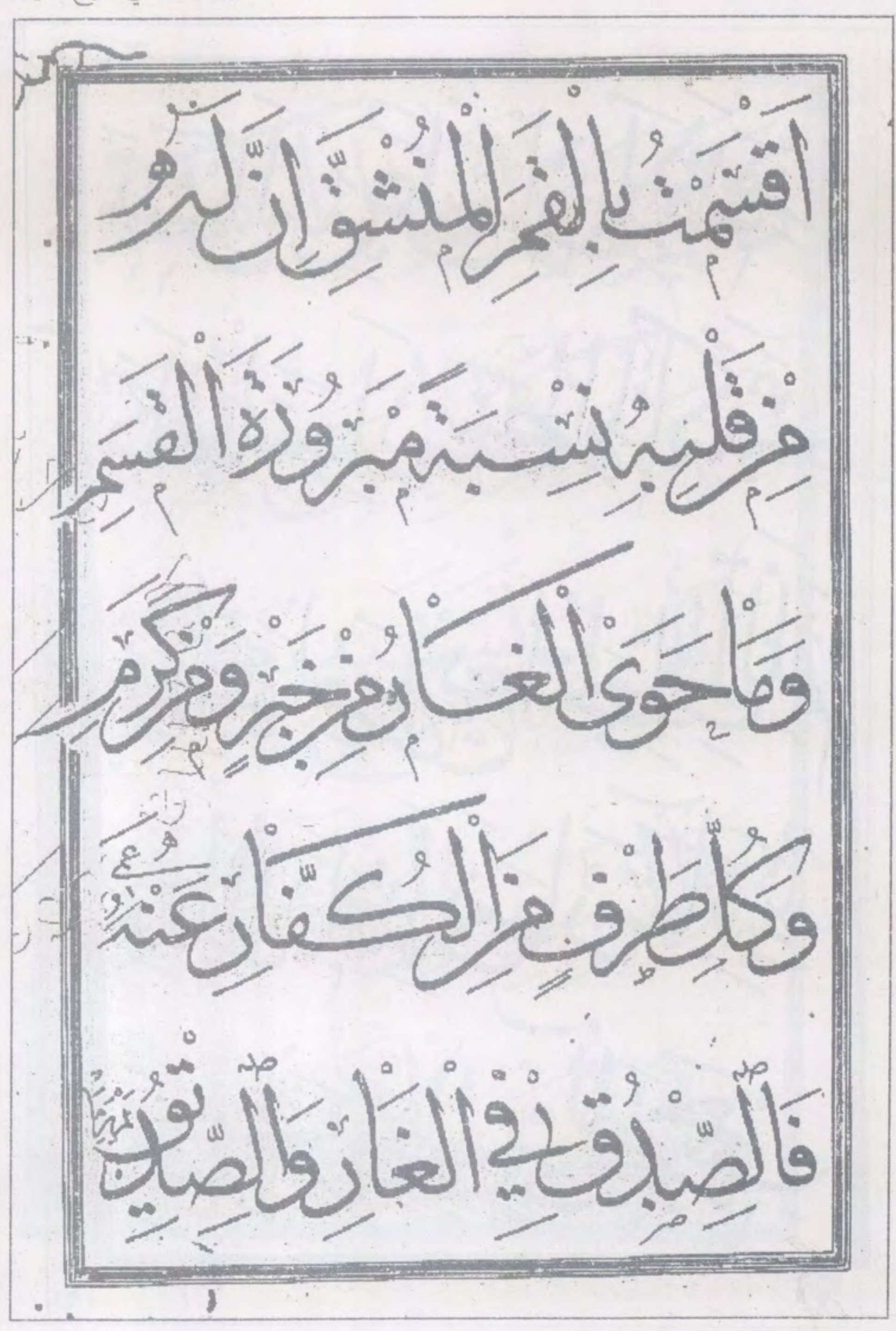
كأنما سطرت سطراً لما كتبت

فروعها من بديع الخط في اللقمِ

مثل الغمامة أنّى سار سائرةً

تقيه حرّ وطيسٍ للهجير حمي

[١٧/أ]


أقسمت بالقمر المنشق إن له

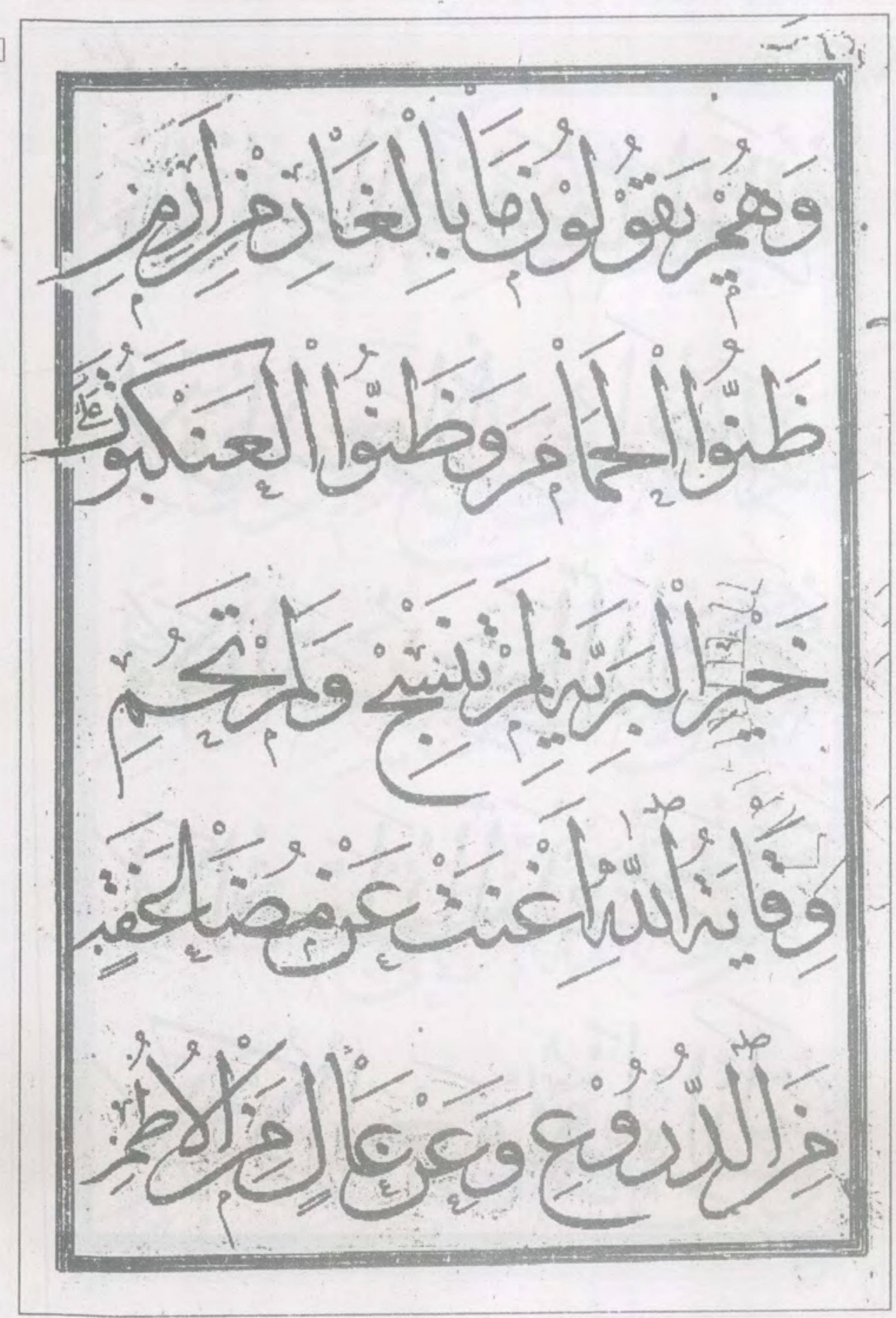
من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم

وكل طرف من الكفار عنه عمي

فالصدق في الغار والصديق

[١٧/ ب]



وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرِمِ

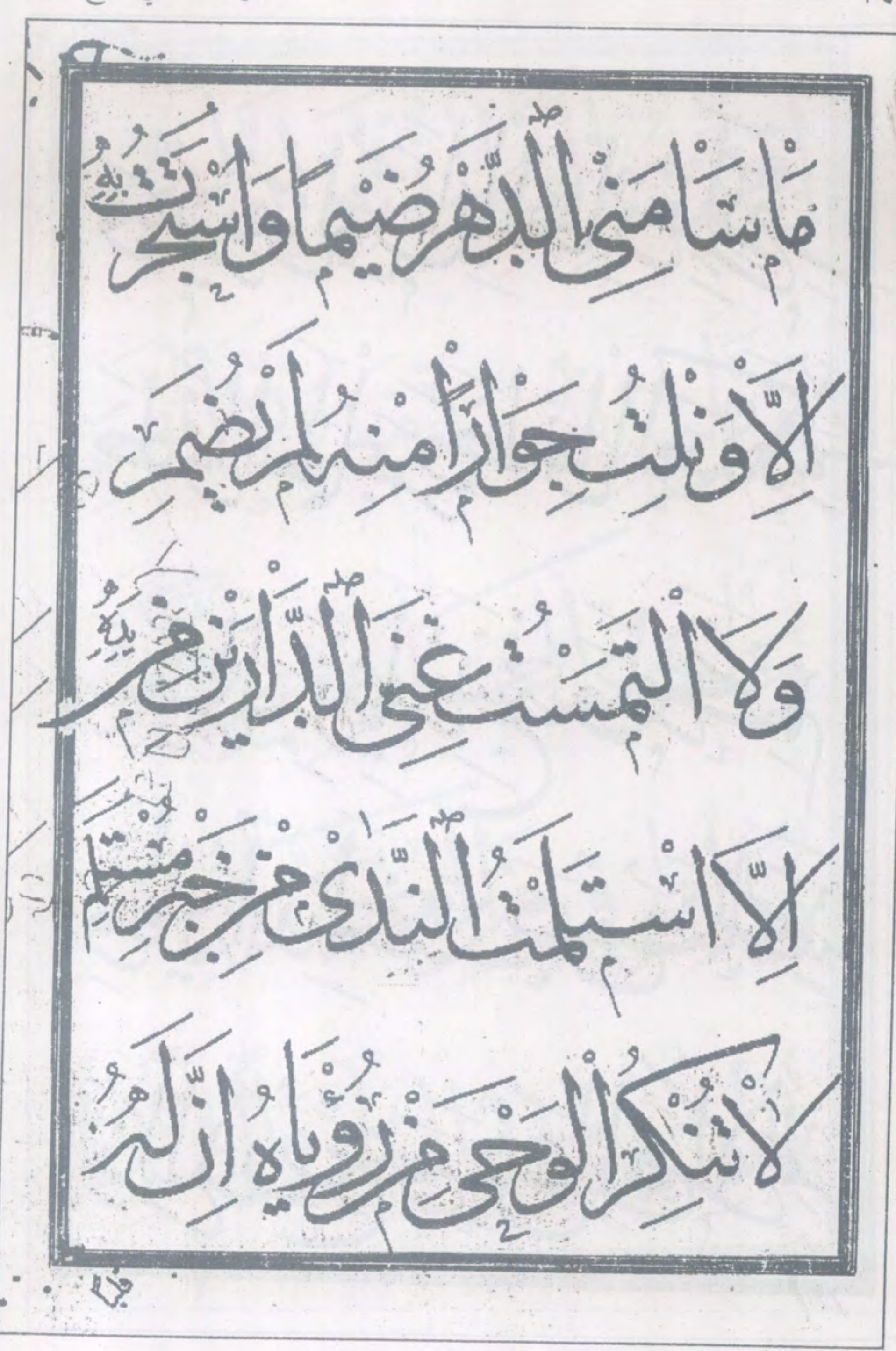
ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى

خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

وِقَايَةُ اللّٰهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ

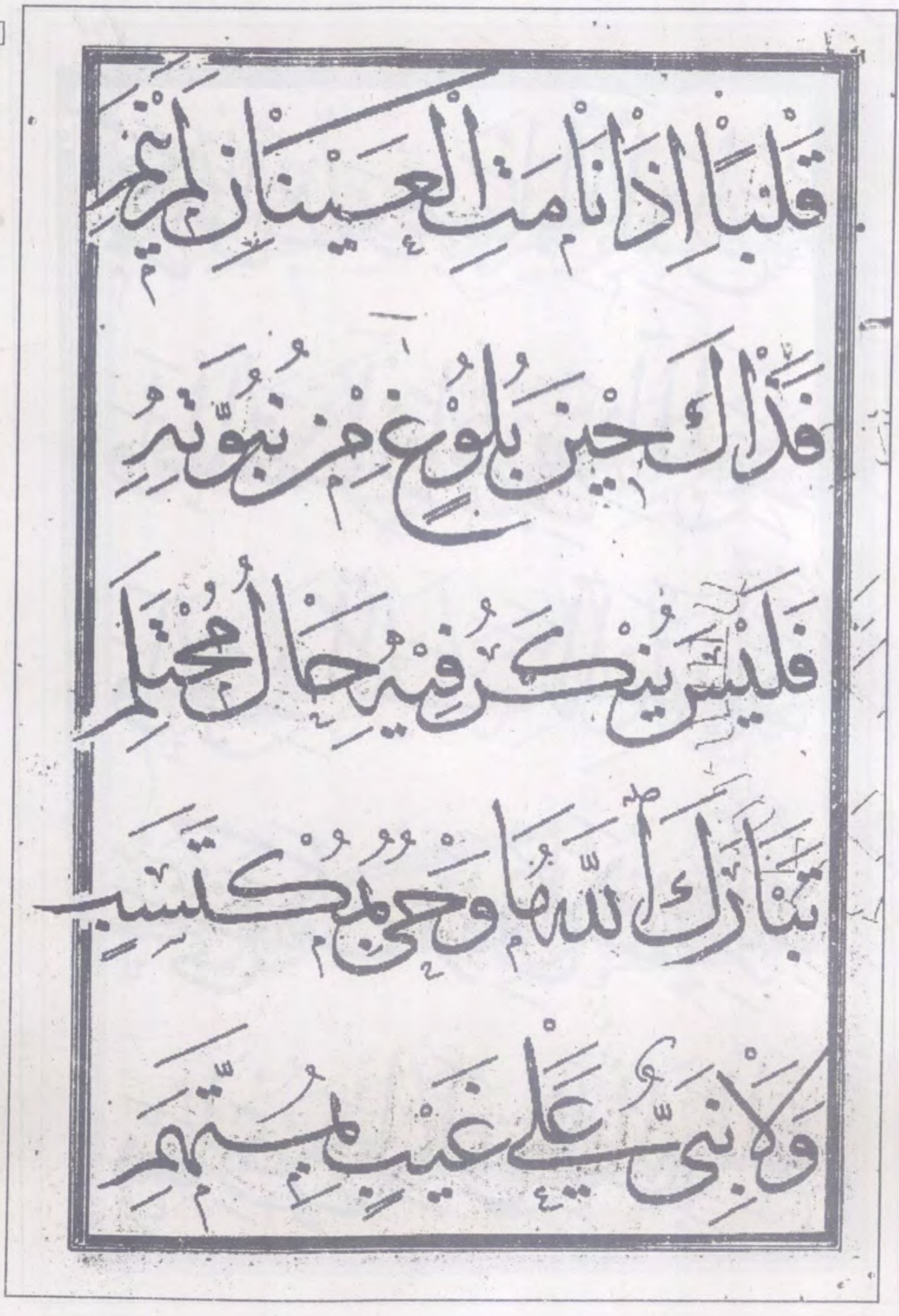
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطُمِ

[١٨/أ]



ما سامني الدهر ضيما واستجرت به
إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم
لا تنكر الوحي من رؤياه إن له

[١٨/ب]



قلبا اذا نامت العينان لم ينم

فذاك حين بلوغ من نبوته

فليس ينكر فيه حال محتلم

تبارك الله ما وحي بمكتسب

ولا نبي على غيب بمتهم

[١٠/أ]



كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِبًا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ

وَأَطْلَقَتْ أَرِبًا مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ

حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصُرِ الدُّهُمِ

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ الْبِطَاحَ بِهَا

[١٩/ب]

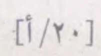

سَيْبٌ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ الْعَرِمِ

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظُهُورَ نَارِ الْقِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ

وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ



فما تطاول آمال المديح إلى

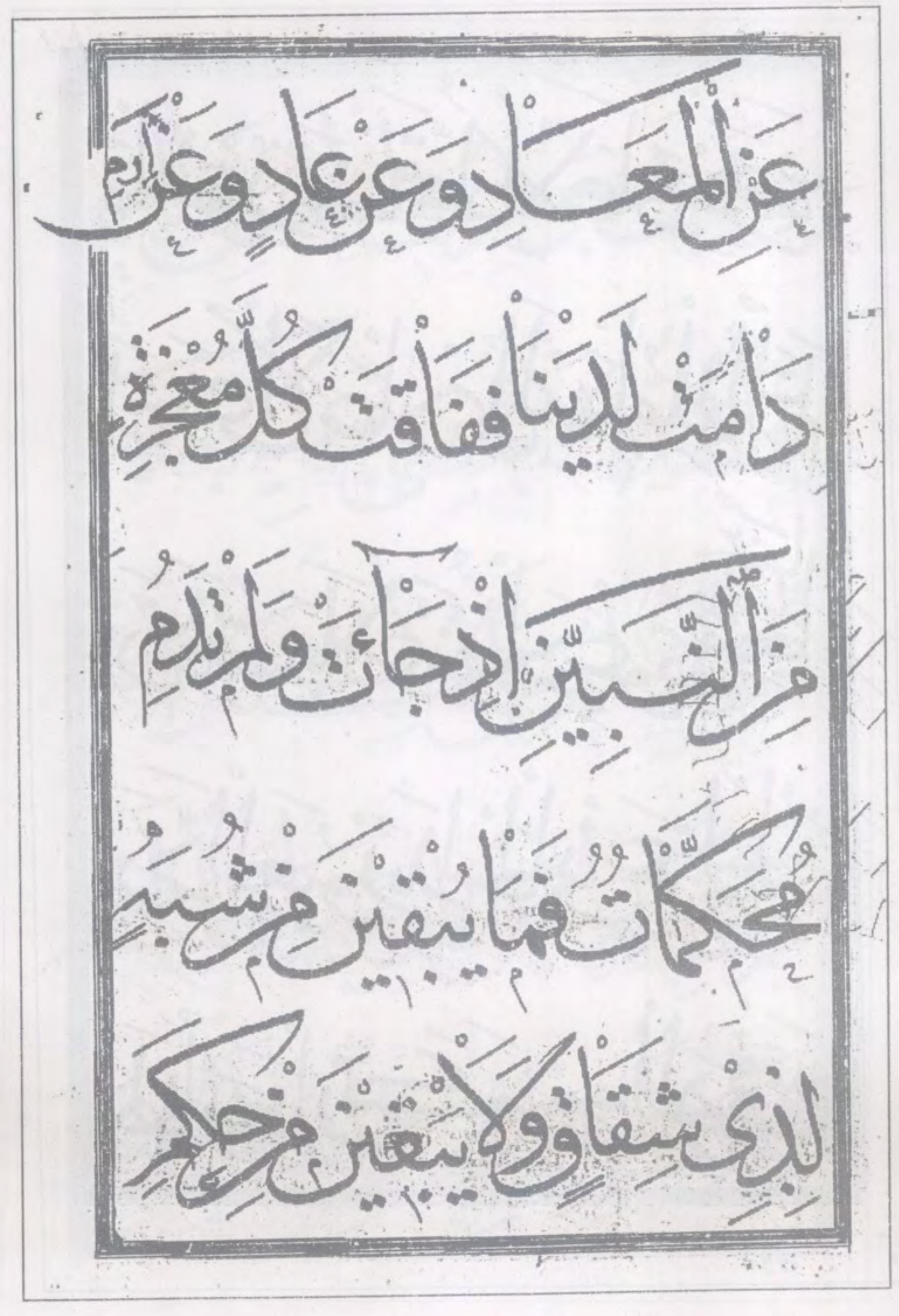
ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

آيات حق من الرحمن محدثة

قديمة صفة الموصوف بالقدم

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا

[٢٠/ب]



عَنِ المَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إرَمِ

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ

لِذِي شِقَاقٍ وَلَا يَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

[٢١/أ]



مَا حُورِبَتْ قطُّ الا عَادَ مِنْ حَرَبِ

أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

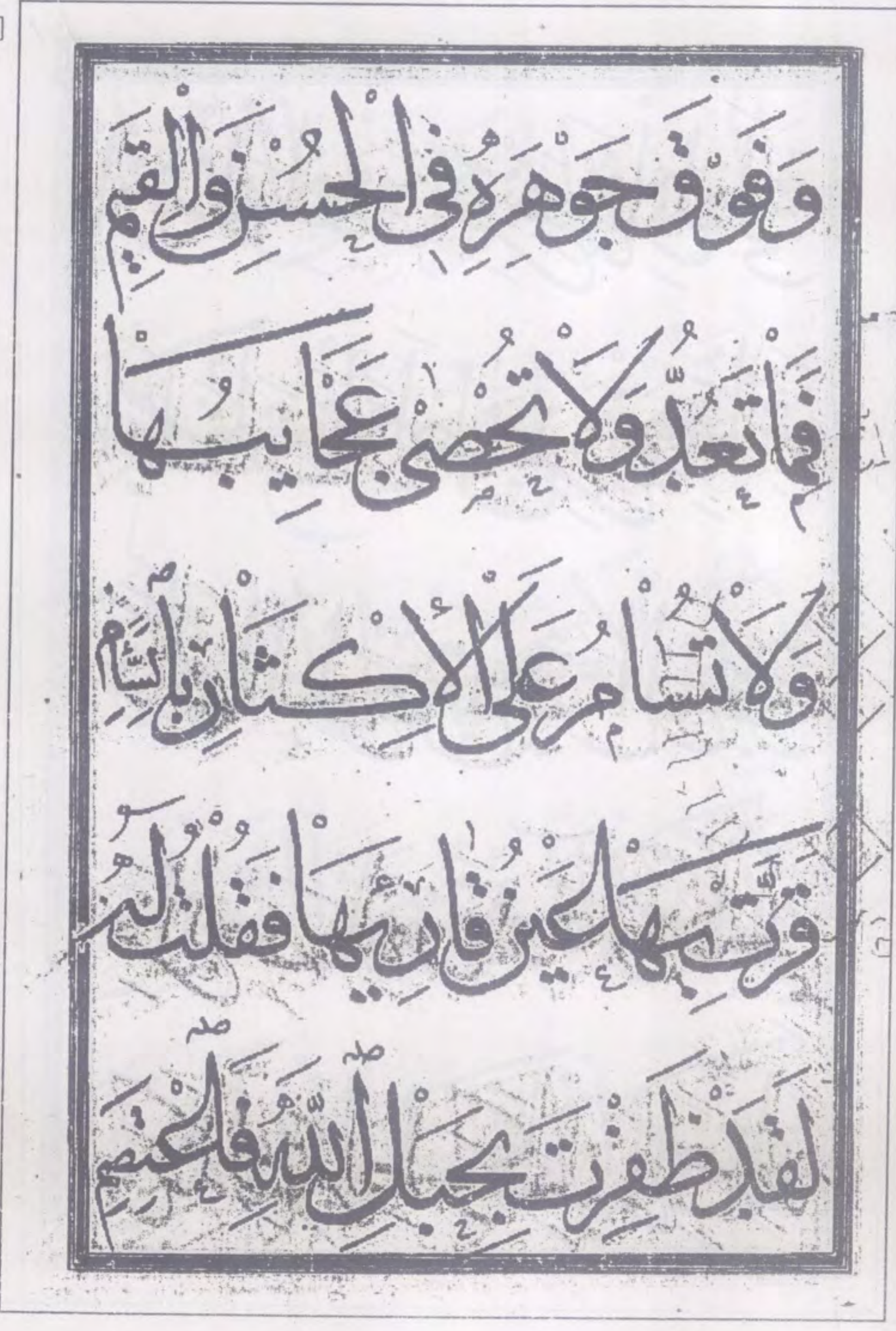
رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا

رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ

وفوق

[٢١/ب]



وفوق جوهره في الحسن والقيم

فما تعد ولا تحصى عجائبها

ولا تسام على الإكثار بالسأم

قرت بها عين قاريها فقلت له

لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

[٢٢/أ]



إنْ تَلْقَها خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى

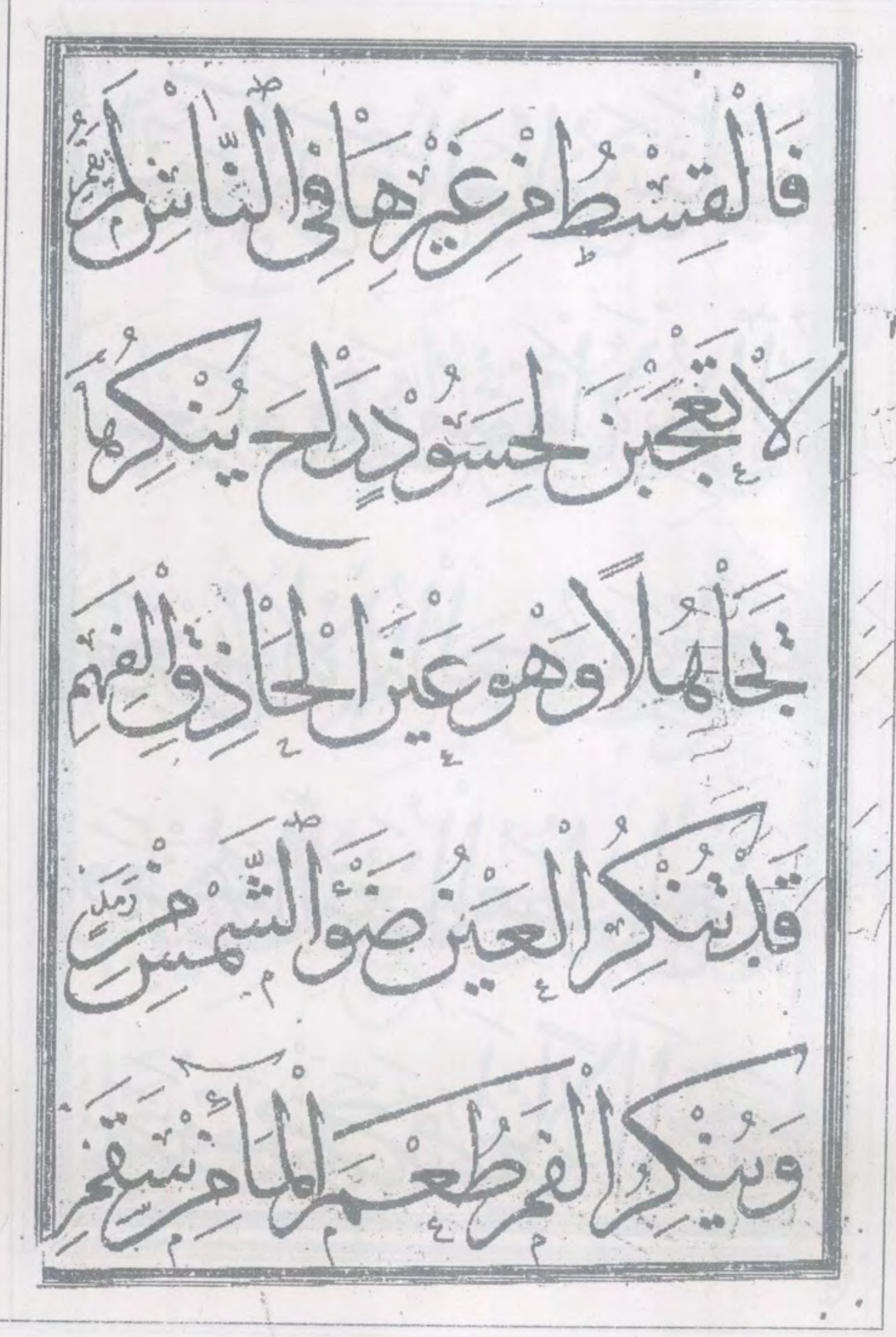
أَطْفَأْتَ نَارَ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ

مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالحُمَمِ

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالمِيزَانِ مَنْزِلَةً (معدلة صح)

[٢٢/ب]


فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

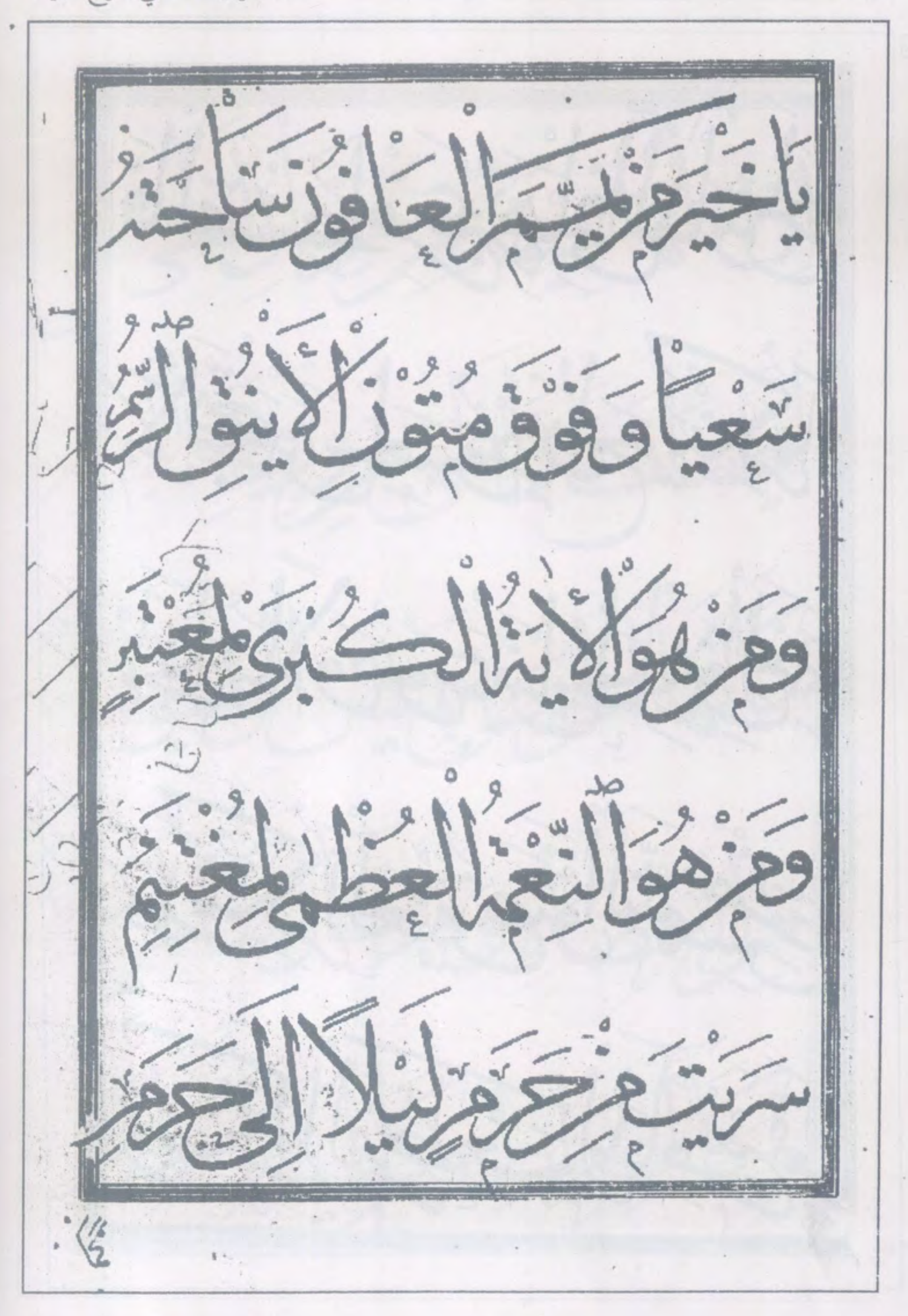
لَا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا

تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

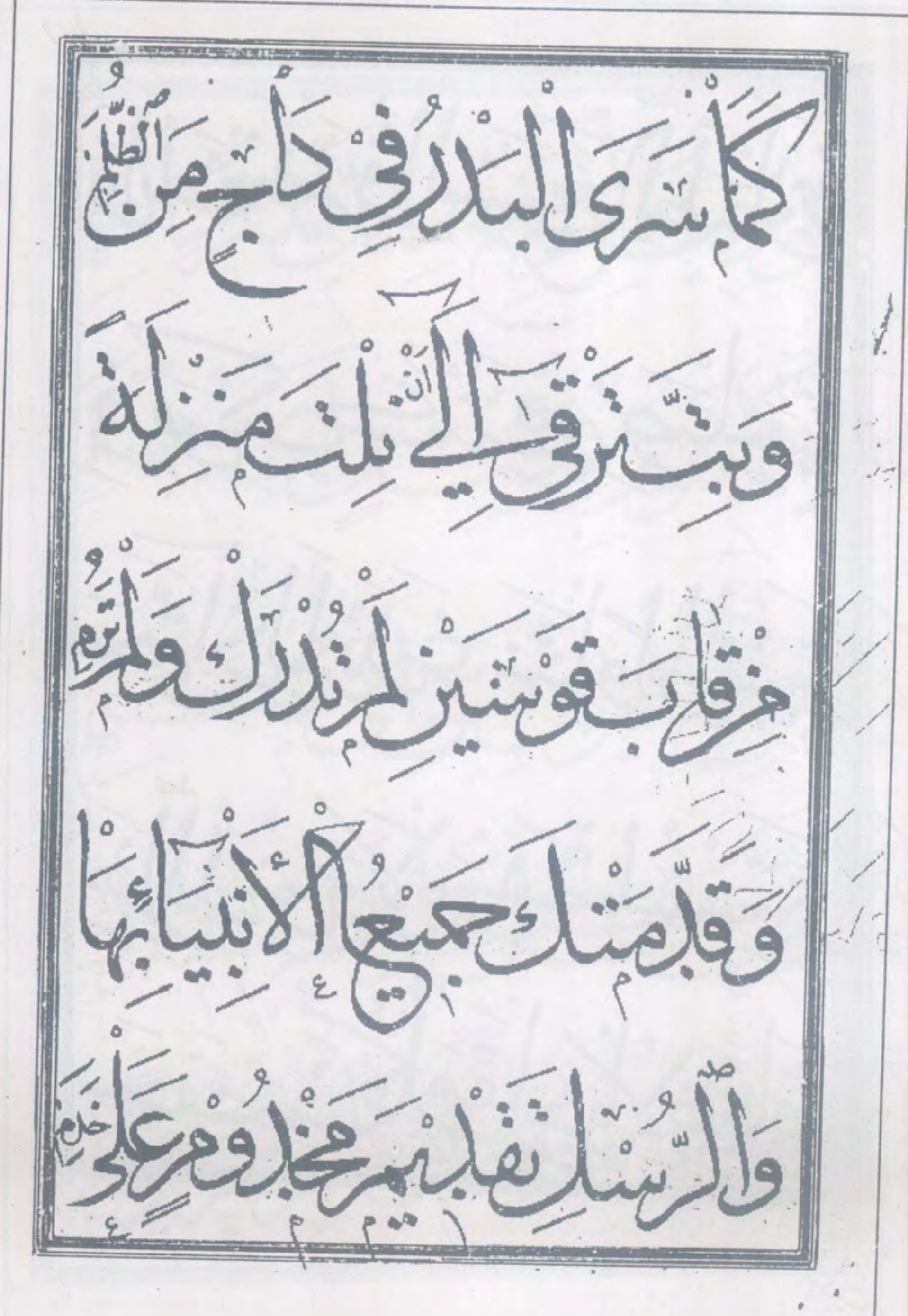
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

[٢٣/أ]


يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ
وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ

[٢٣/ب]



كما سرى البدر في داجٍ من الظُّلَمِ

وبتّ ترقى إلى أن نلت منزلةً

من قاب قوسين لم تُدرَك ولم تُرَمِ

وقدّمتك جميع الأنبياء بها

والرُّسْل تقديم مخدومٍ على خَدَمِ

[٢٤/أ]



وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ

فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

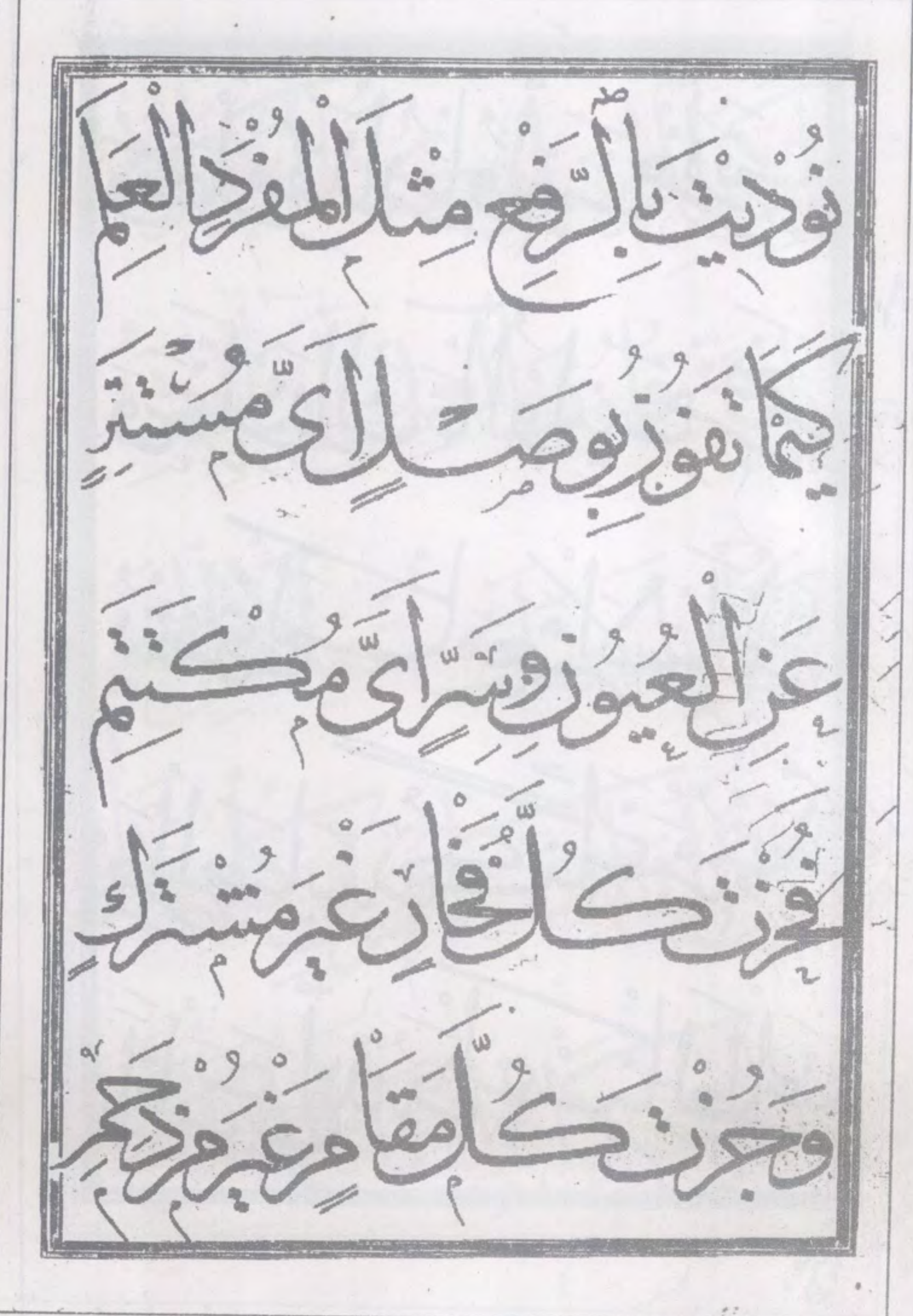
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْوًا لِمُسْتَبِقٍ

مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

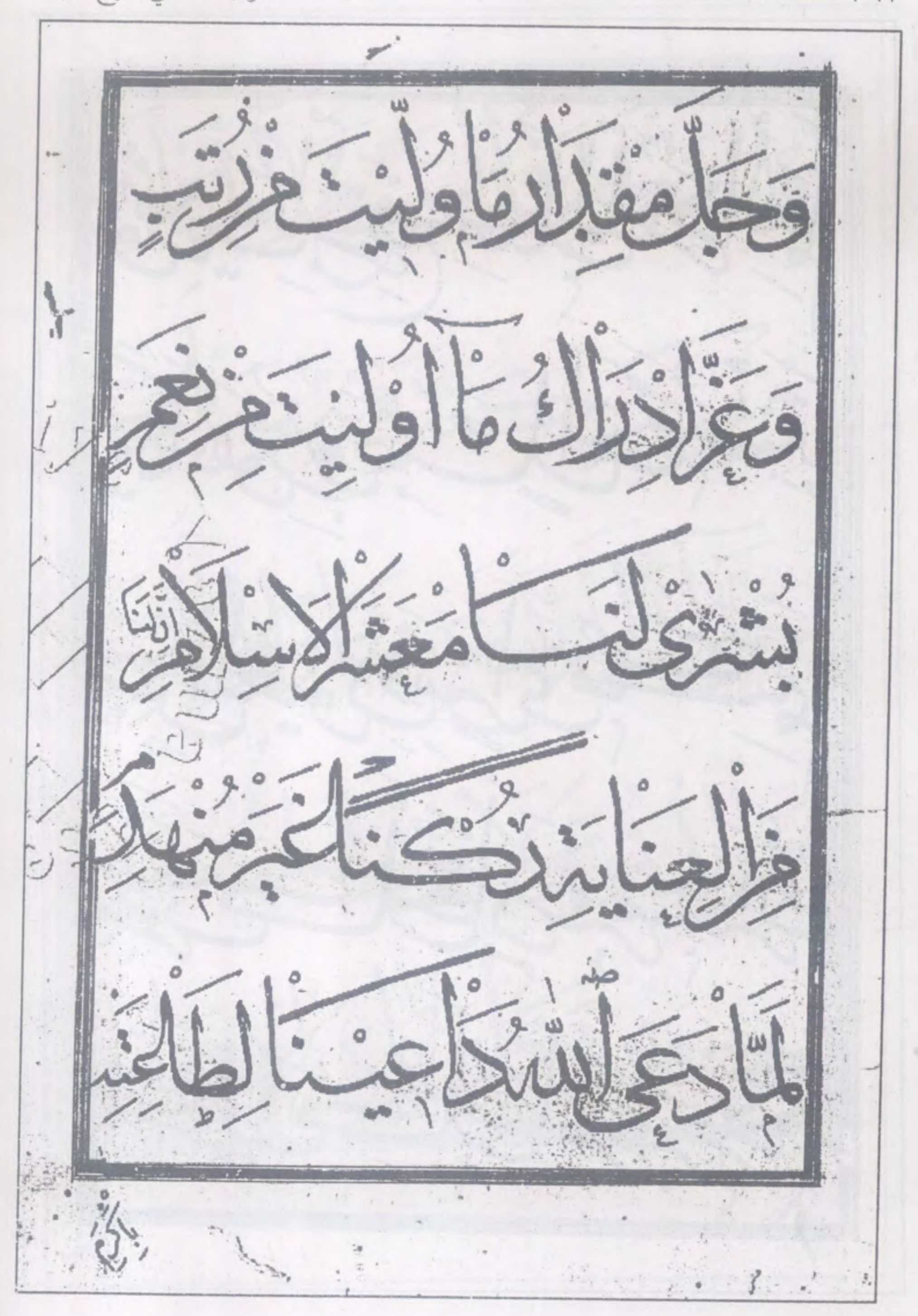
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ

نُودِيتَ

[٢٤/ب]


نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ
عَنِ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ
فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمِ

[٢٥/أ]



وجلّ مقدار ما وُلّيت من رتب

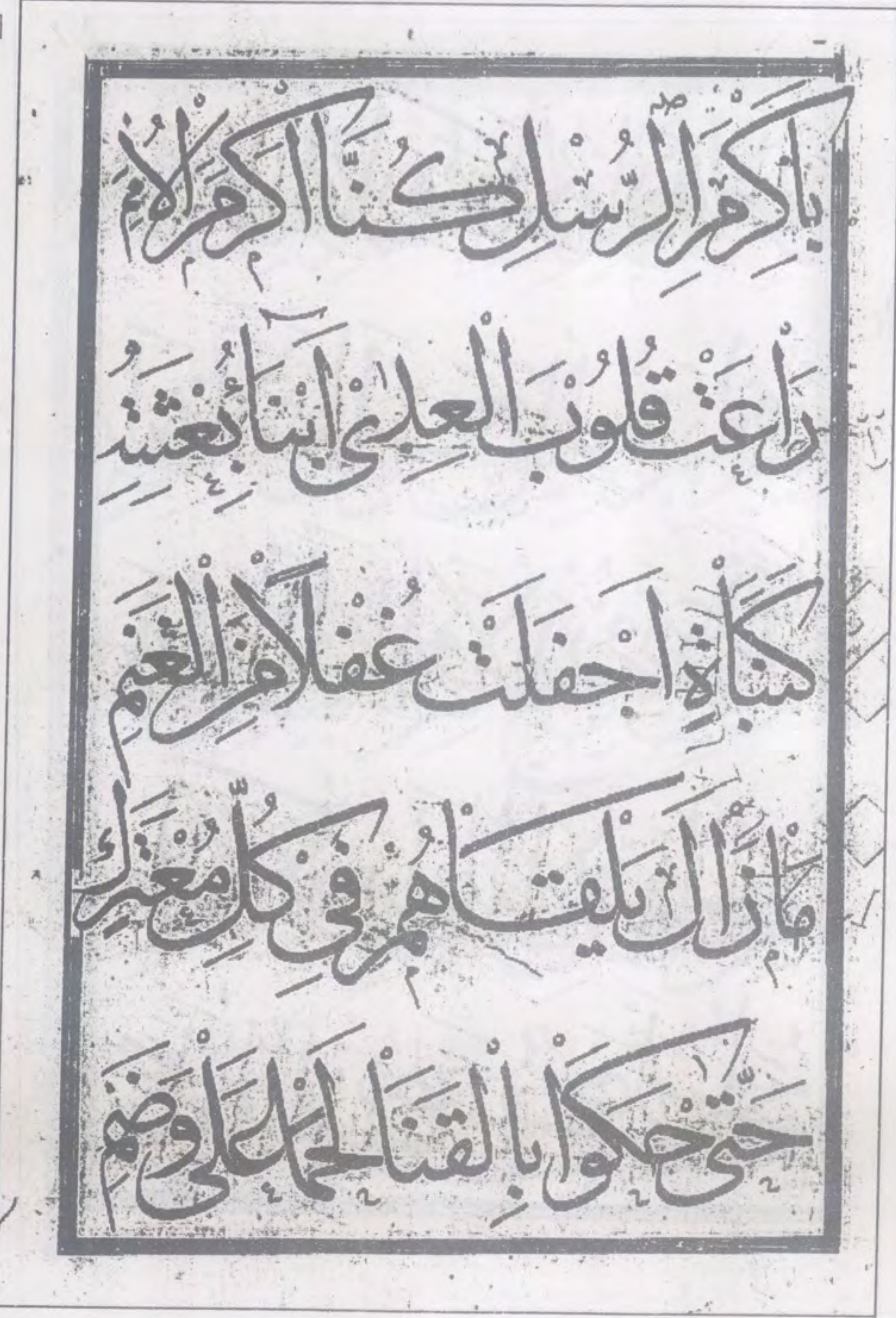
وعزّ إدراك ما أُوليت من نعم

بشرى لنا معشر الإسلام إنّ لنا

من العناية ركناً غير منهدم

لمّا دعى الله داعينا لطاعته

[٢٥/ب]



بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

راعت قلوب العدى أنباء بعثته

كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

ما زال يلقاهم في كل معترك

حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

[٢٦/أ]

وَدّوا الفِرارَ فَكادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ

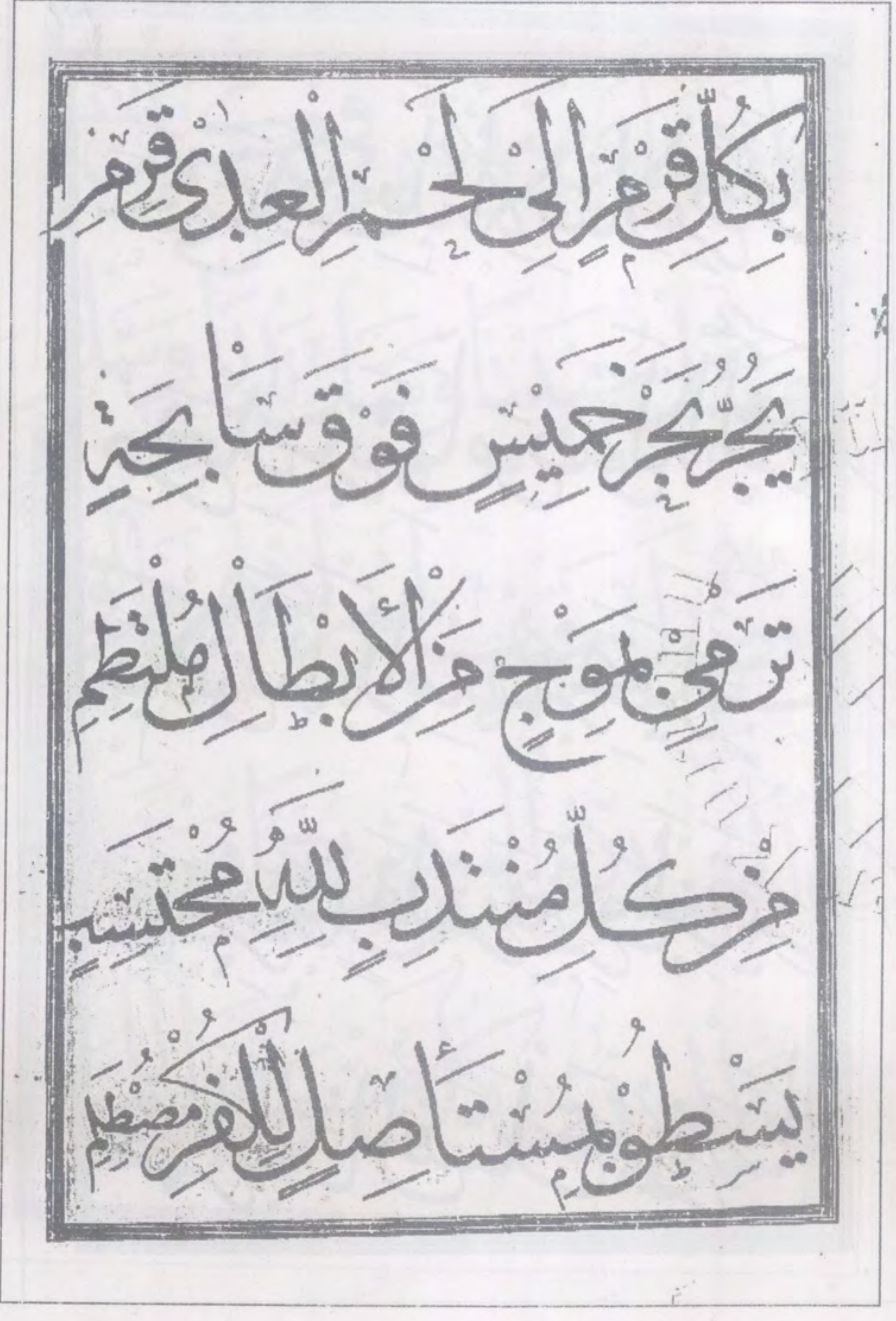
أَشْلاءَ شالَتْ مَعَ العِقْبانِ وَالرَّخَمِ

تَمْضي اللّيالي وَلا يَدْرُونَ عِدَّتَها

ما لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيالي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

كَأَنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ

[٢٦/ب]


بكلّ قرمٍ إلى لحم العدى قرمِ
يجرّ بحر خميسٍ فوق سابحةٍ
ترمي بموجٍ من الأبطال ملتطمِ
من كلّ منتدبٍ لله محتسبٍ
يسطو بمستأصلٍ للكفر مصطلمِ

[٢٧/أ]



حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم

من بعد غربتها موصولة الرحم

مكفولة ابدا منهم بخير اب

وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم

[٢٧/ب]


ماذا رأى منهم في كل مصطدم
وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا
فصول حتف لهم أدهى من الوخم
المصدري البيض حمرا بعد ما وردت
من العدى كل مسودّ من اللمم

[٢٨/أ]



وَالْكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ

أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ

وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ

[٢٨/ب]



فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي

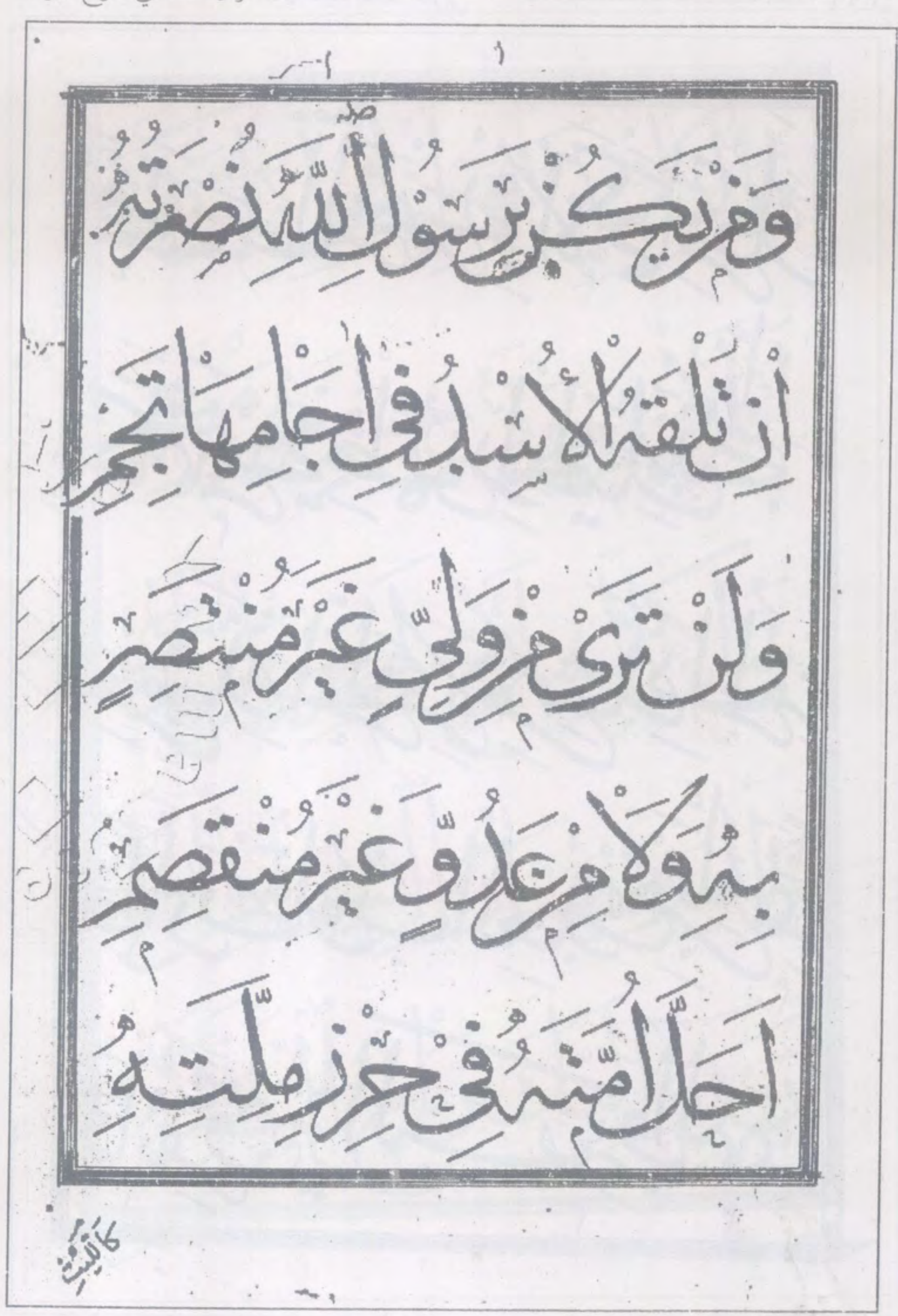
كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا

من شدة الحزم لا من شدة الحزم

طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا

فما تفرق بين البهم والبهم

[٢٩/أ]



وَمَنْ يَكُنْ بِرَسُولِ اللّٰهِ نُصْرَتُهُ

إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ

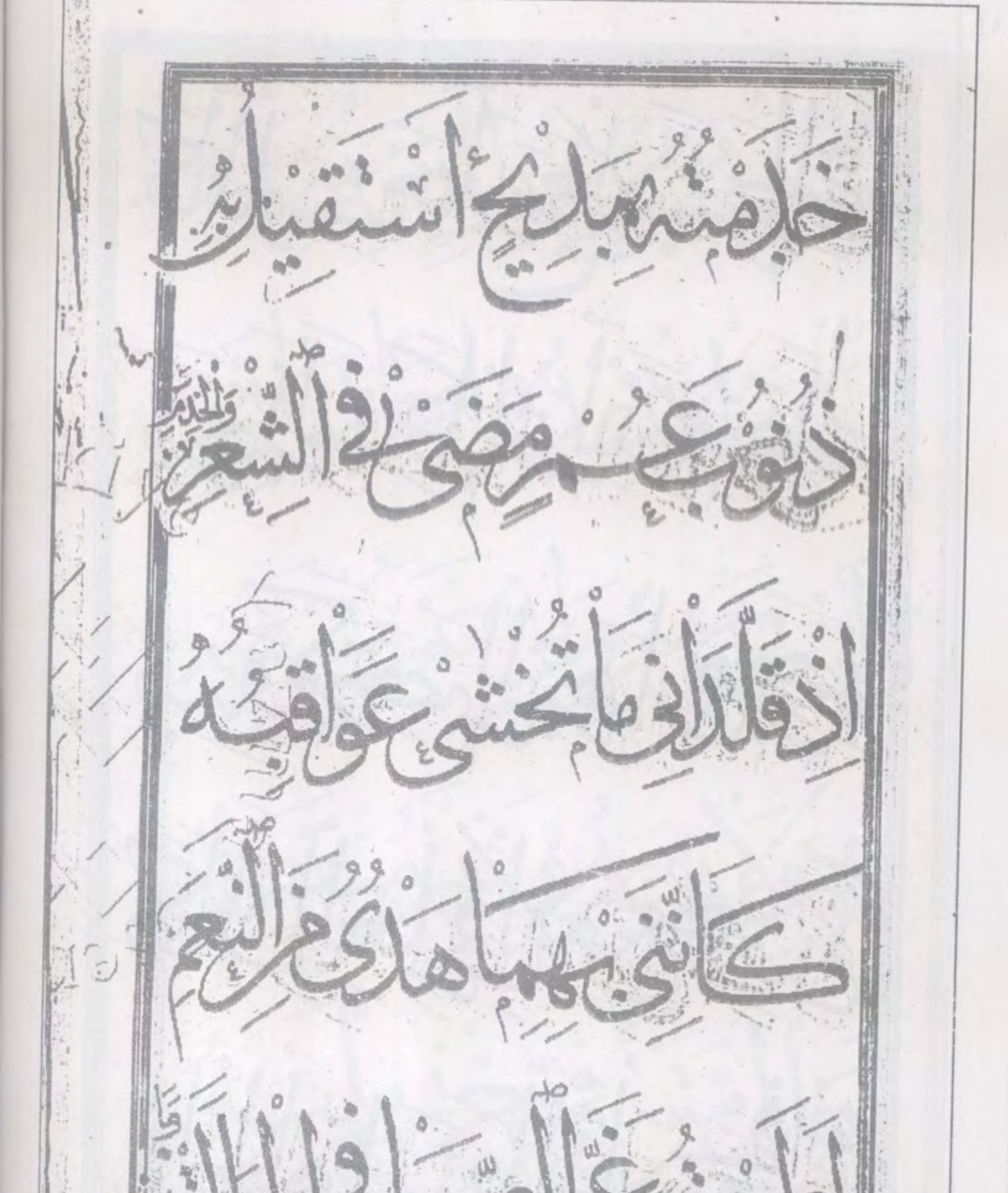
بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ

[٢٩/ب]


كالليث حلّ مع الأشبال في أجمِ
كم جدّلت كلمات الله من جدلٍ
فيه وكم خصم البرهان من خصمِ
كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتمِ

[٣٠/أ]



خدمته بمديح استقيل به

ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

اذ قلدانى ما تخشى عواقبه

كاننى بهما هدى من النعم

اطعت غى الصبا فى الحالتين وما

[٣٠/ب]



حصلت إلا على الآثام والندم

فيا خسارة نفس في تجارتها

لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

ومن يبع آجلا منه بعاجله

يبن له الغبن في بيع وفي سلم

[٣١/أ]



إن آتِ ذنباً فما عهدي بمنتقضٍ
من النبيّ ولا حبلي بمنصرمِ
فإنّ لي ذمّةً منه بتسميتي
محمّداً وهو أوفى الخلق بالذممِ
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي

فضلاً

[٣١/ب]



فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

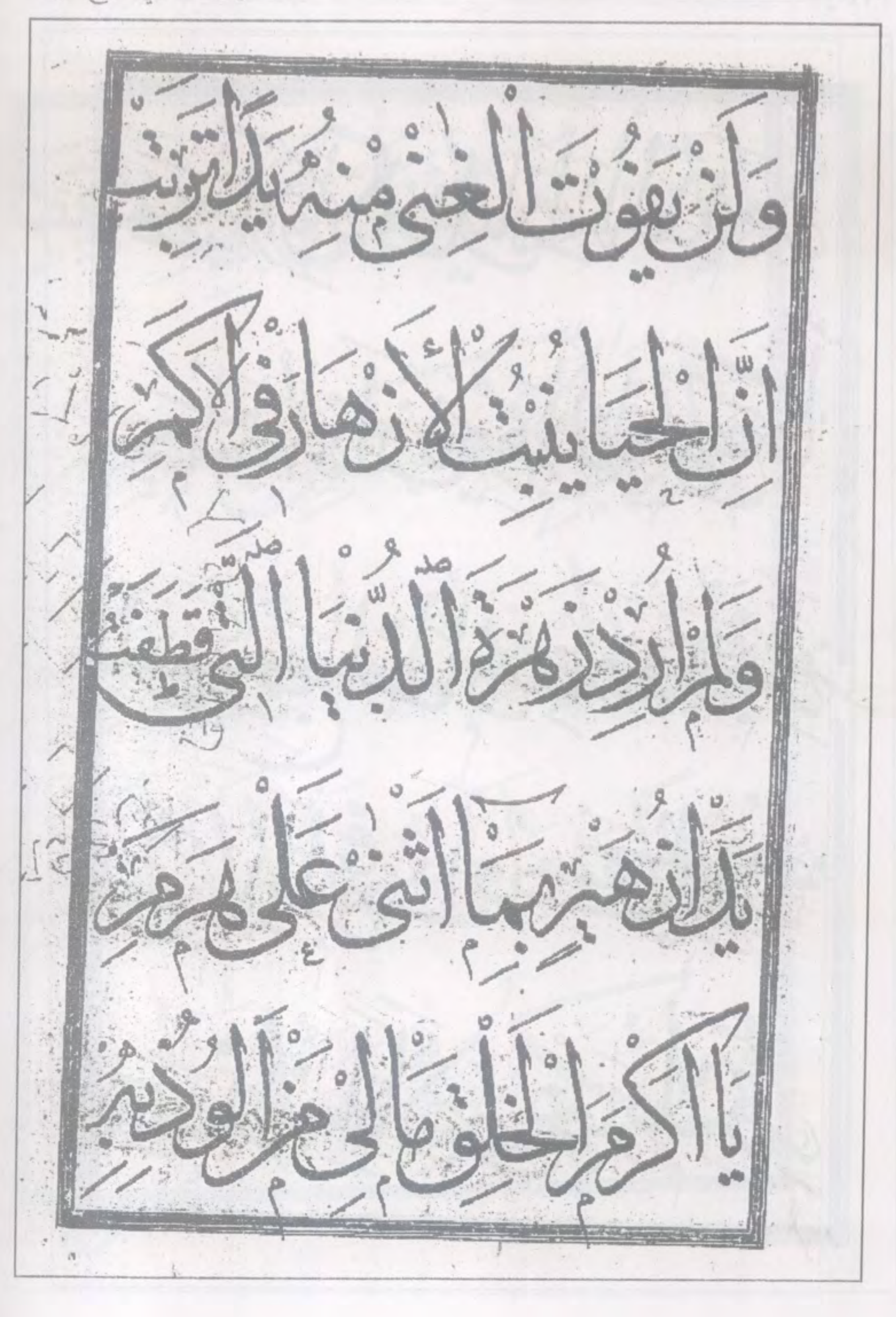
حَاشَاهُ أَنْ يُحْرَمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِخَلاَصِي خَيْرَ مُلْتَزَمِ

[٣٢/أ]



ولن يفوت الغنى منه يدا تربت

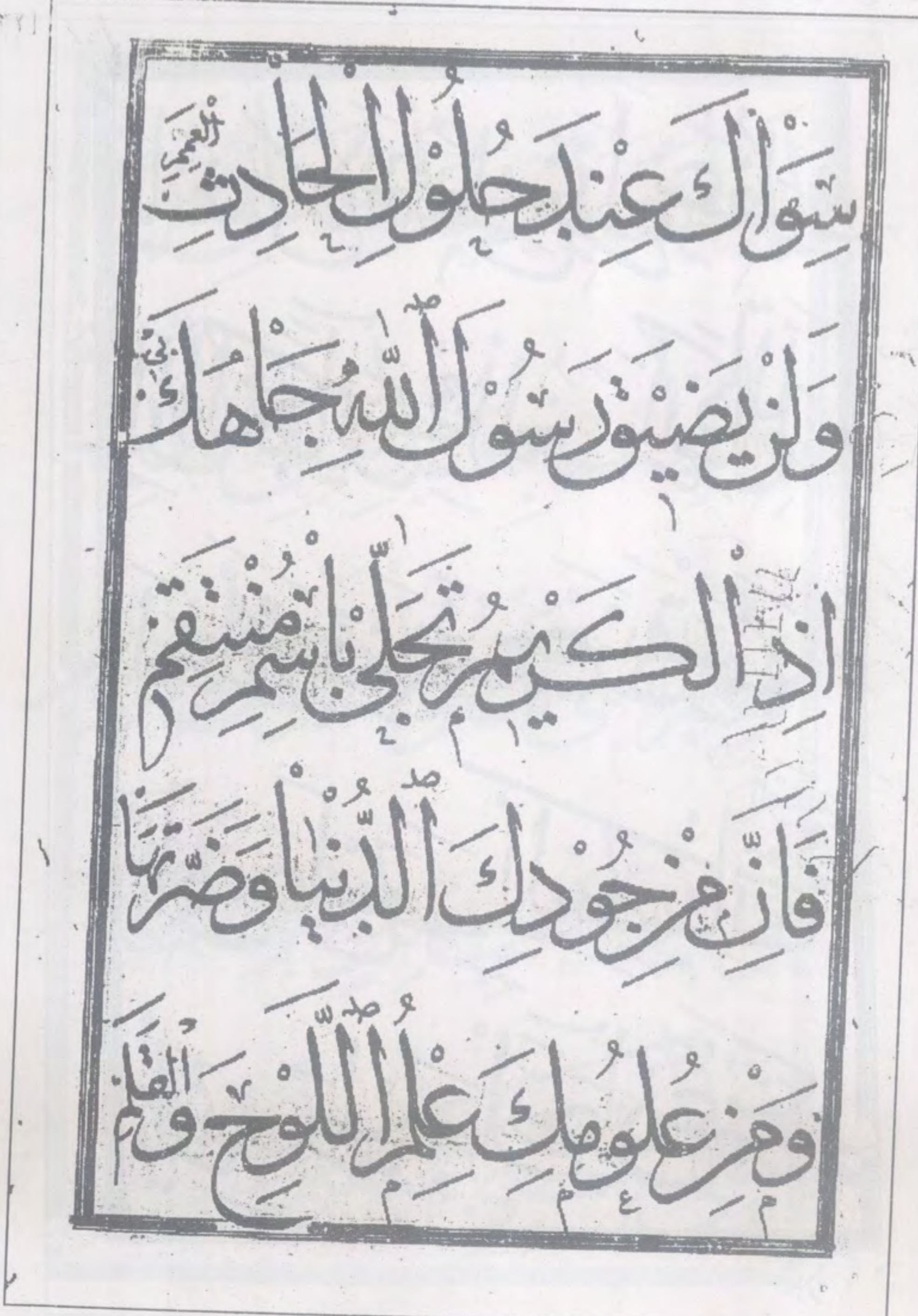
ان الحيا ينبت الازهار في الاكم

ولم ارد زهرة الدنيا التي قطفت

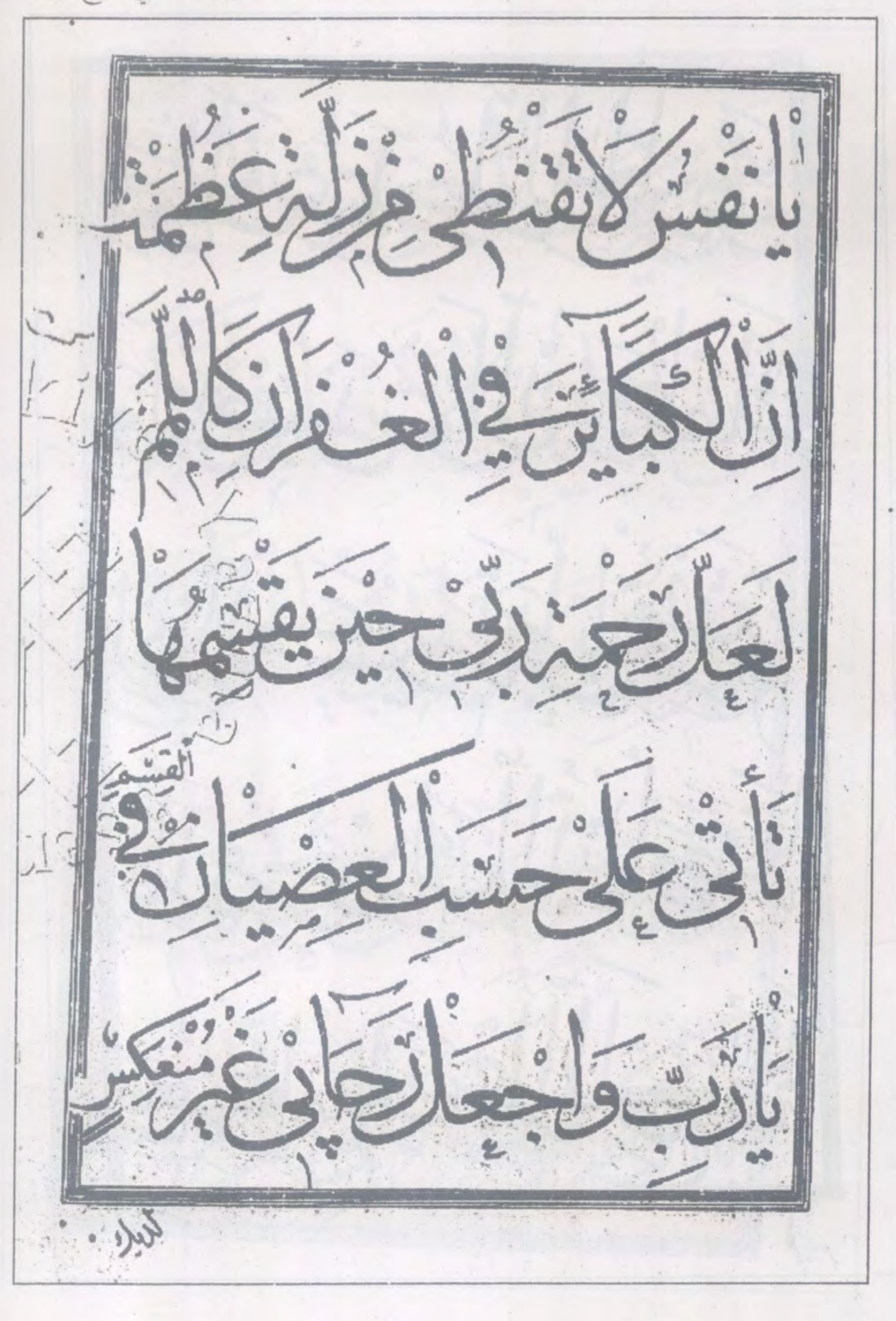
يدا زهير بما اثنى على هرم

يا اكرم الخلق ما لي من الوذ به

[٣٢/ب]


سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللّٰهِ جَاهُكَ بِي
إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

[٣٣/أ]


يا نفسُ لا تقنطي من زلّةٍ عظُمتْ

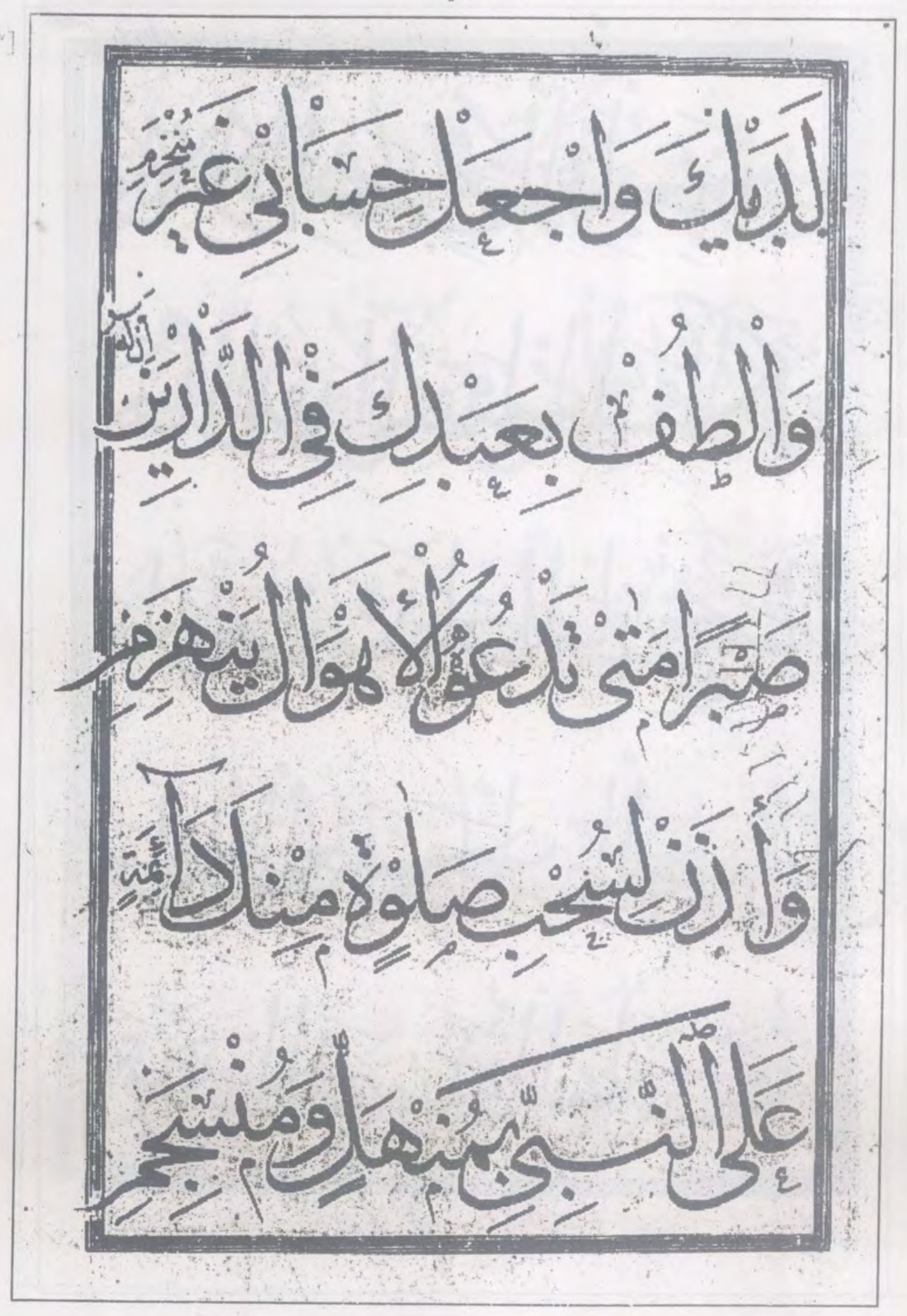
إنّ الكبائرَ في الغفرانِ كاللَّممِ

لعلّ رحمةَ ربّي حين يقسِمُها

تأتي على حسَبِ العصيانِ في القسَمِ

يا ربِّ واجعلْ رجائي غيرَ منعكسٍ

لديك



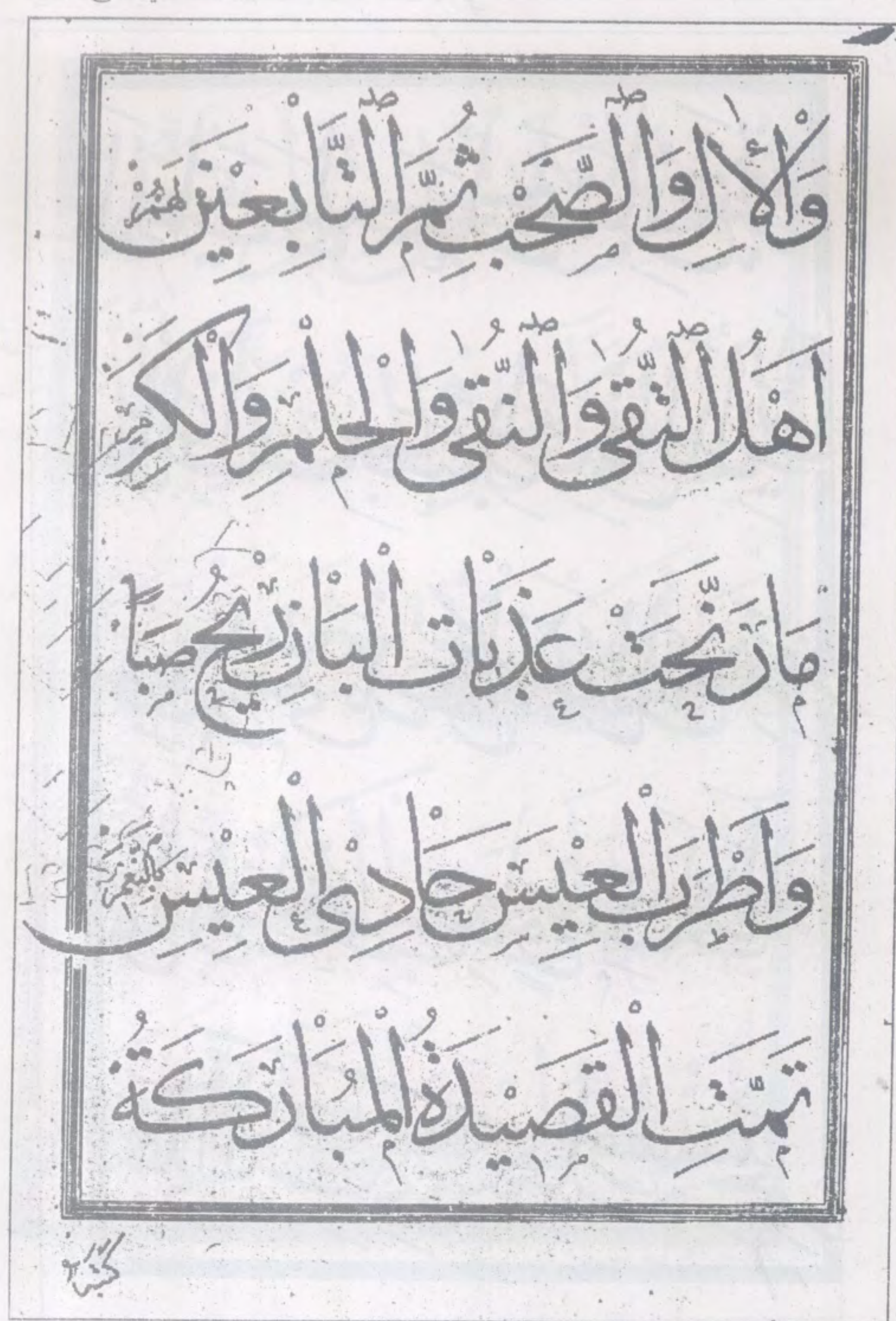
لديك واجعل حسابي غير منخرم

والطف بعبدك في الدارين إن له

صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم

وأذن لسحب صلوة منك دائمة

على النبي بمنهل ومنسجم



والآلِ والصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ

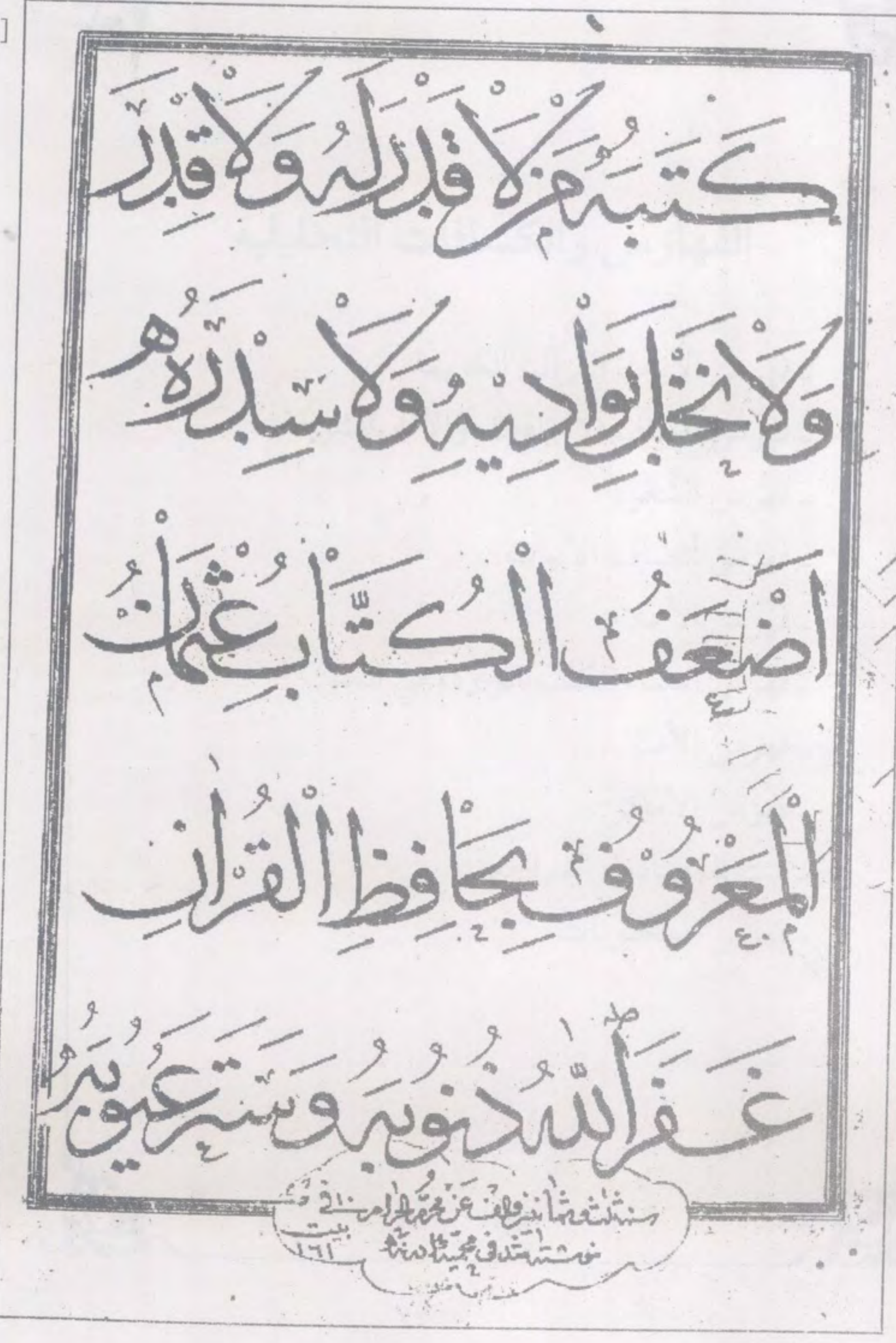
أَهْلِ التُّقَى والنُّقَى والحِلْمِ والكَرَمِ

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبًا

وأَطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بِالنَّغَمِ

تَمَّتِ القَصِيدَةُ المُبَارَكَةُ

[٣٤/ب]



كتبه من لا قدر له ولا قدرة
ولا نخل بواديه ولا سدره
أضعف الكتّاب عثمان
المعروف بحافظ القرآن
غفر الله ذنوبه وستر عيوبه




الفهارس والكشّافات التحليلية




فهرس الآيات القرآنيّة الكريمة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	١١٨
الأنفال		
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	٢١٠
التوبة		
﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾	٥	٢٧٢
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	٢٢١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	٢٢١
يونس		
﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾	٥	١٨٤
﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾	٥	٢٥٣
يوسف		
﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾	٥٣	١٣٢
﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾	٨٢	١٩٩
﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾	١٠٠	١٨٥
النحل		
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٤٩	٢٠٣
الإسراء		
﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾	١	٢٥٧
﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾	٨٨	٢٤١
طه		
﴿ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	١٣٠
﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾	٢٥-٢٦	١٣٦
﴿فِى جُذُوعِ﴾	٧١	٢٨٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
الحديد		
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾	٣	١٦٢
الحشر		
﴿ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾	٢٤	١٦٢
الملك		
﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾	٥	٢٠٨
القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٨٧
النازعات		
﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ﴾	١	٢٤٦
﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾	٤١	١٦٩
التكوير		
﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾	١٤	٢٨٧
﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾	٢٤	٢٢٩
الفجر		
﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾	٢٧-٢٨	١٣٢
الشمس		
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾	٥	٢٢٠
الضحى		
﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾	٨	١٥٥
الفيل		
﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾	٣-٤	٢٠٩

فهرس أطراف الأحاديث والآثار الشريفة

طرف الحديث أو الأثر	الراوي أو القائل	الصفحة
«أخَذَ رَسول الله ﷺ كَفًّا مِن حَصًى فسَبَّحنَ في يَدِهِ ثمَّ صَبَّهنَّ في يَدِ أبي بَكر فسَبَّحنَ. ثمَّ في أيدِينا فما سَبَّحنَ»	أنس	٢١٢
«أدَّبَني رَبِّي فأحسَنَ تَأدِيبِي»	ـــــــ	٢٨٨
«إذا تكلَّمَ رئيَ كالنّورِ يَخرج مِن بينِ ثَناياه»	ـــــــ	١٩٢
«إذا ضَحِكَ افترَّ عَن مِثلِ سَنَى البَرق»	ـــــــ	١٩٢
«أعِنّي على نَفسِكَ بِكَثرةِ السّجود»	ـــــــ	٢١٦
«الحَبّةِ في حَمِيلِ السَّيل»	ـــــــ	٢٨٣
«النّاس نِيامٌ فإذا ماتوا انتَبهوا»	(علي بن أبي طالب)	١٨٣
«إنَّ أحَدَكم يجمَع خَلقه في بَطنِ أمِّهِ»	ـــــــ	١٦٢
«إنَّ الله لا يَنظر إلى صوَرِكم ولا إلى أجسامِكم، إنَّما يَنظر إلى قلوبِكم وأعمالِكم»	ـــــــ	١٨٨
«أنَّ النّاسَ يَدخلونَ الجَنّةَ فيَبقى العلَماء، فيَسألونَ الدّخول. فيَقول لَهم الله تَعالى : أنتم عِندي كمَلائِكَتِي، اشفَعوا ثمَّ ادخلوا»	ـــــــ	١٦٤
«أنَّ امرَأةً جاءَت له ﷺ بابن لَها بِهِ جنونٌ فمَسَحَ بِيَدِهِ المبارَكةِ صَدرَه فتَعَّ تَعّةً؛ أي: قاءَ خَرَجَ مِن جَوفِهِ مِثل الجِروِ الأسوَد»	ـــــــ	٢٣١
«أنَّ أهلَ مَكّةَ سَألوا رَسولَ الله ﷺ آيةً فأراهم انشِقاقَ القَمَر»	أنس وابن عَبّاس وابن مَسعود	٢١٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي أو القائل	الصفحة
«أنَّ سَقفَها عَرش الرَّحمَن»	ـــــ	١٩٤
«أنَّ شرَحبيلَ الجعفيَّ كانَ بِكَفِّهِ سَلعةٌ تَمنَعه القَبضَ على السَّيفِ وعِنانِ الدّابّة. فشَكاها لِلنَّبيِّ ﷺ، فما زالَ يَطحَنها بِكَفِّهِ حَتَّى لَم يَبقَ لَها أثَر ثمَّ»	ـــــ	٢٣١
«إنَّ فيكَ لَخَصلَتَين يحبّهما الله ورَسوله: الحِلم والأناة. فقالَ: يا رَسولَ الله، أنا أتخَلَّق بِهما أمِ الله جَبَلَني عَليهِما؟ فقال: بَلِ الله جَبَلَكَ عَليهِما»	ـــــ	١٦٨
«إنَّ محمَّداً يعطِي عَطاءَ مَن لا يَخشَى الفَقرَ»	ـــــ	١٨٨
«أنّه لَم يَقم اللَّيلَ كلَّه»	عائِشة	١٥٣
«حبّكَ لِلشَّيءِ يعمِي ويصِمّ»	ـــــ	١٢٩
«حَسَنات الأبرارِ سَيِّئات المقَرَّبين»	ـــــ	٢٣٠ ٢٨٩
«خَمسٌ لا يَعلَمهنَّ إلّا الله»	ـــــ	٣٠٤
«رَوضَةٌ مِن رِياضِ الجَنّة»	ـــــ	١٩٤
«عَرَضَ عَلَيَّ رَبّي أن يَجعَلَ لي بَطحاءَ مَكّةَ ذَهَباً، فقلت: لا يا رَبِّ، ولَكِن أشبَع يَوماً وأجوع يَوماً»	التِّرمِذيّ	١٥٦
«عَلَّمَني رَبّي لَيلَةَ الإسراءِ علوماً شَتَّى، فعِلمٌ أخَذَ عَلَيَّ كِتمانَه، وعِلمٌ خَيَّرَني فيه، وعِلمٌ أمَرَني بتَبليغِهِ»	ابن عَبّاس	٢٦٣
«فقارِئه لا يَمَلّه وسامِعه لا يَمجّه، الإكباب على تِلاوَتِهِ يَزيده حَلاوةً، وتَردِيده يوجِب له مَحبّةً وطلاوةً»	ـــــ	٢٤٩
«فكلٌّ يَقول: «نَفسي! نَفسِي! وأنّه ﷺ يَقول: أمَّتِي! أمَّتِي!»	ـــــ	٣٠٢
«قامَ رَسول الله ﷺ حَتّى انتَفَخَت قَدَماه فقِيلَ لَه: أتكَلَّف هذا، وقَد غَفَرَ لَكَ الله ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تَأخَّرَ؟ قال: أفَلا أكون عَبداً شَكوراً؟»	المغِيرة بن شعبة	١٥٢

فهرس الشِّعر

صدر البيت	القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	الصفحة
طَرْفِي وقَلبي ذا يسيلُ دماً وذا	بفرحِهْ	الكامل	الظّهير الإربلي	٢	١٢٠
ولا بُدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ في وِصالِهِ	عِنْدَهُ	الطّويل	ابن نُباتة السعدي	١	٢١١
أنحويّ هذا العصرِ ما هي كلمةٌ	وثمودِ	الطّويل	——	٢	٢٧٠
اسمعْ هداكَ اللهُ مـا هيَ كلمةٌ	وثمودِ	الكامل	——	٤	٢٧١
ولَـو أنَّ فِـرْعَـوْنَ لَـمّا طَـغَـى	وزُورا	المتقارب	——	٢	١٤٩
لِـمْ لا انْتَهَيْتَ وقَـدْ ألَمّ نَـذِيْـرُ	سَيَسِيْرُ	الكامل	——	٢	١٣٠
قُـلْتُ يا سَيِّـدِي ولِـمْ تُؤْثِرُ الـ	المُنِيرِ	الخفيف	(سعيد ابن حميد)	٣	٢٥٧ - ٢٥٨
لمّا تدنَّستُ بالتّفريطِ في كِبري	واللعَسِ	البسيط	ابن عصفور	٢	١٣٦ - ١٣٧
وإنّي لأرْجُـو اللهَ حَـتَّى كَـأنَّنِي	صانِعُ	الطّويل	(ابن وهيب الحميري)	١	٣٠٦
للهِ مَنْ قَـلْبُهُ في الحُبِّ مـرتهنٌ	مشغولُ	البسيط	——	٢	١٥٣
لَـمّا رَأيْتُ المَشِيبَ في الشَّعْرِ الـ	وا حَزَني	المنسرح	قَمَر الدَّوْلة	٢	١٣٠

فهرس أنصاف الأبيات

* * *

فهرس الأعلام

فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن

* * *

فهرس الأمثال

* * *

فهرس الأماكن

* * *

المصادر والمراجع

أ ـ باللّغة العربيّة:

١- أدب الدّنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ، تحقيق: علي محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣- أسد الغابة في معرفة الصّحابة لابن الأثير، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٤- الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ت.

٥- إظهار الأسرار للإمام محمد بن بير علي البِركَوِي، (نشر الدكتور نوزاد حافظ يانيق والدكتور محمد سعدي جُوكَنْلي)، أرضروم، ١٩٩٨م.

٦- إظهار صدق المودّة في شرح البُردة، لمحمد بن أحمد بن مرزوق المغربيّ التِّلمساني، المكتبة السليمانيّة، قسم لاله لي برقم ١٨٠٠ (٢ب ـ ٣٨٩ب).

٧- الأعلام لخير الدين الزركلي، بيروت، ١٩٩٠م.

٨- الاقتصاد بشرح البُردة لأخصّ العباد، لحسن فهمي العريف بأوجاقْزاده وابن منلا، إستانبول، ١٣٢٩هـ.

٩- الإمام البُوصيريّ وبُردة المديح المبارك، للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم، مجلة آفاق الثقافية والتراث، السنة الخامسة، العدد التاسع عشر، رجب ١٤١٨هـ ـ نوفمبر= تشرين الثاني ١٩٩٧م.

١٠- الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث لخليل إبراهيم قُوتْلايْ، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١١- إنباه الرُّواة على أنباء النُّحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت، ١٩٨٦م.

١٢- إنباء المؤيّد الجليل مراد ببناء بيت الوهّاب الجواد، لمحمّد علي بن علّان، تحقيق: خالد عزام حمد الخالدي، رسالة ماجستير (غير مطبوعة)، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٦-١٤٠٧هـ.

١٣- أوضح المسالك لابن هشام، دار الفكر، بيروت.د.ت.

١٤- البُردة لشرف الدِّين محمد بن سعيد البُوصيري، تحقيق وتعليق: أحمد عبد التوّاب عوض، القاهرة ١٩٩٦م.

١٥- البردة والأعمال التي دارت حولها (فهرسة ١-٢)، تراثنا، نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث، العدد الأول والثاني [٣٨-٣٩]، السنة العاشرة/ محرّم الحرام ـ جمادى الآخرة، ١٤١٥هـ، والعددان الأول والثاني [٤١-٤٢]، السنة الحادية عشرة، محرّم ـ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ، إيران.

١٦- البُوصيري: حياته وشعره لعبد الحليم القبّاني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٧- البُوصيري مادح الرسول الأعظم ﷺ، لعبد العال الحمامصي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٨- بُغية الوُعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د، ت.

١٩- تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، بولاق، مصر، ١٢٩٢هـ.

٢٠- تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، ١٨٧٩-١٨٨١، نشر:

M. J. DE, GOEJE LUGD. BAT. –EJ, BRIL.

٢١- التاريخ والمؤرِّخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، لمحمَّد الحبيب الهيلة، لندن، ١٩٩٤م.

٢٢- التعريفات للسيّد الشّريف الجُرجاني، إستانبول، ١٣١٨هـ.

٢٣- التلطّف في الوصول إلى التعرُّف، لمحمد علي علاّن الصديقي، مصر ١٣٣٠هـ.

٢٤- الجامع الصحيح، للبخاري، إستانبول، ١٩٨٧م.

٢٥- الجامع الصحيح، لمسلم بن الحجاج، إستانبول، ١٩٨١م.

٢٦- الجامع لفنون اللغة العربية والعروض، لعرفان مطرجي، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٧- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين المحبي، بيروت، دار صادر، د، ت.

٢٨- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ صفيّ الدِّين أحمد بن عبد الله الأنصاري الخزرجي، بتقدمة الأستاذ عبد الفتاح أبو غدّة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٢٩- داعي الفلاح في شرح الاقتراح لابن علان، مكتبة السليمانية، قسم أسعد أفندي، تحت رقم ٣٠٦٤.

٣٠- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد علي بن علان، دار الكتاب العربي، بيروت، د، ت.

٣١- ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٥٥م.

٣٢- ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: أحمد محمد الحوفي، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣٣- رَصفُ المباني في شرح حُرُوف المعاني، للإمام أحمد بن عبد النور المالقيّ، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٤- رفع الخصائص عن طلاّب الخصائص، لمحمد علي بن علان الصديقي، مكتبة السليمانية، قسم لاله لي، تحت رقم ١٥٨٣.

٣٥- الرّوْضُ الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السِّيرة النبويّة لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهَيْلي، مطبعة الجماليّة بمصر، ١٣٣٢هـ-١٩١٤م.

٣٦- السنن، لابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، إستانبول، ١٩٨١م.

٣٧- السنن، لأبي داود سليمان بن أشعث بن إسحاق الأزدي، إستانبول، ١٩٨١م.

٣٨- السنن، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، إستانبول، ١٩٨١م.

٣٩- السنن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، إستانبول، ١٩٨١م.

٤٠- السيرة النّبويّة، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحِمَيرِي، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، بيروت، د.ت.

٤١- شرح الألفية، لبهاء الدّين عبد الله بن عقيل، نشر محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، بمصر، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

٤٢- شرح الشفا، لعليّ القاري، دار الطباعة العامرة، إستانبول، ١٣٠٧هـ.

٤٣- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري النحوي، بشرح محمد محيي الدّين عبد الحميد، مصر، ١٩٥٩م.

٤٤- الشّفا في حقوق المصطفى، للقاضي عياض، إستانبول، ١٣٠٤هـ.

٤٥- شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، للدكتور جودت فخر الدين، بيروت، ١٩٨٤م.

٤٦- الشمائل المحمدية، لمحمّد بن عيسى الترمذي، تحقيق: سيد بن عباس الحليمي، بيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٧- ضياء السَّبيل إلى معالم التنزيل، لمحمد علي بن علّان الصديقي، مكتبة السليمانيّة، قسم يازمه بَاغِشْلَرْ تحت رقم ١٨٧٥/ ١-٢.

٤٨- طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السُلّمي، تحقيق: نور الدين شُريْبة، حلب ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٩- الطريقة النقشبندية وأعلامها، لمحمد أحمد درنيقة، طرابلس، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٥٠- عصيدة الشُهدة شرح قصيدة البُرْدة، لعمر بن أحمد الخربوطي، دار الطباعة بمصر، ١٢٧١هـ.

٥١- عِلمُ العروض والقافية، لعبد العزيز عتيق، بيروت، ١٩٨٥م.

٥٢- الفتوحات الرّبانية على الأذكار النوويّة، لمحمد علي بن محمد علان الصّديقي، المكتبة الإسلامية، د.ت.
٥٣- فضل ماء زمزم وذكر تاريخه وأسمائه وخصائصه وبركاته ونيّة شربه والاستشفاء به وجملة من الأشعار في مدحه، لسائد بَكْدَاش، مكة المكرمة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٥٤- فنُّ التقطيع الشِّعريّ والقافية، لصفا خلُوصي، بغداد، ١٩٧٧م.
٥٥- فهرس الفهارس ومُعجم المعاجم والمشيخات والمُسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتّاني، باعتناء: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٥٦- الفيض المقسوم على المختصر المرقوم، لمحمد علي بن علاّن الصديقي، مكتبة الحرم المكيّ الشريف، تصوّف ٢٣٥٢.
٥٧- قصيدة «بانت سُعاد» لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، للدكتور السيّد إبراهيم محمد، بيروت، ١٩٨٦م.
٥٨- كتاب فقه اللغة، لأبي منصور بن إسماعيل الثعالبي النّيسابوري، بيروت، ١٨٨٥م.
٥٩- كتاب الكافي في العروض القوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق: الحَسَّاني حسن عبد الله بيروت، د.ت.
٦٠- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مصر، ١٣٩٢م-١٩٧٢م.
٦١- كشف الخفاء، لإسماعيل بن محمد العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٥١هـ.
٦٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لكاتب لبي، إستانبول، ١٩٤١م.
٦٣- مُثير شوق الأنام إلى حج بيت الله الحرام، لمحمد علاّن بن عبد الملك، مكتبة السليمانية، قسم شهيد علي اشا، تحت رقم ١٥٠٤.
٦٤- المثَلُ السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٩٥م.

٦٥- المدارس النّحوية، لشوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الرّابعة، القاهرة، ١٩٧٩م.

٦٦- المدح النّبويّ بين الغلوّ والإنصاف، للسيد محمد بن علوي الحسني المالكي، القاهرة، د.ت.

٦٧- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النّيسابوري الميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، بمصر، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

٦٨- المختصر المرقوم، لابن علاّن، مكتبة الحرم المكي الشريف، عام ٢٣٥٢.

٦٩- المختصر من كتاب نشر النّور والزّهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، لأبي الخير عبد الله مرداد، اختصار: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، مكتبة عالم المعرفة، جدّة، ١٣٠٦هـ -١٩٨٦م.

٧٠- الطيف الطائف بفضل الطائف لابن علاّن، لصالح بن سليمان الحجي، مجلّة عالم الكتب، المجلّد الرابع، الرياض، ١٩٨٤م، ص ٥٥١-٥٥٣.

٧١- المدائح النبويّة، لزكي مبارك، القاهرة، د.ت.

٧٢- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، للدكتور محمود سالم محمد، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م.

٧٣- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، للدكتورة سعاد ماهر محمد، القاهرة، ١٩٧١- ١٩٨٣م.

٧٤- مسند أحمد بن حنبل، إستانبول، ١٩٨١م.

٧٥- مشارق الأنوار المضيّة شرح الكواكب الدرية، لأحمد بن محمد القسطلاني، مكتبة بايزيد بإستانبول، تحت رقم ٣٥٣٩.

٧٦- المصباح المنير لأحمد الفيومي، بيروت، ١٩٨٧م.

٧٧- مضمون المدحة النبوية زمن البعثة، لأحمد محمد النجار، دار القرآن للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧٨- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٧٩- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، لعمر رضا كحالة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٨٠- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دمشق، ١٩٦١م.

٨١- معجم مؤلّفي مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف، لعبدالله بن عبد الرحمن المُعَلّمي، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٨٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، لأحمد مطلوب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٦م.

٨٣- معجم المصطلحات النحوية والصّرفية، للدكتور محمد سمير نجيب اللّبدي، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٨٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لمجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٨٥- معجم النحو، لعبد الغني الدقر، قهرمان ياينلري، إستانبول، ١٩٨٧م.

٨٦- معجم شواهد العربية، لعبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٩٢هـ-١٩٨٢م.

٨٧- المعجم المُفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٣٦٤هـ.

٨٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. نشره الدكتور أ. ي. ونسنك، مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦م.

٨٩- المُعرَّب من الكلام الأعجمي، لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، تعليق: خليل عمران المنصور، بيروت، ١٩٩٨م.

٩٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، ١٩٩٥م.

٩١- مفتاح البلاد في فضائل الغزو والجهاد، لمحمد علي بن عبد الملك، مكتبة السليمانيّة، قسم آياصوفيا تحت رقم ٩٣٣.

٩٢- المفردات، لأبي القاسم الحسين بن محمد الرّاغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

٩٣- المقاصد الحسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، تصحيح وتعليق: عبد الله محمد الصّديق، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩٤- المنجد في الأدب والعلوم لمعلوف لُويس، بيروت، ١٩٥٦م.
٩٥- المنهج التاريخي لمؤرّخي مكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري، لبندر محمد رشيد الهمزاني، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، (غير مطبوعة)، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٩٦- المواهب الفتحية على الطريقة المحمديّة، لابن علان، مكتبة السليمانية، قسم السليمانية برقم ٧١٣؛ وقسم أسعد أفندي تحت رقم١٥٣٠.
٩٧- المواهب اللّدنيّة، لأحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: صالح أحمد الشامي، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٩٨- مورد الصفا في مولد المصطفى، لمحمد علي علان الصديقي، مكتبة السليمانية، قسم بغدادلي وهبي، برقم ١١٤٣.
٩٩- الموسوعة الفقهية، الكويت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٠٠- موسوعة النحو والصرف والإعراب، لأميل بديع يعقوب، بيروت، ١٩٨٨م.
١٠١- نفحات الأنس من حضرات القدس، لعبد الرحمن الجامي، (ترجمة: وشرح لامعي لبي)، إستانبول، ١٩٨٠م.
١٠٢- هديّة العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، إستانبول، ١٩٥١م.
١٠٣- وفور الفضل والمنة بشرح منظومة ابن الشِّحْنَة، مكتبة الحرم المكي الشريف، تحت رقم ٣٤٠٨.

ب- باللّغات الأخرى:

- Abdurrahman b. hasan, kaside-i Burd›ye Reddiye, (terceme: harun Unal) Tevhid Yayinlari, Istanbul **1996**.
- Akdag, Hasan,Arap Dilinde Edatlar, Konya **1981**.
- Arslan, Ahmet Turan, Imam birgivi Hayati Eserleri ve Arapca.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع		الصفحة

الموضوع		الصفحة

الموضوع		الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع		الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع		الصفحة

الموضوع الصفحة

* * *

